تفسير

حدائق الروح والريحان

في

روابي علوم القرآن

تأليف الشيخ العلامة

محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي

المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة

إشراف ومراجعة

الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي

خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

المجلد الثامن عشر

دار طوق النجاة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م

دار طوق النجاة

بيروت ـ لبنان

تفسير

حدائق الروح والريحان

في

روابي علوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

شعرٌ

بِقَدْرِ ٱلْكَدِّ تُكْتَسَبُ ٱلْمَعَالِيْ   وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلاَ سَهِرَ ٱللَّيَالِيْ
تَرُوْمُ ٱلْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلاً   يَغُوْصُ ٱلْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ ٱللَّألِيْ
عُلُوُّ ٱلْكَعْبِ بِٱلْهِمَمِ ٱلْعَوَالِيْ   وَعِزُّ ٱلْمَرْءِ فِيْ سَهَرِ ٱللَّيَالِيْ
وَمَنْ رَامَ ٱلْعُلاَ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ   أَضَاعَ ٱلْعُمْرَ فِيْ طَلَبِ ٱلْمُحَالِ
تَرَكْتُ ٱلنَّوْمَ رَبِّيْ فِيْ ٱللَّيَالِيْ   لأَجْلِ رِضَاكَ يَا مَوْلَىٰ ٱلْمَوَالِيْ
فَوَفِّقْنِيْ إِلَىٰ تَحْصِيْلِ عِلْمٍ   وَبَلِّغْنِيْ إِلَىٰ أَقْصَىٰ ٱلْمَعَالِيْ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحمدك يا إلهنا حمد من أقر بربوبيتك؛ وٱعترف بوحدانيتك، وصدق بكتابك، وٱقتدىٰ بمحكمه، وآمن بمتشابهه، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله، سيّدُ الأولين والآخرين، من أنزلت عليه الكتاب المستبين، والقرآن المبين، وصلّ وسلّم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأتباعهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فإني لما فرغت من تفسير الجزء السادس عشر من القرآن الكريم.. أخذت ـ بعون الله ـ في تفسير الجزء السابع عشر منه، راجياً من الله التوفيق، والهداية فيما نحن بصدده إلى أقوم الطريق، فقلت:

سورة الأنبياء

مكية، قال القرطبي: عند جميع المفسرين. وعدد[١] آياتها مئة واثنتا عشرة آية، أو إحدى عشرة. وعدد كلماتها ألف كلمةٍ، ومئة وثمان وستون كلمة. وعدد حروفها أربعة آلاف حرف، وثمان مئة وتسعون حرفاً.

فضلها: ومما ورد في فضلها[٢]:

ما أخرجه البخاري، وغيره عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال: «بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، والأنبياء، هن من العتاق الأول، وهن من تلادي».

وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم، في «الحلية»، عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب، فأكرم عامر مثواه، وكلم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل، فقال: إني استقطعت رسول الله ﷺ وادياً ما في العرب، وادٍ أفضل منه، وقد

(١) الخازن.
(٢) الشوكاني.

أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك، ولعقبك من بعدك. فقال عامر: لا حاجة لي في قطعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾.

وعن النبي ﷺ[1]: «من قرأ ﴿اقترب﴾ حاسبه الله حساباً يسيراً، وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن» ولكن لا أصل له. وسميت بذلك لذكر قصص الأنبياء فيها.

الناسخ والمنسوخ: قال أبو عبد الله محمد بن حزم: في سورة الأنبياء آيتان منسوختان:

أولاهما: قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الآية (٩٨).

وثانيتهما: الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (٩٩). وهاتان الآيتان نسختا كلتاهما بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية (١٠١) من سورة الأنبياء، انتهى.

المناسبة: ومناسبتها لما قبلها[2]: أن السورة السالفة ختمت بأن الناس قد شغلتهم زهرة الدنيا التي جعلها الله لهم فتنةً، وأن الله نهى رسوله أن يتطلع إليها، وأمره بالصلاة والصبر عليها، وأن العاقبة للمتقين، وبُدئت هذه السورة بمثل ما ختمت به السالفة، فذكر فيها أن الناس غافلون عن الساعة والحساب، وأنهم إذا سمعوا القرآن استمعوه وهم لاعبون، وقلوبهم لاهية عنه.

والله أعلم

* * *

(١) البيضاوي.
(٢) المراغي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم
مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ
أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا
رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ
ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً
وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟
إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ
أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا
هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ
يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ
عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ
مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ
إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾
لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ
إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ
نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

المناسبة

مناسبة أول هذه السورة لآخر السابقة قد مرّ بيانها آنفاً.

وقال أبو حيّان[1]: مناسبة هذه السورة لما قبلها: أنه لما ذكر في آخر السورة السّالفة ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ۖ﴾ قال مشركو قريش: محمد يهدّدنا بالمعاد، والجزاء على الأعمال، وليس بصحيح، وإن صحَّ ففيه بعد، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، انتهى.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۖ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنَّ الله سبحانه وتعالى لمَّا ذكر فيما سلف إنكارهم لأن يكون الرسول بشراً بقولهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ﴾ أجاب عن هذه الشبهة بأن هذه سنة الله في الرسل قبل محمد ﷺ، فهو ليس ببدع بينهم، وإن كنتم في ريب من ذلك، فاسألوا أهل الكتاب من قبلكم، ثم ذكر أنَّ الرسل كسائر البشر في سنن الطبيعة البشرية، يأكلون الطعام، ولا يخلدون في الأرض، بل يموتون كما يموت سائر الناس، وقد صدقهم الله وعده فينجيهم، ومن آمن بهم، ويهلك المكذبين لهم، وأعقب ذلك بأن في القرآن عظةً لهم لو كانوا يعقلون ما في تضاعيفه من مواعظ، وزواجر، وأجر ووعد ووعيد.

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنَّ الله سبحانه وتعالى لمَّا ذكر[2] إهلاكه للمسرفين في كفرهم بالله، والعاصين لأوامره، ونواهيه.. بيَّن هنا طريق إهلاكهم، وكثرة ما حدث من ذلك في كثير من الأمم، ثم بيّن أنه أنشأ بعد الهالكين قوماً آخرين، وأنهم حينما أحسوا بأس الله، فرّوا هاربين، فقيل لهم على ضرب من التهكم والسخرية: فلترجعوا إلى ما كنتم فيه من الترف والنعيم، وإلى تلك المساكن المشيّدة، والفرش المنجَّدة، فلعلكم تسألون عما جرى عليكم، ونزل بأموالكم ومنازلكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، ثم بعد أن يئسوا من الخلاص، وأيقنوا

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

بالعذاب قالوا: هلاكاً لنا إنا كنا ظالمين لأنفسنا، مستوجبين العذاب بما قدّمناه، وما زالوا يكرّرون هذه الكلمة، ويردّدونها، وجعلوها هجيراهم، حتى صاروا كالنبات المحصود، والنار الخامدة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لمّا ذكر[1] مطاعنهم في نبوة محمد ﷺ بتلك المقالات التي سلف ذكرها قفىٰ على ذلك بذكر فساد تلك المطاعن، وبيان أن من أنكر نبوته فقد جعل تلك المعجزات التي ظهرت على يديه من باب العبث واللعب، تنزّه ربنا عن ذلك، فإنه ما خلق السماء والأرض وما بينهما إلاّ لعبادته، ومعرفته، ومجازاة من قام بهما بالثواب والنعيم، ومن لم يقم بذلك بالعقاب الأليم، ولن يتم علم هذا إلاّ بإنزال الكتب وإرسال الرسل، صلوات الله عليهم، فمنكر الرسالة جاعل خلق السماء والأرض لهواً ولعباً، تعالى خالقهما علواً كبيراً، ثم أردف هذا بالرد على من ادَّعى أنَّ المسيح ابن الله، وعزير ابن الله، بأنه لو اتخذ ولداً لاتّخذه من الملائكة، وعقّب على هذا بأن الغلبة للحق دائماً، مهما طال أمد الباطل، وأن جميع من في السموات والأرض كلهم عبيده، لا يستكبرون عن عبادته، ولا يملّون.

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لمّا[2] بين في سابق الآيات، أن كثيراً من الأمم المكذّبة لرسلها قد أبيدت، وأنشىء بعدها أقوام آخرون، وأنهم حين أحسّوا بالبأس، ارعووا وندموا حيث لا ينفع الندم، ثم أردف ذلك ذكر أن من في السموات والأرض عبيده، وأن الملائكة لا يستكبرون عن عبادته، ولا يكلّون ولا يملون منها.. ذكر هنا أنه كان يجب عليهم أن يبادروا إلى التوحيد، لكنهم لم يفعلوا ذلك بل فعلوا ضدّه، فكانوا جديرين بالتوبيخ، والتعنيف، ثم أقام البرهان على وحدانيته، وأنه لو كان في السموات والأرض إلٰهان لهلك من فيهما،

---

(١) المراغي. (٢) المراغي.

تنزَّه ربنا عما يقول هؤلاء المشركون، وقد كذب من اتخذ آلهة لا دليل عليها، وأن جميع الأديان جاءت بإخلاص التوحيد، كما كذب من جعل له ولداً، فقال: الملائكة بنات الله.

والملائكة خلق مطيعون لربهم، لا يفعلون إلاّ ما يؤمرون به، ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى، وهم من خوفه حذرون، ومن يقل منهم: إنه إله.. فلا جزاء له إلا جهنم، وهي جزاء كل ظالم.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية[1]: ما أخرجه ابن المنذر عن ابن جريج قال: نعي إلى النبي ﷺ نفسه، فقال: «يا رب فمن لأمتي» فنزلت ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ...﴾ الآية.

التفسير وأوجه القراءة

﴿ٱقۡتَرَبَ﴾؛ أي: قرب ودنا ﴿لِلنَّاسِ﴾؛ أي للمشركين ﴿حِسَابُهُمۡ﴾؛ أي[2]: وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم يوم القيامة، نزلت في منكري البعث؛ أي: قرب[3] بالنسبة إلى ما مضى، أو عند الله تعالى لقوله: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾، أو لأن كل ما هو آت قريب، وإنما البعيد ما انقرض ومضى، قال الشاعر:

فَمَا زَالَ مَنْ يَهْوَاهُ أَقْرَبُ مِنْ غَدِ ... وَمَا زَالَ مَنْ يَخْشَاهُ أَبْعَدُ مِنْ أَمْسِ

واللام صلة لـ﴿اقترب﴾، أو تأكيد للإضافة، وأصله: اقترب حساب الناس، ثم صار اقترب للناس الحساب، ثم صار اقترب للناس حسابهم، وقال في «العيون»: اللام بمعنى من، متعلقة بالفعل، وتقديمها على الفاعل للمسارعة

---

(١) لباب النقول.

(٢) الخازن.

(٣) البيضاوي.

إلى إدخال الروعة، فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوؤهم ويورثهم رهبةً وانزعاجاً من المقترب. وإنما ذكر[1] الله سبحانه هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين، فيكونون أقرب إلى التأهّب له، والمراد بـ﴿النَّاسِ﴾، المحاسبون، وهم المكلَّفون دون غيرهم. وقيل: هم المشركون لتقييدهم بقوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وعلى هذا فهو من باب إطلاق اسم الجنس على بعض أفراده.

والحساب بمعنى المحاسبة[2]، وهو إظهار ما للبعيد وما عليه ليجازى على ذلك، والمراد باقتراب حسابهم: اقترابه في ضمن اقتراب الساعة، وسمي يوم القيامة بيوم الحساب، تسمية للزمان بأعظم ما وقع فيه، وأشدّه وقعاً في القلوب، فإن الحساب هو الكاشف عن حال المرء، ومعنى اقترابه لهم تقاربه، ودنوّه منهم بعد بعده عنهم، فإنه في كل ساعة من ساعات الزمان أقرب إليهم من الساعة السابقة، ما أن ما مضى أكثر مما بقي، وفي الحديث: «أمّا بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس» وإنما لم يعيّن الوقت؛ لأن كتمانه أصلح كوقت الموت.

والمعنى[3]: دنا من مشركي قريش وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم السيئة، الموجبة للعقاب يوم القيامة، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾؛ أي: والحال أنهم في غفلة تامة من الحساب على النقير والقطمير، والتأهّب له، ساهون عنه بالكلية، لا أنهم غير مبالين مع اعترافهم بإتيانه، بل منكرون له، كافرون به مع اقتضاء عقولهم له، لأن الأعمال لا بد لها من الجزاء، وإلاّ لزم التسوية بين المطيع، والعاصي وهي بعيدة عن مقتضى الحكمة والعدالة ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن الإيمان والآيات، والنذر المنبّهة لهم من سنة الغفلة.

وهما خبران للضمير، وحيث كانت الغفلة أمراً جبلياً لهم، جعل الخبر الأول ظرفا منبئاً عن الاستقرار بخلاف الأعراض. والجملة حال من ﴿النَّاسِ﴾،

---

(١) الخازن.

(٢) روح البيان.

(٣) روح البيان.

ويجوز أن يكون الظرف حالا من المستكن في ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾. وعبارة الشوكاني هنا: وهم في غفلة بالدنيا، معرضون عن الآخرة، غير متأهبين بما يجب عليهم من الإيمان بالله، والقيام بفرائضه، والانزجار عن مناهيه، انتهت.

وحاصل المعنى: أي[1] دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم، وعلى النِّعَم التي أنعمها عليهم ربهم في أجسامهم، وعقولهم، ومطاعمهم ومشاربهم، ماذا عملوا فيها؟ هل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه، أو عصوه فخالفوا أمره فيها، وهم في هذه الحياة في غفلة عما يفعل الله بهم يوم القيامة، ومن ثمّ تركوا الفكر والاستعداد لهذا اليوم، والتأهُّب له جهلاً منهم بما هم لاقوه حينئذٍ من عظيم البلاء، وشديد الأهوال، وآثر بيان اقتراب هذا اليوم مع أن الكلام مع المشركين المنكرين للبعث للإشارة إلى أن البعث لا ريب فيه، وأن الذي يرجى بيانه ذكر ما يستتبعه من الأحوال والأهوال كالحساب الموجب للاضطراب على وجه أكيد، ونهج سديد.

وخلاصة ذلك: أنه قد دنا وقت الساعة، وهم غافلون عن حسابهم، ساهون، لا يتفكرون في عاقبتهم، مع أن قضية العقل تقضي بجزاء المحسن والمسيء، وإذا هم نبهوا من غفلتهم بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا، وسدوا أسماعهم عن سماعه، ثم ذكر ما يدل على غفلتهم، وإعراضهم بقوله: ﴿مَا يَأۡتِيهِم﴾؛ أي: ما يأتي هؤلاء المشركين ﴿مِّن ذِكۡرٖ﴾ ينبّههم عن سِنة الغفلة والضلالة، أي:[2] طائفة نازلة من القرآن تذكرهم الحساب أكمل تذكير، وتنبّههم عن الغفلة أتم تنبيه، كأنها نفس الذكر والعظة ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ ﴿من﴾ لابتداء الغاية، متعلقة بـ ﴿يَأۡتِيهِم﴾، أو صفة لـ﴿ذِكۡرٍ﴾ وفيه دلالة على فضله وشرفه، وكمال شناعة ما فعلوا به ﴿مُّحۡدَثٍ﴾ بالجر صفة لـ﴿ذِكۡرٍ﴾؛ أي: متجدد تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة، ليكرر على أسماعهم التنبيه، كي يتعظوا، فالمحدث[3] هو تنزيله في كل وقت على حسب المصالح، وقدر الحاجة، لا الكلام الذي هو صفة

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) روح البيان.

قديمة أزلية، وأيضاً الموصوف بالإتيان وبأنه ذكر هو المركب من الحروف والأصوات، وحدوثه مما لا نزاع فيه.

قلت: والأسلم الإمساك عن القول بحدوث القرآن وقدمه، وتفويض علم ذلك إلى الله سبحانه، فإنه لم يسمع من النبي ﷺ، ولا من السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم شيء من الكلام في ذلك.

قالوا: القرآن اسم مشترك يطلق على الكلام الأزلي الذي هو صفة الله، وهو الكلام النفسي القديم، من قال بحدوثه كفر.

ويطلق أيضاً على ما يدل عليه وهو النظم المتلو الحادث، من قال بقدمه سجّل على كمال جهله. وقيل: الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ، وبيّنه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن وأضافه إليه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ قاله في «الخازن».

وقرأ الجمهور[1]: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ بالجر صفة لـ﴿ذكر﴾ على اللفظ. وقرأ ابن أبي عبلة بالرفع، صفة لـ﴿ذكر﴾ على المحل. وقرأ زيد بن علي بالنصب، على الحال من ذكر، إذ قد وصف بقوله: ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾.

﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ من النبي عليه السلام أو غيره ممن يتلوه. استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال من مفعول ﴿يأتيهم﴾ بإضمار قد. ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾؛ أي: يستهزئون به، ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم، وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور، والتفكر في العواقب. وجملة ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ في محل نصب على الحال أيضاً من فاعل ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾. يقال: لعب إذا كان فعل فعلاً غير قاصد به مقصداً صحيحاً. ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ حال أخرى؛ أي ساهيةً معرضةً غافلةً قلوبهم عن ذكر الله تعالى. يقال: لها عنه إذا ذهل وغفل. قال الراغب: اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه، يقال: لهوت بكذا، ولهيت بكذا، اشتغلت عنه، يلهو وألهاه عن كذا شغله عما هو أهم. وقرأ ابن أبي عبلة، وعيسى ﴿لَاهِيَةٌ﴾ بالرفع على

---

(١) البحر المحيط.

أنه خبر لقوله: ﴿وهم﴾ والمعنى[1]: ما يأتيهم ذكر من ربهم، مُحْدَثٍ في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه، لاعبينَ مستهزئينَ به لاهين متشاغلينَ عن التأمل فيه، لتناهي غفلتهم، وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور، والتفكر في العواقب.

قدم اللعب على اللهو تنبيهاً على أنهم إنما أقدموا على اللعب، لذهولهم عن الحق، فاللعب الذي هو السخرية والاستهزاء نتيجة اللهو، الذي هو الغفلة عن الحق، والذهول عن التفكر. قال بعضهم: القلب اللاهي: هو المشغول بأحوال الدنيا، والغافل عن أحوال العقبى. قال الواسطي: لاَهِيةً عن المصادر والموارد، والمبدأ والمنتهى.

وقصارى ذلك: أنه[2] ما ينزل الله من قرآن ويذكرهم به إلاَّ استمعوه وهم لاهون لاعبون مستهزئون.

والخلاصة: أنه ما جدد لهم الذكر وقتاً فوقتا، وكررَّ على أسماعهم التنبيه، والموعظة لعلهم يتعظون، إلا زادَهم ذلك سخرية واستهزاء، وفي هذا ذم لأولئك الكفار، وزَجْر لغيرهم عن مثله، فالانتفاع بما يُسْمَعُ لا يكون إلا بما يرجع إلى القلب من تدبر وتفكر، وإلا حصل مجرد الاستماع الذي تشارك البهيمة فيه الإنسان.

وبعد أن ذكر ما يُظْهِرونَه حين الاستماع من اللهو واللعب، ذَكَرَ ما يخفونه بقوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ أي: وأمر هؤلاء الذين اقْتَرَبَتِ الساعة منهم، وهم في غفلتهم معرضون التناجي بينهم، وأخفوه عن سواهم. والنجوى في الأصل: مصدر، ثم جُعِلَ اسماً من التناجي بمعنى القول الواقع بطريق المسارة؛ أي: السر بين اثنين فصاعداً. يقال: تناجى القوم إذا تساروا، وتكالموا سراً عن غيرهم. ومعنى[3] إسرارها مع أنها لا تكون إلا سراً أنهم بالغوا في إخفائها. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ على أنفسهم بالشرك، والمعصية. بدل[4] واو ﴿أسروا﴾ للإيماء بأنهم ظلموا فيما أسروا به. أو فاعل له والواو علامة الجمع، أو مبتدأ، والجملة المتقدمة خبره، وأصله: وهؤلاء الغافلون أسروا النجوى، فوضع

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.
(٤) البيضاوي

الموصول موضعه تسجيلاً على فعلهم بأنه ظُلْمٌ. أو منصوب على الذم. ثم بَيَّن ما تَنَاجَوا بِهِ فقال: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ والاستفهام فيه إنكاري، بمعنى النفي، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنه قيل: فماذا قالوا في نجواهم؟ فقيل: قالوا: ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾؛ أي: ما هذا الرجل محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ﴾؛ أي[1]: دم ولحم مساوٍ لكم في المأكل والمشرب وكل ما يحتاج إليه البشر، والموت مقصور على البشرية، ليس له وصف الرسالة التي يدعيها، والبَشْرُ ظاهرُ الجلد، والأدمة باطنه، عبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر، بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف، والشعر والوبر. واستوى في لفظ البشر الواحدُ والجمعُ. وخص في القرآن كل موضع عبر عن الإنسان جثته، وظاهره بلفظ البشر.

والمعنى[2]: أي قالوا في تناجيهم متعجبين من دعواه النبوة: هل هذا الذي أتاكم بهذا الذكر إلا بشر مثلكم، في خلقه وأخلاقه، يأكل كما تأكلون، ويشرب كما تشربون، ويموت كما تموتون، فكيف يختص دونكم بالرسالة؟ والهمزة في قوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ للاستفهام الإنكاري الابتعادي، داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾ عاطفة على ذلك المحذوف. وجملة ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ حال من فاعل ﴿تأتون﴾، مقرّرة للإنكار، ومؤكدة الابتعاد؛ أي[3] ما هذا الرجل الذي يدّعي النبوة إلاّ من جنسكم، وما أتى به ـ يعنون القرآن ـ سحر، أتعلمون ذلك فتأتونه، وتحضرونه على وجه الإذعان والقبول، وأنتم تبصرون، وتعاينون أنه سحر، قالوا ذلك لاعتقادهم أن الرسول لا يكون إلاّ ملكاً، وأن كلَّ ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحرِ؛ أي: الخداع والتخيلات التي لا حقيقة لها.

وخلاصة ذلك: أنهم طعنوا في نبوته بأمرين:

١ ـ أن الرسول لا يكون إلاّ ملكاً.

٢ ـ أنَّ الذي يظهر على يديه من قبيل السحر. وذلك فاسد إذ حجة النبوة تعرف من المعجزة، لا من الصورة، ولو بعث الملك إليهم.. لم يعلموا نبوته

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

بصورته، بل بالمعجزة، فإذا ظهر على يد بشر وجب قبوله.

وإنما أسرّوا ذلك لأنه كالتشاور بينهم والتحاور لطلب الطريق الموصل إلى هدم دينه، وإطفاء نور النبوة، وقد جرت عادة المتشاورين في خطب عظيم أن لا يشركوا أعداءهم في مشورتهم، بل يجتهدون في طيّ سرّهم عنهم مَّا استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، كما جاء في أمثالهم: (استعينوا في قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود) فأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ على ما تناجوا به، وأمره الله سبحانه أن يجيب عليهم، فقال: ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ سرّاً كان أو جهراً حال كون ذلك القول ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فضلاً عما أسرّوا به، وإذا علم القول علم الفعل؛ أي: قل لهم أيها الرسول: إنكم، وإن أخفيتم قولكم وطعنكم فيَّ فإن ربكم عليم بذلك، وإنه معاقبكم عليه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لجميع المسموعات ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بجميع المعلومات؛ أي: المبالغ في العلم بالمسموعات، والمعلومات التي من جملتها ما أسرّوه من النجوى، فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم. وفي هذا من التهديد، والوعيد، ما لا يخفى، وإنما آثر كلمة ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ التي تعمّ السرّ والجهر دون كلمة (السرّ) التي تقدمت في الكلام للإيذان بأن علمه تعالى بالأمرين على وتيرة واحدة، لا تفاوت فيه بالجلاء والخفاء كما في علوم العباد.

وخلاصة ذلك[1]: أنه يعلم هذا الضرب من الكلام، وأعلى منه، وأدنى منه، وفي هذا مبالغة في علمه تعالى بكل ما يمكن أن يسمع أو يعلم.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وأيوب، وخلف، وابن سعدان، وابن جبير الأنطاكي، وابن جرير[2]: ﴿قَالَ رَبِّى﴾ على معنى الخبر عن نبيّه ﷺ، وكذا في مصاحف الكوفيين. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿قل ربي﴾ على الأمر لنبيّه ﷺ.

ولمّا ذكر سبحانه وتعالى عنهم أنهم قالوا: إنَّ ما أتى به سحر، ذكر

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

اضطرابهم في مقالاتهم، فذكر أنهم أضربوا عن نسبة السحر إليه بقوله: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾؛ أي: ما أتى به أباطيل منامات لا يصحّ تأويلها لاختلاطها. والأضغاث[1]: جمع ضغث بالكسر، والضغث قبضة من حشيش مختلطة الرطب باليابس. وأضغاث أحلام: رؤيا لا يصح تأويلها، لاختلاطها كما في «القاموس». والأحلام جمع حلم، والحلم بضم الحاء وسكون اللام الرؤيا. وضم اللام أيضاً لغة فيه، فالأحلام بمعنى المنامات، سواء كانت باطلة أو حقةً. وأضيفت الأضغاث بمعنى الأباطيل إليها، على طريق إضافة الخاص إلى العام إضافة بمعنى من، وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق، والحلم بالمنام الباطل كما في قوله ﷺ: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان». ثم إن هذا إضرابٌ من جهته تعالى، وانتقال من حكاية قول إلى آخر؛ أي: لم يقتصروا على أن يقولوا في حقه عليه السلام: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، وفي حق ما ظهر على يده من القرآن إنه سحر، بل قالوا: تخاليط أحلام؛ أي: أخلاط أحلام كاذبة، رآها في المنام ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾؛ أي: بل قالوا: افتراه، واختلقه من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل. ثم حكى سبحانه عنهم أنهم أضربوا عن هذا، وقالوا: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ وما أتى به شعر يخيّل إلى السامع معاني لا حقيقة لها.

أي: بل قال بعضهم: أخلاط أحلام قد رآها في النوم. وقال آخرون: بل اختلقه من تلقاء نفسه، ونسبه إلى الله تعالى. وقال قوم: بل هو شاعر، وما أتى به شعر.

وخلاصة ذلك[2]: أنهم ما صدقوا بحكمة هذا القرآن، ولا أقروا أنه من عند الله، ولا أنه وحي أوحاه الله إليه، بل قالوا هذه المقالات.

وفي هذا الاضطراب منهم[3]، والتلوّن والتردد، أعظم دليل على أنهم

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

جاهلون بحقيقة ما جاء به، لا يدرون ما هو، ولا يعرفون كنهه، أو كانوا قد علموا أنه حق، وأنه من عند الله، ولكن أرادوا أن يدفعوه بالصدر، ويرموه بكل حجر ومدر، وهذا شأن من غلبته الحجة، وقهره البرهان.

وقد ذكرت[1] هذه المقالات على هذا الوضع إشارة إلى ترقيها في الفساد، فإن كونها سحراً أقرب من كونها أضغاث أحلام، قد يقال: «إن من البيان لسحرا» بخلاف تخاليط الكلام التي لا تضبط، ولا شبه لها بهذا النظم البديع، وادعاء كونها مفتريات ٍ أبعد وأبعد، لأنه عليه الصلاة والسلام قد شهر بالأمانة والصدق، إلى أنهم أعرف الناس بالفرق بين المنظوم والمنثور، وبين ما يساق له الشعر وما سيق له هذا الكلام، إلى أنهم يعلمون من مخالطته مدى أربعين سنة أنه لا يسهل له الشعر وإن أراده.

وفي «روح البيان»: قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ كثير من المفسرين[2] حملوه على أنهم رموه بكونه آتياً بشعر منظوم مقفى، حتى تأوّلوا عليه ما جاء في القرآن من كل لفظةٍ تشبه الموزون من نحو قوله: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، وقال بعض المحقِّقين: لم يقصدوا هذا المقصد فيما رموه به، وذلك أنه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس على أساليب الشعر، ولا يخفى ذلك على الأغنام من العجم، فضلاً عن بلغاء العرب، وإنما رموه بالكذب، فإن الشعر يعبّر به عن الكذب، والشاعر الكاذب حتى سمّوا الأدلة الكاذبة بالشعر، ولكون الشعر مقرُّ الكذب قيل: أحسن الشعر أكذبه. فالمراد بقولهم: إنه شاعر: القدرة على إنشاء الكلام الموزون، وليس من مقتضاها التكلم.

ثم بعد ما قدحوا في القرآن، طلبوا آيةً أخرى غيره فقالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ وهذا جواب شرط مقدّر يدل عليه السياق، تقديره: إن لم يكن كما قلنا، بل كان

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

رسولاً من الله، فليأتنا بآية جليلة ﴿كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ أي مثل الآية التي أرسل بها الأولون، كاليد، والعصا، وإحياء الموتى، والناقة، ونظائرها حتى نؤمن به، فـ﴿ما﴾ موصولة، وعائدها محذوف، ومحل الكاف الجرّ على أنها صفة لآية. ويجوز أن يكون نعت مصدر محذوف؛ أي: إتياناً مثل إرسال الأولين.

والمعنى: أي[1] إن كان صادقاً في أن الله تعالى بعثه رسولاً إلينا، وأن الذي يتلوه وحي أوحاه الله إليه.. فليأتنا بحجة تدل على ما يقول ويدعي كما جاء به الرسل الأولون من قبله، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، وناقة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله، ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل، وفي التعبير بقولهم: ﴿كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ بيان كونها آيات مسلَّمات تثبت الرسالة بمثلها، ويترتب عليها المقصود، وليس لأحد أن ينازع فيها.

ثم كذبهم سبحانه فيما تضمنته خاتمة مقالهم من الوعد بالإيمان حين إتيان الآية المقترحة، وبين أن في ترك إجابتهم عما طلبوا إبقاء عليه، فإنهم لو أوتوها، ولم يؤمنوا بها لاستؤصلوا بالعذاب كما هي سنة الله في الأمم السالفة إذا كذبت رسلها بعد إتيانهم بما اقترحوا، ولكن قد سبقت كلمة الله أن مشركي هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقال: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم﴾؛ أي: قبل مشركي مكة ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾؛ أي: أهل قرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس، وهو في محل الرفع على الفاعلية. و﴿من﴾ مزيدة لتأكيد العموم ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ﴾؛ أي: بإهلاك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات. صفة قرية.

والهمزة في قوله: ﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ للاستفهام الإنكاري[2]، لإنكار الوقوع داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾ عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: إنه لم تؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أفهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سئلوا، وأعطوا ما اقترحوا، مع كونهم أعتى منهم وأطغى، كما

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ يعني أن كفاركم مثل أولئك الكفار المعدودين قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وآل فرعون، فهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه، قال حسّان بن ثابت رضي الله عنه:

وَلاَ تَكُ كَٱلشَّاةِ ٱلَّتِيْ كَانَ حَتْفُهَا بِحَفْرِ ذِرَاعَيْهَا فَلَمْ تَرْضَ مَحْفَرا

وأصله: أن رجلاً وجد شاة، وأراد ذبحها فلم يظفر بسكين، وكانت مربوطةً، فلم تزل تبحث برجليها حتى أبرزت سكيناً كانت مدفونة، فذبحها بها، يضرب في مادة تودي صاحبها إلى التلف، وما يورط الرجل فيه نفسه.

وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح للترحم بهم، إذ لو أتي به لم يؤمنوا، واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم، وقد سلف وعده تعالى في حق هذه الأمة أن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة. ومعنى الآية؛ أي: إنَّ هؤلاء أشد عتواً من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات، ووعدوا أنهم يؤمنون حين مجيئها، فلما جاءتهم نكثوا العهد، وخالفوا، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فلو أعطوا ما اقترحوا... لكانوا أشد نكثاً، فينزل بهم عذاب الاستئصال، وقد سبقت كلمة ربك أنه يؤخر عذابهم إلى اليوم المعلوم.

قال قتادة: قال أهل مكة للنبي ﷺ: إذا كان ما تقوله حقاً، ويسرُّك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبريل فقال: إن شئت.. كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم ينظروا، وإن شئت استأنيت بقومك؟ قال: «بل أستأني بقومي» فأنزل الله ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم﴾ الآية كما سبق في مبحث الأسباب.

ثم أجاب سبحانه عن قولهم: هل هذا إلاّ بشر مثلكم بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ أيها الرسول رسولاً إلى أمة من الأمم التي خلت من قبلك ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ أمثالهم ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ ما نريد من أمرنا ونهينا، لا ملكا نوحي إليهم بوساطة الناموس ما نوحي من الشرائع والأحكام، والقصص والأخبار، فما بالهم لا يفهمون أنك لست بدعاً من الرسل.

والمعنى: أي[1] وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمتك إلاّ رجالاً مخصوصين من أفراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والإرسال، نوحي إليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والأحكام، وغيرهما من القصص والأخبار، كما نوحي إليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي، وحقيقة مدلوله، كما لا فرق بينه وبينهم في البشرية، فما لهم لا يفهمون أنك لست بدعاً من الرسل، وأن ما أوحي إليك ليس مخالفاً لما أوحي إليهم، فيقولون ما يقولون.

وجاء بمعنى الآية قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾، وقوله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾، وقوله: حكاية عمن تقدم من الأمم: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾.

وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي ﴿نُّوحِىٓ﴾ بالنون وكسر الحاء. وقرأ الجمهور ﴿يوحى﴾ بالياء التحتية مبنياً للمفعول.

ثم أمرهم سبحانه أن يسألوا في ذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى تبكيتاً لهم، وإزالةً لما علق بأذهانهم من الاستبعاد، بعد أن بيَّن لهم وجه الحق فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ أيها الكفرة الجهلة ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾؛ أي: أهل الكتاب ممن يؤمن بالتورة، والإنجيل، الواقفين على أحوال الرسل السالفة لتزول شبهتكم ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الحق؛ أي: أن الرسل بشر، ولا يتبيّن لكم الصواب، يخبروكم عن ذلك، أمروا بذلك، لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم، لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عدواته ﷺ، ويشاورونهم في أمره، وكانوا لا ينكرون كون الرسل بشراً، وإن أنكروا نبوته ﷺ. روي أنه قيل للإمام الغزالي رحمه الله: بماذا حصل لكم الإحاطة بالأصول والفروع؟ فتلا هذه الآية، وأشار إلى أن السؤال من أسباب العلم وطرائقه.

وبعد أن بيّن أنه ﷺ على سنة من مضى من الرسل في كونه رجلاً، بيّن أنه على سنتهم في سائر الأوصاف التي حكم بها على البشر في معيشتهم وموتهم

---

(١) روح البيان.

فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَهُمْ﴾؛ أي: وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك إلى الأمم الماضية قبل أمتك ﴿جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾؛ أي: لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام، بل جعلناهم أجسادا مثلك، يأكلون الطعام، وتعرض لهم أطوار البشر جميعاً من صحة ومرض وسرور وحزن، ونوم ويقظة، والجسد جسم الإنسان والجن والملائكة، وسيأتي الفرق بينه وبين الجسم في مباحث مفردات اللغة. وجملة ﴿لا يأكلون الطعام﴾ صفة لـ ﴿جَسَدًا﴾. والطعام البرّ، وما يؤكل. والطعم تناول الغذاء؛ أي:[1] وما جعلناهم جسدا مستغنياً عن الأكل والشرب، بل محتاجاً إلى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه ﴿وَمَا كَانُواْ خَلِدِينَ﴾؛ أي: مخلدين لا يموتون، ولا يفنون، ولكنهم غبروا حيناً من الدهر وهم أحياء، ثم طواهم الثرى، وضمّتهم القبور، لأن مآل التحلّل هو الفناء لا محالة.

وخلاصة ذلك[2]: أنا جعلنا الرسل أجساماً تتغذى حين الحياة، ثم يصير أمرها إلى الفناء بعد استيفاء آجالها، ولم نجعلهم ملائكة لا يتغذون، وما كانوا مخلدين بأجسادهم، بل يموتون كما مات الناس قبلهم وبعدهم، وإنما امتازوا عن غيرهم من سائر الناس بما يأتيهم عن الله من الوحي والزلفى عنده.

والخلود[3] تبرّىء الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، والمراد إمّا المكث المديد كما هو شأن الملائكة، أو الأبدي وهم معتقدون أنهم لا يموتون.

والمعنى: جعلناهم أجساداً متغذية حائرة بالموت إلى الآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة، ولا أجساداً مستغنيةً عن الأغذية مصونةً عن التحلل كالملائكة.

وجملة قوله: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ معطوفة على جملة محذوفة، يدل عليها

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

السياق، والتقدير: إنا أرسلنا رسلاً من البشر، وأوحينا إليهم ما أوحينا، ثم صدقنا وعدنا إياهم؛ أي: أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم، وإهلاك من كذبهم، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾ من عبادنا المؤمنين؛ أي: فنصرناهم على المكذبين، وأنجيناهم، هم ومن آمن معهم من العذاب الدنيوي ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: المجاوزين للحد في الكفر والمعاصي، وهم المشركون بالعذاب الدنيوي.

وبعد أن حقق رسالته ﷺ ببيان أنه كسائر الرسل الكرام شرع يحقق فضل القرآن الكريم، ويبين نفعه للناس، بعد أن ذكر في صدر السورة إعراض الناس عما يأتيهم من آياته، واضطرابهم في شأنه فقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش، أي: وعزتي وجلالي لقد أنزلنا إلى رسولكم محمد ﷺ ﴿كِتَٰبًا﴾ عظيم الشأن نير البرهان، وهو القرآن ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ صفة لـ ﴿كِتَٰبًا﴾، أي: فيه شرفكم لكونه بلسانكم، أو فيه موعظتكم بذكر الوعد والوعيد لترغبوا، وتحذورا، أو فيه ذكر أمر دينكم بما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق، وفاضل الآداب، وسديد الشرائع، والأحكام مما فيه سعادة البشر في حياتهم الدنيوية والأخروية، وليس بسحر، ولا شعر، ولا أضغاث أحلام، ولا مفترىً كما تدّعون.

والهمزة في قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ للاستفهام التوبيخي التقريعي. والفاء عاطفة على محذوف، والتقدير: ألا تتفكرون فتعقلوا أن الأمر كذلك، أي: أفلا تتفكرون فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ، وقوارع الزواجر، فتحذروا الوقوع فيما يخالف أمره ونهيه، ولا يخفى ما في هذا من الحثّ على التدبر؛ لأن الخوف من لوازم العقل، فمن لم يتدبَّرْ فكأنه لا عقل له.

وروي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه[1] ـ: لمّا دنا فراق رسول الله ﷺ جمعنا في بيت أمّنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ ثم نظر إلينا فدمعت عيناه، وقال: «مرحبا بكم، حيّاكم الله، رحمكم الله تعالى، أوصيكم بتقوى الله تعالى وطاعته،

---

(١) روح البيان.

قد دنا الفراق، وحان المنقلب إلى الله، وإلى سدرة المنتهى، وإلى جنة المأوى، يغسلني رجال أهل بيتي، ويكفنونني في ثيابي هذه إن شاؤوا، أو في حلة يمانية، فإذا غسلوني، وكفّنوني، ضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير لحدي، ثم اخرجوا عني ساعةً، فأول من يصلي عليّ حبيبي جبرائيل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت، مع جنودهم، ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً، وصلّوا عليّ» فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا وقالوا: يا رسول الله أنت نور ربنا، وشمع جمعنا، وسلطان أمرنا، إذا ذهبت عنا إلى من نرجع في أمورنا؟ قال: «تركتكم على المحجّة البيضاء ـ أي الطريق الواسع الواضح ـ ليلها كنهارها ـ في الوضوح ـ وتركت لكم واعظين، ناطقاً وصامتاً: فالناطق القرآن، والصامت الموت، فإذا أشكل عليكم أمر فارجعوا إلى القرآن والسنة، وإذا قست قلوبكم فلينوها بالاعتبار في أحوال الموت».

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «من تعلم القرآن في صغره اختلط القرآن بلحمه ودمه، ومن تعلمه في كبره فهو يتفلت منه، ولا يتركه، فله أجره مرتين» وجه الأول أنه في الصغر خال عن الشواغل، وما صادف قلباً خالياً يتمكن فيه، قال الشاعر:

أَتَانِيْ هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ ٱلْهَوَىٰ   فَصَادَفَ قَلْبَاً خَالِيَاً فَتَمَكَّنَا

ويدخل في الثاني من له حصر، أو عيّ؛ لأن من قرأ القرآن وهو عليه شاق، فله أجران: أجر لقراءته، وأجر لمشقته. كذا في «شرح المصابيح».

ثم حذّرهم وأوعدهم ما جرى على الأمم المكذبة فقال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ كم خبرية للتكثير، محلها النصب على أنها مفعول به لـ ﴿قَصَمْنَا﴾ ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ تمييز لها. القصم كسر الشيء ودقه من الإبانة، وإزالة تأليفه بالكلية، وفي التعبير به من الدلالة على الغضب وشدة السخط ما لا يخفى.

والمعنى هنا: الإهلاك والعذاب ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ صفة ﴿قَرْيَةٍ﴾ على تقدير مضاف، والظلم في الأصل وضع الشيء في غير موضعه، وهم وضعوا الكفر

موضع الإيمان؛ أي[1]: وكثيراً كسرنا وأهلكنا من أهل قرية كانوا ظالمين آيات الله، كافرين بها كدأبكم يا معشر قريش ﴿وَأَنشَأْنَا﴾؛ أي: أوجدنا، وأحدثنا ﴿بَعْدَهَا﴾؛ أي بعد إهلاك أهلها ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾؛ أي ليسوا منهم نسباً، ولا ديناً. ونحو الآية قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ﴾، وقوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾.

ثم بيَّن حالهم حين حلول البأس، فقال: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ﴾؛ أي: فلما أحس أهل تلك القرية الظالمة، وأدركوا ﴿بَأْسَنَآ﴾؛ أي: عذابنا الشديد إداركاً تامًّا، كأنه إدراك المشاهد المحسوس، ورأوه ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا﴾؛ أي: من القرية. ويحتمل أن يعود على ﴿بَأْسَنَآ﴾، لأنه في معنى الشدة، فأنّث على المعنى. ذكره في «البحر». و﴿إِذَا﴾ للمفاجأة. و﴿هُم﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿يَرْكُضُونَ﴾؛ أي: يهربون مسرعين راكضين مثل دوابّهم، أو مشبّهين بهم من إفراط الإسراع.

أي[2]: فلمّا أيقنوا أن العذاب واقع بهم لا محالة كما أوعدهم أنبياؤهم، إذا هم يهربون سراعاً عجلين يعدون منهزمين.

والخلاصة: أنهم لمَّا علموا شدة بأسنا وبطشنا علم حس ومشاهدة ركضوا في ديارهم هاربين من قراهم، بعد أن كانوا قد تجبروا على رسلهم، وقالوا لهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾.

ثم ذكر أنهم في ذلك الحين ينهون عن الهرب، ويقال لهم بلسان الحال، أو بلسان المقال من الملك، أو ممن هنالك من المؤمنين على طريق الاستهزاء والتهكم: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾، أي: لا تهربوا من مساكنكم ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾؛ أي[3] إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم وكفركم. والمترف: المنعم. يقال: أترف فلانٌ؛ أي: وسع عليه في معاشه، وأترفته النعمة أطغته. وأترف فلان أصر على البغي، أي: ارجعوا إلى ما أعطيتموه من العيش الواسع، والحال الطيبة،

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) الشوكاني.

حتى بطرتم به، فكفرتم وأعرضتم عن المعطي وشكره ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ التي كنتم تسكنونها وتفتخرون بها ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾؛ أي: تقصدون من جهة الناس للسؤال، والتشاور، والتدبير في المهمات، والنوازل، كما هو عادة الناس مع عظمائهم في كل قرية، لا يزالون يقطعون أمراً دونهم، أو تسألون عما نزل بكم وبأموالكم ومساكنكم من العذاب، فتجيبوا السائلين عما تشاهدون.

والمعنى: أي يقال لهم على طريق الاستهزاء والسخرية: لا تركضوا هاربين من نزول العذاب، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة، والسرور، والمساكن الطيبة، والفرش المنجّدة الوثيرة، لعلكم تقصدون للسؤال عما جرى علكيم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائلين عما تشاهدون وتعلمون.

ثم حكى عنهم ما أجابوا به القائلين لهم: لا تركضوا وارجعوا، فقال: ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال أهل تلك القرية الظالمة لمَّا يئسوا من الخلاص بالهرب، وأيقنوا بنزول العذاب ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾؛ أي: يا هلاكنا تعال فهذا أوانك ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ لأنفسنا مستوجبين للعذاب بما قدّمنا، وهو اعتراف منهم بالظلم، وباستتباعه للعذاب، وندمهم عليه حين لا ينفعهم ذلك.

والمعنى: أي قالوا حين يئسوا من الخلاق إذ نزل بهم بأس الله بظلمهم أنفسهم: يا قومنا هلاكاً لنا لكفرنا بربنا، وهذا منهم اعتراف بكفرهم، وندم عليه حين لا ينفع الندم.

نَدِمَ ٱلْبُغَاةُ وَلَاتَ سَاعَةُ مَنْدَمِ وَٱلْبَغْيُ مَرْتَعُ مُبْتَغِيْهِ وَخِيْمُ

قال المفسرون وأهل الأخبار[1]: إن المراد بهذه القرية أهل حضور ـ بوزن شكور ـ قرية من قرى اليمن. وقيل: كانت بأرض الحجاز من ناحية الشام، وكان الله سبحانه قد بعث إليهم نبياً اسمه شعيب بن مهدم، وقبر شعيب هذا في اليمن بجبل يقال له «ضِيْن». قال في «القاموس»: ضين بالكسر جبل عظيم بصنعاء، اهـ وليس هو شعيباً صاحب مدين، فقتلوا نبيهم فسلط الله عليهم بُخْتَنَصَّر، وقتل

---

(١) روح البيان.

أصحاب الرس في ذلك التاريخ نبياً لهم اسمه حنظلة بن صفوان، فسلط الله عليهم أيضاً بختنصر، فخرب بلادهم.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ الكلمة؛ أي كلمة ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾، وهي اسم «زال»، وخبره قوله: ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: دعاؤهم ونداؤهم. والدعوى مصدر دعا دعوى ودعوة كقوله: وآخر دعواهم لأن الويل كأنه يدعو الويل. أي: رددوها وكرروها مرة بعد مرة ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ﴾؛ أي: حتى صيرنا أهل تلك القرية ﴿حَصِيدًا﴾؛ أي: محصودين بالعذاب كما يحصد الزرع بالمنجل؛ أي: مثل الحصيد، وهو المحصود من الزرع والنبت، ولذلك لم يجمع؛ لأن الفعيل بمعنى المفعول، يستوي فيه المفرد والجمع، والمذكر والمؤنث، حالة كونهم ﴿خَٰمِدِينَ﴾؛ أي: ميّتين. حال من المنصوب في ﴿جَعَلْنَٰهُمْ﴾. من خمدت النار إذا أطفىء لهبها، وخمدت الحمى إذا سكنت حرارتها.

والمعنى: أي[1] فما زالوا يردّدون هذه المقالة، ويجعلونها هجيراهم حتى حصدوا حصداً، وخمدت حركاتهم، وهدأت أصواتهم، ولم ينبسوا ببنت شفة.

وخلاصة هذا: أنهم صاروا يكرّرون الاعتراف بظلمهم أنفسهم، ولكن لم ينفعهم ذلك كما قال: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ حتى لم يبق لهم حس، ولا حركة، وأبيدوا كما يباد الحصيد، وخمدوا كما تخمد النار. وفي الحديث: «خمس في خمس: ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طفّفوا الكيل إلاّ منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا منع عنهم القطر».

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾؛ أي[2]: وما أبدعنا السماء التي هي كالقبة المضروبة، والخيمة المطنبة ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ التي هي كالفراش والبساط ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من أنواع الخلائق، وأصناف العجائب، حالة كوننا ﴿لَٰعِبِينَ﴾؛ أي: عابثين. بل لحكم

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

ومصالح، وهي أن تكون مبدأ لوجود الإنسان، وسبباً لمعاشه، ودليلاً يقوده إلى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى، وكل شيء فهو إمّا مظهر لطفه تعالى، أو قهره، وفي كل ذرّة سرّ عجيب.

قال الكرماني: «اللعب: فعلٌ يدعو إليه الجهل، يروق أوله، ولا ثبات له، وإنما خلقناهما لنجازي المحسن والمسيء، وليستدل بهما على وحدانيته، والقدرة» انتهى.

أي[1]: لم نخلقهما عبثاً، ولا باطلاً، بل للتنبيه على أن لهما خالقاً قادراً يجب امتثال أمره. وفيه إشارة إجمالية إلى تكوين العالم. والمراد بـ﴿ما بينهما﴾ سائر المخلوقات الكائنة بين السماء والأرض، على اختلاف أنواعها، وتباين أجناسها من الهواء والسحاب والرياح. والمعنى؛ أي: وما خلقنا هذا السقف المرفوع، وهذا المهاد الموضوع، وما بينهما من أصناف المخلوقات البديعة للهو واللعب، بل خلقناهما لفوائد دينية، وحكم ربّانية، كأن تكون دليلاً على معرفة الخالق لها، ووسيلة للعظة والاعتبار، إلى ما فيها من منافع أخرى لا حصر لها.

وخلاصة ذلك[2]: أن إيجاد العالم كله، ولا سيما النوع الإنساني، واستخلافه في الأرض، مبني على بديع الحكم، مستتبع لغايات جليلة لا تخفى على ذوي الألباب، وقد علم بعضها من أمعنوا النظر في الكون وعجائبه، وأوتوا حظًّا من صادق المعرفة، فعرفوا بعض أسراره، وانتفعوا ببعض ما أودع في باطن الأرض، وما على ظاهر سطحها مما كان سبباً في رقيّ الإنسان، ولا يزال العلم يؤكّد لنا كل يوم عجيباً، ويظهر لنا من كنوزها غريباً ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

ثم أكّد نفي اللعب بقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ أي[3] ما يتلهّى ويلعب به

---

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

على أنه مصدر بمعنى المفعول. وقال الراغب: «اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمّه، ويعبّر به عن كل ما به استمتاع باللهو قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾، وقول من قال: أراد باللهو المرأة والولد فتخصيص ببعض ما هو من زينة الحياة الدنيا» انتهى. ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ﴾؛ أي: لاتخذنا اللهو. جواب لو ﴿مِن لَّدُنَّآ﴾؛ أي: من عندنا، ومن جهة قدرتنا عليه، لا من عندكم لتعلقها بكل شيء من المقدورات، أو مما نصطفيه ونختاره مما نشاء من خلقنا من الحور العين، أو من غيرها. قال الواحدي: «معنى ﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا بحيث لا يظهر لكم، ولا تطلعون عليه، ولا يجري لأحد فيه تصرف، لأن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره». وفي[1] هذا: ردّ على من قال بإضافة الصاحبة، والولد إلى الله، ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً ـ. وقيل: أراد الرَّدَّ على من قال: الأصنام أو الملائكة بنات الله. وقال ابن قتيبة: الآية ردّ على النصارى ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلك الاتخاذ لاتخذناه، لكن[2] تستحيل إرادتنا ذلك لمنافاته الحكمة، لا لعدم القدرة على اتخاذه ولا لغيره، فيستحيل اتخاذنا له قطعاً. و﴿إِن﴾ للشرط على سبيل الفرض والتقدير، وجواب «إنْ» محذوف لدلالة جواب المتقدم عليه؛ أي: إن كنا فاعلين لاتخذناه، ويجوز أن تكون ﴿إِن﴾ نافية؛ أي: ما كنا فاعلين اتخاذ اللهو لعدم إرادتنا به. أي:[3] لو أردنا أن نتخذ لهواً كما يتخذ العباد لاتخذناه من عندنا من العوالم المجردة من المادة كالملائكة، لكنَّا لا نتنَّزل لملابسة ما هو من شأنكم المادي كالزوج والولد، إذ لا يجمل بنا، لأنه خارج عن سنن حكمتنا، وقوانين نظامنا، ورفعة قدرنا، فحن لا نلهو بالصور الجسمية، ولا بالنفوس الروحية.

وخلاصة هذا: أنا خلقناكم لحكمة، وصوّرناكم لغاية، وجعلنا لكم السمع والأبصار لمنافع قدرناها لكم، لا للهونا ولعبنا، ومن ثمّ لا نترككم سدًى، بل نحاسبكم ونؤاخذكم، والجد مطلبنا، واللهو واللعب من شأن العبيد المخلوقين،

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

لا من شأن رب العالمين، ونحو الآية قوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ اضراب[1] عن اتخاذ الولد وإرادته، كأنه قيل: لكنا لا نريد اتخاذ اللهو والولد، بل شأننا أن نقذف بالحق الذي من جملته الجدّ والإيمان، والقرآن ونحوها، ونرميه، ونغلبه على الباطل الذي من جملته اللهو، والكفر، والأباطيل الأخر ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾؛ أي: يصيب دماغه فيهلكه ويعدمه ويذهبه بالكلية، كما فعلنا بأهل القرى المحكية ﴿فَإِذَا﴾ فجائية ﴿هُوَ﴾؛ أي: الباطل ﴿زَاهِقٌ﴾؛ أي: ذاهب بالكلية. والزهوق ذهاب الروح. يقال: زهقت نفسه خرجت من الأسف. وفي «إذا» المفاجأة، والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى، فكأنه زاهق من الأصل، فجملة قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ انتقال من إرادة اتخاذ اللهو إلى تنزيه ذاته تعالى، كأنه تعالى قال: سبحاننا أن نريد اتخاذ اللهو، بل شأننا بمقتضى حكمتنا أن نغلب اللعب بالجد، وندحض الباطل بالحق. والمقصود من هذه الآية: تقرير نبوة محمد ﷺ، والردّ على منكريها، لأنه تعالى أظهر المعجزة عليه ﷺ، فإن كان محمد كاذباً.. كان إظهار المعجزة عليه من باب اللعب، وذلك منفي عنه تعالى، وإن كان صادقاً.. فهو المطلوب، وحينئذٍ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن ﴿وَلَكُمُ﴾ يا كفار مكة ﴿الْوَيْلُ﴾؛ أي: شدة العذاب ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ «من» تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر؛ أي: استقرَّ لكم الويل والهلاك أيها المشركون من أجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل من اتخاذ الصاحبة والولد، ووصف كلامه بأنه سحر، وأضغاث أحلام، ونحو ذلك من الأباطيل.

وقرأ عيسى بن عمر[2]: ﴿فَيَدْمَغَه﴾ بنصب الغين. وقال الزمخشري: وهو في ضعف كقوله:

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيْمٍ   وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيْحَا

وقرىء ﴿فَيَدْمُغه﴾ بضم الميم، انتهى.

وحاصل معنى الآية: أي أنَّ من شأننا أن نرمي الحق الذي من جملته الجدّ على الباطل الذي منه اللعب، فيكسر دماغه بحيث يشق غشاءه، فيؤدي ذلك إلى زهوق روحه فيهلك، وقد شبّه الباطل بإنسان كسر دماغه فهلك، وإذا كان هذا من شأننا فكيف نترككم بلا إنذار، كأننا خلقناكم لنلهو بكم ولكم العذاب الشديد من وصفكم ربكم بغير صفته، وقولكم: إنه اتخذ ولداً وزوجة، وافتراؤكم ذلك عليه.

ولمَّا حكى كلام الطاعنين في النبوات[1]، وأجاب عنها، وبيَّن أن غرضهم من تلك المطاعن إنما هو التمرّد، والعناد.. بيَّن في هذه الآية أنه غني عن طاعتهم؛ لأنه هو المالك لجميع المخلوقات، والملائكة على جلالة قدرهم مطيعون له، خائفون منه، فأجدر بالبشر على ضعفهم أن يطيعوه، وما أخلقهم أن يعبدوه، فقال: ﴿وَلَهُۥ﴾ سبحانه وتعالى لا لغيره ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾؛ أي: جميع المخلوقات فيهما خلقاً، وملكاً، وتدبيراً، وتصرفاً، وإحياءً وإماتة وتعذيباً، وإثابةً دون أن يكون لأحد في ذلك سلطان، لا استقلالاً، ولا استتباعاً. وقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ سبحانه وتعالى معطوف على (من) الأولى، من عطف الخاص على العام؛ أي: وله[2] سبحانه الملائكة المكرمون عنده، المنزَّلون لكرامتهم عليه منزلة المقرّبين عند الملوك على طريقة التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على أكثر خلقه، لا على الجميع كما زعم أبو بكر الباقلاني، وجميع المعتزلة، فالمراد بالعندية: عندية الشرف، لا عندية المكان والجهة، و«عند» وإن كان من الظروف المكانية إلاّ أنه شبَّه قرب المكانة والمنزلة بقرب المكان والمسافة، فعبَّر عن المشبّه بلفظ المشبّه به.

وجملة قوله: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ حال من (من) الثانية؛ أي: وله

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

سبحانه مَن عنده حالة كونهم لا يَتَكَبَّرُون ولا يَتَعَظَّمُون ولا يأنفون عن عبادة الله سبحانه وتعالى والتذلل له. وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ معطوف على ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: وحالة كونهم لا يكلّون ولا يعيون ولا يسأمون عن عبادته، فالبشر مع نهاية ضفهم أولى أن يطيعوه.

ويجعل أبو السعود ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أو المعنى عليه، أي: والملائكة الذين شرفت منزلتهم عند ربهم لا يستعظمون عن عبادته، ولا يكلون ولا يتعبون. وتخصيص الملائكة بالذكر للدلالة على رفعة شأنهم. كما خص جبريل من بين الملائكة في قوله ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾.

ثم بيّن سبحانه كيف يعبدون ربهم، فقال: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ جملة مستأنفة لبيان عبادتهم، كأنه قيل: كيف يعبدون؟ فقيل: يسبّحون الليل والنهار؛ أي: ينزّهونه سبحانه وتعالى في جميع الأوقات عن وصمة الحدوث، وعن الأنداد، ويعظمونه ويمجّدونه دائماً حالة كونهم ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ ولا يسكنون عن نشاطهم في العبادة؛ أي: لا يتخلل تسبيحهم فترة وانقطاع وسكون طرفة عين بفراغ منه، أو بشغل آخر، لأنهم يعيشون بالتسبيح، كما يعيش الإنسان بالنفس، والحوت بالماء، يعني(1): أن التسبيح بالنسبة إلى الملائكة كالتنفس بالنسبة إلينا، فكما أن قيامنا وقعودنا وتكلُّمنا، وغير ذلك من أفعالنا، لا يشغلنا عن التنفس، فكذلك الملائكة لا يشغلهم عن التسبيح شيء من أفعالهم، كما قال عبد الله بن الحارث لكعب: أليس أنهم يؤدون الرسالة، ويلعنون من لعنه الله، كما قال: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؟ فقال: التسبيح لهم كالتنفس لنا، فلا يمنعهم عن عمل. فإن قلت: التسبيح، واللعن من جنس الكلام، فكيف لا يمنع أحدهما الآخر؟

قلنا: لا يبعد أن يخلق الله لهم ألسنةً كثيرةً، ببعضها يسبحون، وببعضها يلعنون. أو المعنى: لا يفترون عن العزم على أدائه في أوقاته، كما يقال: فلان

---

(1) روح البيان.

مواظب على الجماعة، لا يفتر عنها، فإنه لا يراد به دوام الاشتغال بها، وإنما يراد العزم على أدائها في أوقاتها كما في الكبير.

و﴿أَمِ﴾ في قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾ منقطعة[١] مقدرة ببل، وبهمزة الاستفهام الإنكاري؛ أي: إنكار وقوع النشر، لا إنكار الاتخاذ الواقع. والضمير للمشركين. والمراد بالآلهة: الأصنام ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ متعلق بـ﴿اتخذوا﴾؛ أي: بل اتخذ وصنع ونحت المشركون آلهةً وأصناما ﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ ويبعثون الموتى من القبور من بعض أجزاء الأرض، وحجارتها، وجواهرها، كالذهب، والفضة، والنحاس، والرصاص. وجملة ﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ صفة لآلهة، وهو الذي يدور عليه الإنكار والتجهيل، والتشنيع، لا نفس الاتخاذ، فإنه واقع لا محالة.

والمعنى: بل اتخذوا آلهةً من الأرض هم خاصةً مع حقارتهم وجماديتهم، ينشرون الموتى، كلا فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل عن ذلك، وهم وإن لم يقولوا بذلك صريحاً، فإنهم لم يثبتوا النشر لله تعالى كما قالوا: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ فكيف يثبتونه للأصنام؛ لكنهم حيث ادَّعوا لها الإلهية، فكأنهم ادَّعوا لها النشر، والبعث للموتى ضرورة أنَّه من الخصائص الإلهية حتماً.

وقرأ الجمهور[٢]: ﴿يُنشِرُونَ﴾ مضارع أنشر الرباعي، ومعناه: يحيون.

وقرأ الحسن، ومجاهد ﴿يَنْشرُون﴾ مضارع نشر. وهما لغتان، نشر وأنشر متعديان، ونشر يأتي لازماً، يقال: أنشر الله الموتى فنشروا؛ أي فحيوا.

ثم أقام[٣] الدليل العقلي على التوحيد، ونفى أن يكون هناك إلهٌ غير الله تعالى، فقال: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ﴾، أي: في السموات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ أي: إله غير الله تعالى ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾، أي: لفسدت السموات والأرض، وخرجتا عن هذا النظام المشاهد؛ لأن كل أمر بين اثنين لا يجري على نظام واحد، والرعية

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

(٣) المراغي.

تفسد بتدبير الملِكين، وحيث انتفى التالي انتفى المقدم، ذاك[1] أنه لو كان فيهما إلهان، فإما أن يختلفا، أو يتفقا في التصرف في الكون، والأول ظاهر البطلان، لأنه إما أن ينفذ مرادهما معاً، فيريد أحدهما الإيجاد، والثاني لا يريده، فيثبت الوجود والعدم لشيء واحد اختلفا فيه، وإما أن ينفذ مراد أحدهما دون الثاني، فيكون هذا مغلول اليد عاجزاً، والإله لا يكون كذلك، والثاني باطل أيضاً؛ لأنهما إذا أوجداه معاً وجب توارد الخلق من خالقين على مخلوق واحد. والجمع في قوله: ﴿ءَالِهَةٌ﴾ ليس بقيد، وإنما عبّر به مشاكلةً لقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾، وهذه الجملة[2] تنزيه من الله سبحانه لنفسه عن الشريك بالنظر العقلي، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى (غير) على أنها صفة آلهة؛ أي: لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل، سواء كان الله معهم أو لم يكن. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف قال: لو كان فيهما، فجعل السموات ظرفاً، وهو تحديد؟ والجواب: لم يرد به معنى الظرف وإنما هو كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾. قال الكسائي وسيبويه[3]، والأخفش، والزجاج، وجمهور النحاة: إن ﴿إلاّ﴾ هنا ليست للاستثناء، بل بمعنى غير، صفة لـ ﴿ءَالِهَةٌ﴾، ولذلك ارتفع الاسم الذي بعدها، وظهر فيه إعراب غير التي جاءت ﴿إِلَّا﴾ بمعناها، ومنه قول الشاعر:

وَكُــلُّ أَخٍ مُــفَــارِقُــهُ أَخُــوْهُ ... لَــعَــمْــرُ أَبِــيْــكَ إِلاَّ ٱلْــفَــرْقَــدَانِ

وقال الفرّاء: إن ﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى سوى، والمعنى: لو كان فيهما آلهة سوى الله لَفَسدتا.

ولمّا أثبت بالدليل أن المدبّر للسموات والأرض لا يكون إلاّ واحداً، وأنَّ ذلك الواحد لا يكون إلاّ الله قال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فتنزيهاً لله ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: مالك العرش المحيط بهذا الكون، ومركز تدبير العالم ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ أي:

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.

عما يقول هؤلاء المشركون من أن له ولداً، وشريكاً وصاحبةً.

والفاء في قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان، أي: إذا ثبتت الوحدانية بالبرهان، فنزّهوا الله تنزيهاً عما يقول الكفار من وجود آلهة غير الله تعالى، وفيه إرشاد للعباد أن ينزِّهوا الربَّ سبحانه عما لا يليق به.

ثم أكد هذا التنزيه بقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ﴾ سبحانه ﴿عَمَّا يَفْعَلُ﴾؛ أي: عما يحكم في عباده من إعزاز، وإذلال، وهدى وإضلال، وإسعاد، وإشقاء لأنه المالك القاهر. فهذه الجملة مستأنفة مبيّنة أنه سبحانه لقوة سلطانه، وعظيم جلاله، لا يسأله أحدٌ من خلقه عن شيء من قضائه وقدره، وإنما لا يسأل سبحانه سؤال إنكار، ويجوز السؤال عنه على سبيل الاستكشاف والبيان كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾، وعلى سبيل التضرّع والحاجة كقوله تعالى حكاية عن الكافر: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾. قال في «بحر العلوم»[(1)]: إنما لا يسأل عما يفعل، لأنَّه ربّ مالك علاّم، لا نهاية لعلمه، وكل من سواه مربوبٌ مملوك، جاهلٌ لا يعلم شيئاً إلاّ بتعليم، فليس للمملوك الجاهل أن يعترض على سيّده العليم بكل شيء فيما يفعل ويقول: لم فعلت؟ وهلاّ فعلت؟ مثلاً.

﴿وَهُمْ﴾؛ أي: العباد ﴿يُسْـَٔلُونَ﴾ عما يفعلون نقيراً وقطميراً، لأنهم مملوكون مستعبدون خطاؤون فيقال لهم في كل شيء فعلوه: لم فعلتم؟. والسؤال استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، وجوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة. فإن قيل: ما معنى السؤال بالنسبة إلى الله تعالى؟

قلنا: تعريف للقوم وتبكيتهم، لا تعريف لله تعالى فإنه علاّم الغيوب، فالسؤال كما يكون للاستعلام يكون للتبكيت. وقرأ الحسن ﴿لا يسل وهم يسلون﴾ بفتح السين، نقل حركة الهمزة إلى السين، وحذف الهمزة. وقيل: إن المعنى[(2)]

---

(١) روح البيان. (٢) الشوكاني.

أنه سبحانه لا يؤاخذ على أفعاله، وهم يؤاخذون. قيل: والمراد بذلك أنه سبحانه بيّن لعباده أن من يسأل عن أعماله، كالمسيح والملائكة، لا يصلح لأن يكون إلهاً. والمعنى؛ أي[1]: هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وعلمه وحكمته وعدله ولطفه، وهو سائل خلقه عما يفعلون كما قال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾، وقال: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾.

ثم أعاد وكرّر الإنكار مرَّةً أخرى، استفظاعاً لشأنهم، واستعظاماً لكفرهم، وإظهاراً لجهلهم، فقال: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ فـ ﴿أَمِ﴾ هنا بمعنى بل الإضرابية، وهمزة الإنكار كالسابقة؛ أي: للإضراب والانتقال من إظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهةً لا يصلح للألوهية، لخلوها عن خصائصها إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة، مع خلوها عن تلك الخصائص بالمرة. والهمزة لإنكار الاتخاذ المذكور، واستقباحه اهـ «أبو السعود»؛ أي: أبعد ظهور هذه الأدلة، يقولون: إن لله شركاء. و﴿مِن﴾ متعلقة بـ ﴿اتَّخَذُوا﴾، والمعنى: بل اتخذوا متجاوزين إياه تعالى آلهةً مع ظهور خلوهم عن خواص الألوهية بالكلية.

ثم أمرهم بإقامة الدليل على صحة ما يدّعون، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد بطريق الإلزام وإلقام الحجر ﴿هَاتُوا﴾؛ أي:[2] أعطوني ﴿بُرْهَانَكُمْ﴾؛ أي: حجتكم على ما تدّعون من جهة العقل والنقل، فإنه لا صحة لقول لا دليل عليه في الأمور الدينية، لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير. قال في «المفردات»: البرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً. أي: قل لهم: هاتوا برهانكم على دعوى أنها آلهة، أو على جواز اتخاذ آلهةٍ سوى الله تعالى، ولا سبيل لهم إلى شيء من ذلك، لا من عقلٍ، ولا من نقلٍ، لأن دليل العقل قد مرَّ بيانه. وأمّا دليل النقل فقد أشارإليه بقوله: ﴿هَذَا﴾ الوحي الوارد في شأن التوحيد المتضمّن للبرهان القاطع ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾؛ أي: عظةٌ من معي من أمتي، وتذكيرهم

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

وحجتهم ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾؛ أي: عظة من سبق قبلي من الأمم السالفة وتذكيرهم وحجتهم، وقد أقمته عليكم، وأوضحته لكم، فأقيموا أنتم برهانكم. وقيل: المعنى[1]: هذا القرآن المنزّل عليَّ ذكر من معي من الأمة وتذكيرهم وحجتهم على التوحيد، فالقرآن ذكر وعظة لمن اتّبعه ﷺ إلى يوم القيامة، وهذه الكتب الموجودة بين أيديكم من التوراة، والإنجيل، والزبور، ذكر من قبلي من الأمم الماضية، وحجتهم على التوحيد، فانظروا هل في واحد منها أنَّ الله أمر باتخاذ إلهٍ سواه. قال الزجاج: قل لهم: هاتوا برهانكم بأن رسولا من الرسل أخبر أمته بأن لهم إلهاً غير الله، فهل في ذكر من معي وكتابهم وهو القرآن، وفي ذكر من قبلي وكتبهم، وهي التوراة والإنجيل والزبور إلا توحيد الله سبحانه وتعالى. وقيل: معنى الكلام الوعيد والتهديد؛ أي: افعلوا ما شئتم فعن قريب ينكشف الغطاء.

وعبارة «أبي السعود»[2]: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾؛ أي: عظتهم ومتمسكهم على التوحيد، فأقيموا أنتم برهانكم على التعدد، اهـ. و﴿هذا﴾ اسم[3] إشارة مبتدأ، أشار به للكتب السماوية، وقد أخبر عنه بخبرين، فبالنظر للخبر الأول يرادبه القرآن، وبالنظر للخبر الثاني يراد به ما عداه من الكتب السماوية.

وقرأ الجمهور[4]: بإضافة ﴿ذكر﴾ إلى ﴿من﴾ فيهما على إضافة المصدر إلى المفعول كقوله: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾. وقرىء بتنوين ﴿ذكر﴾ فيهما، و﴿من﴾ مفعول منصوب بالذكر كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا﴾. وقرأ يحيى بن يعمر، وطلحة بتنوين ﴿ذِكْرٌ﴾ فيهما، وكسر ميم ﴿من﴾ فيهما، ومعنى ﴿مَّعِيَ﴾ هنا عندي، والمعنى: هذا ذكر من عندي، ومن قبلي؛ أي: أذكّركم بهذ القرآن الذي عندي، كما ذكّر الأنبياء من قبلي أممهم. ودخول ﴿مَن﴾ على ﴿مع﴾ نادر، ولكنه اسم يدل على الصحبة والاجتماع، أجري مجرى الظرف، فدخلت

---

(١) الشوكاني.

(٢) أبو السعود.

(٣) الفتوحات.

(٤) البحر المحيط.

عليه ﴿مَنْ﴾ كما دخلت على (قبل) و(بعد) و(عند). وضعّف أبو حاتم هذه القراءة لدخول (من) على (مع)، ولم أرَ لها وجهاً. وعن طلحة ﴿ذِكْرٌ﴾ منوّنا ﴿معي﴾ دون ﴿من﴾ و﴿ذكرٌ﴾ منوّنا ﴿قبلي﴾ دون ﴿من﴾. وقرأ فرقة: و﴿ذِكْرِ مَنْ﴾ بالإضافة و﴿ذِكْرٌ﴾ منوّنا ﴿مِن قبلي﴾ بكسر ميم ﴿من﴾.

ثم لمّا توجهت الحجة عليهم، ذمّهم بالجهل بمواضع الحق فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ إضراب من جهته تعالى، غير داخل في الكلام الملقن؛ أي: إضراب من جهته سبحانه، وانتقال من تبكيتهم بمطالبتهم بالبرهان إلى بيان أنه لا يؤثر فيهم إقامة البرهان، لكونهم جاهلين للحق، لا يميّزون بينه وبين الباطل، فلا تنجع فيهم المحاجّة بإظهار حقيّة الحق وبطلان الحق. وفي «بحر العلوم»: كأنه قيل: بل عندهم ما هو أصل الفساد كله، وهو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل، فمن ثمّة جاء الإعراض، ومن هناك ورد الإنكار ﴿فَهُم﴾ لأجل ذلك ﴿مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: مستمرون على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول، وأما أقلّهم العالمون فلا يقبلونه عناداً، أي: فهم[1] لأجل هذا الجهل المستولي على أكثرهم أعرضوا عن قبول الحق، وعن النظر الموصول إليه، فلا يتأملون حجةً، ولا يتدبرون برهاناً، ولا يتفكرون في دليل.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿الْحَقَّ﴾ بالنصب، والظاهر نصبه على المفعول به. وقرأ الحسن، وحميد، وابن محيصن ﴿الْحَقُّ﴾ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا القول هو الحق، والوقف على هذه القراءة على ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

ولما ذكر انتفاء عِلْمِهِم الحق، وإعراضهم عنه أخبر أنه ما أرسل من رسول، إلاّ جاء مقرّراً لتوحيد الله وإفراده بالإلهية، والأمر بالعبادة، فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ مرسل إلى أمة من الأمم ﴿إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلاّ أوحينا إليه ﴿أَنَّهُۥ﴾؛ أي: أن الشأن ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾؛ أي: لا معبود بحق في السموات والأرض ﴿إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ أنت وأمتك؛ أي: فأخلصوا لي

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

العبادة، وأفردوا لي الألوهية، أي: وحّدوني ولا تشركوا بي. وفيه إشارة إلى أن الحكمة في بعثة جميع الأنبياء والرسل مقصودة على هاتين المصلحتين، وهما إثبات وحدانية الله تعالى، وتعبّده بالإخلاص؛ لتكون فائدة تينك المصلحتين راجعة إلى العباد، لا إلى الله تعالى، كما قال: «خلقت الخلق ليربحوا عليّ، لا لأربح عليهم».

وخلاصة ذلك[1]: أنَّ الرسل جميعاً أرسلوا بالإخلاص، والتوحيد، لا يقبل منهم سواه، ونحو الآية قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

ولما كان[2] ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ عاماً لفظاً ومعنًى أفرد على اللفظ في قوله: ﴿إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ﴾، ثم جمع على المعنى في قوله: ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾، ولم يأت التركيب ﴿فاعبدني﴾. ويحتمل أن يكون الأمر له ولأمته، وهذه العقيدة من توحيد الله، لم تختلف فيها النبوات، وإنما وقع الاختلاف في أشياء من الأحكام.

وقرأ الأخوان ـ حمزة والكسائي ـ والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، والقطعي، وابن غزوان، عن أيوب، وخلف، وابن سعدان، وابن عيسى، وابن جرير: ﴿نوحي﴾ بالنون وكسر الحاء، وباقي السبعة بالياء وفتح الحاء، واختلف عن عاصم.

وقال بعضهم: التوحيد على ثلاث مراتب[3]: توحيد أهل البداية وهو: لا إله إلاّ هو، وسير أهل هذا التوحيد في عالم الأجسام. وتوحيد أهل التوسط، وهو: لا إله إلاّ أنت، وسير أهل هذا التوحيد في عالم الأرواح. وتوحيد أهل النهاية، وهو: لا إله إلا أنا، وسير أهل هذا التوحيد في عالم الحقيقة، انتهى.

وبعد أن بيَّن سبحانه الدلائل الباهرة على أنه منزَّه عن الشريك والندّ..

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

(٣) روح البيان.

أردف ذلك ببراءته من اتخاذ الولد فقال: ﴿وَقَالُوا۟﴾؛ أي: قال[1] فريق من هؤلاء المشركين، وهم بطون من خزاعة، وجهينة، وبني سلمة ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة، وادّعوا أنهم بنات الله، وأنه تعالى صاهر سروات الجن، فولدت له الملائكة، فردَّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾؛ أي: تنزيهاً له عن ذلك لأنَّ الولد لا بد أن يكون شبيهاً بالوالد، فلو كان له ولد لأشبهه، ولا مجانسة بين النعمة والمنعم، والخالق والمخلوق، وهو مقولٌ على ألسنة العباد؛ أي: سبحوه تسبيحه اللائق به. قال في «بحر العلوم»[2]: ويجوز أن يكون تعجباً من كلمتهم الحمقاء؛ أي: ما أبعد من ينعم بجلائل النعم ودقائقها، وما أعلاه عما يضاف إليه من اتخاذ الولد، والصاحبة، والشريك. وقال في «الكشف»: التنزيه لا ينافي التعجب.

ثم أضرب عن قولهم وأبطله فقال: ﴿بَلْ﴾ ليست الملائكة كما قالوا: بل هم ﴿عِبَادٌ﴾ مخلوقون له تعالى ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ مقرَّبون عنده، مفضَّلون على كثير من العباد، لا على كلهم، والمخلوقية تنافي الولادة؛ لأنها تقتضي المناسبة؛ فليسوا بأولاد، وإكرامهم لا يقتضي كونهم أولاداً كما زعموا ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: لا يتقدمونه بالقول، ولا بالفعل. صفة أخرى لـ ﴿عِبَادٌ﴾. وأصل[3] السبق التقدم في السير، ثم تجوّز به في غيره من التقدم؛ أي: لا يقولون شيئاً حتى يقوله تعالى ويأمرهم لكمال انقيادهم وطاعتهم كالعبيد المؤدَّبين.

وقرأ عكرمة ﴿مُكَرَّمُون﴾ بالتشديد. والجمهور بالتخفيف. وقرأ الجمهور ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ﴾ بكسر الباء. وقرىء بضمها، من سابقني فسبقته أسبقه. ﴿وَهُم﴾؛ أي: الملائكة ﴿بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: كما أنهم يقولون بأمره كذلك يعملون بأمره، لا بغير أمره أصلاً، فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة إلى

---

(١) المراغي.
(٢) السمرقندي.
(٣) روح البيان.

غير أمره، لا إلى أمر غيره. والأمر مصدر أمرته إذا كلّفته أن يفعل شيئاً. وفي الآية إشارة إلى أن العباد المكرمين بالتقرب إلى الله تعالى، والوصول إليه، لا يقولون شيئاً من تلقاء نفوسهم، ولا يفعلون شيئاً بإرادتهم، بل إذا نطقوا نطقوا بالله، وإذا سكتوا سكتوا بالله. وجملة قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ تعليل لما قبلها. ووجه التعليل أنهم إذا علموا بأنه عالم بما قدّموا وأخّروا لم يعملوا عملاً، ولا يقولوا إلاّ بأمره؛ أي: يعلم الله سبحانه وتعالى، ولا يخفى عليه ما بين أيديهم؛ أي: ما قدَّموا من الأقوال والأعمال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: وما أخَّروا منهما، وهو الذي ما قالوه، وما عملوه بعد، فيعلمهم بإحاطته تعالى بذلك، أو يعلم ما بين أيديهم، وهو الآخرة، وما خلفهم وهو الدنيا، ولا يزالون يراقبون أحوالهم، فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى، فهو تعليل لما قبله، وتمهيدٌ لما بعده كما مرّ آنفاً.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ الله تعالى أن يشفع له من أهل الإيمان مهابةً منه تعالى؛ أي: وهم لا يشفعون إلاّ لمن رضي الله عنه، فلا تطمعوا في شفاعتهم لكم بغير رضاه تعالى، قال ابن عباس: هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله. وقد ثبت في الصحيح أنَّ الملائكة يشفعون في الدار الآخرة. قال قتادة؛ أي: لأهل التوحيد. والشفاعة[1] الإنضمام إلى آخر ناصراً له، كما سيأتي في «مفردات اللغة».

﴿وَهُم﴾؛ أي: الملائكة مع ذلك ﴿مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾؛ أي: من خشيتهم منه تعالى وخوفهم منه. فهو من إضافة المصدر إلى مفعوله ﴿مُشْفِقُونَ﴾؛ أي: مرتعدون. والخشية: الخوف مع التعظيم، والإشفاق: الخوف مع التوقع والحذر؛ أي: لا يأمنون مكر الله تعالى. والمعنى: أي: وهم من خوف الله، والإشفاق من عقابه، حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾؛ أي: من الملائكة ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ تعالى؛ أي: حال كونه متجاوزاً إياه تعالى. قال المفسرون[2]: عنى بهذا إبليس، لأنه لم يقل أحد من الملائكة: إني إله إلاّ

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

إبليس. وقيل: الضمير إلى الأنبياء ﴿فَذَٰلِكَ﴾ القائل على سبيل الفرض والتقدير فرض محال، فهذا لا يدل على أنهم قالوه ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ بسبب هذا القول الذي قاله كما نجزى غيره من المجرمين؛ أي: ومن يدّعي منهم أنه إله مع الله فجزاؤه جهنم على ما ادَّعى كسائر المجرمين، ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية، وأفعالهم المرضية، وهو تهديد للمشركين، بتهديد مدعي الربوبية ليمتنعوا عن شركهم.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مصدر[1] تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله؛ أي: مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الظالمين، الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها، ويتعدون أطوارهم بالإشراك وادعاء الإلهية. والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة إلى النقصان، دون الزيادة؛ أي: لا جزاء أنقص منه. والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيراً.. فخير، وإن شرا. فشر، يقال: جزيته كذا، وبكذا.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿نجزيه﴾ بفتح النون. وقرأ أبو عبد الرحمن المقرىء بضمها، أراد ﴿نُجْزِئه﴾ بالهمز، من أجزأني كذا كفاني، ثم خفف الهمزة، فانقلبت ياءً.

وخلاصة ما تقدم[3]: أنه تعالى وصف الملائكة بخمس صفات تدل على العبودية، وتنافي الولادة:

١ ـ المبالغة في الطاعة، فإنهم لا يقولون قولاً، ولا يفعلون فعلاً إلاّ بإذنه.

٢ ـ أنه سبحانه يعلم أسرارهم، وهم لا يعلمون أسراره، فهو المستحق للعبادة، فهم كما قال عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾.

٣ ـ أنهم لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى الشفاعة، ومن يكون إلهاً أو ولداً

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.

للإله لا يكون كذلك.

٤ ـ أنهم في نهاية الإشفاق والوجل من الله.

٥ ـ أن حالهم كحال سائر المكلفين في الوعد والوعيد، فكيف يكونون آلهة.

الإعراب

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾.

﴿اقْتَرَبَ﴾: فعل ماض. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلق به. ﴿حِسَابُهُمْ﴾: فاعل، ومضاف إليه، الجملة الفعلية مستأنفة. ﴿وَهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية ﴿هم﴾ مبتدأ. ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ جار ومجرور، خبر أول. ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ خبر ثان. والجملة في محل النصب حال من ضمير ﴿حِسَابُهُمْ﴾. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَأْتِيهِم﴾ فعل ومفعول. ﴿مِّن﴾ حرف جر زائد لسبقه بالنفي. ﴿ذِكْرٍ﴾ فاعل مجرور لفظاً، مرفوع تقديراً. ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ جار ومجرور، ومضاف إليه صفة أولى لـ ﴿ذِكْرٍ﴾، أو متعلق بـ ﴿يَأْتِيهِم﴾. ﴿مُّحْدَثٍ﴾ صفة ثانية لـ ﴿ذِكْرٍ﴾، تابع للفظه. والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرّغ. ﴿اسْتَمَعُوهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب، حال من مفعول ﴿يَأْتِيهِم﴾، ولكنها على تقدير قد لكونها ماضوية؛ أي: إلاّ حالة كونهم مستمعين إياه. ﴿وَهُمْ﴾ ﴿الواو﴾ حالية. ﴿هم﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يَلْعَبُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل النصب، حال من فاعل ﴿اسْتَمَعُوهُ﴾، أي: إلاّ استمعوه حالة كونهم لاعبين.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾.

﴿لَاهِيَةً﴾: حال من فاعل ﴿يَلْعَبُونَ﴾، فتكون حالاً متداخلة، أو حال من فاعل ﴿اسْتَمَعُوهُ﴾ أيضاً، فتكون حالاً مترادفةً؛ لأن الحال يجوز تعددها كالصفة.

﴿قُلُوبُهُمْۗ﴾ فاعل ﴿لَاهِيَةً﴾. ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿أسرّوا النجوى﴾ فعل وفاعل ومفعول به. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من ﴿واو﴾ ﴿أسرّوا﴾، إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش، والجملة مستأنفة.

فائدة: قال أبو البقاء[1]: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ في موضعه ثلاثة أوجه:

أحدها: الرفع وفيه أربعة أوجه:

١ ـ أن يكون بدلاً من ﴿الواو﴾ في ﴿أسروا﴾.

٢ ـ أن يكون فاعلاً، و﴿الواو﴾ حرف للجمع، لا اسم.

٣ ـ أن يكون مبتدأ، والخبر قوله: ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾، والتقدير: الذين ظلموا يقولون: ﴿هَلْ هَٰذَآ...﴾ الخ.

٤ ـ أن يكون خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين ظلموا.

وثانيها: أن يكون منصوباً على إضمار أعني.

وثالثها: أن يكون مجروراً صفة ﴿لِلنَّاسِ﴾، والمعروف أن الفعل يجب أن يبقى مع الفاعل بصيغة الواحد، وإن كان مثنًى أو مجموعاً، قال ابن مالك:

وَجَرِّدِ ٱلْفِعْلَ إِذَا مَا أُسْنِدَا لاثْنَيْنِ أَوْ جَمْعٍ كَفَازَ ٱلشُّهَدَا

إلاَّ على لغةٍ ضعيفةٍ لبعض العرب تسمى لغة (أكلوني البراغيث) فيطابق فيها الفعل الفاعل إفراداً، وتثنية وجمعاً. وحكى البصريون عن طيء، وحكى بعضهم عن أزد شنوءة، نحو: ضربوني قومك، وضربتني نسوتك، وضرباني أخواك. وقال عمرو بن ملقط الجاهليُّ:

أُلْفِيَتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ ٱلْقَفَا أَوْلَىٰ فَأَوْلَىٰ لَكَ ذَا وَاقِيَهْ

فألفيتا فعل ماض مبني للمجهول، عيناك نائب فاعل، فألحق الفعل علامة

---

(١) العكبري.

التثنية مع إسناده إلى الظاهر، ونائب الفاعل كالفاعل. عند متعلق بألفيتا. ذا واقية حال من المضاف إليه في عيناك، وهو الكاف. وواقية مصدر معناه الوقاية كالكاذبة بمعنى الكذب. أولى بمعنى الهلاك، مبتدأ خبره لك. أولى الثاني تأكيد للأول.

﴿ظَلَمُوا۟﴾ فعل وفاعل، صلة الموصول. ﴿هَلْ﴾ حرف استفهام للاستفهام الإنكاري. ﴿هَـٰذَآ﴾ مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿بَشَرٌ﴾ خبر. ﴿مِّثْلُكُمْ﴾ صفة لـ ﴿بَشَرٌ﴾، والجملة الاستفهامية في محل النصب بدل من ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ لأنها بمثابة التفسير لها، أو جملة مفسرةٌ لا محل لها من الإعراب، أو مقول لقول مضمر هو جواب عن سؤال مقدّر، نشأ مما قبله، كأنه قيل: فماذا قالوا في نجواهم؟ فقيل: قالوا: هل هذا... الخ. ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾ عاطفة على ذلك المحذوف. ﴿تأتون ٱلسِّحْرَ﴾ فعل وفعل ومفعول. والجملة الفعلية معطوفة على الجملة المحذوفة، والتقدير: أتعلمون ذلك فتأتون السحر. والجملة المحذوفة في محل النصب، بدل ثانٍ من ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ وعبارة السمين: يجوز في هاتين الجملتين الاستفهاميتين أن تكونا في محل نصب بدلاً من ﴿ٱلنَّجْوَى﴾، وأن تكونا في محل نصب بإضمار القول، قالهما الزمخشري، وأن تكونا في محل نصب على أنهما محكيتان لـ﴿ٱلنَّجْوَى﴾، لأنها في معنى القول. ﴿وَأَنتُمْ﴾ ﴿الواو﴾ حالية، ﴿أنتم﴾ مبتدأ، وجملة ﴿تُبْصِرُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل النصب، حال من فاعل ﴿تأتون﴾، مقرّرة للإنكار.

﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الرسول، والجملة مستأنفة. ﴿رَبِّى﴾ مبتدأ، ومضاف إليه. ﴿يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على الرب، والجملة الفعلية خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ أو مقول ﴿قل﴾. ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ جار ومجرور حال من ﴿ٱلْقَوْلَ﴾، أو متعلق بـ ﴿يَعْلَمُ﴾. و﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾. ﴿وَهُوَ

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ مبتدأ وخبر. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: خبر ثان لـ ﴿هو﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، أو حال من فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

﴿بَلْ﴾ حرف إضراب وانتقال ﴿قَالُوٓاْ﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: ما أتى به أضغاث أحلام، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿بَلِ﴾ حرف اضراب. ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿هُوَ شَاعِرٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿فَلْيَأْتِنَا﴾ ﴿الفاء﴾ فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إن لم يكن الأمرك ما قلنا، بل كان رسولاً، وأردتم بيان ما يطلب منه فأقول لكم: ﴿ليأتنا﴾ ﴿بِـَٔايَةٍ﴾، و﴿اللام﴾ لام الأمر. ﴿يأتنا﴾ فعل ومفعول مجزوم بـ ﴿لام﴾ الأمر، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ متعلق بـ ﴿يأتنا﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿كَمَآ﴾ ﴿الكاف﴾ حرف جر وتشبيه. و﴿ما﴾ اسم موصول في محل الجرّ بالكاف الجار والمجرور صفة لـ﴿لآية﴾؛ أي: بآية كائنة كالآية التي أرسل بها الأولون، أو ﴿الكاف﴾ اسم بمعنى مثل، في محل الجر، صفة لـ ﴿آية﴾، و﴿الكاف﴾ مضاف و﴿ما﴾ اسم موصول، في محل الجر، مضاف إليه؛ أي: بآية مثل الآية التي أرسل بها الأولون. ﴿أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ فعل ونائب فاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: أرسل بها الأولون.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

﴿مَآ﴾: نافية. ﴿ءَامَنَتْ﴾: فعل ماض وتاء تأنيث. ﴿قَبْلَهُم﴾: متعلق به. ﴿مِّن﴾: زائدة، ﴿قَرْيَةٍ﴾: فاعل والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير كفرهم واستبعاد إيمانهم. ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ فعل وفاعل ومفعول به. والجملة في محل الرفع صفة لقرية

﴿أَفَهُمْ﴾ ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾ عاطفة على ذلك المحذوف. ﴿هم﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية معطوفة على تلك المحذوفة، والتقدير: أتلك القرية المهلكة لم تؤمنوا فهم يؤمنون؛ أي: فهؤلاء يؤمنون لو أُجيبوا إلى ما سئلوا وأعطوا ما اقترحوا، والجملة المحذوفة مستأنفة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾.

﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾ نافية، ﴿أَرْسَلْنَا﴾ فعل وفاعل. ﴿قَبْلَكَ﴾ ظرف ومضاف إليه متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿رِجَالًا﴾ مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَامَنَتْ﴾. ﴿نُّوحِىٓ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل النصب صفة لـ ﴿رِجَالًا﴾. ﴿إِلَيْهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿نوحي﴾ ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ ﴿الفاء﴾ فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا سمعتم أيها الكفرة ما أخبرته لكم، وأردتم يقينه فأقول لكم: اسألوا أهل الذكر ﴿اسألوا﴾ فعل وفاعل. ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدّرة، وجملة إذا المقدّرة مستأنفة. ﴿إِن﴾ حرف شرط. ﴿كُنتُمْ﴾ فعل ناقص، واسمه في محل الجزم بـ ﴿إِن﴾ على كونه فعل شرط لها، وجملة ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ خبر ﴿كان﴾، ومفعول العلم محذوف، تقديره: أن الرسل بشر. وجواب ﴿إِن﴾ الشرطية معلوم مما قبلها، تقديره: إن كنتم لا تعلمون ذلك... فاسألوا أهل الذكر، وجملة ﴿إِن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿ما﴾: نافية. ﴿جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ ﴿جَسَدًا﴾.

و﴿جَسَدًا﴾ مفرد أريد به الجمع، وإنما وحّده ليشمل الجنس عامة؛ لأن الجسد لا بد له من غذاء، وهو على حذف مضاف؛ أي: ذوي جسد غير آكلين. ﴿وَمَا كَانُوا۟﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿ما﴾ نافية. ﴿كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ فعل ناقص، واسمه وخبره، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ﴾ ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف وترتيب. ﴿صَدَقْنَٰهُمُ﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿ٱلْوَعْدَ﴾ منصوب بنزع الخافض؛ لأن «صدق» يتعدى إلى اثنين، إلى ثانيهما بحرف الجر، والأصل «في الوعد»، والجملة معطوفة على ما يفهم من قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ الخ، كأنه قيل: أوحينا إليهم ما أوحينا، ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم به في تضاعيف الوحي بإهلاك أعدائهم اهـ أبو السعود ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة ﴿أنجيناهم﴾ فعل وفاعل ومفعول، معطوف على ﴿صَدَقْنَٰهُمُ﴾ و﴿وَمَن﴾ اسم موصول في محل النصب معطوف على الهاء في ﴿أنجيناهم﴾. ﴿نَّشَآءُ﴾ فعل مضارع، وفعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديرِ: ومن نشاء إنجاءه. ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ فعل وفاعل ومفعول، معطوف على ﴿أنجينا﴾.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝١١﴾.

﴿لَقَدْ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿أَنزَلْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: متعلق به. ﴿كِتَٰبًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة. ﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور خبر مقدّم. ﴿ذِكْرُكُمْ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل النصب صفة لـ ﴿كِتَٰبًا﴾. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾ عاطفة على ذلك المحذوف ﴿لا﴾ نافية. ﴿تَعْقِلُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، والتقدير: ألا تتفكرون فلا تعقلون أن الأمر كذلك، والجملة المحذوفة جملة إنشائية، لا محل لها من الإعراب. ﴿وَكَمْ﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿كم﴾ خبرية بمعنى عدد كثير في محل النصب معفول مقدّم لـ ﴿قَصَمْنَا﴾. ﴿قَصَمْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ تمييز لـ ﴿كم﴾ مجرور بـ

﴿مِن﴾، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ فعل ناقص وخبره، واسمه ضمير مستتر يعود على ﴿قَرْيَةٍ﴾، والجملة الفعلية صفة لـ ﴿قَرْيَةٍ﴾. ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿قَصَمْنَا﴾ ﴿بَعْدَهَا﴾ متعلق به. ﴿قَوْمًا﴾ مفعول ﴿أنشأنا﴾ ﴿ءَاخَرِينَ﴾ صفة ﴿قَوْمًا﴾.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿فَلَمَّآ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدّر، تقديره: إذا عرفت إهلاكنا كثيراً من القرية، وأردت بيان حالهم عند إهلاكها فأقول لك. «لما» حرف شرط غير جازم. ﴿أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة فعل شرط لـ ﴿لمّا﴾، لا محل لها من الإعراب. ﴿إِذَا﴾: فجائية رابطة لجواب لمّا وجوبا لكونه جملة اسمية. ﴿هُم﴾ مبتدأ. ﴿مِّنْهَا﴾ متعلق بـ ﴿يَرْكُضُونَ﴾، وجملة ﴿يَرْكُضُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية جواب ﴿لمّا﴾، وجملة ﴿لمّا﴾ في محل النصب مقول لجواب إذا المقدّرة، وجملة إذا المقدّرة مستأنفة. ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ ﴿لا﴾ ناهية جازمة. ﴿تَرْكُضُواْ﴾ فعل وفاعل مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لقول محذوف، تقديره: وقيل لهم: لا تركضوا، وجملة القول المحذوف مستأنفة. ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ ﴿إِلَىٰ مَآ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ارجعوا﴾ ﴿أُتْرِفْتُمْ﴾ فعل ونائب فاعل. ﴿فِيهِ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية صلة لـ ﴿مَآ﴾، أو صفة لها، والعائد، أو الرابط ضمير فيه. ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ معطوف على ﴿مَآ﴾، مجرور بالكسرة ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ناصب واسمه ﴿تُسْـَٔلُونَ﴾ فعل ونائب فاعل، والجملة في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ مسوقة لتعليل ما قبلها على كونها مقولاً للقول المحذوف.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿يا﴾ حرف نداء. ﴿ويلنا﴾

منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾ ﴿إِنَّا﴾ ناصب واسمه. ﴿كُنَّا﴾ فعل ناقص واسمه ﴿ظَٰلِمِينَ﴾ خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إنّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾ على كونها جواب النداء. ﴿فَمَا زَالَت﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة. ﴿ما﴾ نافية. ﴿زَالَت﴾ فعل ماض ناقص من أخوات ﴿كان﴾ ﴿تِلْكَ﴾ في محل الرفع اسمها. ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ خبرها منصوب بفتحة مقدّرة على الألف، و﴿الهاء﴾ مضاف إليه، وجملة ﴿زَالَت﴾ معطوفة على جملة ﴿قَالُوٓاْ﴾ ﴿حَتَّىٰ﴾ حرف جر وغاية. ﴿جَعَلْنَٰهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ مفعول ثان لـ ﴿جعلنا﴾ لأن حكمهما حكم الواحد، نحو قولك: جعله حلواً حامضاً؛ أي مزّا، ولك أن تجعل ﴿خَٰمِدِينَ﴾ صفة لـ ﴿حَصِيدًا﴾، وجملة ﴿جعلنا﴾ في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾ على تأويلها بمصدر، تقديره: إلى جعلنا إياهم حصيداً خامدين، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿زَالَت﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿ما﴾ نافية ﴿خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ معطوف على ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿وَمَا﴾ اسم موصول في محل النصب، معطوف على ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾ ظرف، ومضاف إليه، صلة لـ ﴿ما﴾؛ أو صفة لها، ﴿لَٰعِبِينَ﴾ حال من فاعل ﴿خَلَقْنَا﴾ منصوب بالياء.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿لَوْ﴾: حرف شرط. ﴿أَرَدْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَن﴾ حرف نصب. ﴿نَّتَّخِذَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿لَهْوًا﴾ مفعول به. والجملة الفعلية مع أن المصدرية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، تقديره: لَوْ أردنا اتخاذ لهو ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ﴾ ﴿اللام﴾ رابطة لجواب ﴿لَوْ﴾. ﴿اتخذناه﴾ فعل وفاعل ومفعول به ﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ جار ومجرور صفة لمصدر محذوف، تقديره: لاتخذناه اتخاذاً كائناً من لدنا، والجملة جواب لو، لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْ﴾ مستأنفة. ﴿إِن﴾ حرف شرط. ﴿كُنَّا﴾ فعل

ناقص، واسمه في محل الجزم بـ ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط. ﴿فَٰعِلِينَ﴾ خبر ﴿كان﴾، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف، تقديره: إن كنا فاعلين لاتخذناه من لدنا، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مستأنفة، ويجوز أن تكون ﴿إن﴾ نافية بمعنى ﴿ما﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل النصب حال من فاعل ﴿اتخذناه﴾، تقديره: حالة كوننا غير فاعلين ذلك الاتخاذ، والأول أصح، وأقعد ﴿بَلْ﴾ حرف إضراب. ﴿نَقْذِفُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ ﴿نَقْذِفُ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ جار ومجرور حال من ﴿الحق﴾ أي: حال كونه مستعلياً على الباطل. ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة. ﴿يدمغه﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿الحق﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿نَقْذِفُ﴾. ﴿فَإِذَا﴾ ﴿الفاء﴾ عاطفة ﴿إذا﴾ فجائية. ﴿هُوَ زَاهِقٌ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على جملة ﴿يدمغه﴾ عطف اسمية على فعلية. ﴿وَلَكُمُ﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿لكم﴾ خبر مقدم. ﴿ٱلْوَيْلُ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة. ﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، أي استقر لكم الويل من كل ما ﴿تَصِفُونَ﴾، وجملة ﴿تَصِفُونَ﴾ صلة ﴿ما﴾ الموصولة، أو ﴿ما﴾ المصدرية.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿وَلَهُۥ﴾: جار ومجرور خبر مقدم ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جار ومجرور صلة من الموصولة. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿وَمَنْ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿مَن﴾ اسم موصول في محل الرفع معطوف على من الأولى. ﴿عِندَهُۥ﴾ ظرف ومضاف إليه، صلة من الموصولة، وجملة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ حال من من الثانية. ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ معطوف على ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ويجوز أن تكون ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿من عنده﴾ مبتدأ خبره جملة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ معطوف عليه، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: فعل وفاعل

﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ ظرفان متعلقان به، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لتقرير ما يصنعه من عند الله في عبادتهم، وجملة ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ حال من فاعل ﴿يُسَبِّحُونَ﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿أَمِ﴾: منقطعة بمعنى بل، و﴿همزة﴾ الإنكار. ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟﴾ فعل وفاعل. ﴿ءَالِهَةً﴾ مفعول به، والجملة مستأنفة. ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ جار ومجرور، صفة أولى لـ ﴿ءَالِهَةً﴾ ﴿هُمْ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يُنشِرُونَ﴾ خبره، ومفعول ﴿يُنشِرُونَ﴾ محذوف تقديره: الموتى، والجملة الاسمية في محل النصب، صفة ثانية لـ ﴿ءَالِهَةً﴾. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿فِيهِمَآ﴾ خبر كان مقدم. ﴿ءَالِهَةٌ﴾ اسمها مؤخر، وجملة ﴿كَانَ﴾ فعل شرط لـ﴿لو﴾، لا محل لها من الإعراب. ﴿إِلَّا﴾ اسم بمعنى غير، صفة لـ ﴿ءَالِهَةٌ﴾، ولكن ظهر إعرابها فيما بعدها؛ لكونها على صورة الحرف، ولا يصح أن تكون استثنائية لأن مفهوم الاستثناء فاسد هنا، إذ حاصله أنه لو كان فيهما آلهة لم يستثن الله منهم لم تفسدا. وليس كذلك، فإن مجرد تعدد الآلهة يوجب لزوم الفساد مطلقاً ﴿ٱللَّهُ﴾ صفة. ﴿لَفَسَدَتَا﴾ ﴿اللام﴾ رابطة لجواب ﴿لَوْ﴾ ﴿فسدتا﴾ ﴿فسد﴾ فعل ماض، و﴿التاء﴾ علامة تأنيث الفاعل، و﴿الألف﴾ ضمير للمثنى في محل الرفع فاعل، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوْ﴾ الشرطية، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ ﴿سبحان﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً، تقديره: سبحوا الله سبحاناً عما لا يليق به. ولفظ الجلالة مضاف إليه، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدّرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ صفة للجلالة، ومضاف إليه. ﴿عَمَّا﴾ متعلق بـ ﴿سبحان﴾، وجملة ﴿يَصِفُونَ﴾ صلة لـ ﴿ما﴾ الموصولة، أو لـ ﴿ما﴾ المصدرية. ﴿لَا يُسْـَٔلُ﴾ ﴿لا﴾ نافية. ﴿يُسْـَٔلُ﴾ فعل مضارع مغير الصفة، ونائب فاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان تفرده سبحانه بالسلطان بحيث لا يسأله أحد عما يفعله ﴿عَمَّا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُسْـَٔلُ﴾. ﴿يَفْعَلُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة لـ ﴿ما﴾

الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: عما يفعله. ﴿وَهُمْ﴾ مبتدأ. ﴿يُسْئَلُونَ﴾ فعل، ونائب فاعل، خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿لَا يُسْئَلُ﴾، أو في محل النصب حال من مرفوع ﴿لَا يُسْئَلُ﴾، والرابط مقدر تقديره: لا يسأل عما يفعل حالة كونهم مسؤولين له.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿أَمِ﴾: منقطعة بمعنى (بل)، و(همزة) الإنكار. ﴿اتَّخَذُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مِن دُونِهِ﴾ جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ ﴿اتَّخَذُوا﴾. ﴿آلِهَةً﴾ مفعول أول لـ﴿اتَّخَذُوا﴾، أو الجار والمجرور حال من فاعل ﴿اتَّخَذُوا﴾، أي: حالة كونهم متجاوزين الله، أو متعلق بـ ﴿اتَّخَذُوا﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿هَاتُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، و﴿الواو﴾ فاعل. ﴿بُرْهَانَكُمْ﴾ مفعول به، والجملة في محل النصب مقول لـ ﴿قُلْ﴾. ﴿هَذَا﴾ مبتدأ. ﴿ذِكْرُ مَن﴾ خبر، ومضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة في محل النصب، مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿مَّعِيَ﴾ ظرف، ومضاف إليه، صلة من الموصولة. ﴿وَذِكْرُ﴾ معطوف على ﴿ذِكْرُ﴾، وهو مضاف، و﴿مَن﴾ الموصولة في محل الجر، مضاف إليه. ﴿قَبْلِي﴾ ظرف، ومضاف إليه، صلة من الموصولة، ﴿بَلْ﴾ حرف إضراب. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ مبتدأ، ومضاف إليه، وجملة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ. ﴿الْحَقَّ﴾ مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿فَهُم﴾ ﴿الفاء﴾ حرف عطف وتفريع. ﴿هم﴾ مبتدأ، ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية معطوفة مفرعة على الجملة التي قبلها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿ما﴾ نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾ فعل وفاعل. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ جار ومجرور حال ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿مِن﴾

زائدة. ﴿رَّسُولٍ﴾ مفعول ﴿أَرْسَلْنَا﴾، منصوب بفتحة مقدرة، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ، ﴿نُوحِىٓ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿إِلَيْهِ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب، حال من فاعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾، أي: وما أرسلنا رسولاً من قبلك إلاّ حالة كوننا مُوحدين إليه أنه لا إله إلاّ أنا. ﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿أن﴾ حرف نصب، و﴿الهاء﴾ اسمها. ﴿لَآ﴾ نافية. ﴿إِلَٰهَ﴾ في محل النصب اسمها، وخبر ﴿لَآ﴾ محذوف، تقديره: لا إله موجود. ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿أَنَا۠﴾ ضمير رفع في محل الرفع، بدل من الضمير المستكن في خبر ﴿لَآ﴾، وجملة ﴿لَآ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر منصوب على كونه مفعول ﴿نُوحِىٓ﴾، تقديره: إلاّ نوحي إليه عدم وجود إله إلاّ أنا. ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾: ﴿الفاء﴾ فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم ثبوت الوحدانية لي، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم فأقول لكم: ﴿اعبدون﴾ ﴿اعبدوا﴾: فعل أمر وفاعل مبني على حذف النون، و﴿النون﴾ نون الوقاية، وياء المتكلم المحذوفة اجتزاءً عنها بكسرة نون الوقاية في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ
وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَقَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً، تقديره: سبحوا الله سبحاناً، والجملة مستأنفة ﴿بَلْ﴾ حرف إضراب ﴿عِبَادٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: بل هم عباد ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ صفة لـ ﴿عِبَادٌ﴾، والجملة مستأنفة ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿بِٱلْقَوْلِ﴾ متعلق بـ ﴿يَسْبِقُونَهُۥ﴾، والجملة في محل الرفع، صفة ثانية لـ﴿عِبَادٌ﴾ ﴿وَهُم﴾ مبتدأ ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿يَعْمَلُونَ﴾، وجملة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الرفع، صفة ثالثة لـ ﴿عِبَادٌ﴾.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿يَعۡلَمُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل الرفع، صفة رابعة لـ ﴿عِبَادٞ﴾، أو مستأنفة. ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول به. ﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ظرف، ومضاف إليه متعلق بمحذوف، صلة لـ ﴿مَا﴾ ﴿وَمَا﴾ معطوف على ما الأولى. ﴿خَلۡفَهُمۡ﴾ ظرف متعلق بمحذوف صلة لـ ﴿ما﴾. ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ﴾ فعل وفاعل، معطوف على ﴿يَعۡلَمُ﴾ على كونها صفة خامسة. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿لِمَنِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَشۡفَعُونَ﴾. ﴿ٱرۡتَضَىٰ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة ﴿مَنۡ﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: إلاّ لمن ارتضاه. ﴿وَهُم﴾ مبتدأ. ﴿مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿مُشۡفِقُونَ﴾. ﴿مُشۡفِقُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَشۡفَعُونَ﴾ على كونها صفة سادسة، أو في محل النصب حال من فاعل ﴿يَشۡفَعُونَ﴾.

﴿۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَن﴾: اسم شرط في محل الرفع، والخبر جملة الشرط، أو الجواب أو هما. ﴿يَقُلۡ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿مِنۡهُمۡ﴾: جار ومجرور حال من فاعل يقل. ﴿إِنِّيٓ﴾: ناصب واسمه، ﴿إِلَٰهٞ﴾ خبره. ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ جار ومجرور، صفة لِـ ﴿إِلَٰهٞ﴾، أو متعلق به، لأنه بمعنى معبود، وجملة ﴿إنّ﴾ في محل النصب مقول ﴿يَقُلۡ﴾. ﴿فَذَٰلِكَ﴾ ﴿الفاء﴾ رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً. ﴿ذلك﴾ مبتدأ. ﴿نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ فعل وفاعل مستتر ومفعولان، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿ذلك﴾، والجملة الاسمية في محل الجزم جوابٌ لـ﴿من﴾ الشرطية، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية مستأنفة، أو معطوفة على جملة ﴿يَعۡلَمُ﴾ على كونها صفة سابعة. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والتقدير: نجزي الظالمين جزاءً

مثل ذلك الجزاء، والجملة مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿اقْتَرَبَ﴾ وقرب بمعنى، والمراد من اقتراب الحساب؛ اقترابُ زمانه، وهو مجيء الساعة. وفي «أبي السعود»: وإسناد الاقتراب إليه، لا إلى الساعة كما في الآية الأخرى، مع استتباعها له، ولسائر ما فيها من الأحوال، والأهوال الفظيعة لانسياق الكلام إلى بيان غفلتهم عنه، وإعراضهم عما يذكرهم ذلك اهـ ﴿الناس﴾ هم المكلّفون.

﴿مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: عن التأهب لهذا اليوم، يقال: أعرض؛ أي: ولّى مبدياً عرضه؛ أي: ناحيته ﴿النَّجْوَى﴾ في الأصل مصدر، ثم جعل اسماً من التناجي بمعنى القول الواقع بطريق المسارَّة؛ أي: السر بين اثنين فصاعداً، يقال: تناجى القوم إذا تسارّوا، وتكالموا سرّاً عن غيرهم، والمراد: أنَّهم أخفوا تناجيهم، ولم يتناجوا بمرأى من غيرهم. قال الراغب: ناجيته ساررته، وأصله: ارتحلوا به في نجوة من الأرض؛ أي: المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، ومعنى إسرارها مع أنها لا تكون إلاّ سراً أنهم بالغوا في إخفائها.

﴿مِّن ذِكْرٍ﴾؛ أي: قرآن ﴿مُّحْدَثٍ﴾؛ أي: جديد نزوله ﴿بَشَرٌ﴾ اسم جنس يستوي فيه الواحد والجمع ﴿بَلْ قَالُوٓاْ﴾ بل كلمة يؤتى بها للانتقال من غرض إلى غرض آخر، ولا تذكر في القرآن إلاَّ على هذا الوجه كما قاله ابن مالك، وسبقه إليه صاحب «الوسيط»، ووافقه ابن الحاجب، وهو الحق.

﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾؛ أي: أخلاط رآها في النوم، وقد تقدم البحث فيها ﴿جَسَدًا﴾ قال الراغب: الجسد كالجسم لكنه أخص فإن الجسد ما له لون، والجسم يقال: لما لا يبين له لون كالماء، والهواء، ﴿خَٰلِدِينَ﴾ والخلود: تبرؤُ الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، والمراد إما المكث المديد كما هو شأن الملائكة، أو الأبديُّ وهم معتقدون أنهم لا يموتون ﴿الْوَعْدَ﴾ نصرهم وإهلاك أعدائهم ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: الكافرين، قال الراغب:

السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ ﴿كم﴾ كلمة تفيد تكثير وقوع ما بعدها، والقصم هو الكسر بتفريق الأجزاء، وإذهاب التئامها، والقصم، أبلغ من الكسر. وفي «القاموس»: قصم من باب ضرب قصماً الشيء إذا كسره، وقصم الرجل أهلكه، ويقال: قصم الله ظهر الظالم؛ أي أنزل به البلية ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾ والإنشاء والاختراع، والتكوين، والتخليق، والإيجاد، أسماء مترادفةٌ يراد بها معنى واحد، وهو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود، كما في «بحر العلوم». قال الراغب: الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته، وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان كما في هذه الآية ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ والإحساس الإدراك بالحاسة؛ أي: أدركوا بحاسّة البصر عذابنا الشديد، والبأس الشدة والمكروه، والنكاية، ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ والركض: ضرب الدابة بالرجل، يقال: ركض الدابة يركضها ركضاً من باب قتل، إذا ضربها برجله، والركض هنا، كنايةٌ عن الهرب والفرار، ويقال: ركض الرجل الفرس برجليه إذا كدّه بساقيه، ثم كثر حتى قيل: ركض الفرس إذا عدا، فمتى نسب إلى الراكب: فهو إعداء مركوبه نحو ركضت الفرس، ومتى ما نسب إلى الماشي، فوطىء الأرض، ومنه ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ ﴿إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ﴾ يقال: أترفته النعمة أطغته، وأترف فلان أصر على البغي، والإتراف إبطار النعمة، يقال: أترف فلان؛ أي: وسع عليه في معاشه، وقل فيه همه ﴿حَصِيدًا﴾ فعيل بمعنى مفعول، يستوي فيه الواحد وغيره، وحصد يأتي من باب ضرب، ونصر، والكلام على التشبيه البليغ؛ أي كالزرع المحصود بالمناجل ﴿خَامِدِينَ﴾؛ أي: كالنار التي خمدت، وانطفأت، يقال: خمدت النار إذا انطفأ لهبها، والكلام على التشبيه البليغ أيضاً، يقال: خمدت النار وهمدت، كل منهما من باب دخل، لكن الأول عبارة عن سكون لهبها مع بقاء الجمر، والثاني: عبارة عن ذهابها بالكلية حتى تصير رماداً اهـ «فتوحات».

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ﴾ الخلق أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل، ولا احتذاء ﴿لَٰعِبِينَ﴾ واللعب الفعل الذي لا يقصد به مقصد صحيح، واللهو: الفعل الذي يفعل ترويحاً عن النفس، ومن ثم تسمى المرأة والولد لهواً؛ لأنه يستروح بكل منهما. ويقال لامرأة الرجل وولده:

ريحانتاه، يقال: لعب فلان إذا: فعل شيئاً غير قاصد به مقصداً صحيحاً، ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ قال الراغب: اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه، ويهمّه ويعبر عن كل ما به استمتاع باللهو. وفي «المصباح»: اللهو معروف، يقول أهل نجد: لهوت عنه ألهو لهيا أصله لهوى على وزن فعول من باب قعد، وأهلُ العالية: لهيت عنه ألهى من باب تعب، ومعناه السلوان، والترك. وألهوت به لهواً من باب قتل أولعت به، ولهيت به أيضاً. قال الطرطوشي: وأصل اللهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة، وألهاني الشيء ـ بالألف ـ شغلني.

﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ القذف: الرمي البعيد الشديد المستلزم لصلابة المرمى، قال الراغب: القذف الرمي البعيد، ولاعتبار البعد فيه قيل: منزل قذف وقذيف وبلدة قذوف طروح بعيدة. والباطل: نقيض الحق، وهو الذي لا ثبات له عنه الفحص عنه ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾؛ أي: فيهلكه ويعدمه، من باب: قطع. وفي «القاموس»: دمغه قهره، ودمغ الحق بالباطل أبطله ومحقه. وأصل الدمغ: كسر الشيء الرخو الأجوف، وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدّي إلى زهوق الروح، ويراد به هنا: القهر والإهلاك ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾؛ أي: زائل ذاهب، والزهوق: ذهاب الروح وخروجها يقال: زهقت نفسه إذا خرجت من الأسف.

﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾؛ أي: الهلاك، قال الأصمعي: ويل قبوح، وقد يستعمل في التحسر، وويس استصغار، وويح ترحم. ومن قال: الويل واد في جهنم، فإنه لم يرد أن ويلاً في اللغة هو موضوع لهذا، وإنما أراد أن من قال الله تعالى فيه ذلك فقد استحق مقرًّا من النار، وثبت ذلك له ﴿يَسْتَحْسِرُونَ﴾؛ أي: يكلون ويتعبون يقال: استحسر البعير؛ أي: كل وتعب. ويقال: حسر وحسرته أنا فيكون لازماً ومتعدياً. وأحسرته أيضاً فيكون فعل وأفعل بمعنى واحد. ويقال: حسر واستحسر إذا تعب، وأعيى يعني أتى استفعل بمعنى فعل نحو قر واستقر، قال في «المفردات»: الحسر كشف الملبس عما عليه، يقال: حسرت عن الذراع، والحاسر من لا درع عليه ولا مغفر، اهـ. ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ قال الراغب: الفتور: سكون بعد حدة، ولين بعد شدة، وضعف بعد قوة ﴿يُنشِرُونَ﴾ وفي «المصباح»: نشر الموتى نشوراً من باب قعد حيوا، ونشرهم الله يتعدى ولا يتعدى، ويتعدى

بالهمزة أيضاً فيقال: أنشرهم الله، ونشرت الأرض نشوراً حييت وأنبتت، اهـ ﴿لَفَسَدَتَا﴾ الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أم كثيراً، ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ هات: من أسماء الأفعال، يقال: هات الشيء؛ أي: أعطيه. وقال الراغب: البرهان: فعلان مثل الرجحان والبنيان اهـ. وقال بعضهم: هو مصدر بره يبره إذا ابيض، انتهى. وقد أشار صاحب «القاموس» إلى كليهما حيث قال في باب النون: البرهان ـ بالضم ـ الحجة، وبرهن عليه أقام البرهان، وفي باب الهاء: أبره أتى بالبرهان. وقال في «المفردات»: البرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ﴾ قال الراغب: الأخذ: وضع الشيء وتحصيله، وذلك تارة بالتناول نحو قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا﴾، وتارة بالقهر نحو قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، ويقال: أخذته الحمى، ويعبر عن الأسير بالمأخوذ والأخيذ، والاتخاذ افتعال منه، فيتعدى إلى مفعولين، ويجري مجرى الجعل ﴿سُبْحَانَهُ﴾، أي: تنزه بالذات تنزهه اللائق به، على أن السبحان مصدر من سبح؛ أي بعد، أو أسبحه تسبيحه على أنه علم للتسبيح، وهو مقول على ألسنة العباد، أو سبحوه تسبيحه ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ الشفع: ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له، وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة في القيامة.

البلاغة

وقد تضمّنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التنكير في قوله: ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ للتعظيم والتفخيم.

ومنها: الدلالة على فخامة الذكر وشرفه وفضله في قوله: ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾.

ومنها: إبدال الظاهر من المضمر في قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ تسجيلاً عليهم باسم الظلم.

ومنها: صيغة المبالغة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ومنها: الإضراب والترقي في قوله: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾. وهذا الاضراب في وصف القرآن يدل على التردد، والتحيّر في تزويرهم للحق الساطع المنير، فقولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث: أفسد من الثاني.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿قَرْيَةٍ﴾ إذ المراد أهلها، وقد تقدم أمثال ذلك كثيراً.

ومنها: حكاية الحال الماضية في قوله: ﴿إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ وحق العبارة: إلا رجالا أوحينا إليهم.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

ومنها: التنكير في قوله: ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ للدلالة على فخامة شأنه وعظيم فضله.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ لأن الركض كناية عن الهرب.

ومنها: التهكم في قوله: ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ لأن الترجي هنا استهزاء بهم، وتهكم بما كانوا يظنونه بأنفسهم من أنهم مظنة السخاء ومطلع الكرم.

ومنها: الاستعارة التصريحية الأصلية في قولهم: ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ فقد خاطبوا الويل ـ وهو الهلاك ـ كأنه شخص حتى يدعونه لينقذهم مما هم فيه.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾؛ أي: جعلناهم كالزرع المحصود وكالنار الخامدة، فقد شبَّههم بعد حلول العذاب بهم بالحصيد

أولاً، وهو الزرع المحصود، ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو الاستئصال من المنابت، ثم شبههم ثانياً بالنار المنطفئة، ولم يبق منها إلا جمر منطفىء لا نفع فيه، ولا قابلية لشيء من النفع منه، فلا ترى إلا أشلاء متناثرة وأجزاء متفرقة، قد تبددت، وقد ران عليها البلى.

ومنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ فقد شبّه الحق والباطل ـ وهما معنويان ـ بشيئين مادّيين محسوسين يقذفان ويدفعان، ثم حذف هذين الشيئين، واستعار ما هو من لوازمهما، وهما القذف والدمغ لتجسيد الإطاحة بالباطل واعتلاء الحق عليه، وتصوير إبطاله وإهداره ومحقه، كأنه جرم صلب كصخرة، أو ما يماثلها في القوة والصلابة قذف على جرم رخو أجوف فدمغه، وهي من استعارة المحسوس للمعقول.

ومنها: قوة اللفظ لقوة المعنى، وهو نقل اللفظ من وزن إلى وزن آخر أكثر منه ليتضمّن من المعنى الدال عليه أكثر مما تضمّنه أولاً، لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا الضرب من الزيادة لا يستعمل إلاّ في مقام المبالغة، وهو هنا في قوله: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ فقد عدل عن الثلاثي، وهو حسر إلى السداسي، وهو استحسر، وقد كان ظاهر الكلام أن يقال: يحسرون؛ أي: يكلون ويتعبون.

ومنها: التصريح بالضمير في قوله: ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ وقد كان يكفي أن يقول: ينشرون، ولكنه عدل عن ذلك إلى التصريح بالضمير لإفادة معنى المخصوصية أولاً، كأنهم قالوا: ليس هنا من يقدر على الإنشار غيرهم، وثانياً لتسجيل إلزامهم ادّعاء صفات الألوهية لآلهتهم، وهذا الإدعاء قد أبطله الله في الآية التالية لهذه الآية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

ومنها: المذهب الكلامي في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وتعريفه: أنه هو احتجاج المتكلّم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام، وله طرق متعددة كما هو مبين في محله.

ومنها: طباق السلب في قوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ومنها: التبكيت وإلقام الحجر للخصم في قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ
شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ
الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) وَإِذَا رَآكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ
هُمْ كَافِرُونَ (٣٦) خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ
وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا
هُمْ يُنْظَرُونَ (٤٠) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
(٤١) قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ
آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ
وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ
الْغَالِبُونَ (٤٤) قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ (٤٥) وَلَئِنْ
مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ
لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا
حَاسِبِينَ (٤٧) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٠)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لمّا حكى[1] مقالات أولئك المشركين الذين كانوا يعبدون آلهةً من دون الله، ومقالات أولئك

---

(١) المراغي.

الذين قالوا: اتخذ الله ولداً من الملائكة، وطالبهم بالدليل على صدق ما يدَّعون، وبين لهم أنه لا سبيل إلى إثبات ذلك، لا من طريق العقل كما هو واضح، ولا من طريق النقل، إذ كل الرسل السابقين كان أس دعوتهم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾.. أردف ذلك بتوبيخهم عل عدم تدبرهم الآيات المنصوبة في الكون الدالة على التوحيد، ولفت أنظارهم إلى أنه لا ينبغي عبادة الأصنام، والأوثان، فإن الإله القادر على مثل هذه المخلوقات، لا يعبد سواه من حجر أو شجر لا يضر ولا ينفع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر الأدلة على وجود الخالق الواحد القادر، بما يرون من الآيات الكونية.. أردف ذلك ببيان أن هذه الدنيا ما خلقت للخلود والدوام، ولا خلق من فيها للبقاء، بل خلقت للابتلاء والامتحان، ولتكون وسيلةً إلى الآخرة التي هي دار الخلود، فلا تشمتوا إذا مات محمد ﷺ فما هذا بسبيله وحده، بل هذه سنة الله في الخلق أجمعين، قال الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ:

تَمَنَّىٰ رِجَالٌ أَنْ أَمُوْتَ وَإِنْ أَمُتْ ... فَتِلْكَ سَبِيْلٌ لَسْتُ فِيْهَا بِأَوْحَدِ
فَقُلْ لِلَّذِيْ يَبْغِيْ خِلاَفَ ٱلَّذِيْ مَضَىٰ ... تَزَوَّدْ لأُخْرَىٰ مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ

ثم ذكر أنهم نعوا على نبيه ﷺ ذكر آلهتهم التي لا تضرّ ولا تنفع بالسوء، ورد عليهم بأنهم قد كفروا بالرحمن المنعم على عباده الخالق لهم المحيي المميت، ولا شيء أقبح من هذا وأخلق بالذم منه.

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لمّا ذكر أنه كلما أتى المشركين آية كفروا بها، وكلما توعّدهم بالعذاب كذبوا به، وقالوا تهكماً وإنكاراً: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.. قفّى على ذلك بنهيهم عن العجلة، وبيان أن ما أوعدوا به آت لا محالة، ثم أرشد إلى أن العجلة من طبيعة الإنسان التي جبل عليها، ثم ذكرهم بجهلهم ما يستعجلون فإنهم لو عرفوا كنه ما طلبوا ما دار بخلدهم ذلك المطلب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بيّن أن الكافرين في الآخرة لا يستطيعون أن يمنعوا عن وجوههم النار، ولا عن ظهورهم، وأنه سيكون لهم من الأهوال ما لم يكن يخطر لهم ببال.. أعقب ببيان أنه لولا أن الله قدر لهم السلامة في الدنيا، وحرسهم إلى حين لما بقوا سالمين، وأنه مع إنعامه عليهم ليلاً ونهاراً بالحفظ والحراسة هم معرضون عن الدلائل الدالة على أنه لا حافظ لهم سواه، وأنه قد كان ينبغي لهم أن يتركوا عبادة الأصنام التي لا حظ لها في شيء من ذلك، فهي لا تستطيع أن تحفظ أنفسها من الآفات، فضلا عن منع بأس الله إن حل بهم، ثم أردف ذلك ببيان أن الذي حملهم على الإعراض عن ذلك، هو طول الأمد حتى نسوا العهد، وجهلوا مواقع النعمة، وقد كان لهم في نقص الأرض من أطرافها، وفتح المسلمين لها عبرة أيما عبرة، فها هم يرون محمد ﷺ وأتباعه يفتحون البلاد والقرى حول مكة، ويدخلونها تحت راية الإسلام، ويقتلون الرؤساء والعشائر من المشركين، فمن حقهم أن يفكروا في هذا مليًّا، ويرعووا عن غيهم، ويعلموا آثار قدرتنا، وأن جندنا هم الغالبون، ثم قفّي على ذلك ببيان أن وظيفة الرسل هي الإنذار والتبليغ، وليس عليهم الإلزام والقبول، فإذا كانت القلوب متحجّرة، والآذان صمّاء، فماذا تجدى العظة! وماذا ينفع النصح.

ولئن أصابهم القليل من عذاب الله لتنادوا بالويل والثبور، واعترفوا على أنفسهم بأنهم كانوا ظالمين، ثم قفّى على ذلك ببيان أن الدار الآخرة لا ظلم فيها، ولا محاباة، فالمرء يحاسب فيها على الجليل والحقير، فهناك تنصب موازين العدل، ويجازي كل امرىء بما قدّم من خير أو شرّ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لمّا أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم: إنما أنذركم بالوحي.. أردفه ببيان أنَّ هذه سنة الله في أنبيائه، فكلهم قد أتاهم الوحي، وبلغهم من الشرائع والأحكام مافيه هدايةٌ للبشر، وسعادةٌ لهم في دنياهم وآخرتهم.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية[1]: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي أنه ﷺ مرّ على أبي سفيان، وأبي جهل، وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك، وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف، فغضب أبو سفيان وقال: أتنكر أن يكون لبني عبد مناف نبي، فسمعها النبي ﷺ فرجع إلى أبي جهل، فوقع به وخوَّفه، وقال: ما أراك منتهياً حتى يصيبك ما أصاب عمك الوليد بن المغيرة، وقال لأبي سفيان: أما إنك لم تقل ما قلت إلاّ حمية، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ...﴾ الآية، روي أن الآية نزلت في النضر بن الحارث وهو القائل: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

التفسير وأوجه القراءة

و﴿الهمزة﴾ في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ لإنكار نفي الرؤية[2]، وإنكار النفي نفي له، ونفي النفي إثبات. و﴿الواو﴾ للعطف على مقدر، والرؤية قلبية، لا بصريةٌ حتى لا يناقض قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والمعنى: ألم يتفكروا، أو ألم يستفسروا من العلماء، أو ألم يطالعوا الكتب، أو ألم يسمعوا الوحي ولم يعلموا: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا﴾ ثنى الضمير الراجع إلى الجمع باعتبار أن المرجع إليه جماعتان: جماعة السموات، وجماعة الأرض ﴿رَتْقًا﴾؛ أي ذواتي رتق، فهو على حذف مضاف. ولم يقل: رتقين، لأنه مصدر؛ أي: ملتزقتين ومنضمَّتين، لا فضاء ولا هواء بينهما، ولا فرج، فإن الرتق هو

---

(١) لباب النقول.

(٢) روح البيان.

الضم والإلتحام خلقةً كان أو صنعة؛ أي كانت شيئاً واحداً، وحقيقة متحدةً ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ من الفتق، وهو الفصل بين المتصلين، وهو ضد الرتق؛ أي: ففصلنا إحداهما عن الأخرى بالهواء والريح، أي رفعنا السماء[1]، وأبقينا الأرض مكانها، أو[2] كانت السموات واحدةً ففتقت بالتحريكات المختلفة، حتى صارت أفلاكاً، وكانت الأرضون واحدةً، فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقاتٍ أو أقاليم. وقيل: كانتا رتقاً لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات، فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا، وجمعها باعتبار الآفاق، أو السموات بأسرها على أن لها مدخلاً ما في الأمطار، إذ التأثير إنما يحصل من جهة العلو، والكفرة، وإن لم يعلموا ذلك، فهم متمكنون من العلم به نظراً، أو استفساراً من العلماء، أو مطالعةً للكتب.

واعلم: أن المراد برؤية الآيات الانتقال من رؤيتها إلى رؤية صانعها، رؤيةً قلبيةً، هي حقيقة الإيمان. والمعنى؛ أي: ألم يعلم الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا مرتوقتين؛ أي: ملتحمتين متصلتين ففصلناهما وأزلنا اتحادهما.

وعبارة ابن الجوزي هنا: واعلم أن للمفسرين في المراد بالفتق ثلاثة أقوال[3]:

أحدها: أن السموات كانت رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات. رواه عبد الله بن دينار عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وعكرمة، ومجاهد، في رواية، والضحاك في آخرين.

والثاني: أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففتقهما الله تعالى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة.

---

(١) الشوكاني.
(٢) البيضاوي.
(٣) زاد المسير.

والثالث: أنه فتق من الأرض ست أرضين، فصارت سبعاً، ومن السماء ست سموات، فصارت سبعاً، رواه السدي عن أشياخه وابن أبي نجيح عن مجاهد انتهت.

واعلم: أنه سبحان وتعالى ذكر أدلة ستة تثبت وجود الخالق الواحد القادر لو تدبّرها المنصفون، وعقلها الجاحدون لم يجدوا مجالاً للإنكار، ولا سبيلاً إلى الجحد:

الأول: ما ذكره بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾ إلخ. وقرأ ابن كثير، وحميدٍ، وابن محيصن[1]: ﴿ألم ير﴾ بغير ﴿واو﴾ العطف بين الهمزة ولم. والجمهور ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ ﴿بالواو﴾، وقرأ الجمهور ﴿رَتْقًا﴾ بسكون التاء، وهو مصدر يوصف به كزور وعدل، فوقع خبراً للمثنى. وقرأ الحسن، وزيد بن علي، وأبو حيوة، وعيسى ﴿رَتَقاً﴾ بفتح التاء، وهو اسم بمعنى المرتوق كالقبض والنقض، فكان قياسه أن يثنّى ليطابق الخبر الاسم. ذكره في «البحر».

والثاني: ما ذكره بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾؛ أي: وخلقنا من الماء كل شيء متصفٍ بالحياة؛ أي: أحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء، فيشمل الحيوان والنبات، والمعنى: أن الماء سبب حياة كل شيء، ويدخل في الآية النبات والشجر لنمائهما بالماء[2]، والحياة قد تطلق على القوة النامية الموجودة في النبات، والحيوان، كما في «المفردات». ويدل على حياتهما قوله تعالى: ﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ كما في «الكبير». وقيل: المراد بالماء هنا النطفة، وبه قال أكثر المفسرين، وعرّف الماء باللام قصداً إلى الجنس، أي: جعلنا مبدأ كل شيء حي من هذا الجنس؛ أي: جنس الماء، وهو النطفة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾؛ أي: كل فرد من أفراد الدواب من نطفه معينة، هي نطفة أبيه المختصة به، أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه، وهو

---

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

نوع النطفة التي تختص بذلك النوع من الدواب. وفرَّق بعضهم بين الحيّ والحيوان بأن كل حيوان حيٌّ، وليس كل حيّ حيواناً، كالملك، فالظاهر ما جاء في بعض الروايات من أن الله تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء، وآدم من تراب خلقه منه، والجن من نار خلقها منه.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿حَيٍّ﴾ بالخفض، صفة لشيء. وقرأ حميد ﴿حَيًّا﴾ بالنصب، مفعولاً ثانياً لـ ﴿جعلنا﴾، والجار والمجرور لغو؛ أي: ليس مفعولاً ثانياً لـ ﴿جعلنا﴾. والهمزة في قوله: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ للاستفهام الإنكاري التعجبي للإنكار عليهم حيث لم يؤمنوا مع وجود ما يقتضيه من الآيات الربانية، داخلةٌ على محذوف و﴿الفاء﴾ عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألا يتدبرون هذه الأدلة فلا يؤمنون بتوحيدي.

والثالث: ما ذكره بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾؛ أي: جبالاً ثوابت. جمع راسية من رسا إذا ثبت ورسخ، كراهة ﴿أَن تَمِيدَ﴾ الأرض، وتميل، وتتحرك، وتضطرب، وتدور ﴿بِهِمْ﴾؛ أي بما عليها من المخلوقات. والأرض[2] جسم غليظ، أغلظ ما يكون من الأجسام، واقف على مركز العالم، مبين لكيفية الجهات الست، فالشرق حيث تطلع الشمس والقمر، والغرب حيث تغيب، والشمال حيث مدار الجدي، والجنوب حيث مدار سهيل، والفوق ما يلي المحيط، والأسفل ما يلي مركز الأرض. والميد اضطراب الشيء العظيم ودورانه كاضطراب الأرض، يقال: ماد يميد ميداً إذا تحرك، ومنه سميت المائدة، وهي الطبق الذي عليه الطعام. قال ابن عباس[3] ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: إنّ الأرض بسطت على وجه الماء، فكانت تميد بأهلها، كما تميد السفينة على الماء، فأرساها الله بالجبال الثوابت، كما ترسى السفينة بالمرساة.

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.
(٣) روح البيان.

وسئل علي ـ رضي الله عنه ـ: أيُّ الخلق أشدُّ؟ قال: أشد الخلق الجبال الرواسي، والحديد أشد منها يحت به الجبل، والنار تغلب الحديد، والماء يطفىء النار، والسحاب يحمل الماء، والريح يحمل السحاب، والإنسان يغلب الريح بالثبات، والنوم يغلب الإنسان، والهم يغلب النوم، والموت يغلب كلها، انتهى.

واعلم[1]: أنه قد أثبت العلم حديثاً أن الأرض كانت ناراً ملتهبةً، ثم بردت قشرتها، وصارت صوانيةً صلبةً، وقدّروا زمن ذلك بنحو ثلاث مئة مليون سنةً. ومما يدل على صدق هذه النظرية ما نراه من حمم النيران التي تخرجها البراكين في جهات كثيرة من الأرض كما حدث في سنة (١٩٠٩) لبركان فيزوف بإيطاليا، وقد طغى على مدينة مسينا، وابتلعها في باطنه، ولم يبق منها شيئاً، فهذه البراكين أشبه بأفواهٍ تتنفس بها الأرض لتخرج من باطنها نيراناً، ومواد ذائبة، مما يرشد إلى أنها كلها في أحقاب طويلة كانت كذلك.

ولولا هذه القشرة الصلبة لتفجرت ينابيع النيران من سائر جهاتها، كما كانت بعد ما انفصلت من الشمس كثيرة الثوران والفوران، وهذه القشرة الصوانية البعيدة الفور المغلقة للكرة النارية هي الحافظة لكرة النار التي تحتها، وهي التي تنبت منها الجبال التي نراها فوق أرضنا، وقد جعلت لحفظ الأرض من أن تميد، وما هي إلاّ كأسنانٍ لها، طالت وامتدت فوق طبقات الأرض، فلو زالت هذه الجبال لبقي ما تحتها مفتوحاً، وإذ ذاك ربما تثور البراكين في جهات كثيرةٍ من الأرض، وتضطرب اضطراباً شديداً، وتزلزل زلزالاً كثيراً.

وخلاصة ذلك: أنه لو لم تكن هذه الجبال التي هي قطعةٌ من قشرة الأرض مرتفعةٌ لما وجد ما يحفظ النيران المشتعلة في باطن الأرض من الظهور على سطحها، بالبراكين والزلازل، وإذ ذاك ربما تضطرب الأرض اضطراباً شديداً، وتخرج نيرانها الملتهبة من باطنها، وتطغىٰ على سطحها، وتهلك الحرث والنسل.

وهذه هي المعجزة الثالثة في الآية التي ترشد إلى أن القرآن وحي يوحى،

---

(١) المراغي.

فما محمد، ولا قومه، ولا الأمم المعاصرون لهم يعلمون شيئاً من هذه الآيات الكونية التي أيد صحتها تقدم العلوم، ففهم ظاهر الأرض وباطنها، وفي هذا مصداق لما أثر عن علي ـ رضي الله عنه ـ: «القرآن جديد لا تبلى جدته».

والرابع: ما ذكره بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾؛ أي في الأرض، أو في الرواسي، وعليه اقتصر في الجلالين، لأنها المحتاجة إلى الطرق ﴿فِجَاجًا﴾، أي: طرقاً ﴿سُبُلًا﴾؛ أي مسلوكةً، لأن السبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك، والفجُّ الشقُّ بين الجبلين. قال أبو عبيدة: الفجاج المسالك.

وقال الزجاج: الفجاج جمع فجّ، وهو كل مخترق بين جبلين، و«سُبُلاً» تفسير للفجاج، لأنَّ الفج قد لا يكون طريقاً نافذاً مسلوكاً ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: لكي يهتدوا إلى مصالحهم ومهماتهم التي جعلت لهم في البلاد البعيدة، أو إرادة أن يهتدوا إلى ذلك.

وعبارة النسفي هنا: ﴿فِجَاجًا﴾ أي[1]: طرقا واسعة: جمع فج، وهو الطريق الواسع، ونصب على الحال من ﴿سُبُلًا﴾ متقدمة، فإن قلت: أي فرق بين قوله تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ وبين هذه الآية؟

قلت: الأول للإعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة. والثاني لبيان أنه حين خلقها، خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثَمَّ، انتهت.

وعبارة البيضاوي: قوله: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾؛ أي[2]: مسالك واسعة، وإنما قدّم ﴿فِجَاجاً﴾ وهو وصف له ليصير حالاً، فيدل على أنه حين خلقها خلقها كذلك، أو ليبدل منها سبلاً، فيدل ضمناً على أنه خلقها، ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد انتهت.

والمعنى: أي وجعلنا في الأرض طرقاً بين جبالها يسلكها الناس من قطر إلى

---

(١) النسفي.

(٢) البيضاوي.

قطر، ومن إقليم إلى آخر، ليهتدوا بذلك إلى مصالحهم، ومهامّ أمورهم المعيشية.

والخامس: ما ذكره بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ سميت سقفاً لأنها للأرض كالسقف ﴿مَّحْفُوظًا﴾ من أن يقع ويسقط على الأرض كقوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾، وقال الفرّاء[1]: ﴿مَحْفُوظاً﴾ من الشياطين بالشهب كقوله: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾، وقيل: محفوظاً لا يحتاج إلى عماد. وقيل: المراد بالمحفوظ هنا المرفوع. وقيل: مَحْفُوظاً من الشرك والمعاصي. وقيل: مَحْفُوظاً عن الهدم والنقض ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: الكفار ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾؛ أي: عن الأدلة الواضحة التي خلقها الله تعالى فيها، وجعلها علاماتٍ نيّرةً على وجوده ووحدته وكمال صنعه، وعظيم قدرته، وباهر حكمته مثل الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ غير متفكرين، ولا متدبرين فيها فيؤمنون؛ أي[2]: معرضون عن أحوالها، وكيفية حركاتها في أفلاكها، ومطالعها ومغاربها، والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة، والقدرة الباهرة، لا يتفكرون ولا يعتبرون بها. وقرأ الجمهور[3]: ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ بالجمع، وقرأ مجاهد وحميد ﴿عن أَيَتِها﴾ بالإفراد.

والمعنى[4]: أي أنه سبحانه وتعالى نظم السماء، وجعلها كالسقف المحفوظ من الاختلال وعدم النظام، فقد حفظت الشموس والكواكب في مداراتها، بحيث لا يختلط بعضها ببعض، ولا يتخبط بعضها في بعض، بل جعلت في أماكنها الخاصة بها بقوة الجاذبية، فالشمس والقمر والكواكب الأخرى متجاذبات حافظات لمداراتها لا تخرج عنها، وإلاّ اختل نظام هذا العالم، وبهذا الحفظ ونظام الدوران كان الليل والنهار، الحادثين من جري الأرض حول الشمس. ونحو الآية قوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾.

---

(١) الشوكاني.

(٢) الخازن.

(٣) البحر المحيط.

(٤) المراغي.

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾؛ أي: والمشركون معرضون عن التفكر في تلك الآيات الدالة على وحدانيتنا وعظيم قدرتنا وإحاطة علمنا.

السادس: ما ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى الإله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وأوجد لكم ﴿ٱلَّيْلَ﴾ الذي هو[1] ظل الأرض، لتسكنوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ الذي هو ضوء الشمس، لتتصرفو في معايشكم ﴿و﴾ خلق ﴿الشمس﴾ الذي هو كوكب مضيء نهاري، وجعلها آية النهار ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ الذي هو كوكب مضيء ليلي، وجعله آية الليل؛ أي: خلقهما، لتعلموا عدد السنين والحساب، كما مرّ بيانه في سورة الإسراء؛ أي: فالله سبحانه وتعالى، هو الذي أوجد هذه الأشياء، وأخرجها من العدم إلى الوجود دون غيره، فله القدرة الكاملة، والحكمة الباهرة ﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كل واحد من الشمس والقمر والنجوم. والتَّنوين[2] فيه عوض عن المضاف إليه؛ أي: كلهم، والضمير للشمس والقمر، والمراد بهما: جنس الطوالع. وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم، وهو السباحة، وحسَّن ذلك. كونه جاء فاصلة رأس آية. وهو مبتدأ، وقوله: ﴿فِى فَلَكٍ﴾ متعلق بـ ﴿يَسْبَحُونَ﴾ الواقع خبراً عن المبتدأ؛ أي: كل من الشمس والقمر والنجوم يسبحون في فلكٍ على حدة؛ أي[3]: يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء، والفلك مدار النجوم الذي يضمها، وهو في كلام العرب، كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك. وقيل: الفلك طاحونة، كهيئة فلك المغزل، يريد: أن الذي تجري فيه النجوم، مستدير كاستدارة الرحى. وقيل: الفلك: السماء الذي فيه ذلك الكوكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه، قال الراغب: الفلك مجرى الكواكب، وتسميته بذلك، لكونه كالفلك.

والمعنى[4]: أن الكواكب يجرون في سطح الفلك، كالسبح في الماء، فإن السبح المرور السريع في الماء، أو في الهواء، واستعير لمرور النجوم في الفلك، كما في «المفردات» ويفهم منه: أن الكواكب مرتكزة في الأفلاك، ارتكاز فض

---

(١) روح البيان.

(٢) النسفي.

(٣) الخازن.

(٤) روح البيان.

الخاتم في الخاتم، قال في «شرح التقويم»: كل واحد من الكوكب مركوز في فلك مغرق فيه، كالكرة المنغمسة في الماء، لا كالسمك فيه. والأفلاك متحركة بالإرادة من المشرق إلى المغرب، والكواكب بالعرض. وقال بعضهم، أخذاً بظاهر الآية: إن الفلك موج مكفوف، من السيلان دون السماء، تجري فيه الشمس والقمر، كما تسبح السمكة في الماء.

والحق، أنه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات؛ إلاّ بإخبار الصادق المصدوق، ولم يرد منه نص في بيان ذلك، والأسلم الإمساك عن البحث فيها، إلاّ بما ورد النص فيه، فسبحان الخالق المدبّر لخلقه، بالحكمة البالغة، والقدرة الباهرة، غير المتناهية.

والمعنى[1]: أي والله خلق لكم الليل والنهار، نعمة منه عليكم، وحجة على عظيم سلطانه، فهما يختلفان عليكم، لصلاح معايشكم وأمور دنياكم وآخرتكم، وخلق الأرض والشمس والقمر، تجري في أفلاكها كما يجري السمك في الماء.

وهذا هو الرأي الحديث، وأن هذه كلها تجري في عالم الأثير، المالىء لهذا الفضاء، فالشمس تجري، والأرض تجري، والقمر يجري، وبينها هذه المخلوقات الحية، فما مثل هذه العوالم، إلا كآلة الطباعة، والمخلوقات كلماتها وسطورها، أو كدار صناعة تخرج كل يوم منصوعات جديدة، بعد فناء القديمة وزوالها.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ والبقاء والدوام في الدنيا، لكونه مخالفاً للحكمة التكوينية والتشريعية، كما في «أبي السعود»؛ أي[2]: وما جعلنا لفرد من أفراد الإنسان من قبلك، يا محمد، دوام البقاء في الدنيا؛ أي: ليس من سنتنا أن نخلد آدمياً في الدنيا، وإن كنا قادرين على تخليده، فلا أحد إلاّ وهو عرضة للموت. قال في «بحر العلوم»: المراد بالخلود: المكث الطويل، سواء كان معه دوام أم لا، اهـ. فإذا كان الأمر كذلك ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ في الدنيا بقدرتنا، لا بل أنت وهم ميتون، كما هو من سنتنا، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، فالمراد بإنكار الخلود ونفيه إنكار الشماتة التي كان الخلود مداراً لها، وجوداً وعدماً، قال الشاعر:

فَقُلْ لِلشَّامِتِيْنَ بِنَا أَفِيقُوْا ... سَيَلْقَى الشَّامِتُوْنَ كَمَا لَقِيْنَا

والهمزة في قوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾ للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف، والفاء في ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾: رابطة الجواب بالشرط، والتقدير: أيبقى هؤلاء المشركون حتى يشمتوا بموتك، فإن متّ يا محمد بأجلك المحتوم.. فهم الخالدون في الدنيا بعدك؟ وقرىء ﴿مِّتَّ﴾ بكسر الميم وضمها لغتان.

والمعنى: أي[1] وما كتب لأحد من قبلك البقاء في الدنيا، حتى نبقيك فيها، بل قدّر لك أن تموت، كما مات رسلنا من قبلك، أفهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون بعدك، لا ليس الأمر كذلك، بل هم ميّتون، عشت أو مت. أخرج البيهقي وغيره، عن عائشة قالت: دخل أبو بكر على النبي ﷺ، وقد مات فقبّله، وقال: وانبيّاهُ، واخليلاه، واصفيّاه، ثم تلا ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ...﴾ الآية.

ثم أكّد ما سلف، وبيّن أن أحداً لا يبقى في هذه الدنيا، فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: كل نفس منفوسة من خلقه، ذائقة مرارة الموت ومتجرعة كأسه، وشدة مفارقة الروح للبدن، وقد جاء في الحديث: «إن للموت لسكرات»، فلا يفرحنّ أحد لموت أحد، ولا يظهرن التشفي منه، كما لا ينبغي أن تبدوا عليه علامات الجزع والحسرة لموت أحد.

وهذا برهان على ما أنكر من خلودهم[2]، والمراد: النفس الناطقة، التي هي الروح الإنساني، وموتها عبارة عن مفارقتها جسدها؛ أي: ذائقة مرارة المفارقة، والذوق هذا لا يمكن إجراؤه على ظاهره؛ لأن الموت ليس من المطعوم حتى يذاق، بل الذوق إدراك خاص، فيجوز جعله مجازاً عن أصل الإدراك، والموت: صفة وجودية خلقت ضدّاً للحياة، أو هو عبارة عن زوال

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

القوة الحيوانية، وإبانة الروح عن الجسد.

وفي «التعريفات»: النفس: هي الجوهر البخاري اللطيف، الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية. وسماه الحكيم: الروح الحيواني، فهي جوهر مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه، والنوم والموت من جنس واحد؛ لأن الموت هو الانقطاع الكلي، والنوم هو الانقطاع الناقص.

والحاصل: أنه إن لم ينقطع ضوء جوهر النفس، عن ظاهر البدن وباطنه.. فهو اليقظة، وإن انقطع عن ظاهره دون باطنه.. فهو النوم، أو بالكلية.. فهو الموت.

وهذا[1] العموم مخصوص بقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ فإن الله سبحانه وتعالى حيّ دائم لا يموت، لا يجوز عليه الموت، كما أشرنا إلى هذا التخصيص أولاً بقولنا: منفوسة من خلقه. والذوق هنا: عبارة عن مقدمات الموت، وآلامه العظيمة قبل حلوله.

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾؛ أي[2]: ونختبركم أيها الناس، بالمضارّ الدنيوية، من الفقر والآلام وسائر الشدائد، وبنعم الدنيا، من الصحة واللذة والسرور والتمكين، من حصول ما تريدون لنرى أتصبرون في المحن، وتشكرون في المنح، فيزداد ثوابكم عند ربكم، إذا قمت بأداء ذلك، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فالمنحة أعظم البلاءين، ومن ثم قال عمر - رضي الله عنه -: بُلينا بالضرّاء فصبرنا، وبلينا بالسرّاء فلم نصبر. وقال علي - كرّم الله وجهه -: مَن وسع عليه دنياه، فلم يعلم أنه قد مكر به.. فهو مخدوع عن عقله. وقوله: ﴿فِتْنَةً﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿نبلوكم﴾ من غير لفظه؛ أي: نبلوكم بلاءً واختباراً.

وخلاصة ذلك: أنّا نعاملكم معاملة من يختبركم، ونفتنكم كما يفتن الذهب إذا أريد تصفيته بالنار عما يخالطه من الغش، لنرى أتصبرون في الشدائد، وتشكرون حين الرّخاء ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ لا إلى غيرنا، لا استقلالاً، ولا اشتراكاً؛

---

(١) الخازن.

(٢) المراغي.

أي: إلى حكمنا ترجعون بعد الموت، فنجازيكم وفق ما يظهر من أعمالم، ولا يخفى ما في هذا من الوعد والوعيد، وفيه إيماء[١] إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعرض للثواب والعقاب، واعلم أن المجازاة لا تسعها دار التكليف، فلا بد من دار أخرى، لا يصار إليها إلاّ بالموت والنشور، فلا بد لكل نفس من أن تموت، ثم تبعث.

قال بعضهم: فائدة حالة المفارقة رفع الخبائث التي حصلت للروح بصحبة الأجسام، وفائدة حالة الإعادة حصول التنعمات الأخروية، التي أعدت لعباد الله الصالحين، ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقرأ الجمهور[٢]: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بتاء الخطاب مبنياً للمفعول. وقرأت فرقة: بضم الياء للغيبة. مبنياً للمفعول، على سبيل الالتفات. وقرأت فرقة، منهم ابن عامر، بالتاء مفتوحة مبنياً للفاعل.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ﴾ يا محمد هؤلاء ﴿الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ وأشركوا بالله تعالى، يعني المستهزئين منهم، كأبي جهل وأضرابه من صناديد قريش ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾؛ أي: ما يتخذونك إلاّ مهزوءاً بك. والهزء مزح في خفية؛ أي: لا يفعلون بك إلاّ اتخاذك مهزوءاً بك. والمراد: قصر معاملتهم معه على اتخاذهم إياه هزؤاً، لا قصر اتخاذهم على كونه هزواً كما هو المتبادر، حالة كونهم يقولون في حال الهزء ﴿أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بسوء ويسبها. وإنما أطلقه[٣] لدلالة الحال عليه، فإن ذكر العدوّ لا يكون إلاّ بسوء؛ أي: يقول بعضهم لبعض فيما بينهم: أهذا الرجل هو الذي يسبُّ ويعيِّب آلهتكم وأصنامكم؛ أي: يبطل كونها معبودة، ويقبح عبادتها. يقال: فلان يذكر الناس؛ أي: يغتابهم ويذكرهم بالعيوب، وفلان يذكر الله؛ أي: يصفه بالتعظيم ويثني عليه. وجملة قوله: ﴿وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ حال[٤] من فاعل ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾، والضمير الأول

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

(٣) البيضاوي.

(٤) روح البيان.

مبتدأ، خبره ﴿كَٰفِرُونَ﴾. والثاني: تأكيد لفظي له. و﴿بِذِكْرِ﴾ متعلق بالخبر، وهو من إضافة المصدر إلى مفعوله؛ أي: يعيبون أن يذكر النبي ﷺ آلهتهم التي لا تضرّ ولا تنفع بالسوء، والحال أنهم كافرون بأن يذكروا الرحمن المنعم عليهم بما يجب أن يذكر به، من الوحدانية، فهم أحقاء بالعيب والإنكار، ومعنى الآية؛ أي[1]: وإذا رآك المشركون لم يكن لهم عمل إلاّ أن يجعلوك موضع السخرية والهزوء، وقد كان من حقهم أن يفكروا ملياً فيما يشاهدون من أخلاقك وآدابك، وفيما ينزل عليك من الوحي، الذي فيه عظة وذكرى لقوم يعقلون، لعل بصائرهم تستنير، وطباعهم ترقّ، وقلوبهم ترعوي عن غيها، وهؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾.

ويقولون استنكاراً وتعجباً: أهذا الذي يسبّ آلهتكم، ويسفّه أحلامكم، وكيف يعجبون من ذلك، وهم كافرون بالله، الذي خلقهم وأنعم عليهم، وبيده نفعهم وضرهم، وإليه مرجعهم.

وخلاصة ذلك: كيف يعجبون من ذكر آلهتهم بالسوء، وهم قد كفروا بربهم الذي برأهم وصوّرهم، فأحسن صورهم، وإليه مرجعهم، فيحاسبهم على النقير والقطمير.

وفي الآية[2]: إشارة إلى أن كل من كان محجوباً عن الله بالكفر لا ينظر إلى خواص الحق إلاّ بعين الإنكار والاستهزاء؛ لأن خواص الحق من الأنبياء والعلماء يقبحون في أعينهم ما اتخذوا لهم آلهةً من شهوات الدنيا، من جاهها ومالها وغير ذلك مما اتخذوه آلهة، كما قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ وكل محب يغار على محبوبه، ولذا يذكرونهم بعيب ونقصان، والحال أن العيب والنقصان فيهم، لا في أضدادهم، فعلى العاقل أن يصون لسانه عن ذكر العيوب، ويشتغل في جميع الأوقات بذكر علام الغيوب، وأفضل الذكر: «لا إله إلاّ الله»؛ لأنه إعراض عما سوى الله تعالى. وإقبال بالكلية على الله سبحانه. قيل:

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

إن سائر العبادات والأذكار تصل إلى الله تعالى بواسطة الملك، أما هذه الكلمة فتصل إلى الله بلا واسطة الملك، من قالها مرة خالصاً غفرت ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾؛ أي: جنسه ﴿مِنْ عَجَلٍۚ﴾؛ أي[1]: جعل لفرط استعجاله كأنه مخلوق من العجل، قال الفرّاء: كأنه يقول: بنيته وخلقته من العجلة، وعلى العجلة. والعجلة[2] طلب الشيء وتحرِّيه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة حتى قيل: العجلة من الشيطان، جعل الإنسان لفرط استعجاله، وقلة صبره، كأنه مخلوق منه، كما يقال: خلق زيد من الكرم، تنزيلاً لما طبع عليه من الأخلاق منزلة ما طبع منه من الأركان، إيذاناً بغاية لزومه وعدم انفكاكه عنه، ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجاله بالوعيد. قال النضر بن الحارث: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وقرأ مجاهد وحميد وابن مقسم[3]: ﴿خلَقَ﴾ مبنياً للفاعل. ﴿الإنسان﴾ بالنصب؛ أي: خلق الله الإنسان.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن المراد بالإنسان آدم، وأنه حين بلغت الروح صدره أراد أن يقوم؛ أي: استعجل بالقيام قبل أن يبلغ الروح أسفله، فسقط فقيل: خلق الإنسان من عجل. والمعنى؛ أي: إنه تعالى فطر هذا النوع على العجلة، وجعلها من سَجِيَّته وجِبِلَّتِه، فليس بعجيب من المشركين أن يستعجلوا عذاب الله، ونزول نقمته بهم، وقد كان من الحق عليهم أن يتريّثوا قليلاً، فإن الله تعالى سينزل بهم من سخطه مثل ما أنزل بالمكذبين قبلهم، ويحل بهم من العذاب ما لا قبل لهم بدفعه، وهذا ما أشار إليه بقوله: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾؛ أي: نقماتي منكم بعذاب النار؛ أي: سأريكم عذابي ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ في طلبه؛ أي: فلا تستعجلوني في الإتيان به، بطريق إيذاء نبي، والاستهزاء به،

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

فإنه نازل بكم لا محالة، والمعنى؛ أي: إن نقمتي ستصيبكم لا محالة، فلا تستعجلوا عذابي، واصبروا حتى يأتي وعد الله، إن الله لا يخلف الميعاد، وقد نهى الإنسان عن العجلة مع أنها ركبت في طبيعته من قبل أنه أوتي المقدرة التي يستطيع بها تركها وكف النفس عنها، ثم حكى عنهم ما يستعجلون فقال: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ بطريق الاستعجال والاستهزاء ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾؛ أي: وعد العذاب والساعة فليأتنا بسرعة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في وعدكم بأنه يأتينا، والخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين الذين يتلون الآيات المنبئة عن مجيء الوعد.

أي: ويقولون للنبي ﷺ ولمن معه من المؤمنين، الذين يتلون الآيات المنبئة بقرب الساعة، ونزول العذاب بمن كفر بها استهزاءً: متى يجيئنا هذا العذاب الذي تعدوننا به إن كنتم صادقين في وعدكم. وهذا استبطاء منهم للموعود به، يراد به إنكار وقوعه، وأنه لن يكون ألبتة، وفي ذمِّ العجل قيل:

لاَ تَـعْـجَـلَـنَّ لأَمْـرٍ أَنْـتَ طَـالِـبُـهُ ... فَـقَـلَّـمَـا يُـدْرِكُ ٱلْـمَـطْـلُـوبَ ذُوْ ٱلْـعَـجَـلِ
فَـذُوْ ٱلـتَّـأَنِّـيْ مُـصِـيـبٌ فِـيْ مَـقَـاصِـدِهِ ... وَذُوْ ٱلـتَّـعَـجُّـلِ لاَ يَـخْـلُـوْ عَـنِ ٱلـزَّلَـلِ

ثُم بين شديد جهلهم بما يستعجلون وعظيم حماقتهم لهذا الطلب، فقال: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ إلخ، جملة مقررة لما قبلها، وجواب لو محذوف. وإيثار[1] صيغة المضارع في الشرط، وإن كان المعنى ماضياً لإفادة استمرار عدم العلم و﴿حِينَ﴾ مفعول به لـ ﴿يَعْلَمُ﴾؛ أي: لو عرف الذين كفروا الوقت الذي ﴿لَا يَكُفُّونَ﴾ ولا يدفعون فيه ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ قيل: السياط ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ أي: لا يمنعون من العذاب لما أقاموا على كفرهم[2]، ولما استعجلوا بالعذاب، ولما قالوا: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ أي: لو علموه علم يقين لعلموا أن الساعة آتية، ولكن جهلهم به هو الذي هوَّنه عندهم.

---

(١) روح البيان.

(٢) الخازن.

والمعنى[1]: لو علموا الوقت الذي يستعجلونه بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب، بحيث لا يقدرون على دفعها، ولا يجدون ناصراً يمنعها عنهم.. لما استعجلوا. وتخصيص الوجوه والظهور، يعني: القدّام والخلف، لكونهما أشرف الجوانب، ولاستلزام الإحاطة بهما الإحاطة بالكل، بحيث لا يقدرون على دفعها من جانب من جوانبهم، ولأن مسّ العذاب لهما أعظم موقعاً.

والخلاصة: أي[2] لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون، ماذا أعدّ لهم ربهم من البلاء، حين تلفح وجوههم النار، وهم فيها كالحون، فلا يستطيعون ردّها عن تلك الوجوه، ولا يدفعونها بأنفسهم عن الظهور، ولا يجدون ناصراً ينصرهم وينقذهم من ذلك العذاب، لما أقاموا على كفرهم بربهم، ولسارعوا إلى التوبة منه، ولما استعجلوا لأنفسهم هذا النكال والوبال.

ولمّا بيّن شدة العذاب في ذلك اليوم، بيّن أن وقته لا يكون معلوماً فقال: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾ وهذا الكلام إضراب[3] انتقالي، حكى الله عنهم أنهم يستعجلون العذاب الموعود بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، وبين أن سبب ذلك الاستعجال هو عدم علمهم بهول وقت وقوعه، وما فيه من العذاب الشديد، ثم أضرب وانتقل من بيان السبب إلى بيان كيفية وقوع الموعود، فقال: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾؛ أي: بل تأتيهم العدة، أو النار، أو الساعة بغتة؛ أي؛ فجأة. والبغتة مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب. وهو مصدر؛ لأن البغتة نوع من الإتيان، أو حال؛ أي: باغتة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾؛ أي: تحيّرهم. والبهت الحيرة والدهشة. وقال الجوهري: بهته بهتاً أخذه بغتةً؛ أي: فتفجؤهم. قال الإمام: وإنما لم يُعلم الله وقت الموت والساعة؛ لأن المرء مع الكتمان أشدُّ حذراً

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) الفتوحات.

وأقرب إلى التدارك ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾؛ أي: ردّ النار وصرفها[1] عن وجوههم، ولا عن ظهورهم، فالضمير راجع إلى النار. وقيل: راجع إلى الوعد بتأويله بالعدة. وقيل: راجع إلى الحين بتأويله بالساعة ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾؛ أي: يمهلون ويؤخرون لتوبة واعتذار، أو ليسترحوا طرفة عين. من الإنظار بمعنى الإمهال، أو من النظر؛ أي: لا ينظر إليهم، ولا إلى تضرُّعهم.

وفيه إشارة إلى أنه لو علم أهل الإنكار[2] قبل أن يكافئهم الله تعالى على إنكارهم، نار القطيعة والحسرة والبعد والطرد، لما أقاموا على إنكارهم، ولتابوا ورجعوا إلى طلب الحق، وعلم منه أن أعظم المقاصد هو طلب الحق والوصول إليه.

والمعنى: أي[3] بل تأتيهم الساعة وهم لأمرها غير مستعدين، فتدعهم حائرين، لا يستطيعون حيلة في ردّها، ولا منصرفاً عما يأتيهم منها، ولا هم يمهلون لتوبة، ولا لتقديم معذرة، فقد فات ما فات، وأحاط بهم ما كانوا به يستهزئون.

وقرأ الأعمش[4]: ﴿بل يأتيهم﴾ بالياء ﴿بَغَتَةً﴾ بفتح الغين ﴿فيبهتهم﴾ بالياء، والضمير عائد إلى الوعد، أو الحين، قاله الزمخشري. وقال أبو الفضل الرازي: لعله جعل النار بمعنى العذاب فذكَّر، ثم ردَّ ردّها إلى ظاهر اللفظ.

ولما[5] كان استعجالهم ذلك بطريق الاستهزاء، وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى من ذلك نزل قوله: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فالجملة مسوقة لتسلية رسول الله ﷺ، وتعزيته، كأنه قال: إن استهزأ بك هؤلا، فقد فعل ذلك بمن قبلك من الرسل، على كثرة عددهم وخطر شأنهم؛ أي: وعزتي وجلالي، لقد استهزيء برسل أولي شأن خطير، وذوي عدد كثير، كائنين في زمان قبل زمانك،

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.
(٤) البحر المحيط.
(٥) زاده.

كما استهزأ بك قومك فصبروا. ففيه حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه ﴿فَحَاقَ﴾؛ أي: أحاط ونزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم﴾؛ أي: بالكفار الذين استهزؤوا من الرسل ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: العذاب الذي كانوا به يستعجلون ووضع ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ موضع ﴿يستعجلون﴾؛ لأن استعجالهم كان على وجه الاستهزاء، وهو وَعْدٌ له، بأن ما يفعلون به يحيق بهم، كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا، يعني جزاؤه.

والمعنى[1]: أي والله لقد استهزئ برسل من رسلنا، الذين أرسلناهم قبلك إلى أممهم، فنزل بالذين استهزؤوا بهم، العذاب والبلاء، الذي كانت الرسل تخوّفهم نزوله، ولن يعدوا أن يكون أمر هؤلاء المشركين كأمر أسلافهم من الأمم المكذبة لرسلها، فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم، مثل ما نزل بمن قبلهم، فانتظر لهم عاقبةً وخيمةً كعاقبة أولئك، وسيكون لك النصر عليهم، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المستهزئين على سبيل التقريع والتبكيت ﴿مَن﴾ للاستفهام التقريعي، المضمّن للإنكار ﴿يَكْلَؤُكُم﴾؛ أي: يحفظكم ويحرسكم. الكلاء الكلاءة، بكسر أولهما حفظ الشيء وتبقيته. والكالىء الذي يحفظ. وقرأ أبو جعفر والزهري وشيبة[2]: ﴿يَكْلُوكم﴾ بضمة خفيفة من غير همز. وحكى الكسائي والفرّاء ﴿يَكْلَوكم﴾ بفتح اللام وإسكان الواو.

﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: فيهما ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: من بأسه الذي يستحقون نزوله ليلاً أو نهاراً إن أراد بكم؛ أي: لا يمنعكم من عذابه إلاّ هو. وفي[3] ذكر ﴿الرحمن﴾ تنبيه على أنه لا كالىء غير رحمته العامة، وأنّ اندفاعه بمهلته وتقديم

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) روح البيان.

الليل لما أن الدواهي أكثر فيه وقوعاً، وأشدّ وقعاً؛ أي: قل يا محمد لأولئك المستهزئين بطريق التقريع والتوبيخ: من يحرسكم ويحفظكم بالليل والنهار، من بأس الرحمن وعذابه، الذي تستحقون حلوله بكم، ونزوله عليكم.

والخلاصة: من يحفظكم بالليل إذا نمتم، وبالنهار إذا تصرّفتم في أمور معايشكم، من عذاب الرحمن إن نزل بكم، ومن بأسه إذا حل بساحتكم.

﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾؛ أي: عن القرآن ومواعظه ﴿مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: لا يتأملون في شيء منها؛ أي: لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم، فضلاً عن أن يخافوا الله، ويعدّوا ما كانوا عليه من الأمن والدعة، حفظاً وكلاءةً، حتى يسألوا عن الكالىء؛ أي: دعهم عن هذا السؤال؛ لأنهم لا يصلحون له لإعراضهم عن ذكر الله تعالى.

والمعنى: أي إن هؤلاء القوم قد ألهتهم النعم عن المنعم، فلا يذكرون الله تعالى حتى يخافوا بأسه، فهم مع وجود الدلائل العقلية، والنقلية، الدالة على أنه تعالى هو الكالىء الحافظ، معرضون عنها، لا يتأملون فيها. وفي ذكر[١] «الرب» إيماء إلى أنهم خاضعون لسلطانه، وأنهم في ملكوته وتدبيره وجميل رعايته وتربيته، وهم على ذلك معرضون، فهم في الغاية القصوى من الضلال، وفي النهاية الكبرى من الجهل والغباء.

والحاصل: أن الله سبحانه، لمّا بيّن[٢] أنهم سيصيبهم لا محالة مثل ما أصاب الأولين، بيّن أن عدم إصابة ذلك لهم عاجلاً إنما هو بحفظه، حيث أمهلهم مدة بمقتضى رحمته العامة، فأمره ﷺ بأن يسألهم عن الكالىء ليقروا وينتبهوا، لكونهم في قبضة قدرته، ليكفوا عن الاستهزاء، ثم أضرب عن ذلك الأمر بقوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: دعهم يا محمد عن هذا السؤال؛ لأنهم لا يصلحون له لإعراضهم عن ذكر الله، فلا يخطرونه ببالهم حتى يخوّفوا بالله، ثم إذا رزقوا الكلأة من عذابه عرفوا أن الحافظ هو الله،

---

(١) المراغي.
(٢) زاده على البيضاوي.

وصلحوا للسؤال عنه، ثم أضرب إلى ما هو أهمّ، وهو الإنكار عليهم فيما زعموا أن لهم آلهة تنصرهم وتمنعهم من العذاب، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾ و﴿أَمْ﴾ فيه منقطعة، بمعنى همزة الإنكار، و﴿بل﴾ التي للإضراب، والانتقال من الكلام السابق، المشتمل على بيان جهلهم بحفظه سبحانه إياهم، إلى توبيخهم وتقريعهم باعتمادهم على من هو عاجز عن نفع نفسه، والدفع عنها؛ أي: بل ألهؤلاء المستعجلي عذابنا آلهة تمنعهم منا إن نحن أنزلناه بهم، وتدفع عنهم بأسنا، إن حلّ بساحتهم. وقيل[1]: فيه تقديم وتأخير، والتقدير: أم لهم آلهة من دوننا، تمنعهم من عذابنا، ومجمل ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم بأسنا إن أردنا؛ أي: ليس لهم.

ثم وصف تلك الآلهة التي اتخذوها بالضعف فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ استئناف مقرر لما قبله من الإنكار، وموضح لبطلان اعتقادهم؛ أي: أن آلهتهم لا يقدرون أن ينصروا أنفسهم، وحمايتها من الآفات، فكيف يستطيعون أن ينصروا غيرهم ممن عبدهم ﴿وَلَا هُمْ﴾؛ أي: ولا آلهتهم ﴿مِّنَّا﴾؛ أي: من عذابنا ﴿يُصْحَبُونَ﴾؛ أي: يمنعون، فكيف يمنعون غيرهم من العذاب. أو المعنى ولا يصحبون بالنصر من جهتنا[2]. قال الراغب: لا يكون لهم من جهتنا ما يصحبهم، من سكينة وروح وترفق وغير ذلك، مما يصحب أولياءنا، فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم.

والخلاصة: أنهم في غاية العجز، فكيف يتوهم فيهم ما يتوهمون من القدرة والسلطان، ويدينون لهم بالخضوع والعبادة، ثم بيّن سبحانه تفضله عليهم، مع سوء ما أتوا به من الأعمال، فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا﴾ وأنعمنا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركين في الدنيا ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ الكفار من قبلهم وأمهلناهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُۗ﴾؛ أي: طال عليهم الأجل، وامتدّ بهم الزمان في التمتع، فاغترّوا وحسبوا أنهم ما زالوا على ذلك لا يغلبون. والعمر[3]: بضم الميم وسكونها، اسم لمدة عمارة البدن

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

بالحياة. وهذه الجملة، إضراب[1] عما توهموا، من أن ما هم فيه من الحفظ من جهة أن لهم آلهة تمنعهم من تطرق البأساء إليهم، كأنه قيل: دع ما زعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم، بل ما هم فيه من الحفظ إنما هو منا، حفظناهم من البأساء، ومتّعناهم بأنواع السرّاء، لكونهم من أهل الاستدراج والانهماك فيما يؤديهم إلى العذاب.

والمعنى: أن الذي غرّهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال، أنهم متّعوا في الحياة الدنيا، ونعموا بها، وطال عليهم العمر، حتى اعتقدوا أنهم على شيء، وقصارى ذلك: أنهم طالت أعمارهم وهم في الغفلة، فنسوا عهدنا، وجهلوا مواقع نعمتنا فاغتروا بذلك، ولم يعرفوا مواضع الشكر.

ثم بيّن لهم سوء مغبّتهم فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ الهمزة فيه للاستفهام التوبيخي، داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألا ينظر ولا يتدبر هؤلاء المشركون بالله، المستعجلون بالعذاب فلا يرون ﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: نأخذ أرض الكفرة، التي هي دار الحرب حالة كوننا ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ ونواحيها؛ أي: ننقصها من أرض الكفرة واحدة بعد واحدة، وبلدة بعد بلدة، بتسليط المؤمنين عليها من أطرافها، ونفتح البلاد والقرى مما حول مكة لمحمد ﷺ، وأصحابه، ونميت رؤساء المشركين المتمتعين بالدنيا، وننقص من الشرك بإهلاك أهله، فكيف يتوهمون أنهم ناجون من بأسنا، والهمزة في قوله: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أبعد نقصان أرضهم من أطرافها هم طامعون في النجاة من بأسنا، فهم الغالبون على محمد وأصحابه؛ أي: لا يطمعوا في ذلك فهم المغلوبون، والله ورسوله والمؤمنون هم الغالبون.

وهذا تمثيل وتصوير لما يخرّبه الله من ديارهم على أيدي المسلمين، ويضيفه إلى دار الإسلام، وذلك أن الله لا يأتي، بل العساكر تغزو أرض الكفرة، وتأتي غالبة عليها ناقصة من نواحيها. والمعنى؛ أي: أفلا يرى هؤلاء المشركون

---

(١) روح البيان.
(٢) زاده.

بالله، المستعجلون للعذاب، آثار قدرتنا في إتيان الأرض ناقصة من جوانبها، ففتحناها للمؤمنين، وزدناها في ملكهم، واقتطعناها من أيدي المشركين، فقد تم لهم فتح البلاد التي حوالي مكة، وقتل رؤسائها، وإزالة دولة الشرك وأهله منها، ألا يتفكرون في هذا، فيكون لهم فيه مزدجر لو كانوا يعقلون.

والخلاصة: ألا يعتبرون ويحذروا أن ينزل بهم بأسنا، كما أنزلناه بسواهم، ثم وبّخهم، وأنّبهم على غفلتهم عن الحق بعد وضوحه فقال: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾؛ أي: أفهم الغالبون أم نحن؛ أي: فبعد ظهور ما ذكر، ورؤيتهم إياه يتوهمون غلبتهم.

وبعد أن بيّن هول ما يستعجلون، وحالهم السيئة حين نزوله بهم، ثم نعى عليهم جهلهم، وإعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل وحوادث النهار، أمر رسوله أن يقول لهم: إن ما أخبركم به جاء به الوحي الصادق، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المستعجلين عذابنا ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم﴾ وأخوفكم وأحذركم ما تستعجلونه من الساعة وشديد أهوالها ﴿بِٱلْوَحْىِ﴾ الصادق والقرآن الناطق بحصوله، وفظاعة أهواله، وقد أمرني ربي بذلك، وها أنا ذا قد قمت بما أمرني به، فإن لم تجيبوا داعي الله، وتقبلوا ما دعوتكم إليه فعليكم النكال والوبال، لا عليّ.

ثم أردف هذا ببيان أن الإنذار مع مثل هؤلاء لا يجدي فتيلاً، فما حالهم إلاّ حال الصمّ الذين لا يسمعون دعوة الداعي، فقال: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ جمع الأصمّ. والصمم فقدان حاسة السمع ﴿ٱلدُّعَآءَ﴾ إلى الإيمان ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾؛ أي: يخوفون من عذاب الله سبحانه.

والمعنى: أن من أصمّ الله سمعه، وختم على قلبه، وجعل على بصره غشاوة لا يسمع الدعاء. شبّهوا بالصُمّ[1]، وهم صحاح الحواس؛ لأنهم إذا سمعوا ما ينذرون به من آيات الله، لا تعيه آذانهم، وكان سماعهم كلا سماع، فكانت حالهم

---

(١) روح البيان.

لانتفاء جدوى السماع، كحال الذين عدموا صحيح السماع، وينعق بهم، فلا يسمعون. وتقييد نفي السماع به، مع أن الصُمَّ لا يسمعون الكلام إنذاراً كان، أو تبشيراً، لبيان كمال شدة الصمم، كما أنَّ إيثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك، فإن الإنذار عادةً يكون بأصوات عالية، مكررة مقارنة لهيئةٍ دالةٍ عليه، فإذا لم يسمعوها، يكون صممهم في غايةٍ من تتمة الكلام ورائها، وهذا من تتمة الكلام الملقن، ويجوز أن يكون من جهته تعالى، كأنه قيل: قل لهم ذلك وأنت بمعزل من إسماعهم.

والمعنى(١): أي فما مثلهم إذ لم ينتفعوا بما سمعوا من الإنذار، على كثرته وتتابعه، إلاَّ مثل الصم، الذين لا يسمعون شيئاً، إذ ليس الغرض من الإنذار السماع فحسب، بل العمل بما يسمع بالإقدام على فعل الواجب، والتحرّز من المحرم ومعرفة الحق، فإذا لم يحصل شيء من هذا، فلا جدوى في السمع، وكأن لم يكن.

والخلاصة: أن الكافر بالله لا يوجِّه همَّه إلى العظة بما في كتابه، من المواعظ، حتى يقلع عما هو عليه مقيمٌ من الضلال، بل يعرض عن التفكر فيها فعل الأصم، الذي لا يسمع ما يقال له حتى يعمل به.

وقرأ الجمهور(٢): ﴿يَسْمَعُ﴾ بفتح الياء والميم، الصُمُّ رفع به، والدعاء نصب. وقرأ ابن عامر وأحمد بن جبير عن أبي عمرو وابن الصلت عن حفص بالتاء من فوق مضمومة، وكسر الميم، ﴿الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ بنصبهما، والفاعل ضمير المخاطب، وهو الرسول ﷺ. وكذا قرأه أبو حيوة ويحيى بن الحارث. وقرأ ابن يعمر والحسن كذلك إلاّ أنه بالياء من تحت؛ أي: ولا يسمع الرسول، وعنهما أيضاً. ولا يسمع مبنياً للمفعول. الصم رفع به، ذكره ابن خالويه، وكذا قرأه أبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن السميقع. وقرأ أحمد بن جبير الأنطاكي عن اليزيدي عن أبي عمرو ﴿يُسْمِعِ﴾ بضم الياء وكسر الميم، ﴿الصمَّ﴾ نصباً،

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

﴿الدعاءُ﴾ رفعا بـ ﴿يُسْمِعُ﴾، أسند الفعل إلى الدعاء اتساعاً والمفعول الثاني محذوف، كأنه قيل: ولا يسمع النداء الصم شيئاً.

ثُمَّ بيَّن سرعة تأثرهم من العذاب حين مجيئه، إثر بيان عدم تأثرهم به حين مجيء خبره فقال: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي، لئن أصابتهم ﴿نَفْحَةٌ﴾؛ أي: قطع ودفعة، أو فوحة وشمةٌ، أو شيء قليل ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾ من غاية الاضطراب وشدة الحيرة ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ ويا هلاكنا احضر إلينا، فهذا أوانك ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أنفسنا، بكفرنا بالله تعالى وتكذيبنا رسوله ﷺ؛ أي: ليدعون على أنفسهم بالويل والهلاك، ويعترفون عليها بالظلم حين تصامّوا وأعرضوا عن الحق.

والمعنى: أي[1] ولئن أصاب هؤلاء المستعجلين للعذاب، أدنى قسط من عقاب ربك بكفرهم به، وتكذيبهم برسوله.. ليقولون إنا كنا ظالمين لأنفسنا، بعبادتنا الآلهة والأنداد، وتركنا عبادة الذي برأنا وأنعم علينا، وجحودنا لما يجب علينا من الشكر له، بالإخلاص في عبادته.

والخلاصة: أنهم يوم القيامة، حين يمسَّهم العذاب، يدعون على أنفسهم بالويل والثبور وعظائم الأمور، ويقولون: هلاكاً لنا، إنا ظلمنا أنفسنا بكفرنا بمن خلقنا، وخضوعنا لمن لا يضرُّ ولا ينفع، ويندمون على ما فُرّط منهم، ولات ساعة مندم.

ثم بيَّن الأحداث، التي ستقع حين يأتي ما أنذروا به، فقال: ونضع الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الأعمال، ونحضرها لأجل جزاء يوم القيمة، فاللام للتعليل. وقيل: بمعنى في؛ أي: في يوم القيامة، أو توزن الأعمال باعتبار التجوهر والتجسم. وهذا قول أئمة السلف. وقال مجاهد وقتادة والضحاك: المراد من الوزن العدل بينهم، فلا يظلم عباده مثقال ذرة فمن أحاطت حسناته بسيئاته، ثقلت موازينه؛ أي: ذهبت حسناته بسيئاته، ومن أحاطت سيئاته

---

(١) المراغي.

بحسناته خفت موازينه؛ أي: ذهبت سيئاته بحسناته. وقرىء القسط بالصاد والطاء.

والموازين[1]: جمع ميزان، قال الراغب: والوزن معرفة قدر الشيء، وجمع الموازين باعتبار تعدد الأعمال، أو لأن لكل شخص ميزاناً. وأفرد القسط؛ لأنه مصدر وصف به مبالغة كرجل عدل. قال الإمام[2]: وصف الموازين بالقسط؛ لأنها قد لا تكون مستقيمة. وقال الراغب: وذكر الموازين في بعض المواضع بلفظ الواحد، اعتباراً بالمحاسبة، وفي بعضها بلفظ الجمع اعتباراً بالمحاسبين، انتهى. وفي «الفتوحات»: وصف الموازين بذلك؛ لأن الميزان قد يكون مستقيماً، وقد يكون غير مستقيم، فبيَّن الله تعالى أن تلك الموازين تجري على حد العدل، ومعنى وضعها: إحضارها اهـ «خازن» ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾ من النفوس عاصيةً كانت أو مطيعةً ﴿شَيْئًا﴾ من الظلم، بل يوفى كل ذي حق حقه، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر، على أن يكون مفعولا مطلقاً، فلا ينقص ثوابها الذي تستحقه، ولا يزاد عذابها الذي كان لها، على قدر ما دست به نفسها من سيء الأعمال، أو لا تنقص حقاً من حقوقها على أن يكون مفعولاً ثانياً لـ ﴿تظلم﴾، لأنه بمعنى تنقص، وتنقص يتعدى إلى مفعولين، يقال: نقصه حقه.

﴿وَإِن كَانَ﴾؛ أي: العمل المدلول عليه بوضع الموازين ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾؛ أي: وزن حبة كائنة ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ والمثقال ما يوزن به من الثقل؛ أي: مقدار حبة كائنة من خردل؛ أي: وإن كان في غاية القلة والحقارة، فإن حبة الخردل مثل في الصغر، والخردل حبُّ شجرٍ مسخن ملطف، جاذب قالع للبلغم، ملين هاضم، نافع طلاؤه للنقرس والنسا والبرص، ودخانه يطرد الحيات، وماؤه يسكن وجع الأسنان تقطيراً، ومسحوقه على الضرس الوجع غاية «قاموس» ﴿أَتَيْنَا﴾ بقصر الهمزة من الإتيان، والباء في قوله ﴿بِهَا﴾ للتعدية؛ أي: أحضرنا ذلك العمل المعبَّر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن، والتأنيث لإضافته إلى الحبّة.

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

أي[1]: وإن كان العمل الذي فعلته النفس صغيراً، مقدار حبة الخردل جازينا عليه جزاءً وفاقاً، سيئاً كان أو حسناً ﴿وَكَفَىٰ بِنَا﴾ حالة كوننا ﴿حَٰسِبِينَ﴾؛ أي: محصين وعادّين لأعمال عبادنا. والحسب في الأصل، معناه: العدّ؛ لأنه من حسب المال إذا عدّه. وقيل: كفى بنا عالمين؛ لأنه من حسب شيئاً علمه وحفظه. وقيل: كفى بنا مجازين على ما قدّموه من خير أو شر، إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا. والباء زائدة، و﴿نا﴾ فاعل، و﴿حَٰسِبِينَ﴾ حال منه. والمعنى أي: وحسب من شهدوا ذلك الموقف بنا حاسبين لأعمالهم، محصين لها؛ لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم، وما سلف منهم في الدنيا، من صالح أو سيء منها. ولا يخفى ما في الآية من التحذير وشديد الوعيد للكافرين، على ما فرطوا في جنب الله، فإن المحاسب إذا كان عليماً بكل شيء، ولا يعجز عن شيء.. كان جديراً بالعاقل أن يكون في حذر وخوف منه.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿مِثْقَالَ﴾ بالنصب، خبر ﴿كَانَ﴾. وقرأ زيد بن علي وأبو جعفر وشيبة ونافع: ﴿مثقالُ﴾ بالرفع الى الفاعلية، و﴿كَانَ﴾ تامة. وقرأ الجمهور: ﴿أَتَيْنَا﴾ بالقصر، من الإتيان؛ أي: جئنا بها. وقرأ أبي ﴿جِئْنا﴾ كأنه تفسيرٌ لـ ﴿أتَيْنا﴾. وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن جبير وابن أبي إسحاق والعلاء بن سَيابة وجعفر بن محمد وابن شريح الأصبهاني ﴿آتينا﴾ بمدة على وزن «فاعلنا» من المواتاة، وهي المجازاة والمكافأة، فمعناه: جازينا بها، ولذلك تعدى بحرف الجر، ولو كان على (أفعلنا) من الإيتاء بالمد، على ما توهمه بعضهم لتعدَّى مطلقاً دون جار، قاله أبو الفضل الرازي.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد أعطينا موسى وأخاه هارون الفرقان؛ أي: كتاباً[3] جامعا بين كونه

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) روح البيان.

فرقاناً بين الحق والباطل، وكونه ضياءً ونورا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية، وكونه ذكراً، وعظةً، يتعظ بها من يتعظ، ويتذكر بها ما يجب لله من اعتقاد وعمل، وينبغي سلوكه من أدب وفضيلة، فالمراد بجمع هذه الصفات واحدٌ، وهو التوراة، وتخصيص المتقين بالذكر؛ لأنهم المستضيؤون.

والخلاصة[1]: لقد آتيناهما كتاباً جامعاً لأوصافٍ كلها مدحٌ وفخار، ثم ذكر أوصاف المتقين، فقال:

١ - ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ مجرور المحل، على أنه صفة مادحة للمتقين؛ أي: الذين يخافون عذابه، وهو غائب عنهم، غير مرئي لهم ومشاهد، فيعملون له تعالى. ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالإنذار ما لم يشاهدوا ما أنذروه من العذاب، فقوله: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ إما حال من المفعول؛ أي: حالة كونه غائباً عنهم، أو من الفاعل؛ أي: يخشون عذاب ربهم، حال كونهم في الخلوات منفردين عن الناس، فخشيتهم من عقاب الله لازم لقلوبهم، لا أنَّ ذلك مما يظهرونه في الملأ.

٢ - ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: من عذاب يوم القيامة، وسائر أحوالها، من الحساب والميزان ﴿مُشْفِقُونَ﴾؛ أي: خائفون وجلون، فيعدلون بسبب ذلك الخوف عن معصية الله تعالى. والساعة[2]: اسم لوقتٍ تقوم فيه القيامة، سمّي بها لأنها ساعة خفية، يحدث فيها أمر عظيم، وسُمّيت الساعة ساعة، لسعيها إلى جانب الوقوع ومسافته الأنفاس، وقال الراغب: الساعة جزء من أجزاء الزمان، ويعبَّر بها عن القيامة، وسُمّيت القيامة بذلك لسرعة حسابها، وتخصيص إشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الإطلاق، للإيذان بكونها معظم المخوفات، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

وبعد أن ذكر فرقان موسى، وكان العرب يشاهدون تمسك اليهود به، حثَّهم على التمسك بالكتاب الذي نزّله على رسوله ﷺ، فقال: ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن الكريم الذي أنزلناه على محمد ﷺ، أشار إليه بإشارة القريب إيذاناً بغاية وضوح أمره ﴿ذِكْرٌ﴾ يتذكر به من تذكر، وموعظة لمن اتعظ بها ﴿مُّبَارَكٌ﴾؛ أي: كثير الخير والنفع لمن اتبع أوامره، وانتهى بنواهيه ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ على محمد ﷺ، صفة ثانية لذكر، أو خبر آخر. وبعد أن أبان صفة هذا الكتاب، وبَّخهم على إنكارهم له، فقال: ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ الهمزة فيه للاستفهام الإنكاري، إنكار[1] لإنكارهم له، بعد ظهور كون إنزاله من الله كإيتاء التوراة، داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أبعد أن علمتم، أن شأنه كشأن التوراة، في الإيتاء والإيحاء، فأنتم منكرون لكونه منزلاً من عندنا، فإن ذلك بعد ملاحظة حال التوراة، مما لا مساغ له أصلاً.

أي[2]: فبعد أن استبان لكم جليل خطره، وعظيم أمره تنكرون وتقولون: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

وقد يكون المعنى: كيف تنكرون كونه منزلاً من عند الله تعالى، وأنتم من أهل اللسان، تدركون مزايا الكلام ولطائفه، وتفهمون من بلاغة القرآن ما لا يدركه غيركم، وفيه شرفكم وصيتكم.

وخلاصة ذلك: أفبعد أن علمتم أن شأنه كشأن التوراة، تنكرون أنه منزل من عند الله، فهذا ما لا يستسيغه عقل راجح، ولا فكر رصين، فمثل هذا في غاية الوضوح والجلاء.

الإعراب

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

﴿ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف. ﴿لم﴾ حرف نفي وجزم. ﴿يَرَ ٱلَّذِينَ﴾ فعل وفاعل مجزوم بـ ﴿لم﴾، والجملة الفعلية معطوفة على تلك المحذوفة، والتقدير: ألم يتفكر الذين كفروا، ولم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً. والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿كَفَرُوٓاْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: ناصب واسمه. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ معطوف على﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿كَانَتَا﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿رَتْقًا﴾ خبره، وجملة ﴿كَانَتَا﴾ في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ من اسمها وخبرها في تأويل مصدر سادّ مسدّ مفعولي ير. ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، معطوف على ﴿كَانَتَا﴾. ﴿وَجَعَلْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَنَّ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾: جار ومجرور، متعلق بـ ﴿جعلنا﴾ إن كان ﴿جعل﴾ بمعنى خلق أو حال من ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مفعول به لـ ﴿جعل﴾ ويحتمل كونه بمعنى: صيّر، فيكون ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾: في محل المفعول الثاني، و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مفعول أول. ﴿حَيٍّ﴾ صفة لـ ﴿شَيْءٍ﴾. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف ﴿لا﴾ نافية: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل، معطوف على ذلك المحذوف، والتقدير: ألا يتدبرون هذه الأدلة، فلا يؤمنون بتوحيدي، والجملة المحذوفة، جملة إنشائية، لا محل لها من الإعراب.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل، معطوف على ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إما مفعول ثان. ﴿رَوَٰسِيَ﴾ هو المفعول الأول، وإما متعلق بـ ﴿جعلنا﴾، أو بمحذوف حال، و﴿رَوَٰسِيَ﴾ مفعول به. ﴿أَن﴾ حرف نصب ومصدر. ﴿تَمِيدَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿أن﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلْأَرْضِ﴾. ﴿بِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَمِيدَ﴾، والجملة الفعلية مع ﴿أن﴾ المصدرية في تأويل

مصدر، مجرور بإضافة المصدر، المقدّر المنصوب، على كونه مفعولاً لأجله، والتقدير: وجعلنا في الأرض رواسي، كراهية ميدها بهم. ﴿وَجَعَلْنَا﴾ فعل وفاعل، معطوف على ﴿جعلنا﴾ الأول. ﴿فِيهَا﴾: هو المفعول الثاني، أو متعلق بـ﴿جعلنا﴾. ﴿فِجَاجًا﴾ حال من ﴿سُبُلًا﴾؛ لأنه كان صفة لـ ﴿سُبُلًا﴾، فقدّم عليه. ﴿سُبُلًا﴾ مفعول أول، أو مفعول به. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ ناصب واسمه، وجملة ﴿يَهْتَدُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿لعل﴾: في محل الجرّ بلام التعليل، المقدرة، تقديره: لاهتدائهم إلى مصالحهم ومقاصدهم.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾: فعل وفاعل ومفعولان. ﴿مَّحْفُوظًا﴾ صفة ﴿سَقْفًا﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿جعلنا﴾ الأول. ﴿وَهُمْ﴾ مبتدأ. ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ متعلق بـ ﴿مُعْرِضُونَ﴾، و﴿مُعْرِضُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب، حال من ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾، ولكنها حالة سببية، والرابط ضمير ﴿ءَايَٰتِهَا﴾، أو الجملة مستأنفة. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة، أو معطوفة على جملة ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿خَلَقَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿ٱلَّيْلَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: معطوفات على الليل. ﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ، وسوّغ الابتداء بالنكرة لما فيه من معنى العموم. ﴿فِى فَلَكٍ﴾ جار ومجرور، متعلق بـ ﴿يَسْبَحُونَ﴾، وجملة ﴿يَسْبَحُونَ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب، حال من الشمس والقمر والنجوم، المقدّرة لدلالة السياق عليها، وإنما جعل الضمير واو العقلاء لوصفه إياها بفعل العقلاء، الذي هو السباحة، وتقدم نظيره في قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾.

فائدة: ذهب سيبويه والجمهور، إلى القول[1]: بأن لفظي كل وبعض،

---

(١) إعراب القرآن.

معرفتان بنية الإضافة، ولذلك يأتي الحال منهما في نحو قولهم: مررت بكل قائماً، وببعض جالساً، وأصل صاحب الحال التعريف. وذهب الفارسي: إلى أنهما نكرتان، وألزم من قال بتعريفهما أن يقول: إن نصفاً وسدساً وثلثاً وربعاً ونحوها، معارف؛ لأنها في المعنى مضافات، وهي نكرات بإجماع. وردّ بأن العرب، تحذف المضاف وتريده، وقد لا تريده، ودل مجيء الحال بعد كل وبعض على إرادته. بقي هنا سؤال واحد، وهو: لم أتى بصيغة الجمع في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ مع أن مرجع الضمير اثنان فقط، وهو الشمس والقمر؟ والجواب: أن الضمير عائد عليهما مع الليل والنهار، وذلك لأن الليل والنهار يسبحان أيضاً؛ لأن الليل ظل الأرض، وهو يدور على محيط كرة الأرض، على حسب دوران الأرض، وكذلك النهار يدور أيضاً؛ لأنه يخلف الليل في المحيط.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿ما﴾: نافية. ﴿جَعَلْنَا﴾ فعل وفاعل. ﴿لِبَشَرٍ﴾ جار ومجرور في محل نصب، مفعول ثان. و﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ صفة ﴿لِبَشَرٍ﴾ ﴿ٱلْخُلْدَ﴾: مفعول ﴿جَعَلْنَا﴾ الأول، والجملة الفعلية مستأنفة، مسوقة لتقرير عدم خلود البشر. ﴿أَفَإِيْن﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف. ﴿إن﴾ حرف شرط جازم. ﴿مِّتَّ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ ﴿إن﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها. ﴿فَهُمُ﴾ (الفاء): رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً. ﴿هم الخالدون﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل الجزم بـ ﴿إن﴾ الشرطية، على كونها جواباً لها، وهي على نية التقديم؛ لأن أصل الكلام: أفهم الخالدون إن متّ، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معطوفة على الجملة المحذوفة، والتقدير: أيبقى هؤلاء المشركون حتى يشمتوا بموته، فإن مت يا محمد، فهم الخالدون في الدنيا بعدك، كما مر في مبحث التفسير، والجملة المحذوفة، جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿كُلُّ

﴿نَفۡسٍ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. ﴿ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ خبر ومضاف إليه، والجملة مستأنفة، مسوقة للاستدلال على عدم الخلود، فلا مجال للشماتة فيه. ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾ الواو: استئنافية ﴿نبلوكم﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ متعلق به، ﴿وَٱلۡخَيۡرِ﴾ معطوف على الشر؛ أي: نختبركم بما يجب فيه الصبر، وبما يجب فيه الشكر. ﴿فِتۡنَةٗۖ﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿نبلوكم﴾ من غير لفظه، منصوب على المفعولية المطلقة؛ لأن الابتلاء فتنة، فكأنه قيل: نفتنكم فتنة، ويجوز أن يعرب مفعولاً من أجله، أو نصباً على الحال، من فاعل ﴿نبلوكم﴾؛ أي: فاتنين لكم. ﴿وَإِلَيۡنَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُرۡجَعُونَ﴾. ﴿تُرۡجَعُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿نبلوكم﴾، أو في محل النصب على الحال من مفعول ﴿نبلوكم﴾.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾.

﴿وَإِذَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿رَءَاكَ﴾ فعل ومفعول به لأن رأى بصرية. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعل، وجملة ﴿كَفَرُوٓاْ﴾ صلة الموصول، وجملة ﴿رَءَاكَ﴾ في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إذا﴾ على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿إِن﴾: نافية. ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، مرفوع بالنون. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿هُزُوًا﴾ مفعول ثان لـ ﴿اتخذ﴾، والجملة الفعلية جواب إذا، لا محل لها من الإعراب، وجملة إذا مستأنفة.

فائدة في جواب إذا: تخالف إذا أدوات الشرط جميعاً، فإن أدوات الشرط، متى أجيبت بأن النافية، أو بما النافية.. وجب الإتيان بالفاء، كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى أيضاً: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾، انتهت.

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿أَهَٰذَا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام السخري التعجبي. ﴿هذا﴾ مبتدأ

﴿ٱلَّذِي﴾: خبر. ﴿يَذْكُرُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الموصول، ﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه، والجملة صلة الموصول، والجملة الاسمية في محل النصب، مقول لقول محذوف، تقديره: حالة كونهم قائلين: أهذا الذي يذكر آلهتكم. ﴿وَهُم﴾ مبتدأ. ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ جار ومجرور ومضاف متعلق بـ ﴿كَٰفِرُونَ﴾. ﴿هُمْ﴾ تأكيد لضمير المبتدأ. ﴿كَٰفِرُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب. حال من فاعل يتخذونك، أو من فاعل القول المقدر. ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ فعل ونائب فاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿يخلق﴾، أو حال من الإنسان. ﴿سَأُورِيكُمْ﴾: السين حرف استقبال. ﴿أريكم﴾ فعل مضارع، وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿ءَايَٰتِي﴾ مفعول ثان؛ لأنه من رأى البصرية فتعدّى بالهمزة إلى مفعولين، والجملة الفعلية مستأنفة، مسوقة لتأكيد العجلة، وعاقبتها التي هي رؤية العذاب. ﴿فَلَا﴾: الفاء عاطفة. ﴿لا﴾ ناهية جازمة. ﴿تَسْتَعْجِلُونِ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة، اجتزاء عنها بكسر نون الوقاية، رعاية للفاصلة، في محل النصب مفعول به، والجملة معطوفة على جملة أريكم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وَيَقُولُونَ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿يقولون﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مسوقة، لإيراد نمط من استعجالهم المذموم. ﴿مَتَىٰ﴾ اسم استفهام، للاستفهام الاستخباري، في محل النصب على الظرفية الزمانية، متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْوَعْدُ﴾ بدل منه، والتقدير: هذا الوعد كائن متى، أو بفعل محذوف يقع خبر المبتدأ، تقديره: هذا الوعد متى يجيء، أو في محل الرفع خبر مقدم، وهذا هو المشهور، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ليقولون. ﴿إِن﴾ حرف شرط. ﴿كُنتُمْ﴾ فعل ناقص، واسمه في محل الجزم بأن الشرطية. ﴿صَٰدِقِينَ﴾ خبره. وجواب إن الشرطية معلوم مما قبله، تقديره: إن كنتم صادقين فمتى هو، وجملة إن الشرطية في محل النصب

مقول القول.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿لَوْ﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية فعل شرط لـ ﴿لَوْ﴾. ﴿كَفَرُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. وعلم هنا بمعنى: عرف، يتعدى لمفعول واحد، تقديره: لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعود، الذي سألوا عنه واستبطأوه ﴿حِينَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية، متعلق بالمفعول المحذوف، الذي هو مجيء، أو مفعول به لـ ﴿يَعْلَمُ﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَكُفُّونَ﴾ فعل وفاعل: ﴿عَن وُجُوهِهِمُ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿يَكُفُّونَ﴾. ﴿ٱلنَّارَ﴾ مفعول به. ﴿وَلَا﴾ الواو عاطفة، ﴿لَا﴾ زائدة، زيدت لتأكيد نفي ما قبلها. ﴿عَن ظُهُورِهِمْ﴾: جار ومجرور، معطوف على الجار والمجرور في قوله: ﴿عَن وُجُوهِهِمُ﴾. ﴿وَلَا﴾ الواو: عاطفة. ﴿لا﴾ نافية ﴿هُمْ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يُنصَرُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل الجر، معطوفة على جملة ﴿لَا يَكُفُّونَ﴾ على كونها مضافاً إليه لـ ﴿حِينَ﴾، وجواب ﴿لَوْ﴾ الشرطية محذوف، تقديره: لو يعلم الذين كفروا مجيء العذاب الموعود لهم، حين لا يقدرون على كف النار ودفعها عن وجوههم، ولا عن ظهورهم، ولا يقدرون على نصر أنفسهم لمَّا استمروا على الكفر، واستعجلوا بالعذاب، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية مستأنفة ﴿بَلْ﴾ حرف إضراب وابتداء، ﴿تَأْتِيهِم﴾ فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على النار والجملة مستأنفة. ﴿بَغْتَةً﴾ حال من فاعل تأتيهم، ولكنه بتأويله بمتشق، أي: حالة كونها باغتة فاجئة، أو مفعول مطلق؛ لأن البغتة نوع من الإتيان. ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ الفاء: عاطفة ﴿تبهتهم﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على النار، والجملة معطوفة على جملة تأتيهم. ﴿فَلَا﴾ الفاء عاطفة. ﴿لا﴾ نافية. ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿تبهتهم﴾. ﴿رَدَّهَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿وَلَا﴾ الواو: عاطفة. ﴿لا﴾ نافية. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يُنظَرُونَ﴾ خبره، والجملة

الاسمية معطوفة على جملة ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿وَلَقَدِ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾ موطئة للقسم و﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿ٱسْتُهْزِئَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿بِرُسُلٍ﴾ جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل. ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ٱسْتُهْزِئَ﴾، والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم مستأنفة. ﴿فَحَاقَ﴾ الفاء: عاطفة. ﴿حاق﴾ فعل ماض. ﴿بِٱلَّذِينَ﴾ متعلق به. ﴿سَخِرُوا۟﴾ فعل وفعل صلة الموصول. ﴿مِنْهُم﴾ حال من فاعل ﴿سَخِرُوا۟﴾، أو متعلق به. ﴿مَّا﴾ اسم موصول في محل الرفع فاعل حاق. ﴿كَانُوا۟﴾ فعل ناقص واسمه. ﴿بِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾، وجملة ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ خبر كانوا، وجملة ﴿كَانُوا۟﴾ صلة الموصول، وجملة ﴿حاق﴾ معطوفة على جملة ﴿ٱسْتُهْزِئَ﴾ على كونها جواب القسم.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿مَن﴾: اسم استفهام للاستفهام الإنكاري في محل الرفع مبتدأ، وجملة ﴿يَكْلَؤُكُم﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل النصب مقول قل. ﴿بِٱلَّيْلِ﴾ متعلق بـ﴿يَكْلَؤُكُم﴾. ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾ معطوف على الليل. ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ متعلق بـ ﴿يَكْلَؤُكُم﴾ أيضاً. ﴿بَلْ﴾ حرف إضراب وابتداء. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿مُّعْرِضُونَ﴾. ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة، مسوقة للإضراب عما تضمنه الكلام من النفي، والتقدير: ليس لهم كالىء، ولا مانع غير الرحمن، مع أنهم لا يخطرونه في بالهم، فضلاً عن أن يخافوا بأسه وعذابه. ﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى بل الإضرابية، وهمزة الاستفهام الإنكاري، والتقدير: بل ألهم آلهة. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور خبر مقدم. ﴿ءَالِهَةٌ﴾

مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿تَمْنَعُهُم﴾ فعل ومفعول وفاعل مستتر، والجملة في محل الرفع صفة لـ ﴿ءَالِهَةٌ﴾. ﴿مِّن دُونِنَآ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه. صفة ثانية لـ ﴿ءَالِهَةٌ﴾. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿وَلَآ﴾ الواو: عاطفة. ﴿لَآ﴾ نافية. ﴿هُم﴾ مبتدأ. ﴿مِّنَّا﴾ متعلق بـ ﴿يُصْحَبُونَ﴾. ﴿يُصْحَبُونَ﴾ فعل ونائب فاعل، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب وابتداء. ﴿مَتَّعْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ في محل النصب مفعول به. ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾: معطوف على ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿حَتَّىٰ﴾ حرف جر وغاية. ﴿طَالَ﴾: فعل ماض في محل النصب بأن مضمرة. ﴿عَلَيْهِمُ﴾ متعلق به. ﴿ٱلْعُمُرُ﴾ فاعل، والجملة الفعلية، في تأويل مصدر، مجرور بـ ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى تقديره: إلى طول العمر. ﴿عَلَيْهِمُ﴾ الجار والمجرور، متعلق بمحذوف، تقديره: بل متعنا هؤلاء وآبائهم، وأمهلناهم إلى طول العمر بهم. ﴿أَفَلَا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي، داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿لا﴾ نافية. ﴿يَرَوْنَ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، والتقدير: ألا يتدبر هؤلاء المشركون، المستعجلون بالعذاب فلا يرون. والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿أَنَّا﴾ ناصب واسمه. ﴿نَأْتِي ٱلْأَرْضَ﴾ فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر أن، وجملة ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر، سادّ مسدّ مفعولي ﴿يَرَوْنَ﴾؛ لأن الرؤية هنا علمية، ويجوز أن تكون بصرية. ﴿نَنقُصُهَا﴾ فعل ومفعول وفاعل مستتر يعود على الله تقديره: نحن. ﴿مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ متعلق بـ ﴿ننقص﴾ في محل النصب حال من فاعل ﴿نَأْتِي﴾، أو من مفعوله؛ أي: نفتحها أرضاً بعد أرض، بما ينقص من أطراف المشركين، ويزيد في أطراف المؤمنين.

﴿أفَهُمُ﴾ الهمزة للاتسفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أبعد نقصان أرضهم من أطرافها، هم طامعون في النجاة من بأسنا، فهم الغالبون. ﴿هم الغالبون﴾ مبتدأ وخبر والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، والجملة المحذوفة مستأنفة.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّمَآ﴾ أداة حصر. ﴿أُنذِرُكُم﴾ فعل مضارع ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿بِٱلْوَحْىِ﴾ متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿وَلَا﴾ الواو عاطفة. ﴿لا﴾ نافية. ﴿يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، مجرّد عن معنى الشرط ﴿ما﴾ زائدة ﴿يُنذَرُونَ﴾ فعل ونائب فاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذَا﴾، والظرف متعلق بـ ﴿يَسْمَعُ﴾. ﴿وَلَئِن﴾ الواو: استئنافية، واللام موطئة للقسم. ﴿إن﴾ حرف شرط. ﴿مَّسَّتْهُمْ﴾: فعل ومفعول في محل الجزم بـ ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿نَفْحَةٌ﴾: فاعل. ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه صفة لـ ﴿نَفْحَةٌ﴾، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف لدلالة جواب القسم عليه، والتقدير: وإن مستهم نفحة من عذاب ربك، يقولون: يا ويلنا إلخ، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معترضة بين القسم وجوابه. ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام، موطئة للقسم، مؤكدة للأولى. ﴿يقولن﴾ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة، لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين، فاعل، والنون للتوكيد والجملة جواب القسم، وجملة القسم مستأنفة. ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ ﴿يا﴾ حرف نداء. ﴿ويلنا﴾ منادي مضاف. نادى الويل ليحضر فيتعجب منه؛ لأن الوقت أوانه. ويحتمل أن تكون الياء للتنبيه. ﴿ويلنا﴾: منصوب بفعل محذوف وجوباً تقديره: ألزمنا الله ويلنا، وجملة النداء، أو الفعل المحذوف، في محل النصب مقول القول. والويل الهلاك، أو كلمة تقال لمن وقع في هلكة.

﴿إِنَّا﴾ ناصب واسمه. ﴿كُنَّا﴾ فعل ناقص واسمه. ﴿ظَٰلِمِينَ﴾: خبره، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول لـ ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ على كونها جواب النداء.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿نضع الموازين﴾ فعل مضارع ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ صفة لـ ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾، وقد وصفت بنفس المصدر مبالغة. ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿نضع﴾، واللام فيه بمعنى في ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع. ﴿لا﴾ نافية. ﴿تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾: فعل مغير ونائب فاعل. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول مطلق، أو مفعول به ثان لـ ﴿تُظْلَمُ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿نضع﴾ ﴿وَإِن﴾ الواو استئنافية. ﴿إن﴾ حرف شرط. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص في محل الجزم بـ ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها، واسمها ضمير مستتر تقديره: هو يعود على العمل. ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ ومضاف إليه. ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ صفة لـ﴿حَبَّةٍ﴾. ﴿أَتَيْنَا﴾ فعل وفاعل في محل الجزم بـ ﴿إن﴾ على كونه جواب شرط لها. ﴿بِهَا﴾ متعلق بـ ﴿أَتَيْنَا﴾. وأنث ضمير المثقال؛ لأنه أضيف إلى الحبة، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿وَكَفَىٰ﴾ الواو عاطفة. ﴿كفى﴾ فعل ماض. ﴿بِنَا﴾ فاعل، والباء: زائدة. ﴿حَٰسِبِينَ﴾ تمييز لفاعل كفى، أو حال منه، والجملة معطوفة على جملة إن الشرطية. ﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، واللام: موطئة للقسم. ﴿قد﴾ حرف تحقيق. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مُوسَىٰ﴾ مفعول أول. ﴿وَهَٰرُونَ﴾ معطوف عليه. ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ معفول ثان لأن آتى بمعنى أعطى. ﴿وَضِيَآءً﴾: معطوف على ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾. ﴿وَذِكْرًا﴾ معطوف على ضياء. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ متعلق بـ ﴿ضياء﴾. وعطف الصفات جائز عندهم، فهو من هذا الوادي. وفي «السمين»: قوله: ﴿وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾: يجوز أن يكون من باب عطف

الصفات، فالمراد به شيء واحد؛ أي: آتيناهما الكتاب الجامع بين هذه الأشياء. وقيل: الواو زائدة. قال أبو البقاء: ﴿وَضِيَآءً﴾ على هذا حال من الفرقان.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الجر صفة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾. ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين. ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ فعل وفاعل ومفعول صلة الموصول. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ جار ومجرور حال من فاعل ﴿يَخْشَوْنَ﴾؛ أي: حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس، أو حال من المفعول. ﴿وَهُم﴾ الواو: عاطفة، أو حالية. ﴿هم﴾ مبتدأ. ﴿مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ متعلق بمشفقون. و﴿مُشْفِقُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة الصلة، أو حال من فاعل ﴿يَخْشَوْنَ﴾، وذكر الاشفاق من الساعة بعد الخشية، من ذكر الخاص بعد العام، لكونها أعظم المخلوقات، وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون، وآثر الجملة الاسمية، للدلالة على ثبات الإشفاق ودوامه اهـ من «أبي السعود» ﴿وَهَٰذَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿هذا ذكر﴾ مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة مسوقة لخطاب أهل مكة، ومحاورتهم حول القرآن الكريم، الذي أنزل بلسانهم. ﴿مُّبَارَكٌ﴾ صفة أولى لـ ﴿ذِكْرٌ﴾ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة صفة ثانية لذكر. ﴿أَفَأَنتُمْ﴾ الهمزة: للاستفهام التوبيخي المضمّن للإنكار، داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف ﴿أنتم﴾ مبتدأ. ﴿لَهُۥ﴾ متعلق بـ ﴿مُنكِرُونَ﴾. و﴿مُنكِرُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة معطوفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أأنتم عالمون، أن شأنه كشأن التوراة، فأنتم له منكرون، والجملة المحذوفة مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ الرتق: الضم والإلتحام خلقة كان أو صنعة. والفتق: الفصل بين الشيئين الملتصقين وفي

«المختار»: الرتق: ضد الفتق، وقد رتقت الفتق، من باب نصر سددته فارتتق؛ أي: التأم، ومنه قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾، والرتق بفتحتين مصدر قولك، امرأة رتقاء؛ أي: لا يستطاع جماعها لارتتاق ذلك الموضع منها، وفي الأساس: رتق الفتق حتى ارتتق. وقرىء: ﴿كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ وعن ابن الكلبي: كانتا رتقاوين، ففتق الله السماء بالماء، وفتق الأرض بالنبات، وامرأة رتقاء بينة الرتق إذا لم يكن لها خرق إلا المبال. وفي «المختار» أيضاً: فتق الشيء شقه، وبابه نصر، وفتقه تفتيقاً مثله فانفتق اهـ.

﴿رَوَٰسِيَ﴾ جمع راسية، من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ. اهـ «أبو السعود». وفي «المختار»: والرواسي من الجبال الرواسخ، واحدتها راسية. وفي «المصباح»: رسا الشيء يرسو رسواً ورسوا، إذا ثبت فهو راسٍ، وجبالٌ راسيةٌ وراسياتٌ ورواسي.

﴿أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾؛ أي: أن تتحرك وتضطرب. وفي «المصباح»: ماد يميد ميدا من باب باع، وميدانا بفتح الياء إذا تحرك. وفي «الأساس»: غصن مائد مائل وماد يميد ميداناً.

﴿فِجَاجًا﴾ وفي «المختار»: الفج بالفتح: الطريق الواسع بين الجبلين، والجمع فجاج بالكسر، مثل سهم وسهام. والفج بالكسر البطيخ الشامي، وكل شيء من البطيخ والفواكه لم ينضج، فهو فجّ بالكسر. وفي «القاموس» الفج وجمعه فجاج الطريق الواسع بين جبلين، والسبل جمع سبيل، وهو الطريق الواسع مطلقاً.

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ والفلك: كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك، وعبارة الخازن: وقيل: الفلك: طاحونة مستديرة كهيئة فلك المغزل بمعنى: أن الذي تجري فيه النجوم، مستدير كاستدارة الرحى. وقيل: الفلك: السماء الذي فيه ذلك الكوكب، وكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه. وفي «تفسير الرازي»: المسألة الثالثة: الفلك في كلام العرب، كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك.

واختلف العقلاء فيه: فقال بعضهم: الفلك ليس بجسم، وإنما هو استدارة هذه النجوم. وقال الأكثرون: الأفلاك؛ أجسام تدور النجوم عليها، وهذا أقرب إلى ظاهر القرآن، ثم اختلفوا في كيفيته فقال بعضهم: الفلك موج مكفوف، . تجري الشمس والقمر والنجوم فيه. وقال الكلبي: ماء مكفوف تجري فيه الكواكب، واحتج بأن السباحة لا تكون إلا في الماء. قلنا: لا نسلم ذلك، فإنه يقال في الفرس: الذي يمد يديه في الجري سابح. المسألة الرابعة: اختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة. فإنه إما أن يكون الفلك ساكناً، والكواكب تتحرك فيه، كحركة السمك في الماء الراكد، وإما أن يكون الفلك متحركاً، والكواكب تتحرك فيه أيضاً، إما مخالفة لجهة حركته، أو موافقة لجهتها، إما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء، أو مخالفةً، وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب ساكنة، والذي يدل عليه لفظ القرآن الأول، وهو أن تكون الأفلاك ساكنة، والكواكب جارية فيها، كما تسبح السمكة في الماء الراكد، اهـ «التفسير الكبير للرازي».

﴿ٱلْخُلْدَ﴾ الخلود والبقاء ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾؛ أي: مخلوقةٍ، فلا يرد الباري تعالى ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: مرارة مفارقة جسدها، اهـ شيخنا. وهذا دليل على ما أنكر من خلودهم، اهـ «أبو السعود». والذوق هنا: الإدراك. والمراد من الموت، مقدماته من الآلام العظيمة، والمدرك لذلك هي النفس المفارقة، التي تدرك مفارقتها للبدن ﴿نبلوكم﴾ أي: نختبركم. والمراد: نعاملكم معاملة من يختبركم ﴿بالخير والشر﴾؛ أي: بالمحبوب والمكروه ﴿فِتْنَةً﴾ أي: بلاءً واختباراً، فهو مصدر مؤكد لنبلوكم، من غير لفظه. وأصل الفتن، إدخال الذهب النار. لتظهر جودته من رداءته. وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «إن الله يجرِّب أحدكم بالبلاء. كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار. فمنه من يخرج كالذهب، فذاك الذي افتتن». قال الراغب: يقال: بلى الثوب بلى؛ أي خلق، وبلوته اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له، وسمي الغم بلاءً، من حيث إنه يبلي الجسم ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾؛ أي: ما يتخذونك إلاّ مهزوءاً به؛ أي: مسخوراً منه.

﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ في «المختار»: العجل والعجلة، ضد البطء، وقد عجل من باب طرب، اهـ. وقيل: هما طلب الشيء قبل أوانه، وهما من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة، والمراد بالإنسان هذا النوع، وقد جعل لفرط استعجاله وقلة صبره، كأنه مخلوق من العجل، مبالغةً، كما يقال للرجل الذكي: هو نار تشتعل. ويقال لمن يكثر منه الكرم: فلانٌ خلق من الكرم.

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ في «المصباح»: بهت وبهت، من بابي قرب وتعب. دهش وتحيَّر، ويعدَّى بالحركة، فيقال: بهته يبهته بفتحتين، اهـ ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ﴾ يقال: حاق به، يحيق حيقاً، أحاط به. وحاق بهم الأمر، لزمهم ووجب عليهم، وحاق نزل، ولا يكاد يستعمل إلاّ في الشر. الحيق: ما يشمل الإنسان من مكروه، فعل ﴿يَكْلَؤُكُم﴾ يحرسكم ويحفظكم ﴿مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: من بأسه وعقابه، الذي تستحقونه ﴿مِّن دُونِنَا﴾؛ أي: من غيرنا. وفي «المصباح»: كلأه الله يكلؤه، مهموزٌ بفتحتين من باب قطع، كلاءةً بالكسر والمد حفظه، ويجوز التخفيف، فيقال: كليته أكلاه وكلئته أكلؤه من باب تعب لغة قريش، لكنهم قالوا: مكلو بالواو وأكثر من مكلي بالياء اهـ ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾؛ أي: يجارون من عذابنا. تقول العرب: أنا لك جار. وصاحب من فلان؛ أي: ومجير منه. واختاره الطبري.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا﴾ المتاع: انتفاع ممتد الوقت، يقال: متعه الله بكذا، وأمتعه وتمتع به ﴿الْعُمُرُ﴾ بضم اليمم وسكونها، اسم لمدة عمارة البدن بالحياة؛ أي: طال عليهم الأجل في التمتع فاغتروا. وحسبوا أنهم ما زالوا على ذلك لا يغلبون.

﴿مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ والأطراف: جمع طرف بالتحريك، وهو ناحية من النواحي، وطائفة من الشيء ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾؛ أي: قسط ونصيب ضئيل. والمس اللمس، ويقال في كل ما ينال الإنسان من أذى. والنفحة من الريح الدفعة، ومن العذاب القطعة. كما في «القاموس». قال في «بحر العلوم». من نفحته الدابة، إذا ضربته؛ أي: ضربة، أو من نفحت الريح إذا هبت؛ أي: هبة،

أو من نفح الطيب، إذا فاح؛ أي: فوحة، كما يقال: شمة. وقال ابن جريج؛ أي: نصيب من نفحه فلان من ماله إذا أعطاه حظاً منه.

فصل في مصادر المرة والنوع أو الهيئة

مصدر المرة، هو ما يذكر لبيان عدد الفعل، ويبنى من الثلاثي المجرد على وزن فعلة. بفتح الفاء وسكون العين، مثل وقفت وقفة ووقفتين ووقفات، فإن كان الفعل فوق الثلاثي ألحقت بمصدره التاء، مثل أكرمته إكرامة، وفرحته تفريحة، وتدحرج تدحرجة، إلا إن كان المصدر ملحقاً في الأصل، بالتاء، فيذكر بعده ما يدل على العدد، مثل رحمته رحمة واحدة، وأقمت إقامة واحدة، واستقمت استقامة واحدة.

أما مصدر النوع أو الهيئة: فهو ما يذكر لبيان نوع الفعل. وصفته، نحو وقفت وقفةً، ويبنى من الثلاثي المجرد، على وزن فعلة بكسر الفاء، مثل عاش عيشة حسنة، ومات ميتة سيئة، وفلان حسن الجلسة، وفلانة هادئة المشية، فإن كان الفعل فوق الثلاثي يصير مصدره، بالوصف مصدر نوع، مثل أكرمته إكراماً عظيماً.

هذا، وهنا تنبيه هام. نبه عليه الشيخ أبو حيان، وهو أن هذه التاء الدالة على المرة الواحدة، لا تدخل على كل مصدر، بل على المصادر الصادرة عن الجوارح المدركة بالحس، نحو قومة وضربةٍ وقعدة وأكلة. وأما مصادر الأفعال الباطنة، والخصال الجليلة الثابتة، نحو: الظرف والحسن والجبن والعلم، فلا يقال، من ذلك: علمته علمةً، ولا فهمته فهمةً، ولا صبرته صبرةً.

﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ الخردل: نبات له حب صغير جداً أسود مقرح، والواحدة خردلة، ويقال: خردل الطعام: أكل خياره، وخردل اللحم: قطع أعضاءه، والخرادل: القطع من اللحم.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ جمع ميزان، والجمع فيه للتعظيم، أو باعتبار أجزائه فإن الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال، وهو جسم مخصوص،

له لسان وكفتان وعمود، كل كفة، قدر ما بين المشرق والمغرب، ومكانه بين الجنة والنار، كفته اليمنى للحسنات عن يمين العرش، وكفته اليسرى للسيئات عن يساره.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروبا من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الاستفهام التعجبي الإنكاري في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

ومنها: الطباق بين الرتق والفتق في قوله: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.

ومنها: التنكير للتعميم في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾.

ومنها: التذييل بقوله: ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ بعد قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾. وعرَّفوه بقولهم: بأنه تذييل الكلام بعد تمامه، وحسن السكوت عليه، بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيداً، وتخرجه مخرج المثل السائر، ليشيع الكلام بعد دورانه على الألسنة، فإن لم تكن الزيادة تفيد ذلك، فلا يسمى تذييلا. أما في الآية التي نحن بصددها، فإن المعنى مستوفى في الإخبار، بأنه سبحانه لم يجعل لبشر قبل نبيه الخلد، ثم ذيل ذلك الإخبار بما أخرجه مخرج تجاهل العارف، وهو قوله: ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾، ثم ذيلّ هذا التذييل بما أخرجه مخرج المثل السائر. حيث قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

ومنها: الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ بعد قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾، وذلك لتأكيد الاعتناء بالنعم الجليلة، التي أنعم بها على العباد.

ومنها: الطباق بين الشر والخير في قوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾.

ومنها: الإيجاز بالحذف، في قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: بكل سوء، لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبي ﷺ، من القدح في آلهتهم، بأنها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر.

ومنها: الاستعارة المكنية، في قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ فقد شبّه العجل الذي طبع عليه الشخص، وصار له كالجبلة بأصل مادته، وهي الطين، تشبيهاً مضمراً في النفس، ثم حذف المشبّه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: خلق. وقيل: لا استعارة فيه، وإنما هو من باب القلب، والأصل خلق العجل من الإنسان، لشدة صدوره منه، وملازمته له، والقلب موجود في كلامهم كثيراً، والأول أولى وأقعد بالبلاغة، ومن بدع التفاسير ما قالوه: من أن العجل هو الطين، بلغة حمير.

ومنها: إيثار صيغة المضارع والشرط في قوله: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وإن كان المعنى على المضي، لإفادة استمرار عدم العلم.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾؛ لأنه كناية عن إحاطة النار بهم من كل جانب، ذكره أبو السعود.

ومنها: وضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ لفائدة التسجيل عليهم، فقد كان مقتضى السياق أن يقول: ﴿ولا يسمعون﴾ ولكنه صرح بالصم، وتجاوز بالظاهر عن ضميره، للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم، إذا أنذروا، وللدلالة على صدور إنكار شديد، وغضب عظيم، وتعجب من نبو أسماعهم عن الوحي، وعدم إصاغتهم لما ينفعهم وإمعانهم في ركوب الغي والضلال.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ حيث استعار الصم للكفار؛ لأنهم كالبهائم التي لا تسمع الدعاء، ولا تفقه النداء.

ومنها: إسناد الضمير إلى الله تعالى في قوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ أسند سبحانه الضمير إلى نفسه. تعظيماً للمسلمين، الذين

أجرى على أيديهم الانتصار العظيم، وافتتاح البلاد والأمصار. تنويهاً بقدر المجاهدين، وتعظيماً لما أتوا به من فضائل الأعمال.

ومنها: ثلاث مبالغات في قوله: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ﴾.

١ ـ ذكر المس وهو أقل شيء، بل هو شيءٌ رفيقٌ جداً، فما بالك إذا انثال عليهم، أي: يكفي للدلالة على ذلهم، وهو أن أمرهم، ووهن عزيمتهم، أن أقل من يكفيهم ليذعنوا ويتطامنوا ويعلنوا ذلهم وخضوعهم، والإقرار على أنفسهم. بأنهم تصامّوا وأعرضوا.

٢ ـ وما في النفحة، من معنى القلة والنزارة، يقال: نفحته الدابة ونفحة بعطيَّة.

٣ ـ بناء المرة من النفح، فمصدر المرة، يأتي على فعلة؛ أي: نفحة واحدة لا ثاني لها، تكفي لتشتيت أمرهم، وتوهين كيانهم، وتصدع صفوفهم، فكيف إذا عززت بثانية أو ثالثة.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾؛ لأن السبح حقيقة في المر السريع في الماء، أو في الهواء، فاستعير لمر الشمس والقمر والنجوم في الفلك.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿سَقْفًا﴾؛ أي؛ كالسقف للأرض.

ومنها: جناس الاشتقاق بين ﴿يَذْكُر﴾ و﴿ذِكْر﴾ في قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وبين عجل ويستعجلون في قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾.

ومنها: الجناس المماثل بين ﴿استهزىء﴾ و﴿يستهزئون﴾، في قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ الآية، وبين ﴿إنما أنذركم﴾ و﴿ينذرون﴾، في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ...﴾ الآية.

ومنها: نداء غير العاقل في قوله: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَآ﴾ تنزيلاً له منزلة العاقل.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ لأنه كناية عن العمل، ولو كان في غاية القلة والحقارة.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا
هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟
مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا
بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ
أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ
كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا
عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى
بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ
ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت
تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ
يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ
وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ
عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن
يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لمّا قدّ الكلام في دلائل التوحيد[١]، والنبوة والمعاد، أتبع ذلك بثلاثة عشر نبياً غير مراعٍ في ذكرهم الترتيب الزماني، وذكر بعض ما نال كثيراً منهم من الابتلاء، كل ذلك تسليةً للرسول ﷺ، وليتأسى بهم فيما جرى عليه من قومه.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الكفرة، لما أقروا[٢] على أنفسهم، بأن لا فائدة في آلهتهم، قامت لإبراهيم الحجة عليهم، فوبّخهم على عبادة ما لا يضر ولا ينفع، إذ هذا مما لا ينبغي لعاقل، أن يقدم عليه، وبعد أن دحضت حجتهم، وبان عجزهم، انقلبوا إلى العناد واستعمال القوة الحسية، إذ أعيتهم الحجة، فقالوا: حرّقوا إبراهيم بالنار، وانصروا آلهتكم التي جعلها جذاذاً، ولكن الله سلّمه من كيدهم، وجعل النار برداً وسلاماً عليه.

قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لمّا ذكر ما أكرم به إبراهيم، من نجاته من النار، قفّى على ذلك، ببيان أنه أخرجه من بين قومه مهاجراً إلى بلاد الشام، وهي الأرض المباركة، ثم وهب له من الذرية إسحاق وابنه يعقوب عليهما السلام، وكانا أهل صلاح وتقوى يقتدى بهما، ويؤتمر بأمرهما، ثم أردف ذلك، بذكر ما آتى لوطاً من العلم والنبوة، وجعله يعزف عن مفاسد تلك القرية، التي كان يقيم فيها بين ظهراني أهلها، وقد أهلكهم جميعاً وأنجاه هو وأهله، وأدخله في جنات النعيم، وقرّبه إلى حظيرة قدسه وساحة رحمته.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى؛ لما ذكر قصة إبراهيم، وهو أبو العرب، أردفها بقصة نوح، وهو الأب الثاني للبشر على المشهور، من أن جميع الباقين بعد الطوفان من ذريته عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه سبحانه وتعالى، لمّا ذكر ما أنعم به على نوح عليه السلام من النعم الجليلة، قفّى على ذلك بذكر الإحسان العظيم، الذي آتاه داود وسليمان عليهما السلام، وهو قسمان:

أولاً: نعم مشتركة بينهما وبين غيرهما من النبيين، وهي العلم والفهم، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

ثانياً: نعم خاصة بواحد دون الآخر:

١ ـ فأنعم على داود بتسخير الجبال والطير للتسبيح معه، وتعليم صنعة الدروع، للوقاية من أذى الحرب.

٢ ـ وأنعم على سليمان بتسخير الريح العاصفة التي تجري بأمره، وبتسخير الشياطين تغوص في البحار، لتخرج اللؤلؤ والمرجان، وتعلم له أخرى غير ذلك.

التفسير وأوجه القراءة

ولما تكلم[1] الله سبحانه وتعالى، في دلائل التوحيد، والنبوة، شرع في قصص الأنبياء عليهم السلام: تسلية لرسوله ﷺ، فيما يناله من أذى قومه، وتقويةً لقلبه على أداء الرسالة، والصبر على كل عارض، وذكر منها عشر قصص:

الأولى: قصة موسى عليه السلام، المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ

(١) الفتوحات.

وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾.

القصة الثانية: قصة إبراهيم عليه السلام المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾.

القصة الثالثة: قصة لوط عليه السلام، المذكورة في قوله: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

القصة الرابعة: قصة نوح عليه السلام، المذكورة في قوله: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن﴾.

القصة الخامسة: قصة داود وسليمان عليهما السلام، المذكورة في قوله: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾.

القصة السادسة: قصة أيوب عليه السلام، المذكورة في قوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾.

القصة السابعة: قصة إسماعيل وإدريس وذي الكفل، المذكورة في قوله: ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾.

القصة الثامنة: قصة يونس عليه السلام المذكورة في قوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾.

القصة التاسعة: قصة زكريا عليه السلام المذكورة في قوله: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾.

القصة العاشرة: قصة مريم وابنها عليه السلام، المذكورة في قوله: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ الخ، اهـ من الخطيب.

ثم شرع في ذكر قصة إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي؛ وعزتي وجلالي لقد آتينا وأعطينا إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿رُشْدَهُۥ﴾؛ أي[1]: ما فيه صلاحه وهداه ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل موسى وهارون ووفقناه

(١) المراغي.

للحق، وأضأنا له سبيل الرشاد، وأنقذناه من بين قومه، من عباد الأصنام، وقال الفراء: أعطيناه هداه، من قبل النبوة والبلوغ، اهـ، أي: وفقناه للنظر والاستدلال. لمَّا جنّ عليه الليل، فرأى الشمس والقمر والنجم، وعلى هذا جرى كثير من المفسرين.

والرشد[1]: خلاف الغي، وهو الابتداء لمصالح الدين والدنيا، وكماله يكون بالنبوة؛ أي: بالله لقد آتينا بجلالنا وعظيم شأننا إبراهيم الخليل عليه السلام، الرشد اللائق به، وبأمثاله من الرسل الكبار، على ما أفادته الإضافة من قبل؛ أي؛ من قبل إيتاء موسى وهارون التوراة، وتقديم زكريا إيتائها، لما بينه وبين إنزال القرآن من الشبه التام ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾؛ أي؛ وكنا عالمين، بأنه أهل لما آتيناه، من الرشد والنبوة، وتقديم الظرف، لمجرد الاهتمام، مع رعاية الفاصلة، ونظير الآية قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

وقرأ الجمهور:[2] ﴿رشده﴾ بضم الراء وسكون الشين، وقرأ عيسى الثقفي: ﴿رشده﴾ بفتح الراء والشين، وأضاف الرشد إلى إبراهيم، بمعنى: رُشْدَ مِثْله، وهو رشد الأنبياء، وله شأن؛ أي: شأن. أو المعنى: وكنا عالمين بأنه ذو يقين، وإيمان بالله، وتوحيد له، لا يشرك به شيئاً، فهو جامع لأحاسن الفضائل، ومكارم الأخلاق، وجميل الصفات. والظرف في قوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾ متعلق بآتينا، على أنه وقت متسع، وقع فيه الإيتاء، وما ترتب عليه من أفعاله وأقواله. أو بمحذوف، تقديره: اذكر حين قال إبراهيم ﴿لِأَبِيهِ﴾ آزر، والظاهر، من عدم التعرض لأمه، كونها مؤمنةً، كما يدل عليه تبريه وامتناعه من أبيه دونها ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾ نمرود ومن اتبعه.

والمراد من قومه[3]: أهل بابل بالعراق، وهي بلاد معروفة، من عبادان إلى

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) روح البيان.

الموصل طولاً، ومن القادسية إلى حلوان عرضاً، سميت بها، لكونها على عراق دجلة والفرات؛ أي؛ شاطئهما.

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾؛ أي: آتيناه الرشد، حين قال لأبيه آزر ولقومه، وهم مجتمعون: ما هذه الأصنام التي تقيمون على عبادتها وتعظيمها، وقد أراد عليه السلام، بهذا السؤال، تنبيه أذهانهم، إلى التأمل في شأنها، وتحقير أمرها، متجاهلاً حقيقتها، وكأنه يومىء بذلك، إلى أنهم لو تأملوا قليلاً، لأدركوا أن مثل هذه الأحجار، والخشب، لا تغني عنهم قُلًّا، ولا كثراً؛ أي[1] ما هذه الصور التي أنتم عابدون لها، وكانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنماً، بعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من حديد، وبعضها من رصاص، وبعضها من نحاس، وبعضها من حجر، وبعضها من خشب، وكان كبيرها من ذهب مكلّلا من جواهر، في عينيه ياقوتتان، تتقدان، تضيئان في الليل.

والتماثيل[2]: جمع تمثال، وهو الشيء المصوَّر، المصنوع مشبهاً بخلق من خلائق الله، والممثل المصوّر على مثال غيره. من مثلث الشيء بالشيء، إذا شبّهته به. والعكوف الإقبال على الشيء، وملازمته على سبيل التعظيم، لغرض من الأغراض، ضمَّن معنى العبادة، كما يدل عليه الجواب الآتي، ولذا جيء باللام دون على؛ أي: ما هذه الأصنام التي أنتم لها عابدون لها، مقيمون عليها. وهذا السؤال، تجاهل منه، وإلاّ فهو يعرف أن حقيقتها حجر، أو شجر، اتخذوها معبوداً، فالاستفهام فيه، استفهام متجاهل.

وقوله: ﴿قَالُواْ﴾ كلام مستأنف، واقع في جواب سؤال مقدر، تقديره: قال إبراهيم لهم: أي شيءٍ حملكم على عبادتها؟ قالوا: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ وأسلافنا ﴿لَهَا عَٰبِدِينَ﴾؛ أي: عابدين لها، فنحن نعبدها اقتداء بهم، وهو جواب العاجز عن الإتيان بالدليل.

---

(١) المراح.

(٢) روح البيان.

أجابوه بهذا الجواب الذي هو العصا[1] التي يتوكأ عليها كل عاجز، والحبل الذي يتشبث به كل غريق، وهو التمسك بمجرد تقليد الآباء؛ أي: وجدنا آباءنا يعبدونها، فعبدناها، اقتداء بهم، ومشيا على طريقتهم، وهكذا يجيب هؤلاء المقلدة، من أهل هذه الملة الإسلامية، وإن العالم بالكتاب والسنة؛ إذا أنكر عليهم العمل، بمحض الرأي، المدفوع بالدليل.. قالوا: هذا قد قال به إمامنا الذي وجدنا آباءنا له مقلدين، وبرأيه آخذين، وجوابهم، هو ما أجاب به الخليل ها هنا بقوله: ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم عليه السلام: والله ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ وأسلافكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: في خطأ بيّن، بحيث لا يخفى على أحد من العقلاء ذلك، فإن قوم إبراهيم عبدوا الأصنام. التي لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع ولا تبصر، وليس بعد هذا الضلال ضلال، ولا يساوي هذا الخسران خسران.

وقال آخر أيضا:

يَـأْبَـىٰ ٱلْـفَـتَـىٰ إِلاَّ ٱتِّـبَـاعَ ٱلْـهَـوَىٰ وَمَـنْـهَـجُ ٱلْـحَـقِّ لَـهُ وَاضِـحُ

ثم لمَّا سمع أولئك الكفرة مقالة الخليل ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا﴾ أنت فيما تقول لنا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ والصدق والجد ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ والمازحين بنا، فتقول ما تقول على وجه المزاح واللعب، حسبوا أنهم، إنما أنكر عليهم دينهم القديم، مع كثرتهم وشوكتم على وجه المزاح واللعب. وفي[2] إيراد الشق الثاني بالجملة الاسمية الدالة على الثبات إيذان برجحانه عندهم، اهـ شيخنا.

والاستفهام فيه استفهام تعجب واستبعاد؛ أي[3]: قالوا له حين سمعوا مقالته، مستبعدين أنهم في ضلال، ومتعجبين من تضليله إياهم: أجادٌ أنت فيما تقول، أم أنت لاعبٌ مازحٌ. فإنّا لم نسمع بمثله من قبل.

---

(١) الشوكاني.

(٢) الفتوحات.

(٣) المراغي.

وخلاصة هذا: أنهم لما سمعوا منه، ما يدل على تحقير آلهتهم وتضليله إياهم، وشاهدوا منه الجد في القول، والغلظة فيه، طلبوا منه الدليل على صدق ما يقول: إن كان جاداً، ثم ارتقوا من هذا، إلى بيان أنه هازل لاعبٌ، كما هو دأبه وعادته من قبل، ولا يقصد بذلك إظهار حق ألبتة. وفيه إشارة لطيفة، وهي كما أن أهل الصدق والطلب يرون أهل الدنيا لاعبين، والدنيا لعباً ولهواً، كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ كذلك أهل الدنيا، يرون أهل الدين لاعبين، والدين لعباً ولهواً. فرد عليهم منتقلاً من تضليلهم في عبادة الأوثان، إلى بيان الحق، وذكر المستحق للعبادة مضرباً عما بنوا عليه مقالتهم من التقليد ف ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لهم: ﴿بَل﴾ جئتكم بالحق، لا باللعب ﴿رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: إن ربكم ومالككم الذي يستحق منكم العبادة، مالك السموات والأرض ﴿ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾؛ أي: أنشأ السموات والأرض، وخلقهن ابتداء من غير مثال سابق يحتذى، فهو الخالق كما أنه المربي. فالضمير[1] للسموات والأرض، أو للتماثيل؛ أي: فكيف تعبدون من كان من جملة المخلوقات.

وخلاصة هذا: أن الجدير بالعبادة، هو من ربّاكم تحت ظلال عطفه، وأنعم عليكم بجزيل برّه ولطفه، وأوجدكم، وأوجد السموات والأرض من العدم، لا من كان بمعزل عن كل ذلك.

وفي هذا، إرشاد إلى أنه، ينبغي لهم أن يرعووا عن غيِّهم، ويعلموا من يستحق العبادة فيعبدونه، ويخضعون له وبذلك يهتدون إلى الطريق السوي.

ثم ختم مقاله: بنفي اللعب والهزل عن نفسه فقال: ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي ذكرته لكم، من كون ربكم رب السموات والأرض فقط، دون ما عداه، كائناً ما كان ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؛ أي: من العالمين به على الحقيقة المبرهنين عليه، وليس المراد حقيقة الشهادة؛ لأنه لا شهادة من المدعي، بل استعيرت الشهادة لتحقيق الدعوى بالحجة والبرهان؛ أي: لست من اللاعبين في الدعاوى، بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة، بمنزلة الشاهد الذي تقطع به الدعاوي.

---

(١) روح البيان.

أي[1]: وأنا أستدل على ما أقول بالحجة، كما تصحَّح الدعوى بالشهادة، وأبرهن عليه، كما تبين القضايا بالبينات، فلست مثلكم أقول ما لا أقدر على إثباته، فإنكم لم تقدروا على الاحتجاج على مذهبكم، ولم تزيدوا على أن تقولوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون.

وقصارى ما أقول[2]: لست من اللاعبين الهازلين، بل من العالمين بذلك بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة، كالشاهد الذي يكون قوله الفصل في إثبات الدعوى وإحقاق الحق.

وبعد أن أقام البرهان على إثبات الحق، أتبعه بالتهديد لهدم الباطل، ومحو آثاره، وأنه سينقل من المحاجة القولية إلى تغيير المنكر، ثقة بالله ومحاماة عن دينه، جمعا بين القول والفعل، فقال: ﴿وَتَٱللَّهِ﴾ القوي العظيم، وقرأ الجمهور: ﴿وتالله﴾ بالتاء الفوقية. وقرأ معاذ بن جبل وأحمد بن حنبل ﴿بِٱللَّهِ﴾ بالباء الموحدة ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾؛ أي: لأمكرن وأجتهدن في كسر أصنامكم، وإلحاق الأذى بها. قال مجاهد وقتادة: قال إبراهيم، عليه السلام هذه المقالة سرّاً من قومه، ولم يسمع ذلك إلاّ رجل واحد منهم، فأفشاه عليه، وقال: إنا سمعنا فتى يذكرهم، يقال له إبراهيم. وفي التعبير بالكيد إيذان بصعوبة الوصول إلى كسرها، وتوقفه على استعمال الحيل، لا سيما زمن نمرود، على عتوّه واستكباره وقوة سلطانه، وتهالكه على نصرة دينه.

فإن قيل[3]: لِمَ قال: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ والكيد: هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به، والأصنام جمادات لا تتضرر بالكسر ونحوه، وأيضاً ليست هي، مما يحتال في إيقاع الكسر عليها؛ لأن الاحتيال إنما يكون في حق من له شعور؟

أجيب: بأن ذلك من قبيل التوسع في الكلام، فإن القوم كانوا يزعمون أن الأصنام لهن شعور، ويجوز عليهن الضرر، فقال ذلك بناء على زعمهم. وقيل:

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

(٤) روح البيان.

المراد: لأكيدنكم في أصنامكم؛ لأنه بذلك الفعل، قد أنزل بهم الغم.

والأصنام: جمع صنم، وهي جثة متخذة من فضة، أو نحاس أو خشب مثلاً كانوا يعبدونها، متقربين بها إلى الله تعالى، كما في «المفردات».

﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ﴾ وترجعوا[1] من عبادتها. مضارع ولّى مشدداً ﴿مُدْبِرِينَ﴾ وذاهبين إلى عيدكم، وهو حال مؤكدة، لأن التولية والإدبار بمعنى، والإدبار نقيض الإقبال وهو الذهاب إلى خلف؛ أي بعد أن ترجعوا عن عبادتها حالة كونكم ذاهبين ومنطلقين إلى عيدكم. وقرأ الجمهور: ﴿تُولوا﴾ بضم التاء، مضارع ولّى الرباعي وقرأ عيسى بن عمر ﴿تولّوا﴾ بفتح التاء فحذف إحدى التاءين وهي الثانية على مذهب البصريين، والأولى على مذهب هشام، وهو مضارع تولى الخماسي، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ ذكره في «البحر».

وقال السدي: كان[2] لهم في كل سنة مجمع عيد، وكانوا إذا رجعوا من عيدهم، دخلوا على الأصنام فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد، قال آزر: يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا، أعجبك ديننا فخرج معهم، ولما كان ببعض الطريق ألقى بنفسه، وقال: إني سقيم، أشتكي برجلي. فلمّا مضوا، نادى في آخرهم، وقد بقي فيهم ضعفاء الناس: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، وهي في بهو عظيم، وكان مستقبل هذا البهو، صنم عظيم، إلى جنبه أصغر منه، والأصنام بعضها إلى جنب بعض، يليه أصغر منه إلى باب البهو - والبهو: البيت الذي يقيمونه أمام البيوت، ويجتمون فيه للندوة - وإذا هم قد جعلوا طعاماً، فوضعوه بين يدي الآلهة، وقالوا: إذا رجعنا، وباركت الآلهة عليه أكلنا منه، فلما نظر إبراهيم إليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام، قال لهم، مستهزئاً: ألا تأكلون؟ فلما لم يجيبوه قال لهم: ما لكم لا تنطقون، وراغ عليهم ضرباً باليمين، وجعل يكسرهن بفأس في يده، حتى إذا لم يبق إلاّ الصنم الأكبر، علّق الفأس في عنقه، ثم خرج فذلك

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ والفاء فيه فصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما قال إبراهيم لهم، وأردت بيان ما فعله بالأصنام.. فأقول لك: جعل إبراهيم الأصنام جذاذاً؛ أي: حطاماً رفاتاً فتاتاً قطاعاً مكسرة، إلاّ كبيرا للأصنام لم يكسره، فهو[1] استثناء من مفعول قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾، و﴿لَّهُمْ﴾ صفة لـ﴿كبيراً﴾، والضمير للأصنام؛ أي: لم يكسر الكبير وتركه على حاله، وعلّق الفأس في عنقه. وكبره في التعظيم، أو في الجثة، أو فيهما. وهذا هو الكيد الذي وعدهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾؛ أي: لعل أولئك الضُلّال ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى الكبير. وتقديم الظرف للاختصاص، أو لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيسألونه عن كاسرها؛ أي[2]: لعل أولئك الطغاة، يرجعون إلى الكبير، كما يرجع إلى العالم، في حل المشكلات، فيقولون له: ما لهؤلاء الصغار مكسورة، وما لك صحيحاً، والفأس في عنقك، أو في يدك، وحينئذٍ يستبين لهم، أنه عاجز لا ينفع ولا يضر، ويظهر لهم أنهم في عبادتهم على جهل عظيم، وقد كان هذا بناء على ظنه في أمرهم، لما جرَّب وذاق من مكابرتهم، واعتقادهم في آلهتهم، وتعظيمهم لها، فيستجهلهم ويبكتهم بذلك.

وقيل: الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ عائد إلى إبراهيم؛ أي: لعلهم إلى إبراهيم يرجعون، لاشتهاره بإنكار دينهم وسبّ آلهتهم وعداوتهم، فيحاججهم بقوله: بل فعله كبيرهم، فيحجهم ويبكتهم، كما في «الإرشاد» وغيره، أو لعلهم[3] يرجعون إلى دين إبراهيم بوجوب الحجة عليهم، قاله الزجاج.

وقرأ الجمهور[4]: ﴿جُذَاذًا﴾ بضم الجيم. وقرأ أبو بكر الصديق وابن مسعود وأبو رزين وقتاد وابن محيصن والأعمش والكسائي: ﴿جِذاذاً﴾ بكسر الجيم. وقرأ أبو رجاء العطاردي وأيوب السختياني وعاصم الجحدري وابن عباس وأبو نهيك وأبو السماك ﴿جَذاذا﴾ بفتح الجيم. وقرأ الضحاك وابن يعمر ﴿جَذذا﴾

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) زاد المسير.

(٤) زاد المسير والبحر المحيط.

بفتح الجيم من غير ألف. وقرأ معاذ القارىء وأبو حيوة وابن وثاب ﴿جُذذا﴾ بضم الجيم من غير ألف.

قال قطرب: هي في لغاتها كلها مصدر، فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث اهـ. وقال أبو حاتم: أجودها الضم، كالحطام والرفات، وهي قراءة العامة، والظاهر أن المضموم اسم للشيء المكسور، كالحطام والرفات والفتات بمعنى: الشيء المحطم والمفتّت. وقال اليزيدي: المضموم جمع جُذاذة بالضم، نحو زجاج في زجاجة، والمكسور جمع جذيذ، نحو كرام في كريم. وقال بعضهم: المفتوح مصدر بمعنى المفعول.

فلما رجعوا من عيدهم إلى أصنامهم فوجدوها على تلك الحال ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: قال قوم إبراهيم على سبيل التوبيخ، والتأنيب حين رأوا آلهتهم قد صارت جذاذاً؛ إلاّ الذي علق فيه إبراهيم الفأس ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ الكسر ﴿بِـَٔالِهَتِنَآ﴾؛ أي: من كسر هذه الآلهة وجعلها هكذا. والاستفهام فيه للإنكار والتوبيخ. ولم يقولوا ﴿بهؤلاء﴾ مع أنها كانت بين أيديهم حيث قالوا: ﴿بآلهتنا﴾ مبالغة في اللوم، والتعنيف والتشنيع ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بكسرها، حيث عرض نفسه للهلاك؛ أي: إنه لمن زمرة الذين ظلموا أنفسهم، وتجرؤوا على إهانة هذه الآلهة، وهي المستحقة بالإعظام والتكريم ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: قال بعض منهم ممن سمع قوله: تالله لأكيدن أصنامكم، للسائلين، فالآية تدل على أن القائلين جماعة منهم ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾ وهو الطري من الشبان ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ بسوء. صفة أولى لـ ﴿فَتًى﴾؛ أي: يعيب آلهتنا، ويستهزىء بهم، ولم نسمع أحداً يقول ذلك غيره، وإنا لنظن أنه صنع ذلك بهم ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ أي: يطلق عليه هذا الاسم. صفة له ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: السائلون. قال بعضهم: بلغ ذلك النمرود الجبار وأشراف قومه، فقالوا فيما بينهم؛ أي: قال أولئك القائلون: من فعل هذا بآلهتنا؟ إذا كان الأمر كما ذكرتم ﴿فَأْتُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: بإبراهيم، والفاء فيه للإفصاح ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ حال[1] من ضمير ﴿به﴾؛ أي: إذا كان الأمر كما قلتم، فأتوا به، حالة

---

(١) روح البيان.

كونه ظاهراً على أعين الناس، مكشوفاً بمرأى منهم، ومنظر ومسمع منهم، بحيث تتمكن صورته في أعينهم، تمكّن الراكب على المركوب ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أنه الذي فعل ذلك، فتكون شهادتهم عليه حجة لنا؛ أي: لعل بعضاً منهم يشهدون بفعله، أو بقوله ذلك، لئلا نأخذه بلا بينة.

وفيه إشارة إلى أن في بعض الكفار، من لا يحكم على أهل الجنايات إلاّ بمشهد من العدول، فكل حاكم يحكم على متّهم بالجناية، من غير بيّنة، فهو أسوأ حالا منهم، ومن قوم نمرود كما في «التأويلات النجمية».

وجملة قوله: ﴿قَالُوٓاْ﴾ جواب شرط مقدر تقديره: فلما أتوا به وشهدوا عليه، قالوا منكرين عليه فعله، موبّخين له ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا﴾ الكسر ﴿بِـَٔالِهَتِنَا﴾ وأصنامنا ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؛ أي[1]: أأنت الذي كسر هذه الأصنام، وجعلهم جذاذاً، وقد طلبوا منه الاعتراف بذلك، ليقدموا على إيذائه، وهم مقتنعون بصحة هذه الجريمة في زعمهم، فما كان منه إلاّ أن بادرهم بما أدهشهم، حتى تمنّوا الخلاص منه، فـ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾؛ أي: الذي كان الفأس على عنقه، مشيراً إلى الذي لم يكسره، وهذا صفة لـ ﴿كبير﴾؛ أي: قال إبراهيم: بل الذي فعل هذا الكسر، هو الصنم الأكبر، الذي لم يكسر. أسند[2] الفعل إليه باعتبار أنه الحامل عليه؛ لأنه لما رأى الأصنام مصطفة، مزينة يعظمها المشركون، ورأى على الكبير ما يدل على زيادة تعظيمهم له، وتخصيصهم إياه بمزيد التواضع، والخضوع غاظه، وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد، وقال بعضهم: فعله كبيرهم هذا، غضب من أن تعبد معه هذه الصغار، وهو أكبر منها.

وإيضاح هذا[3]: أن إبراهيم عليه السلام، لمّا رأى تعظيمهم لهذا الصنم، أشدّ من تعظيمهم لسائر ما معه من الأصنام، غضب أشد الغضب، وأسند إليه الفعل الصادر منه من قبل أنه هو الذي حمله على ذلك، وهو يومىء بذلك إلى

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

مقصده، وهو إلزامهم الحجة على ألطف وجه، وأحسنه، مع حملهم على التأمل في شأن آلهتهم.

ومجمل كلامه: أن شديد غضبي من تعظيمكم له، حملني على أن أفعل هذا، والفعل كما ينسب إلى المباشر له، ينسب إلى الباعث عليه، فهذا الصنم الأكبر، قد كان السبب في استهانتي بهم، وتحطيمي إياهم؛ أي: قال إبراهيم مقيماً للحجة عليهم، مبكتاً لهم: بل فعله كبيرهم هذا، مشيراً إلى الصنم الذي تركه، ولم يكسره ﴿فَسْئَلُوهُمْ﴾؛ أي: فاسألوهم؛ أي: فاسألوا هؤلاء الأصنام المكسورة، عن كاسرهم ليخبروكم به ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾؛ أي[1]: إن كانوا ممن يمكنه النطق، ويقدر على الكلام، ويفهم ما يقال له، فيجيب عنه بما يطابقه، أراد عليه السلام، أن يبيّن لهم، أن من لا يتكلم، ولا يعلم، ليس بمستحق للعبادة، ولا يصح في العقل، أن يطلق عليه أنه إلٰه، فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم، بما يوقعهم في الاعتراف، بأن الجمادات التي عبدوها، ليست بآلهة؛ لأنهم إذا قالوا: إنهم لا ينطقون، قال لهم: فكيف تعبدون من يعجز عن النطق، ويقصر عن أن يعلم، بما يقع عنده، في المكان الذي هو فيه، فهذا الكلام، من باب فرض الباطل مع الخصم، حتى تلزمه الحجة، ويعترف بالحق، فإن ذلك أقطع لشبهته، وأدفع لمكابرته.

وفي الحديث المتفق عليه[2]: «لم يكذب إبراهيم النبي قط، إلاّ ثلاث كذبات» سميت المعاريض كذباً، لمَّا شابهت صورتها صورته، وإلاّ فالكذب الصريح كبيرة، فالأنبياء معصومون منها. فإن قلت: إذا كانت هذه معاريض، لم جعلها سبباً في تقاعده عن الشفاعة، حين يأتي الناس إليه، يوم القيامة؟ قلت: الذي يليق بمرتبة النبوة والخلة، أن يصدع بالحق، ويصرح بالأمر، ولكنه قد تنزّل إلى الرخصة، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

والتعريض: تورية الكلام عن الشيء بالشيء، وهو أن تشير بالكلام إلى

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

شيء، والغرض منه شيء آخر، فالغرض من قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ الإعلام بأن من لم يستطع دفع المضرة عن نفسه.. كيف يستطيع دفع المضرة عن غيره، فكيف يصلح إلهاً؟!

وقرأ ابن السميقع[1]: ﴿بل فعلّه﴾ بتشديد اللام على معنى بل، فلعل الكاسر والفاعل ذلك كبيرهم ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته، المتفطن لصحة حجة خصمه، المراجع لعقله، وذلك أنهم تنبهوا وفهموا عند هذه المقالة بينهم وبين إبراهيم، أن من لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه، ولا على الإضرار بمن فعل به، مافعله إبراهيم بتلك الأصنام، يستحيل أن يكون مستحقاً للعبادة، ولهذا ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض: أنتم الظالمون لأنفسكم، بعبادة هذه الجمادات، وليس الظالم، من نسبتم الظلم إليه بقولكم ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وما هذا منكم إلاّ غرور وجهل، بما ينبغي أن تكون عليه حال المعبود.

ثم أبان أنهم أركسوا بعدئذٍ[2]، ورجعوا عن فكرة سليمة، لا غبار عليها، بوصفهم أنفسهم بالظلم إلى فكرة خاطئة، وهي الحكم بصحة عبادتها، مع اعترافهم بأن حالهم دون حال الحيوان، فلا ينبغي لعاقل أن يعبدها، فقال: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ﴾ وانكبوا ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: رجعوا إلى جهلهم وعنادهم، شبه سبحانه، عودهم إلى الباطل، بصيرورة أسفل الشيء أعلاه. وقيل: المعنى أنهم طأطؤوا رؤوسهم خجلةً من إبراهيم؛ أي: انقلبوا عن الفكرة الصالحة إلى الحالة الأولى، فأخذوا في المجادلة بالباطل قائلين: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا إبراهيم ﴿مَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأصنام ﴿يَنطِقُونَ﴾؛ أي: لقد علمت أنه ليس من شأنهم النطق، فكيف تأمرنا بسؤالهم.

وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة وابن مقسم وابن الجارود والبكراوي[3]:

---

(١) الشوكاني والبحر.

(٢) المراغي.

(٣) المراح.

كلاهما عن هشام ﴿نكّسوا﴾ بالتشديد. وقرىء ﴿نَكَسُوا﴾ بالبناء للفاعل مع التخفيف؛ أي: نكسوا أنفسهم على رؤوسهم، وهي قراءة رضوان بن عبد المعبود، أي: لقد بلغ الأمر بهم، إلى أن قالوا: إنما اتخذناهم آلهة، مع علمنا بأنهم لا ينطقون ولا يتكلمون، فكيف تأمرنا بسؤالهم، وإنما قال: ﴿يَنطِقُونَ﴾، ولم يقل: يسمعون أو يعقلون مع أن السؤال موقوف على السمع والعقل أيضاً، من قبل أن نتيجة السؤال الجواب، وأن عدم نطقهم أبلغ في تبكيتهم فـ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم مبكتاً لهم وموبخاً ﴿أ﴾ تعلمون ذلك ﴿فتعبدون من دون الله﴾ سبحانه؛ أي: حال كونكم متجاوزين عبادته تعالى، فالهمزة للاستفهام التوبيخي التبكيتي المضمّن للإنكار، داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتعلمون عدم نطقها، فتعبدون من دون الله ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾؛ أي: فتعبدون من دون الله معبودات، لا تنفعكم شيئاً من النفع إن عبدتموها، فتعلقوا رجاءكم بها، ولا تضركم شيئاً من الضرر إن لم تعبدوها فتخافوها، فإن العلم بالحالة المنافية للألوهية، مما يوجب الاجتناب عن عبادتها قطعاً ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾؛ أي؛ تباً ونتناً لكم ﴿و﴾ قبحاً ﴿لما تعبدون﴾ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه، أي: لمعبوداتكم التي اتخذتموها من دون الله. واللام[1] لبيان المتضجر لأجله؛ أي: هذا التأفف لكم ولآلهتكم، لا لغيركم. وعائد الموصول محذوف كما قدَّرناه، وهذا تضجر منه عليه السلام، من إصرارهم على الباطل البيِّن. و﴿أُفٍّ﴾ صوت التضجر، إذا صوت بها الإنسان علم أنه متضجّر، ومعناه: قبحاً ونتناً. وفي كتب النحو، من أسماء الأفعال ﴿أُفٍّ﴾ بمعنى أتضجر. والهمزة في قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ للاستفهام التوبيخي الإنكاري، داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك، والتقدير: أجننتم، فلا تعقلون قبح صنيعكم؛ أي: أليس لكم عقل تعقلون به، أنَّ هذه الأصنام لا تستحق العبادة.

والمعنى: أي[2] أفلا تتدبرون ما أنتم فيه، من الضلال والكفر، الذي لا يروج إلا على جاهل فاجر، وأنتم الشيوخ الذين بلوا الزمان حلوه ومره، وحنَّكتهم

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

تجارب الأيام، فمن حقكم أن تعاودوا الرأي وتقلبوه ظهراً لبطن، لعلكم ترشدون بعد الضلال، وتهتدون بعد الغيّ والعمى.

قال ابن عطاء[1]: دعا الله تعالى عباده إليه، وقطعهم عما دونه بقوله: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ. . .﴾ إلخ كيف تعتمده وهو عاجز مثلك، ولا تعتمد من إليه المرجع، وبيده الضرُّ والنفع. قال حمدون القصَّار: استغاثة الخلق بالخلق، كاستغاثة المسجون بالمسجون. وقال بعض الكبار: طلبك من غيره لوجود بعدك عنه، إذ لو كنت حاضراً بقلبك معه، ما صح منك توجه لغيره، وكل ما دون الله، خوض ولعب، فالتعلق به زور وكذب، فدع الكل جانباً، وتعلق بمولاك حتماً، تجده في كل مهم وغيره مغنياً، وعند كل شيء حقاً يقيناً، جعلنا الله ممن تعلق به بلا علة، وعافانا من الذلة والزلة والقلة.

ولما بان عجزهم عن مجادلته، وحصحص الحق لجؤوا إلى الغلظة واستعمال القسوة فـ ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض، والقائل ملكهم نمرود بن كنعان. وقيل: القائل، رجل من أكراد فارس، اسمه هينون، خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ﴿حَرِّقُوهُ﴾؛ أي: حرّقوا إبراهيم بالنار، واتفقت كلمتهم على إحراقه لأنه أشدّ العقوبات ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ بالانتقام لها؛ أي: انتقموا منه لآلهتكم ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ نصرها، ولا تريدون خذلانها وترك عبادتها.

ذكر القصة في ذلك

فلما[2] اجتمع نمروذ وقومه، لإحراق إبراهيم، حبسوه في بيت، وبنوا بنياناً كالحظيرة بقرية يقال لها «كُوثْى» ـ بضم الكاف، قريةٌ بالعراق ـ: ثم جمعوا له أصلاب الحطب، وأصناف الخشب مدة شهر، حتى كان الرجل يمرض، فيقول: لئن عوفيت لأجمعن حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب: لئن أصابته، لتحطبن في نار إبراهيم، وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها، احتساباً في دينها، وكان الرجل يوصي بشراء الحطب من ماله لإبراهيم، فلما

(١) روح البيان.
(٢) الخازن.

جمعوا ما أرادوا، وأشعلوا في كل ناحية من الحطب ناراً، فاشتعلت النار واشتدت، حتى أن الطير ليمر بها فيحترق، من شدة وهجها وحرها، فأوقدوا عليها سبعة أيام، فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم لم يعلموا كيف يلقونه، فقيل: إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق، فعملوه، ثم عادوا إلى إبراهيم فقيدوه، ورفعوه على رأس البنيان، ووضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة، وجميع الخلق: إلاّ الثقلين صيحة واحدة: أي: ربنا إبراهيم خليلك يلقى في النار، وليس في أرضك أحد يعبدك غيره، فائذن لنا في نصرته، فقال الله تعالى: إنه خليلي ليس لي خليل غيره، وأنا إلهه ليس له إله غيري، فإن استغاث بأحد منكم، أو دعاه فلينصره، فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به، وأنا وليه، فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار، أتاه خازن المياه وقال: إن أردت، أخمدت النار، وأتاه خازن الهواء، وقال: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم، حسبي الله ونعم الوكيل.

وروى عن أبي بن كعب[1]: أن إبراهيم، قال حين أوثقوه ليلقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، فاستقبله جبريل، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قال: قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ، حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم أخرجه البخاري.

قال كعب الأحبار: جعل كل شيء يطفىء عنه النار إلاّ الوزغ، فإنه كان ينفخ في النار.

---

(١) الخازن.

وعن أم شريك أن رسول الله ﷺ، أمر بقتل الأوزاغ. متفق عليه، زاد البخاري: وكان ينفخ على إبراهيم.

ثم أبان سبحانه، أنه أبطل كيدهم، ودفع عنه هلاكاً محققاً بمعونته وتأييده، فقال: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى﴾؛ أي: فأوقدوا له ناراً ليحرقوه، ثم ألقوه فيها، فقلنا للنار: يا نار كوني ﴿بَرْدًا﴾؛ أي: ذات برد من حرّك ﴿وَسَلَٰمًا﴾؛ أي: ذات سلامةٍ من ضرر بردك ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ خليلنا؛ أي: أبردي برداً غير ضارٍ به، فزال ما فيها من الحرارة والإحراق، وبقي ما فيها من الإضاءة والإشراق. هذا[1] ما اختاره المحققون لدلالة الظاهر عليه، وهذا كما ترى، من أبدع المعجزات فإن انقلاب النار هواء طيباً وإن لم يكن بدعاً من قدرة الله، لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة، مما يخرق العادات. وقيل: كانت النار بحالها، إلاّ أنه تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفيةً مانعة من وصول أذى النار إليه، كخزنة جهنم في الآخرة، وكما أنه ركب بنية النعامة، بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة، وبدن السمندل، بحيث لا يضره المكث في النار، كما يشعر به ظاهر قوله على إبراهيم.

ومكث إبراهيم في النار سبعة أيام[2]، فما أحرقت منه إلا وثاقه، قاله كعب الأحبار ووهب بن منبه. وقال غيرهما: أربعين أو خمسين يوماً. وقال إبراهيم: ما كنت أطيب عيشاً زماناً من الأيام، التي كنت فيها في النار، فنزل جبريل بقميص من الجنة، وطنفسة من الجنة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطنفسة، وقعد معه يحدثه، وإن آزر أتى نمرود فقال: ائذن لي أن أخرج عظام إبراهيم فأدفنها، فانطلق نمرود ومعه الناس، فأمر بالحائط فنقب، فإذا إبراهيم في روضة تهتز وثيابه تندى، وعليه القميص، وتحته الطنفسة، والملك إلى جنبه، فناداه نمرود: يا إبراهيم إن إلهك الذي بلغت قدرته هذا لكبير هل تستطيع أن تخرج؟ قال: نعم، فقام إبراهيم يمشي حتى خرج، فقال: من الذي رأيت معك؟ قال: ملك أرسله إليّ ربي ليؤنسني، فقال نمرود: إني مقرب لإلهك قرباناً لما رأيت من

---

(١) روح البيان.
(٢) زاد المسير.

قدرته، فقال: إذن لا يقبل الله منك، ما كنت على دينك، فقال: يا إبراهيم لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبح له، فذبح القربان، وكف عن إبراهيم.

وكان وقت إلقائه فيها، ابن ست عشرة سنة، ذكره أبو السعود. وقيل: كان ابن ست وعشرين سنة، قاله الماوردي، والله أعلم. روى أبو هريرة أن النبي ﷺ، قال: «لمّا ألقي إبراهيم في النار، قال: اللهم إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك».

فائدة: فإن قلت: لم ابتلاه الله بالنار في نفسه؟

قلت: كل رسول يأتي بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان أهل ذلك الزمان، يعبدون النار والشمس والقمر والنجوم، معتقدين ألوهيتها وتأثيرها، فأراهم الله تعالى، أنها لا تأثير لها.

﴿وَأَرَادُوا﴾؛ أي: وأراد نمرود وقومه ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بإبراهيم عليه السلام، ﴿كَيْدًا﴾ أي: مكراً عظيماً في الإضرار به ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾؛ أي: من ذوي الخسران والوبال، فإنهم خسروا السعي والنفقة، فلم يحصل لهم مرادهم، وهلكوا بإرسال الله عليهم البعوض، فأكلت لحومهم، وشربت دماؤهم، ودخلت في دماغ نمرود بعوضة فأهلكته. أو المعنى ﴿جعلناهم من الأخسرين﴾؛ أي: من الهالكين بتسليط البعوض عليهم، وقتله إياهم، وهو أضعف خلق الله تعالى، وما برح النمرود، حتى رأى أصحابه، قد أكلت البعوض لحومهم، وشربت دماءهم، ووقعت واحدة في منخره، فلم تزل تأكل، إلى أن وصلت إلى دماغه، وكان أكرم الناس عليه، الذي يضرب رأسه بمرزبة من حديد، فأقام بهذا، نحواً من أربع مئة سنة. وقال هنا: ﴿من الأخسرين﴾، وفي الصافات: ﴿من الأسفلين﴾ لما تقدم على كل منهما، فتمت المناسبة في الموضعين.

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ﴾ أي: إبراهيم من الإحراق، ومن شر النمرود ﴿و﴾ نجينا معه ﴿لُوطًا﴾ ابن أخي إبراهيم هاران الأصغر من الخسف، وكان لهما أخ ثالث، اسمه: ناخور، والثلاثة أولاد آزر، وأما هاران الأكبر، فكان عمّا لإبراهيم، وكانت سارة بنت عم إبراهيم، الذي هو هاران الأكبر مهاجرين ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى

﴿بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾؛ أي: أنزلنا البركة فيها للعالمين في الدين والدنيا؛ أي: أخرجناهما من العراق إلى أرض الشام المباركة، وقد[1] خرج إبراهيم من كوثى من أرض العراق، ومعه لوط وسارة يلتمس الفرار والأمان بدينه، والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حرّان، فمكث بها ما شاء الله، ثم خرج منها، وجاء إلى مصر، ثم رجع إلى الشام، ونزل بفلسطين، وترك لوطاً بالمؤتفكة، وهي منها مسيرة يوم وليلة، وبعثه الله نبياً إلى أهلها.

وقد كان الله تعالى، بارك في الأرض المقدسة، ببعث أكثر الأنبياء فيها، ونشر شرائعهم، التي هي البركات الحقيقية، الموصلة للعالمين، إلى الكمالات والسعادة الدينية والدنيوية، وبكثرة الماء. والشجر والثمر والحطب وطيب عيش الغني والفقير فيها.

ثم ذكر سبحانه ما أفاضه من النعم على إبراهيم فقال:

١ - ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾؛ أي: لإبراهيم بعد نزوله في الأرض المباركة، وطلب الولد منها ﴿إِسۡحَٰقَ﴾ ولدا لصلبه من سارة، معناه: بالعبرانية الضحّاك، كما أن معنى إسماعيل بها، مطيع الله ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾؛ أي: ووهبنا له يعقوب أيضاً، حال كونه ﴿نَافِلَةٗۖ﴾؛ أي: ولد ولد، فهو حال من المعطوف عليه، فقط لعدم اللبس، وسمّي يعقوب؛ لأنه خرج عقيب أخيه عيص أو متمسكاً بعقبه، وعاش إسحاق مئة وسبعاً وأربعين سنة، كذا في «التحبير».

وقيل المعنى[2]: وهبناهما لإبراهيم نافلة؛ أي: عطية وفضلاً من غير أن يكونا جزاءاً مستحقاً. فنافلة منصوب على المصدر. وقيل[3]: النافلة الزيادة، وكان إبراهيم قد سأل الله سبحانه، أن يهب له ولداً، فوهب له إسحاق، ثم وهب لإسحاق يعقوب من غير دعاء، فكان ذلك نافلة؛ أي: زيادة.

٢ - ﴿وَكُلّٗا﴾؛ أي: وكل واحد من هؤلاء الأربعة: إبراهيم ولوط وإسحاق

---

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

(٣) الشوكاني.

ويعقوب، لا بعضهم دون بعض، جعلناه صالحاً عاملاً بطاعة ربه، تاركاً لمعاصيه. وقيل: المراد بالصلاح هنا النبوة.

٣ - ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾؛ أي: وجعلنا هؤلاء الأربعة ﴿أَئِمَّةً﴾؛ أي: رؤساء يقتدى بهم، في الخيرات، وأعمال الطاعات ﴿يَهْدُونَ﴾؛ أي: يدعون الناس إلى دين الله تعالى، ﴿بِأَمْرِنَا﴾ لهم بذلك، وإذننا لهم فيه؛ أي: بما أنزلنا عليهم من الوحي، حتى صاروا مكملين.

٤ - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: إلى هؤلاء الأربعة، فيما أوحينا ﴿فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾؛ أي: أن افعلوا الطاعات، واتركوا المحرمات، حتى صاروا كاملين، بانضمام العمل إلى العلم، بناء على أن التكاليف، يشترك فيها الأنبياء والأمم.

٥ - ٦ - ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ من[1] عطف الخاص على العام، دلالة على فضله، وحذفت تاء الإقامة المعوضة من إحدى الألفين، لقيام المضاف إليه مقامها، أي: وأوحينا إليهم أن أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وقد خصهما بالذكر من بين سائر العبادات؛ لأن الصلاة أشرف العبادات البدنية، والزكاة أفضل العبادات المالية، والمال شقيق الروح، ومجموع العبادتين تعظيم الخالق والشفقة على المخلوق.

وبعد أن بيّن صنوف نعمه عليهم، ذكر اشتغالهم بعبادته، فقال: ﴿وَكَانُوا﴾؛ أي: وكان هؤلاء الأربعة ﴿لَنَا﴾ خاصة دون غيرنا ﴿عابدين﴾؛ أي: مطيعين فاعلين لما نأمرهم به، تاركين ما ننهاهم عنه، لا يخطر ببالهم غير عبادتنا، والعبادة غاية التذلل.

وبعد أن ذكر ما أنعم به على إبراهيم، أتبعه بذكر ما أنعم به على لوط، فقال:

١ - ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بمضمر يفسره قوله: ﴿آتَيْنَاهُ﴾؛ أي: وآتينا لوطاً

---

(١) روح البيان.

﴿حُكْمًا﴾؛ أي: فصلاً بين الخصوم في القضاء؛ أي: حسنه.

٢ ـ ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمر دينه وما يجب عليه لله من واجب الطاعة والإخبات له؛ أي: علما نافعاً، يتعلق بأمور الدين، وقواعد الشرع والملة.

٣ ـ ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ﴾؛ أي: ونجينا لوطا ﴿مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ أي: من عذاب أهل قرية سدوم، أعظم القرى المؤتفكة؛ أي: المجعول عاليها سافلها، وهي سبع كما سبق ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾؛ أي: التي كان أهلها يعملون الأعمال الخبائث، والرذائل الدنيئة[1]: من اللواط ورمي المارّة بالبندق، واللعب بالطيور، والتضارط في أنديتهم، وغير ذلك؛ أي: ونجيناه من عذابنا الذي أحللناه بأهل تلك القرية التي كانت تعمل خبائث الأعمال التي من أشنعها إتيان البيوت من غير أبوابها. ثم بيّن السبب الذي دعاهم إلى ذلك فقال: ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: أهل تلك القرية ﴿كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾؛ أي: قوماً أصحاب عمل سيء ﴿فَـٰسِقِينَ﴾؛ أي: خارجين عن طاعتنا، منهمكين في الكفر والمعاصي، متوغلين في ذلك؛ أي: إن الذي حملهم على ذلك، وجرّأهم على ارتكابه، أنهم كانوا خارجين عن طاعة الله، منتهكين حرماته، قد دسوا أنفسهم بقبيح الأفعال والأقوال، فلا عجب إذا هم لجّوا في طغيانهم يعمهون. وفي[2] الآية إشارة إلى أن النجاة من الجليس السوء من المواهب، والاقتران معه من الخذلان.

٤ ـ ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ﴾؛ أي: أدخلنا لوطا ﴿فِى رَحْمَتِنَآ﴾؛ أي: في أهل رحمتنا بإنجائه من القوم المذكورين، أو في أهل رحمتنا الخاصة، وهي النبوة، أو وجعلناه في جملة من يستحقون رحمتنا ولطفنا، بإدخاله جنتنا، كما جاء في الحديث الصحيح: «قال الله، عز وجل للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي». ثمَّ ذكر علة هذا بقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: إن لوطاً كان ﴿من عبادنا الصالحين﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى، إذ كان ممن يعملون بطاعتنا، فيأتمرون بأمرنا وينتهون عن نهينا.

---

(١) المراح. (٢) روح البيان.

ولمّا ذكر تعالى قصة إبراهيم، وهو أبو العرب، وتنجيته من أعدائه، ذكر قصة أبي العالم الأنسي كلهم، وهو الأب الثاني لآدم، لأنه ليس أحد إلاّ من نسله، من سام وحام ويافث، فقال: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾؛ أي: واذكر أيها الرسول الكريم نوحاً؛ أي: قصة نوح إذ نادى ودعا ربه بالهلاك، على قومه حين كذبوه؛ أي: اذكر نبأه، الواقع حين دعائه على قومه بالهلاك ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هؤلاء المذكورين ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه الذي هو قوله: «إني مغلوب فانتصر»؛ أي: أجبنا له دعاءه بإهلاك قومه ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ المؤمنين به ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي[1]: من الغم العظيم، الذي كانوا فيه من أذىٰ قومه، أو من الغرق بالطوفان.

والمعنى[2]: أي واذكر أيها الرسول نبأ نوح، إذ نادى ربه من قبلك، ومن قبل هؤلاء المذكورين، فسألنا أن نهلك قومه، الذين كذبوا الله، فيما توعدهم به من وعيده، وكذبوه فيما آتاهم به، من الحق عند ربه، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ وقال: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ فاستجبنا له دعاءه، ونجيناه وأهل الإيمان من أولاده وأزواجهم، ومن قومه مما حل بالمكذبين من الغرق.

روى أنه بعث وهو ابن الأربعين، ومكث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، فذلك ألف وخمسون سنة. كذا في «التحبير».

﴿وَنَصَرْنَـٰهُ﴾؛ أي: ونصرنا نوحاً نصراً مستتبعاً للانتقام والانتصار، ولذلك عدي بمن حيث قال: ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾؛ أي: انتقمنا له من القوم ﴿الذين كذبوا بآياتنا﴾؛ أي: بحججنا وأدلتنا كلها أولاً وآخراً. وقيل: من بمعنى على؛ أي نصرناه على القوم الذين كذبوا بآياتنا، قاله أبو عبيدة. وقيل: معنى نصرناه؛ أي: حفظناه من أن يصلوا[3] إليه بسوء مع طول مكثه فيهم.

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) الخازن.

ثم علل سبحانه ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾؛ أي: أصحاب عمل سيء من الشرك والمعاصي ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ بالطوفان ﴿أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: كلهم، فلم نترك منهم أحدا، بل أغرقنا كبيرهم وصغيرهم لإصرارهم على تكذيب الحق، ولانهماكهم في الشر والفساد، فإنه لم يجتمع الإصرار على التكذيب والانهماك في الشر والفساد في قوم.. إلاّ أهلكهم الله تعالى. وهذا بيان للوجه الذي خلصه الله منهم به.

والمعنى: أي لأنهم كانوا يسيئون الأعمال فيعصون الله، ويخالفون أوامره ويتصدون لأذى نبيهم، ويتواصون جيلاً بعد جيل، بمخالفة أمره، ورفع راية العصيان في وجهه.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: واذكر أيها الرسول نبأ داود وسليمان وقصتهما ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى﴾ شأن ﴿ٱلْحَرْثِ﴾ والزرع. قيل: كان زرعاً. وقيل: كرماً. واسم الحرث يطلق عليهما ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ وانتشرت وتفرقت ورعت. ظرف للحكم ﴿فِيهِ﴾؛ أي: في ذلك الزرع ﴿غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ ليلا ترعى بلا راع، فرعته وأفسدته، فإن النفش أن ينتشر الغنم ليلاً بلا راع. والغنم محركة، الشاة، لا واحد لها من لفظها. الواحدة شاة، كما سيأتي في مبحث التصريف ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾؛ أي: لحكم[1] داود وسليمان، فذكرهما بلفظ الجمع؛ لأن الاثنين جمع، كذا قاله الفراء، وفيه دليل لمن يقول، بأن أقل الجمع اثنان. وقرأ ابن مسعود وابن عباس وابن أبي عبلة ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ على التثنية، أو المعنى لحكمهم؛ أي: لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما، قاله أبو سليمان الدمشقي ﴿شَٰهِدِينَ﴾؛ أي: حاضرين غير غائبين؛ أي: كان ذلك بعلمنا ومرأى منا، لا يخفى علينا من أمرهم شيء.

فإن قيل[2]: كيف يجوز أن يجعل الضمير لمجموع الحاكمين، والمتحاكمين، وهو يستلزم إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوله دفعةً واحدةً، وهو

---

(١) زاد المسير. (٢) روح البيان.

إنما يضاف إلى أحدهما فقط؛ لأن إضافته إلى الفاعل على سبيل القيام به. وإضافته إلى المفعول على سبيل الوقوع عليه، فهما معمولان مختلفان، فلا يكون اللفظ الواحد مستعملاً فيهما معاً، وأيضاً أنه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز، لأن إضافته إلى الفاعل حقيقةٌ، وإلى المفعول مجاز؟

فالجواب: أن هذه الإضافة لمجرد الاختصاص، مع كون القطع عن كون المضاف إليه فاعلاً أو مفعولاً، على طريق عموم المجاز، كأنه قيل: وكنا للحكم المتعلق بهم ﴿شَٰهِدِينَ﴾ حاضرين علماً، وهو مفيد لمزيد الاعتناء بشأن الحكم. وجملة قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ اعتراضية[1]. وجملة قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ معطوفة على ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾؛ لأنه في حكم الماضي. وقرأ عكرمة: ﴿فأَفَهَمْناها﴾ عُدي بالهمزة كما عدى في قراءة الجمهور بالتضعيف، فالضمير في ﴿ففهمناها﴾ للحكومة أو الفتوى؛ أي: ففهمنا الحكومة ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ وهو ابن إحدى عشرة سنة. قال في «التأويلات النجمية». يشير إلى رفعة درجة بعض المجتهدين على بعض، وأن الاعتبار في الكبر والفضيلة بالعلم، وفهم الأحكام والمعاني والأسرار، لا بالسن، فإنه فهم بالأحق والأصوب، وهو ابن صغير، وداود نبي مرسل كبير.

وفي القصص[2]: أن بني إسرائيل حسدوا سليمان على ما أوتي من العلم في صغر سنه، فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود إن الحكمة تسعون جزءاً، سبعون منها في سليمان، وعشرون في بقية الناس؛ أي: علّمناه وألهمناه حكم القضية ﴿وَكُلًّا﴾؛ أي: كل واحد من داود وسليمان ﴿ءَاتَيْنَا﴾؛ أي: أعطيناه ﴿حُكْمًا﴾ أي: فيصلاً؛ أي: علم فصل بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا﴾ كثيراً نافعاً في الدين والدنيا، لا سليمان وحده، فحكم كليهما حكم شرعي. وعاش دادو مئة سنة، وابنه سليمان تسعاً وخمسين سنة. كذا في «التحبير».

والمعنى: أي[3] واذكر أيها الرسول الكريم نبأ داود وسليمان عليهما السلام حين حكما في الزرع الذي رعته غنمٌ لقوم آخرين غير صاحب الحرث، ليلاً

---

(1) الشوكاني.

(2) روح البيان.

(3) المراغي.

فأفسدته، وكان ربك شاهداً عليماً، بما حكم به داود وسليمان بين القوم، الذين أفسدت غنمهم الحرث، وصاحب الحرث لا يخفى عليه شيء منه، ولا يغيب عنه علمه، ففهم الفتيا في ذلك لسليمان دون داود، وقد كان كل منهما فيصلاً في الحكم وفي الخصومات، ذا علم بالدين والتشريع.

وقد روى الرواة في تفصيل هذه القصة: أن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا الرجل أرسل غنمه في حرثي، فلم تبق منه شيئاً، فقال داود: اذهب فإن الغنم كلها لك. ومر صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بالذي قضى به داود، فدخل سليمان على داود، فقال: يا نبي الله، إن القضاء سوى الذي قضيت، فقال: كيف؟ قال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث، فيكون له منافعها من درّها وأولادها وأشعارها، والحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه حتى يعود كما كان، ثم يترادَّان فيأخذ صاحب الحرث حرثه، وصاحب الغنم غنمه. فقال داود: القضاء ما قضيت، وأمضى الحكم بذلك.

وجه الرأي لدى كل منهما[1]، أن داود قدر الضرر في الحرث، فكان مساوياً لقيمة الغنم، فسلم الغنم للمجني عليه، وأن سليمان قدر منافع الغنم بمنافع الحرث فحكم بها، وكان حكمهما بالاجتهاد دون الوحي، إذ لو كان به ما أمكن تغييره.

فإن قلت: فما حكم[2] هذه الحادثة التي حكم فيها داود وسليمان في هذه الشريعة المحمدية والملة الإسلامية؟

قلت: قد ثبت عن النبي ﷺ من حديث البراء، أنه شرع لأمته أن على أهل الماشية حفظها بالليل، وعلى أصحاب الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل مضمون على أهلها، وهذا الضمان هو مقدار الذاهب عيناً، أو قيمةً. وقد ذهب جمهور فيه العلماء، إلى العمل بما تضمنّه هذا الحديث. وقد ذهب أبو

---

(١) المراغي. (٢) الشوكاني.

حنيفة وأصحابه وجماعة من الكوفيين، إلى أن هذا الحكم منسوخ، وأن البهائم إذا أفسدت زرعاً في ليل أو نهار، أنه لا يلزم صاحبها شيء، وأدخلوا فسادها في عموم قول النبي ﷺ: «جرح العجماء جبار» قياساً لجميع أفعالها على جرحها. ويجاب عنه، بأن هذا القياس فاسد الاعتبار، لأنه في مقابلة النص، ومن أهل العلم، من ذهب إلى أنه، يضمن رب الماشية، ما أفسدته، من غير فرق بين الليل والنهار. ويجاب عنه بحديث البراء.

ولما مدح داود وسليمان على سبيل الاشتراك، ذكر ما يختص بكل واحد منهما، فبدأ بداود، فقال: ﴿وَسَخَّرْنَا﴾؛ أي: وذلّلنا ﴿مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ﴾ و﴿مَعَ﴾ متعلقة بالتسخير، وهو تذليل الشيء وجعله طائعاً منقاداً، وقوله: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ حال من الجبال؛ أي[1]: حالة كونهن يقدسن الله تعالى، بحيث يسمع الحاضرون تسبيحهن، فإنه هو الذي يليق بمقام الامتنان، لا انعكاس الصدى، فإنه عام. وكذا ما كان بلسان الحال فاعرف؛ أي:[2] ينطق بالتسبيح، وكان داود يسبح وحده، فالله تعالى خلق فيها الكلام، كما سبّح الحصى في كف رسول الله ﷺ وسمع الناس ذلك.

وقال أبو حيان[3]: قيل كان يمر بالجبال مسبّحاً وهي تجاوبه. وقيل: كانت تسير معه حيث سار. والظاهر وقوع التسبيح منها بالنطق، خلق الله فيها الكلام كما سبّح الحصى في كف رسول الله ﷺ، وسمع الناس ذلك، وكان داود يسمعه، قاله يحيى بن سلام. وقيل: كل واحد.

وقوله: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفاً على الجبال؛ أي: وسخرنا الطير معه حالة كونها تسبّح معه. وقدمت الجبال على الطير[4] لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد، والطير حيوان،

---

(١) روح البيان.
(٢) المراح.
(٣) البحر المحيط.
(٤) روح البيان.

يعني إذا ذكر داود عليه السلام ربه ذكرت الجبال والطير ربها معه ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾؛ أي: قادرين على أن نفعل هذا، وإن كان عجباً عندكم، أو فاعلين هذه الأعاجيب، من تسخير الجبال وتسبيحهن والطير لمن نخصه بكرامتنا. روي أن داود كان إذا مرّ يسمعه تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه. وقرىء[1] ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ مرفوعاً على الابتداء، والخبر محذوف؛ أي: مسخر، لدلالة «سخرنا» عليه، أو على الضمير المرفوع في ﴿يُسبِّحن﴾ على مذهب الكوفيين، وهو توجيه قراءة شاذة.

ومعنى الآية: أي[2] وسخرنا الجبال والطير لداود، تقدس الله معه، بحيث تتمثل له مسبحة، فيكون ذلك أملك لوجدانه وجميع مشاعره، فيستغرق في التسبيح، وكنا فاعلين لأمثاله، فليس ذلك ببدع منا، وإن كنتم تعجبون منه، فإن المستغرقين في التسبيح والتقديس يحصل لهم من الأنس بالله ما يجعل العالم كله في نظرهم مسبحاً، وكأن العوالم كلها تنطق لهم به، بلسان أفصح من لسان المقال، ولا يدرك هذا أحد إلا بوجدانه. ونحو الآية قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾؛ أي: وعلمنا داود ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾؛ أي: عمل الدروع وإصلاحها والصنع[3] وكذا الصنعة إجادة الفعل، فكل صنع فعل، وليس كل فعل صنعاً، والصناعة حرفة الصانع كالكتابة والحياكة، وعمل الصنعة. واللبوس في الأصل: اللباس درعاً كان أو غيرها، وكانت الدروع قبل داود صفائح؛ أي: قطع حديد عراضا، فحلقها وسردها ﴿لَكُمْ﴾ أي: لأجل نفعكم يا أهل مكة فإن الله تعالى ألان الحديد لداود، فكان يعمل منه بغير نار، كأنه طين، فهو متعلق بـ «علمنا»، أو بمحذوف هو صفة ﴿لبوس﴾.

والمعجزة فيه أنه فعل ذلك من غير استعانة بأداة وآلةٍ، من نحو الكير والنار

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

والسندان والمطرقة، وكان لقمان يجلس مع داود، ويرى ما يصنع ويهم أن يسأل عنها، لأنه لم يرها قبل ذلك، فيسكت، فلما فرغ داود من الدرع قام وأفرغه على نفسه، وقال: نعم الرداء هذا للحرب. فقال لقمان عندها: إن من الصمت لحكمة، قالت الحكماء: وإن كان الكلام فضة فالصمت من ذهب ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾؛ أي: لتحرزكم وتحفظكم تلك اللبوس والدروع، وهو بدل اشتمال من ﴿لكم﴾ بإعادة الجار، لأن ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ في تأويل لإحصانكم، وبين الإحصان وضمير لكم ملابسة الاشتمال، مبين لكيفية الاختصاص، والمنفعة المستفادة من لكم ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾؛ أي: من حرب عدوكم. والبأس هنا بمعنى الحرب، وإن وقع على السوء كله، وفي الآية دلالة على أن جميع الصنائع بخلق الله تعالى وتعليمه. وفي الحديث: «إن الله خلق كل صانع وصنعه».

والمعنى: أي[١] وعلمناه صنعة الدروع، وقد كانت صفائح، فجعلها حلقا فتمنع عنكم إذا لبستموها ولقيتم أعداءكم أذى الحرب، من قتل وجرح ونحوهما ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ لهذه النعمة التي أنعمنا بها عليكم. والاستفهام هنا في معنى الأمر؛ أي: فاشكروا الله تعالى على ما يسره لكم من هذه الصنعة، التي تمنع عنكم غوائل الحروب، وتقيكم ضررها وعظيم أذاها. والخطاب[٢] فيه لهذه الأمة، من أهل مكة ومن بعدهم إلى يوم القيامة، أخبر الله تعالى، أن أول من عمل الدروع داود، ثم تعلم الناس، فعمّت النعمة بها كل محارب، من الخلق، إلى آخر الدهر، فلزمهم شكر الله تعالى على هذه النعمة.

وقال بعضهم: الخطاب لداود وأهل بيته، بتقدير القول؛ أي: فقلنا لهم بعد ما أنعمنا عليهم بهذه النعم، فهل أنتم شاكرون، على ما أعطى لكم من النعم، التي ذكرت، من تسخير الجبال له، والطير، وإلانة الحديد، وعلم صنعة اللبوس.

وقرىء[٣]: ﴿لُبوس﴾ بضم اللام، والجمهور بفتحها. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي[٤]: ﴿ليحصنكم﴾ بالياء. وقرأ ابن عامر وحفص عن

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) زاد المسير.
(٤) البحر المحيط.

خفيفة. وقرأ أبو الدرداء وأبو عمران الجوني وأبو حيوة: ﴿لتحصّنكم﴾ بتاء مضمومة وفتح الحاء وتشديد الصاد. وقرأ ابن مسعود وأبو الجوزاء وحميد بن قيس: ﴿لتحصّنكم﴾ بتاء مفتوحة مع فتح الحاء وتشديد الصاد مع ضمها. وقرأ أبو رزين العقيلي وأبو المتوكل ومجاهد: ﴿لنحصّنكم﴾ بنون مضمومة وحاء مفتوحة وصاد مكسورة مع تشديدها. وقرأ معاذ القارىء وعكرمة وابن يعمر وعاصم الجحدري وابن السميقع: ﴿ليحصّنكم﴾ بياء مضمومة وحاء ساكنة وصاد مكسورة ونون مشددة.

فمن قرأ بالياء ففيه أربعة أوجه: قال أبو علي الفارسي: أن يكون الفاعل اسم الله لتقدم معناه، ويجوزأن يكون اللباس؛ لأن اللبوس بمعنى اللباس، من حيث إنه كان ضرباً منه، ويجوز أن يكون داود، ويجوز أن يكون التعليم. وقد دل عليه ﴿علمناه﴾. ومن قرأ بالتاء حمله على المعنى؛ لأنه الدرع. ومن قرأ بالنون فلتقدم قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾، ومعنى لتحصنكم: لتحرزكم وتمنعكم من بأسكم؛ أي: من حربكم كما مرّ.

﴿و﴾ سخّرنا ﴿لسليمان الريح﴾ عبّر هنا باللام الدالة على التمليك، وفي حق داود بـ﴿مع﴾ الدالة على الاصطحاب؛ لأن الجبال والطير لما اشتركا معه في التسبيح، ناسب فيه ذكر (مع) الدالة على الاصطحاب، ولما كانت الريح مستخدمة لسليمان، أتى بلام الملك؛ لأنها في طاعته وتحت أمره، اهـ من «البحر». والريح[١] جسم لطيف متحرك، ممتنع بلطفه، من القبض عليه، يظهر للحس بحركته، ويخفى عن البصر بلطفه.

وقرأ الجمهور[٢]: ﴿الريح﴾ مفرداً بالنصب. وقرأ ابن هرمز وأبو بكر في رواية بالرفع مفرداً. وقرأ الحسن وأبو رجاء ﴿الرياح﴾ بالجمع والنصب. وقرأ بالجمع والرفع أبو حيوة. فالنصب على إضمار سخرنا، والرفع على الابتداء.

---

(١) الخازن.

(٢) البحر المحيط.

وقوله: ﴿عَاصِفَةً﴾ حال من الريح؛ أي:[١] حالة كونها شديدة الهبوب، من حيث إنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان، وكانت ليّنة في نفسها، طيبة كالنسيم، فكان جمعها بين الرخاوة في نفسها، وعصفها في عملها، مع طاعتها لسليمان، وهبوبها حسبما يريد، ويحتكم معجزة مع معجزة.

وعبارة «الخازن» هنا: فإن قلت: قد وصف الله سبحانه، هنا الريح بالعصف، وفي آية أخرى بالرخاء، وهي الريح اللّيّنة، فبين الوصفين معارضة؟

قلتُ: لا منافاة بينهما؛ لأن الريح كانت تحت أمره، إن أراد أن تشتدّ، اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت، انتهت.

وحالة كونها ﴿تَجْرِى﴾؛ أي: الريح ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾؛ أي: بأمر سليمان وإذنه ومشيئته ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ الشامية ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا﴾؛ أي: أنزلنا البركة ﴿فِيهَا﴾ للعالمين بكثرة المياه والأنهار والأشجار، وكانت الريح تذهب به، غدوة من الشام إلى ناحية من نواحي الأرض، وبينها وبين الشام مسيرة شهر، إلى وقت الزوال، ثم ترجع به منها بعد الزوال إلى الشام عند الغروب، كما قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ والمعنى؛ أي[٢]: وسخرنا لسليمان الريح عاصفة، شديدة الهبوب تارةً، ورخاء لينة تارة أخرى، وفي كل حال منهما تجري بأمره إلى أي بقعة من الأرض المقدسة، فيخرج هو وأصحابه حين الغداة إلى حيث شاؤوا، ثم يرجعون في يومهم إلى منزله بالشام.

قال مقاتل: عملت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ من ذهب في إبريسم، وكان يوضع له منبر من ذهب في وسطه، فيقعد عليه، وحوله كراسي من ذهب وفضة، يقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تطلع عليه الشمس، وترفع الريح الصبا، البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح، ومن الرواح إلى الغروب، وكان عليه السلام امرأ، قلّما يقعد عن الغزو،

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

ولا يسمع في ناحية من الأرض ملكاً إلاّ أتاه ودعاه إلى الحق ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: بتدبير كل شيء من الكائنات ﴿عَٰلِمِينَ﴾ فنجريه على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا؛ فما آتيناه الملك والنبوة، وما سخرنا له الريح تجري بأمره إلاّ لعلمنا بما في ذلك من الحكمة والمصلحة، وأن قومه سيعرفون نعمتنا، فيشكروننا عليها ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾؛ أي: وسخرنا له من الشياطين والجن، ﴿مَن يَغُوصُونَ﴾؛ أي: يدخلون تحت البحر، ويستخرجون ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: لسليمان من نفائس البحر وجواهره ودرره، من اللؤلؤ والمرجان ونحو ذلك ﴿وَ﴾ من ﴿يعملون﴾ له ﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور؛ أي: عملاً آخر غير ذلك المذكور، من الغوص في البحر، كبناء المدن والمحاريب والتماثيل والقصور والجفان ونحو ذلك، واختراع الصنائع الغريبة، وهؤلاء[1] إما الفرقة الأولى أو غيرها، لعموم كلمة ﴿مَنْ﴾، كأنه قيل: ومن يعملون. روي أن المسخر له كفارهم لا مؤمنوهم، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾. ﴿وَكُنَّا﴾ نحن ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: لهؤلاء الشياطين المسخرين له ﴿حَٰفِظِينَ﴾ من أن يزيغوا عن أمره ويعصوا ويتمردوا عليه، أو يفسدوا ما عملوا على ما هو مقتضى جبلتهم، وكان دأبهم أن يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار. والشياطين وإن كانوا أجساماً لطيفة، لكنهم يتشكلون بأشكال مختلفة، ويقدرون على الأعمال الشاقة. ألا ترى أن لطافة الريح لا تمنع عصوفها، لا سيما أنهم تكشفوا في زمن سليمان، فكانوا بحيث يراهم الناس ويستعملونهم في الأعمال. وقال في «الأسئلة المقحمة»: فلماذا لم تخرج الشياطين عن طاعة سليمان مع استعمالهم في تلك الأمور الشديدة؟ فالجواب أن الله تعالى، أوقع لسليمان في قلوبهم من الخوف والهيبة، حتى خافوا أن يخرجوا عن طاعته، وهذا من معجزاته.

والمعنى: أي[2] وكنا حافظين لأعمالهم، فلا يناله أحد منهم بسوء، فكل في قبضته، وتحت قهره، لا يجسر على الدنو منه، وهو المتحكم فيهم، إن شاء حبس، وإن شاء أطلق، كما قال: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾.

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢)﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿قد﴾ حرف تحقيق. ﴿ءَاتَيْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: مفعول أول. ﴿رُشْدَهُۥ﴾ مفعول ثان. ﴿مِن قَبْلُ﴾ جار ومجرور، حال من إبراهيم؛ أي: حالة كونه من قبل موسى وهارون، والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم معطوفة على جملة القسم في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾. ﴿وَكُنَّا﴾: الواو: عاطفة ﴿كنا﴾ فعل ناقص واسمه. ﴿بِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿عَٰلِمِينَ﴾ خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ معطوفة على جملة ﴿ءَاتَيْنَآ﴾. ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بـ ﴿ءَاتَيْنَآ﴾ أو متعلق بـ ﴿اذكر﴾ محذوفاً. ﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفعله ضمير يعود على إبراهيم. ﴿لِأَبِيهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿قَالَ﴾. ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾ معطوف على ﴿أبيه﴾، وجملة ﴿قَالَ﴾ في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾ ﴿مَا﴾: اسم استفهام للاستفهام التوبيخي، في محل الرفع مبتدأ، ﴿هَٰذِهِ﴾ خبر. ﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان منه، والجملة الاستفهامية في محل النصب مقول قال، ﴿ٱلَّتِىٓ﴾ صفة للتماثيل. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿لَهَا﴾ متعلق بـ ﴿عَٰكِفُونَ﴾. ﴿عَٰكِفُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة صلة الموصول.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ (٥٥)﴾.

﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿وَجَدْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿ءَابَآءَنَا﴾ مفعول أول ومضاف إليه. ﴿لَهَا﴾ متعلق بـ ﴿عَٰبِدِينَ﴾ ﴿عَٰبِدِينَ﴾ مفعول ثان، وجملة وجد في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على إبراهيم، والجملة مستأنفة. ﴿لَقَدْ كُنتُمْ...﴾ إلى آخر الآية، مقول محكي لـ ﴿قَالَ﴾. وإن شئت قلت: ﴿اللام﴾، موطئة للقسم. ﴿قد﴾ حرف تحقيق. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد لتاء

المخاطبين. ﴿وَءَابَآؤُكُمْ﴾ معطوف على التاء. ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾: جار ومجرور خبر ﴿كان﴾. ﴿مُّبِينٍ﴾ صفة لـ ﴿ضَلَٰلٍ﴾، وجملة ﴿كان﴾ جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم في محل النصب، مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالُوٓاْ﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَجِئْتَنَا﴾: إلى آخر الآية، مقول محكي. وإن شئت قلت: الهمزة للاستفهام التعجبي الاستبعادي. ﴿جئتنا﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق بـ ﴿جئتنا﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿أَمْ﴾ حرف عطف متصل معادل للهمزة. ﴿أَنتَ﴾. مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾: خبره، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿جئتنا﴾.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٦) وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨)﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على إبراهيم، والجملة مستأنفة. ﴿بَل رَّبُّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مُدْبِرِينَ﴾ مقول محكي. وإن شئت قلت: ﴿بَل﴾: حرف ابتداء وإضراب. ﴿رَّبُّكُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبر ومضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ معطوف على السموات، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول، في محل الرفع. صفة لـ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿وَأَنَا۠﴾ مبتدأ. ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾: متعلق بـ ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾. ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب، معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿وَتَٱللَّهِ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة و﴿التاء﴾ حرف جر وقسم. ﴿الله﴾ مقسم به مجرور بتاء القسم، الجار والمجرور متعلق بفعل قسم محذوف وجوباً تقديره: أقسم تالله، والجملة القسمية في محل النصب معطوفة على جملة بل ربكم على كونها مقول قال. ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾ اللام موطئة للقسم. ﴿أكيدن﴾ فعل مضارع في محل الرفع، لتجرده عن الناصب والجازم، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله ضمير يعود على إبراهيم. ﴿أَصْنَٰمَكُم﴾ مفعول به، والجملة جواب

القسم، لا محل لها من الإعراب. ﴿بَعْدَ﴾ ظرف متعلق بـ ﴿أكيدن﴾. ﴿أَن﴾ حرف نصب ومصدر. ﴿تُوَلُّوا۟﴾ فعل مضارع وفاعل منصوب بحذف النون. ﴿مُدْبِرِينَ﴾ حال من فاعل ﴿تُوَلُّوا۟﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه؛ أي: بعد توليتكم مدبرين. ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قال إبراهيم لهم، وأردت بيان ما فعله بالأصنام، فأقول لك: جعل إبراهيم الأصنام جذاذاً. ﴿جعل﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على إبراهيم. والهاء ضمير متصل في محل النصب مفعول أول. ﴿جُذَٰذًا﴾ مفعول ثان. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ﴿كَبِيرًا﴾ منصوب على الاستثناء من ضمير ﴿جعلهم﴾. ﴿لَّهُمْ﴾ صفة لـ ﴿كَبِيرًا﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة، مستأنفة استئنافاً بيانياً ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ ناصب واسمه. ﴿إِلَيْهِ﴾ متعلق بـ ﴿يَرْجِعُونَ﴾، وجملة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة لعل، في محل الجر بلام التعليل المقدرة، مسوقة لتعليل الاستثناء.

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مَن﴾ اسم استفهام للاستفهام الإنكاري، في محل الرفع مبتدأ. ﴿فَعَلَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿هَٰذَا﴾ مفعول به. ﴿بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ متعلق بـ ﴿فَعَلَ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب، مقول قالوا. ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه. ﴿لَمِنَ﴾ اللام: حرف ابتداء. ﴿من الظالمين﴾ جار ومجرور خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول قالوا، مسوقة لتأكيد إنكار ما قبلها. ﴿قَالُوا۟﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿سَمِعْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾ ﴿فَتًى﴾: مفعول أول لـ ﴿سمع﴾، وجملة ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ في محل النصب مفعول ثان له؛ لأن سمع هنا دخل على ما لا يسمع، فيتعدى إلى مفعولين، بخلاف ما إذا دخل على ما يسمع، كسمعت كلام زيد، يقول كذا

وكذا، فيتعدى إلى مفعول واحد. ﴿يُقَالُ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة. ﴿لَهُۥ﴾: متعلق به. ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ ﴿فَتًى﴾ ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿فَأْتُوا۟﴾ الفاء: فاء الفصيحة، لأنّها أفصحت عن جواب شرط مقدر. تقديره: إذا كان الأمر كذلك، وأردتم إقامة البينة عليه فنقول لكم: ائتوا به. ﴿ائتوا﴾ فعل أمر وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾ متعلق به. ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بمحذوف حال من الضمير في﴿بِهِۦ﴾؛ أي: ائتوا به حال كونه معايناً، مشاهداً للناس، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول قالوا. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل حرف نصب وتعليل، والهاء اسمها، وجملة ﴿يَشْهَدُونَ﴾ خبرها ومفعول الشهادة محذوف تقديره: أنه الفاعل ذلك، وجملة ﴿لعل﴾ في محل النصب مقول قالوا، مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل وفعل، والجملة مستأنفة. ﴿ءَأَنتَ﴾ الهمزة للاستفهام التوبيخي. ﴿أنت﴾: مبتدأ، ﴿فَعَلْتَ هَٰذَا﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿بِـَٔالِهَتِنَا﴾ متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول قالوا. ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل النصب مقول قالوا. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على إبراهيم، والجملة مستأنفة. ﴿بَلْ﴾ حرف إضراب وابتداء. ﴿فَعَلَهُۥ﴾: فعل ومفعول. ﴿كَبِيرُهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه. ﴿هَٰذَا﴾ نعت لـ ﴿كَبِيرُهُمْ﴾، أو بدل منه، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ الفاء عاطفة. ﴿اسألوهم﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿إِن﴾ حرف شرط. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، في محل الجزم بـ ﴿إِن﴾ على كونه فعل شرط لها، وجملة ﴿يَنطِقُونَ﴾ في محل النصب خبر

﴿كان﴾، جواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف دل عليه ما قبلها تقديره: إن كانوا ينطقون فاسألوهم، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَرَجَعُوٓاْ﴾ الفاء: عاطفة. ﴿رجعوا﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿قَالَ﴾. ﴿إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿رجعوا﴾. ﴿فَقَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿رجعوا﴾. ﴿إِنَّكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿أَنتُمُ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ خبر ﴿إن﴾، ويجوز يجعل ﴿أَنتُمُ﴾ مبتدأ، ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ خبره، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ. ﴿نُكِسُواْ﴾: فعل مغير ونائب فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿قالوا﴾. ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ جار ومجرور حال من الواو؛ أي: حال كونهم كائنين على رؤوسهم، أو متعلق بـ ﴿نُكِسُواْ﴾. ﴿لَقَدْ﴾ اللام موطئة للقسم. ﴿قد﴾ حرف تحقيق. ﴿عَلِمْتَ﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية جواب لقسم محذوف، وجملة القسم في محل النصب، مقول لقول محذوف، حال من الواو في نكسوا، تقديره: ثم نكسوا على رؤوسهم، حالة كونهم قائلين: والله لقد علمت. ﴿مَا﴾ حجازية. ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ في محل الرفع اسمها، وجملة ﴿يَنطِقُونَ﴾ في محل النصب خبرها، وجملة ما الحجازية في محل النصب، سادّة مسد مفعولي علم، إن كانت يقينية، أو مسدّ مفعوله إن كانت عرفانية. ﴿قَالَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على إبراهيم، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿أَفَتَعْبُدُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف. ﴿تعبدون﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، والتقدير: أتعلمون عدم نطقها فتعبدون. والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور حال من واو تعبدون؛ أي: حالة كونهم متجاوزين الله. ﴿مَا﴾ موصولة في محل النصب مفعول

﴿تعبدون﴾. ﴿لَا يَنفَعُكُمْ﴾ فعل ومفعول به أول، وفاعله مستتر يعود على ما. ﴿شَيْئًا﴾ مفعول مطلق أو ثان. ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ معطوف على ﴿يَنفَعُكُمْ﴾، وجملة ﴿ينفع﴾ صلة لـ ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿أُفٍّ﴾ اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، وفاعله ضمير يعود على إبراهيم تقديره: أنا. ﴿لَّكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُفٍّ﴾. واللام فيه للبيان، وجملة اسم الفعل مع فاعله في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلِمَا﴾: جار ومجرور معطوف على لكم. ﴿تَعْبُدُونَ﴾ فعل وفاعل صلة ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: ولما تعبدونه. ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور حال من واو الفاعل في تعبدون. ﴿أَفَلَا﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف. ﴿لا﴾ نافية. ﴿تَعْقِلُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة، والتقدير: أجننتم فلا تعقلون سوء صنيعكم، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿حَرِّقُوهُ﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿حَرِّقُوهُ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ ﴿إِن﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿فَاعِلِينَ﴾ خبره، وجواب ﴿إِن﴾ الشرطية محذوف دل عليه ما قبلها، تقديره: إن كنتم فاعلين فحرقوه وانصروا آلهتكم، وجملة ﴿إِن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿قُلْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿يَا نَارُ﴾ منادى نكرة مقصودة، وجملة النداء في محل النصب مقول قلنا. ﴿كُونِي﴾: فعل أمر ناقص واسمه. ﴿بَرْدًا﴾ خبر كوني. ﴿وَسَلَامًا﴾: معطوف عليه، وجملة كوني في محل النصب، مقول ﴿قُلْنَا﴾ على كونه جواب النداء. ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ جار ومجرور صفة ﴿سلاماً﴾. ﴿وَأَرَادُوا﴾ فعل وفاعل، ﴿بِهِ﴾ متعلق به. ﴿كَيْدًا﴾ مفعول به، والجملة مستأنفة. ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ﴾ الفاء عاطفة. ﴿جعلناهم﴾ فعل وفاعل ومفعول

أول. ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ مفعول ثان، والجملة معطوفة على جملة ﴿أرادوا﴾.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿نجيناه﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿وَلُوطًا﴾ معطوف على ضمير المفعول، أو مفعول معه، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ﴾ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق بـ ﴿نجينا﴾، أو متعلق بمحذوف حال، من ضمير المفعول والمعطوف عليه؛ أي: حال كونهما مهاجرين إلى الأرض. ﴿ٱلَّتِى﴾ صفة للأرض. ﴿بَٰرَكْنَا﴾ فعل وفاعل، ﴿فِيهَا﴾ متعلق بـ ﴿بَٰرَكْنَا﴾. ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ متعلق به أيضاً، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد ضمير فيها. ﴿وَوَهَبْنَا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿نجينا﴾. ﴿لَهُۥٓ﴾ متعلق بـ ﴿وهبنا﴾. ﴿إِسْحَٰقَ﴾ مفعول به. ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ معطوف على ﴿إِسْحَٰقَ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿نجيناه﴾. ﴿نَافِلَةً﴾ حال من ﴿يعقوب﴾؛ أي: ووهبنا له يعقوب، حالة كونه زيادة من غير سؤال؛ لأن المعنى ووهبنا له إسحاق إجابة لسؤاله، ويعقوب زيادة على مسؤوله، ويصح أن يكون مفعولاً مطلقاً، معنوياً لـ ﴿وهبنا﴾؛ لأن الهبة والعطية متقاربتان. ﴿وَكُلًّا﴾ مفعول أول لـ ﴿جَعَلْنَا﴾ مقدم عليه. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿صَٰلِحِينَ﴾: مفعول ثان له، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿وهبنا﴾.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة معطوفة على جملة ﴿جعلنا﴾. ﴿يَهْدُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة صفة لـ﴿أَئِمَّةً﴾. ﴿بِأَمْرِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، حال من واو ﴿يَهْدُونَ﴾، تقديره: يهدون إلى ديننا ملتبسين بأمرنا. ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾: فعل وفاعل ﴿إِلَيْهِمْ﴾ متعلق به. ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ مفعول به. ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾: معطوفان على ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾. ﴿وَكَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه.

﴿لَنَا﴾ متعلق بـ ﴿عَـٰبِدِينَ﴾. ﴿عَـٰبِدِينَ﴾ خبر ﴿كان﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿وَلُوطًا﴾: منصوب بفعل محذوف وجوباً، يفسره المذكور بعده، تقديره: وآتينا لوطاً، فهو مفعول أول له، فهو من باب الاشتغال، والجملة المحذوفة معطوفة على جملة ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾، ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾ مفسرة، لا محل لها من الإعراب. ﴿حُكۡمٗا﴾: مفعول ثان لـ ﴿آتيناه﴾ المحذوف. ﴿وَعِلۡمٗا﴾: معطوف على ﴿حُكۡمٗا﴾. ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾. ﴿مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿نجيناه﴾. ﴿ٱلَّتِي﴾ صفة لـ ﴿القرية﴾. ﴿كَانَت﴾ فعل ناقص واسمها ضمير مستتر، يعود على الموصول. ﴿تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على القرية وجملة ﴿تَّعۡمَلُ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة الموصول. ﴿إِنَّهُمۡ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿قَوۡمَ سَوۡءٖ﴾ خبره. ﴿فَٰسِقِينَ﴾: صفة ﴿قَوۡمَ﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة. ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿نجيناه﴾. ﴿فِي رَحۡمَتِنَآ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿أدخلنا﴾. ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه. ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: خبره، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة.

﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿وَنُوحًا﴾: معطوف على ﴿لوطا﴾، فيكون مشتركاً معه في عامله، الذي هو ﴿آتينا﴾ المفسر بـ ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾ الظاهر، وكذلك داود وسليمان، والتقدير: ونوحاً آتيناه حكماً، وداود وسلميان آتيناهما حكما. و﴿إِذۡ﴾ بدل اشتمال من نوحاً، ودادو وسليمان، ولك أن تعرب نوحاً وداود وسليمان مفعولاً به لفعل محذوف،

تقديره: واذكر نوحاً وداود وسليمان؛ أي اذكر خبرهم وقصتهم، فتكون ﴿إِذْ﴾ منصوبة بنفس المقدر؛ أي: خبرهم الواقع في وقت كذا. ﴿نَادَىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿نوح﴾. ﴿مِن قَبْلُ﴾ جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾ الفاء: عاطفة. ﴿استجبنا﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿نَادَىٰ﴾. ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿استجبنا﴾. ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نجينا﴾. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة لـ ﴿الكرب﴾. ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿نجينا﴾. ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾. متعلق بـ ﴿نصرناه﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفة لـ ﴿ٱلْقَوْمِ﴾. ﴿كَذَّبُوا۟﴾ فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿كَذَّبُوا۟﴾. ﴿إِنَّهُمْ﴾ ناصب واسمه. ﴿كَانُوا۟﴾ فعل ناقص واسمه. ﴿قَوْمَ سَوْءٍ﴾ خبر ﴿كان﴾. ﴿سَوْءٍ﴾: مضاف إليه، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿أَجْمَعِينَ﴾. تأكيد لهاء الغائبين، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿كَانُوا۟﴾.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿وَدَاوُۥدَ﴾: مفعول لفعل محذوف تقديره: واذكر داود. ﴿وَسُلَيْمَٰنَ﴾ معطوف عليه كما مر. ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بالمضاف المقدر، كما مر، تقديره: واذكر خبر داود وسليمان الواقع في وقت كذا وكذا. ﴿يَحْكُمَانِ﴾ فعل وفاعل. ﴿فِى ٱلْحَرْثِ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية في محل الجر، مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ إذ ظرف لما مضى. بدل من إذا الأولى، على كونه متعلقاً بالمضاف المحذوف. ﴿نَفَشَتْ﴾ فعل ماض. ﴿فِيهِ﴾ متعلق به. ﴿غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿وَكُنَّا﴾ الواو: اعتراضية. ﴿كنا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿شَٰهِدِينَ﴾.

﴿شَٰهِدِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ معترضة لا محل لها من الإعراب. ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول ثان. ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾: مفعول أول، قدم عليه الثاني، لكونه ضميراً متصلاً، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿يَحْكُمَانِ﴾؛ لأنه بمعنى الماضي. ﴿وَكُلًّا﴾ مفعول أول مقدم لـ ﴿ءَاتَيْنَا﴾. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿حُكْمًا﴾ مفعول ثان. ﴿وَعِلْمًا﴾: معطوف عليه، والجملة معطوفة على جملة ﴿ففهمنا﴾. ﴿وَسَخَّرْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ءَاتَيْنَا﴾. ﴿مَعَ دَاوُۥدَ﴾ متعلق بـ ﴿سخرنا﴾. ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ مفعول به. ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب، حال من الجبال؛ أي: حالة كونها مسبحة. ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ معطوف على الجبال، أو مفعول معه. ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة معطوفة على ﴿ءَاتَيْنَا﴾، أو على ﴿سخرنا﴾.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ مفعول ثان. و﴿لَبُوسٍ﴾ مضاف إليه. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلق بـ ﴿علمناه﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿سَخَّرْنَا﴾. ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ اللام حرف جر وتعليل. ﴿تحصنكم﴾ فعل ومفعول منصوب بأن مضمرة، وفاعله ضمير يعود على ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾. ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تحصنكم﴾ والجملة الفعلية في تأويل مصدر، مجرور باللام، تقديره: لإحصانها إياكم، الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله، على كونه متعلقاً بعلّمناه. ﴿فَهَلْ﴾ الفاء: استئنافية. ﴿هل﴾ حرف استفهام للاستفهام التوبيخي، ﴿أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لسليمان﴾: متعلق بمحذوف تقديره: وسخرنا لسليمان، والجملة المحذوفة، معطوفة على جملة ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ﴾.

﴿ٱلرِّيحَ﴾ مفعول به لـ ﴿سخرنا﴾ المحذوف المفهوم من قوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ﴾. ﴿عَاصِفَةً﴾ حال من ﴿ٱلرِّيحَ﴾ ﴿تَجْرِي﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلرِّيحَ﴾. ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ متعلق بـ ﴿تَجْرِي﴾، وكذا يتعلق به قوله: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، وجملة تجري في محل النصب حال ثانية من ﴿ٱلرِّيحَ﴾. ﴿ٱلَّتِي﴾ صفة لـ﴿الأرض﴾. ﴿بَٰرَكْنَا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿فِيهَا﴾ متعلق بـ ﴿بَٰرَكْنَا﴾. ﴿وَكُنَّا﴾ فعل ناقص واسمه. ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿عَٰلِمِينَ﴾ و﴿عَٰلِمِينَ﴾ خبره وجملة ﴿كان﴾ جملة اعتراضية، أو استئنافية، لا محل لها من الإعراب. ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: خبر مقدم. ﴿مَن﴾ اسم الموصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ عطف اسمية على فعلية، ولك أن تعطف ﴿من﴾ الموصولة على ﴿ٱلرِّيحَ﴾، ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ حال ﴿مَن﴾ من الموصولة. ﴿يَغُوصُونَ﴾ فعل وفاعل صلة ﴿من﴾ الموصولة، وجمع الضمير حملاً على معنى من، وحسّن ذلك تقدّم جمع قبله. ﴿لَهُۥ﴾ متعلق بـ ﴿يَغُوصُونَ﴾. ﴿وَيَعْمَلُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَغُوصُونَ﴾. ﴿عَمَلًا﴾ مفعول به، أو مفعول مطلق. ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ظرف ومضاف إليه، متعلق بمحذوف صفة لـ ﴿عَمَلًا﴾. ﴿وَكُنَّا﴾ فعل ناقص واسمه. ﴿لَهُمْ﴾ متعلق بـ ﴿حَٰفِظِينَ﴾. ﴿حَٰفِظِينَ﴾ خبر ﴿كان﴾، والجملة مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿رُشْدَهُۥ﴾ الرشد: الاهتداء إلى وجوه الصلاح في الدين والدنيا، والاسترشاد الإلهي. كما في «أبي السعود».

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ واحدها تمثال، وهو الصورة المصنوعة على شبه مخلوق من صنع الله كطير، أو شجر، أو إنسان، والمراد بها هنا الأصنام، سمّاها بذلك تحقيراً لشأنها، وهذا الوزن فيه زائدان: أحدهما قبل الفاء. والآخر قبل اللام، وقد جاء اسما وصفة، فالاسم تمثال للصورة، ويجمع على تماثيل. وقالوا: تجفاف وتبيان، فالتجفاف واحد تجافيف الفرس، وهو ما يلبس عند الحرب

والزينة. وتبيان، بمعنى البيان، فمنهم من يجعله مصدراً من قبيل الشاذ؛ لأن المصادر إنما تجيء على تفعال ـ بالفتح ـ نحو التلعاب والتهدار، ولم يجيء بالكسر إلاّ تبيان وتلقاء. وسيبويه يجعلهما من الأسماء التي وضعت موضع المصادر، كالغارة وضعت موضع الإغارة. وقال غير واحد من علماء اللغة: التمثال هو الصورة المصنوعة من رخام، أو نحاس، أو خشب، شبيهة بخلق الآدمي.

﴿والعكوف﴾ على الشيء: ملازمته والإقبال عليه ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالشيء الثابت في الواقع ﴿ٱللَّٰعِبِينَ﴾؛ أي: الهازلين ﴿فَطَرَهُنَّ﴾؛ أي: أنشأهن ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؛ أي: المتحققين صحته المثبتة بالبرهان ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾ الكيد: الاحتيال في إيجاد ما يضر مع إظهار خلافه، والمراد المبالغة في إلحاق الأذى بها.

﴿جُذَٰذًا﴾؛ أي: قطاعاً فعال بمعنى المفعول، من الجذ الذي هو القطع، كالحطام من الحطم، الذي هو الكسر. وفي «القاموس»: الجذ القطع المستأصل والكسر، والاسم الجذاذ. والجذاذ بتثليث الجيم ما تكسر من الشيء، وفعله جد يجد من باب نصر ﴿فَتًى﴾ هو الطري من الشبان.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ من قولهم: نكس المريض؛ إذا عاد إلى مرضه الأول بعد العافية. والنكس قلب الشيء، ورد آخره على أوله. والتنكيس القلب أيضاً، يقال: نكس رأسه ونكسه مخففاً ومشدداً؛ أي طأطأه حتى صار أعلاه أسفله ﴿بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ البرد خلاف الحر، والسلام التعري من الآفات.

﴿نَافِلَةً﴾ قال في «القاموس»: النافلة: الغنيمة والعطية، وما تفعله، مما لم يجب كالنفل، وولد الولد.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ قال بعضهم: جعلوا المصدر من المبني للمفعول بمعنى، أن يفعل الخيرات بناء على أن التكاليف يشترك فيها الأنبياء والأمم، ولكن قوله في أواخر هذه السورة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، وقوله تعالى في سورة مريم حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَٰنِى

بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ينادي على أنه من المبني للفاعل، ولا يضر ذلك في الاشتراك إذ الأنبياء أصل في الذي أوحي إليهم من الأوامر.

﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ القاعدة في مصدر الفعل، الرباعي على وزن أفعل، أن يأتي على إفعال، إن كان صحيح العين، نحو أكرم إكراماً، وأوجد إيجاداً، فإن اعتلت عينه، نحو أقام وأعان وأبان، جاء مصدره على إفالة كإقامة وإعانة وإبانة، حذف عين المصدر، وعوّض منها تاء التأنيث، والأصل: إقوام وأعوان وإبيان، فنقلت حركة الواو والياء، وهي الفتحة إلى الحرف الساكن قبلهما، ثم حذفتا، فراراً من اجتماع الساكنين، وعوض منهما التاء، وقد تحذف هذه التاء من المصدر إذا أضيف، كقوله تعالى: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾، وما كان منه معتلّ اللام، مثل: أعطى وأهدى وأولى، قلبت لامه في المصدر همزة، مثل: إعطاء وإهداء وإيلاء، والأصل إعطاو وإهداي وإيلاي. قال في «شرح القاموس»: العرب تهمز الواو والياء إذا جاءتا بعد ألف؛ لأن الهمزة أحمد للحركة منهما؛ ولأنهم يستثقلون الوقف على الواو، وكذلك الياء مثل الرداء أصله رداي، هذا ويرجع في هذا إلى بحث الإبدال، في كتب الصرف المطولة.

﴿ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ والخبائث جمع خبيثة، والخبيثة: ما يكره رداءةً وخساسةً، يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح في الفعال ﴿قَوْمَ سَوْءٍ﴾ قال الراغب: السوء: كل ما يغمّ الإنسان، من الأمور الدنيوية والأخروية، ويعبر به عن كل ما يقبح، وهو مقابل الحسن.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾ قال في «بحر العلوم»: الاستجابة الإجابة، لكن الاستجابة تتعدى إلى الدعاء بنفسها، وإلى الداعي باللام، ويحذف الدعاء إذا عدّي إلى الداعي في الغالب، فيقال: استجاب الله دعاءه، أو استجاب له، ولا يكاد يقال: استجاب دعاءه، وهو الدليل على أن النداء المذكور بمعنى الدعاء، لأن الاستجابة تقتضي دعاءه.

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال الراغب: الكرب: الغم الشديد، من كرب

الأرض قلبها بالحفر، فالغم يثير النفس إثارة ذلك.

﴿فِي ٱلْحَرْثِ﴾ الحرث: الزرع، وبابه نصر، أو كتب كما في «المختار». وفي «القاموس»: الحرث مصدر، والأرض التي تستنبت بالبذر والنوى والغرس. قال ابن عباس وأكثر المفسرين: أن الحرث كان كرماً، قد تدلت عناقيده. وقيل: كان زرعاً.

﴿نَفَشَتْ﴾ تفرقت وانتشرت فيه فرعته وأفسدته. وفي «المختار»: نفشت الغنم والإبل؛ أي: رعت ليلاً بلا راع، من باب جلس. والنفش ـ بفتحتين ـ اسم منه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾، ولا يكون النفش إلاّ بالليل، ونفش الصوف والقطن، من باب نصر، والنفش تشعيب الشيء بأصابعك حتى ينتشر، والنفش أيضاً أن ينتشر الغنم ليلاً بلا راع.

﴿الغنم﴾ محركة، الشاة، لا واحد لها من لفظها، الواحدة شاة، وهو اسم مؤنث للجنس، يقع على الذكور والإناث، وعليهما جميعاً، كما في «القاموس».

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ﴾ قال في «المختار»: التسخير: التكليف للعمل بلا أجرة، وسخّرة تسخيراً، إذا كلفه عملاً بلا أجرة، اهـ ﴿والطير﴾ جمع طائر، مثل صحب وصاحب وركب وراكب، وجمع الطير طيور وأطيار، ويقع الطير على الواحد والجمع. وقال ابن الأنباري: الطير جماعة، وتأنيثها أكثر من التذكير. ولا يقال للواحد طير، بل طائر، وقلما يقال للأنثى طائرة، اهـ.

﴿لبوس﴾ اللبوس اللباس، قالوا: إلبس، لكل حال لبوسها. والمراد: الدرع قال قتادة: كانت صفائح، فأول من سردها وخلقها، داود، فجمعت الخفة والتحصين، وهي المسماة، بالدرع، والدرع ـ كما في «المختار» ـ مؤنثة، وقال أبو عبيدة: تؤنث وتذكر.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآية ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: تجاهل العارف في قوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾؛ لأن هذا السؤال تجاهل من إبراهيم، وإلاّ فهو يعرف أن حقيقتها حجر، أو شجرٌ اتخذوها معبوداً.

ومنها: العدول عن على، التي يتعدى بها فعل العكوف، إلى اللام في قوله: ﴿أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ لقصد معنى العبادة، من العكوف ليجيبوه بقوله: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ تسجيلاً عليهم بالتقليد، والقول بغير برهان، والانجرار إلى ما عليه آباؤهم.

ومنها: المخالفة بين الجملتين في قوله: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾ لملاحظة التجدد في إحداهما، حيث أبرزها في صورة الفعلية بقوله: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾، ولملاحظة الثبات والدوام في الأخرى، حيث أبرزها في صورة الاسمية بقوله: ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ والمعنى: أحدثت عندنا الإتيان بالحق، وهو التوحيد فيما نسمعه منك، أم أنت على ما كنت عليه من اللعب، منذ أيام الصبا، وأرادوا بالتجدد في الجملة، أن التوحيد أمر مستحدث مخترع، وبالثبات في الثانية، أنه على عادتهم المستمرة من اللعب تحقيراً له.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾؛ لأن الكيد حقيقة في الاحتيال. في إيصال الضرر إلى الغير، بطريق خفي، وهو هنا كناية عن الاجتهاد في إزالتها، فتجوّز به عنه إما استعارة، أو استعمالاً له في لازمه؛ لأن الكيد يستلزم الاجتهاد «الجمل» بتصرف.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؛ لأنه ليس المراد هنا حقيقة الشهادة؛ لأنه لا شهادة من المدعي، بل استعيرت الشهادة لتحقيق الدعوى بالحجة والبرهان؛ أي: لست من اللاعبين في الدعاوى، بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة، التي بمنزلة الشاهد الذي تقطع به الدعاوى، اهـ «روح البيان».

ومنها: تقديم الظرف في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ للاختصاص أو لمجرد الاهتمام.

ومنها: تجاهل العارف في قوله: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة. تجاهلاً منه، ليخرج الكلام مخرج المدح أو الذم، أو ليدل على شدة الوله في الحب، أو لقصد التعجب، أو التوبيخ، أو التقرير كما هنا، وهو على قسمين: موجب ومنفي، والآية التي نحن بصددها، من التجاهل الموجب، الجاري مجرى التقرير.

ومنها: التعريض في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ أراد إبراهيم عليه السلام، أن يبيّن لهم، أن من لا يتكلم، ولا يعلم، ليس بمستحق للعبادة، ولا يصح في العقل، أن يطلق عليه أنه إله، فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم، بما يوقعهم في الاعتراف، بأن الجمادات التي عبدوها، ليست بآلهة؛ لأنهم إذا قالوا: لا ينطقون، قال لهم: فكيف تعبدون من يعجز عن النطق، ويقصر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان، الذي هو فيه، فهذا الكلام من فرض الباطل مع الخصم، حتى تلزمه الحجة، ويعترف بالحق، فإن ذلك أقطع لشبهته، وأدفع لمكابرته.

ومنها: الاستعارة اللطيفة في قوله: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ شبّه رجوعهم عن الحق إلى الباطل، بانقلاب الشخص، حتى يصبح أسفله أعلاه، بطريق الاستعارة التصريحية.

ومنها: الطباق بين ﴿يَنفَعُكُمْ﴾ و﴿يَضُرُّكُمْ﴾.

ومنها: المبالغة في قوله: ﴿كُونِى بَرْدًا﴾ حيث أطلق المصدر، وأراد اسم الفاعل مبالغة؛ أي: باردة، أو ذات برد.

ومنها: عطف الخاص على العام اهتماماً بشأنه في قوله: ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾؛ لأن الصلاة والزكاة من الخيرات، وإنما خصهما بالذكر تنبيهاً على علو شأنهما وفضلهما.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ والمراد أهلها، من إطلاق المحل وإرادة الحال، والعلاقة الحالية.

ومنها: المجاز والمرسل أيضاً في قوله: ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ﴾؛ أي: في جنتنا؛ لأنها مكان الرحمة، فهو مجاز مرسل، علاقته المحلية.

ومنها: الاحتراس في قوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ دفعاً لتوهم انتقاص مقام داود عليه السلام.

ومنها: حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها في قوله: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾، وفي قوله: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

ومنها: جمع المختلف والمؤتلف في قوله: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾ الخ وهو عبارة، عن أن يريد المتكلم التسوية، بين ممدوحين، فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما، ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر، بزيادة فضل لا ينقص مدح الآخر، فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية.

والآية الكريمة ساوت بين داود وسليمان، في التأهل للحكم، وشرّكت بينهما فيه حيث قالت: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾ وأخبرت أن الله سبحانه، فهم سليمان إصابة الحكم، ففضل أباه بذلك بعد المساواة، ثم التفت سبحانه، إلى مراعاة حق الوالد فقال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فرجعا بذلك إلى المساواة بعد ترجيح سليمان، ليعلم الولد بذلك برّ الوالد، ويعرف ما له عليه من الحق، حتى إذا فكر الناظر في هذا الكلام، وقال: من أين جاءت المساواة في الحكم، والعلم بعد الإخبار، بأن سليمان فهم من الحكم، ما لم يفهمه أبوه، علم أن حق الأبوة قام مقام تلك الفضيلة، فحصلت المساواة.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبيخي التشنيعي في قوله: ﴿ فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾.

ومنها: جمع المؤكدات في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ حيث أكّد بإن، وباللام، وبإسمية الجملة.

ومنها: التهكم في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾.

ومنها: تبكيتهم وتعجيزهم في قوله: ﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾.

ومنها: المجاز بالحذف في قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾؛ لأنه على إرادة القول؛ أي: قائلين: لقد علمت يا إبراهيم.

ومنها: الإطلاق في قوله: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ لدلالة الحال عليه، فإن ذكر من يكره إبراهيم ويبغضه، إنما يكون بذم وسوء، ونظيره قولك: «سمعت فلاناً يذكرك» فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء، وإن كان عدواً فذم.

ومنها: نداء غير العاقل في قوله: ﴿يَا نَارُ كُونِي﴾ تنزيلاً له منزلة العاقل.

ومنها: التمثيل في قوله: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ حيث جعل الله النار باردة، من غير أن يكون هناك قول، ولا خطاب لقوله تعالى: ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

ومنها: تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ لغرض الحصر.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾.

ومنها: إيراد الاستفهام مراداً به الأمر في قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾؛ أي: فاشكروا نعمتي.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ
فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ
﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم
مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ
أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ
فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ
أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ
﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾
وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم
مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ
وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ
لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ
أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى
كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ
نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ
﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ
يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ

حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر[1] قصص داود وسليمان، وما كان منهما، من شكر على النعماء.. أردف ذلك قصص أيوب، لما فيه من صبر على البلاء، فداود وسليمان شكرا على النعم المترادفة، وأيوب صبر على النقم النازلة فأزيلت عنه، وإن في قصصه الذي ذكر هنا، وفي مواضع من الكتاب الكريم، لعبراً له ولغيره، ممن سمع به، ولفتا لأنظارهم، إلى أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الواجب على المرء، أن يصبر على ما يناله من البلاء فيها، ويجتهد في القيام بحق الله، ويصبر في حالي السرّاء والضرّاء.

قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر صبر أيوب عليه السلام، ودعاءه ربه وانقطاعه إليه، حتى كشف عنه الضرّ.. قفى على ذلك بذكر هؤلاء الأنبياء، الذين صبروا على ما أصابهم من المحن والشدائد.

قوله: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه، لمّا ذكر[2] صبر أولئك، الذين صبروا على المحن والشدائد.. بيّن هنا انقطاع زكريا إلى ربه، لمّا مسّه الضرّ بتفرده، وأحبّ أن يكون معه من يؤنسه، ويقوّيه على أمر دينه ودنياه، ويقوم مقامه بعد موته، فدعا ربه دعاء مخلص عارف، بأنه قادر على ذلك، وأنه قد انتهت الحال به، وبزوجه من كبر، وغيره إلى اليأس من الولد على مجرى العادة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ...﴾ الآيات: مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لمّا ذكر قصص

---

(١) المراغي. (٢) المراغي.

جمع من الأنبياء، كنوح وإبراهيم وإدريس وموسى وعيسى، وبيّن ما أوتوا من الشرائع والأحكام، على وجه الإجمال.. قفى على ذلك، ببيان أن لبّ الدين عند الله واحد، وأن جميع الأنبياء قد اتفقوا عليه، ولم يختلفوا فيه في عصر من العصور، وهو عبادة الله وحده، لا شريك له، وأنه هو القاهر فوق عباده، المالك لجميع السموات والأرض، لا يؤده حفظهما، وهو العلي العظيم، وإن اختلفوا في الرسوم والأشكال، بحسب اختلاف الأزمان والأمكنة، فعليكم أيها المسلمون، أن تحافظوا على وحدة دينكم، وأن لا تجعلوه عضين، وكأنه يقول لهم: عليكم أن لا تركنوا إلى خوارق العادات، كما رأيتم في قصص موسى، ولا تدعوا نظم الدولة، بل سوسوها كما كان يفعل داود وسليمان، ولا تذروا الصبر في جميع الأعمال، كما رأيتم في قصص أيوب ومن بعده.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر هول الموقف ودعاء المشركين على أنفسهم بالهلاك في هذا الحين، وشخوص أبصارهم من الحيرة والدهش، مما يشاهدون ويرون.. أردف هذا ذكر ما يؤول إليه أمرهم بعد الحساب، وأنهم يكونون هم ومعبوداتهم، من الأصنام والأوثان حطباً للنار حين يردونها، وأنهم من شدة العذاب فيها يكون لهم أنين وزفير، حتى لا يسمع بعضهم أصوات بعض، لفظاعة ما هم فيه من العذاب، ثم أعقب ذلك بذكر حال السماء حينئذٍ، وأنها تطوى طيا، وكأنها لم تكن كما يطوي الكاتب الطومار الذي يكتب فيه، ويحوّل ذلك العالم المشاهد إلى عالم آخر، فيخلق الله أرضاً جديدة وكواكب جديدة، ويعيد الناس للحساب، وهو القادر على ذلك، فكما قدر على خلقه أول مرة، يعيده في حال أخرى، كما قال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر أحوال كل من الكافرين والمؤمنين.. ذكر أن الدنيا ليست كالآخرة، فلا يرثها إلاّ من كان قادراً

على إصلاحها، والانتفاع بخيراتها، والاستفادة مما على ظاهرها وباطنها، فمن كان أحصف رأياً، وأحكم فكراً، ملكها وتسلط عليها، وجنى ثمارها، واهتدى إلى ما أودع فيها من الخير.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما أورد الحجج والبراهين، لإقناع الكافرين بأن رسالة الرسول حق، حتى لم يبق في القوس منزع، وبلغ الغاية التي ليس بعدها غاية، وبيّن أن هذا الرسول رحمة للعالمين وهداية للناس أجمعين، وأن من اتبعه سلك سبيل الرشاد، ومن نأى عنه ضل وسار في طريق الغواية والعناد.. أردف ذلك ما يكون إعذاراً وإنذاراً في مجاهدتهم، والإقدام على مناوأتهم، بعد أن أعيته الحيل، وضاقت به السبل، ولم تغنهم الآيات والنذر، فتمادوا في غوايتهم، ولجّوا في عنادهم، وأصبح من العسير إقناعهم وهدايتهم.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ...﴾ الآيتين، سبب نزولهما: ما رواه الطبراني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ قال عبد الله بن الزبعري: أنا أخصم لكم محمداً فقال: يا محمد، أليس فيما أنزل عليك ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾؟ قال: «نعم، فهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيراً، وهذه بنو تميم تعبد الملائكة، فهؤلاء في النار» فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾. وفيه عاصم بن بهدلة، وقد وثق، وضعّفه جماعة.

وذكره الخطيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الآية، قال المشركون: فإن عيسى يُعبد، وعزير والشمس والقمر؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾، ولا منافاة للرواية الأولى في قوله: (فقال المشركون) لأن عبد الله بن الزبعري منهم.

التفسر وأوجه القراءة

﴿وَأَيُّوبَ﴾؛ أي: واذكر يا محمد قصة أيوب لأمتك ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ ودعا ﴿رَبَّهُۥٓ﴾ وخالقه بـ ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾؛ أي: أصابتني الشدة في جسدي، والضرّ بأنواعه، فأل للجنس، فارحمني ونجني منها ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وألطفهم لعباده.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿أَنِّى﴾ بفتح الهمزة، وعيسى بن عمر بكسرها إما على إضمار القول: أي: قائلاً: إني، وإما على إجراء نادى مجرى قال، وكسر إني بعدها، وهذا الثاني مذهب الكوفيين، والأول مذهب البصريين، والضرّ بالفتح الضرر في كل شيء نفساً، أو مالاً، أو أهلاً، وبالضم خاص بالضرر في النفس، كمرض وهزال، فرّق بين البنائين لاختلاف المعنيين، وقد ألطف أيوب في السؤال، حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة، ولم يصرح بالمطلوب، ولم يعين الضر الذي مسّه، فإن[2] أكثر أسئلة الأنبياء في كشف البلاء عنهم، إنما هي على سبيل التعريض.

وَفِيْ ٱلنَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيْكَ فَطَانَةٌ سُكُوْتِيْ بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ

فإن قيل: أليس زكريا صرّح في الدعاء، حيث قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾؟ قلنا: هذا سؤال العطاء، لا يجمل فيه التعريض، وذلك كشف البلاء، فيجمل فيه التعريض، لئلا يشبه بالشكاية. قال وهب بن منبه: كان أيوب رجلاً من الروم، وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، عليهما السلام، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران، وكان الله سبحانه وتعالى، اصطفاه وجعله نبيًا، وقد أعطاه من الدنيا حظاً وافراً من النعم والدواب

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

والبساتين، وأعطاه أولاداً كثيراً من رجال ونساء، وكان له سبعة بنين وسبع بنات، وكان رحيماً بالمساكين، وكان يكفل الأيتام والأرامل، ويكرم الضيف، أرسله الله سبحانه، إلى أهل حرّان، وهي قرية بغوطة دمشق، فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بسقوط البيت عليهم، وبذهاب أمواله، وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة، وسنّه إذ ذاك سبعون سنة، فإنه خرج من فرقه إلى قدمه ثآليل، وقد وقعت في جسده حكة لا يملكها، وكان يحك بأظفاره حتى سقطت أظفاره، ثم حكها بالمسوح الخشنة، ثم حكها بالفخار والحجارة، ولم يزل يحكها حتى تقطّع لحمه وأنتن، فأخرجه أهل القرية، وجعلوه على كناسة، وجعلوا له عريشاً.

روي: أن امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام، أو رحمة بنت أفرايم بن يوسف قالت له يوماً: لو دعوت الله تعالى؟ فقال: كم كانت مدة الرخاء فقالت: ثمانين سنة، فقال: أستحي من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي.

وروي أن إبليس أتاها على هيئة عظيمة. فقال: أنا إله الأرض، فعلت بزوجك ما فعلت لأنه تركني، وعبد إله السماء، لو سجدت لي سجدة، لرجعت المال والولد، وعافيت زوجك، فرجعت إلى أيوب، وكان ملقى في الكناسة، لا يقرب منه أحد، فأخبرته بالقصة، فقال عليه السلام: كأنك افتتنت بقول اللعين، لئن عافاني الله تعالى، لأضربنك مئة سوط، وحرام عليّ أن أذوق بعد هذا شيئاً من طعامك وشرابك، فطردها، فذهبت فبقي طريحاً في الكناسة، لا يحوم حوله أحد من الناس، فلما نظر أيوب في شأنه، وليس عنده طعام ولا شراب، ولا صديق، وقد ذهبت امرأته خرّ ساجداً، فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فقال تعالى ارفع رأسك فقد استجبت لك، أركض برجلك، فركض برجله، فنبعت من تحته عين ماء، فاغتسل منها، فلم يبق في ظاهر بدنه دابّة، إلاّ سقطت منه، ولا جراحة إلاّ برئت، ثم ركض برجله مرة أخرى، بعد أن مشى أربعين خطوة، فنبعت عين أخرى، فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلاّ خرج، وعاد صحيحاً، ورجع إليه شبابه وجماله، حتى صار أحسن، ثم كسي

حلةً، فلما قام، جعل يلتفت، فلا يرى شيئاً مما كان له من الأهل والولد والمال إلاّ وقد ضاعفه الله تعالى، حتى روي أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جراداً من ذهب، فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت في نفسها: هب أنه طردني أفأتركه حتى يموت جوعاً، وتأكله السباع. لأرجعنّ إليه، فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة، ولا تلك الحال، وقد تغيرت الأمور، فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي، وهابت صاحب الحلة، أن تأتيه وتسأله عنه، فأرسل إليها أيوب ودعاها فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة، فقال لها أيوب عليه السلام: ما كان منك؟ فبكت وقالت: بعلي، فقال: أفتعرفينه إذا رأيتيه؟ قالت: وهل يخفى، فتبسم وقال: أنا هو، فعرفته بضحكه، فاعتنقته، ثم قال: إنك أمرتني أن أذبح سخلة لإبليس، وإني أطعت الله، وعصيت الشيطان، ودعوت الله تعالى، فردني على ما ترين، وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾؛ أي: أجبنا له دعاءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾؛ أي: أزلنا منه ما به من الضرر، من مرض وهزال، وقد كان الذي نزل به امتحاناً من الله، واختباراً له؛ أي: شفاه الله مما كان به. وأعاضه بما ذهب عليه، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾؛ أي: وأعطينا أيوب في الدنيا ﴿أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أي[1]: مثل أهله عدداً مع زيادة مثل آخر، فولد له من الأولاد ضعف ما كان. قيل[2]: تركهم الله، عز وجل له، وأعطاه مثلهم في الدنيا. قال النحاس: والإسناد بذلك صحيح، وقد كان مات أهله جميعاً إلاّ امرأته، فأحياهم الله في أقل من طرف البصر، وآتاه مثلهم معهم، وانتصاب ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ على العلة؛ أي: آتيناه ذلك لرحمتنا له ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾؛ أي: وتذكرة لغيره من العابدين، ليصبروا كما صبر، فيثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة؛ أي: آتيناه ما ذكر لرحمتنا إياه بالرحمة الخاصة، وتذكرة، وعبرة لغيره، من العابدين، ليعلموا بذلك كمال قدرتنا، ويصبروا كما صبر أيوب، فيثابوا كما أثيب.

---

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

واعلم[1]: أن بلاء أيوب من قبيل الامتحان، ليبرز ما في ضميره، فيظهر درجته لخلقه، أين هو من ربه، وبلاء يوسف من قبيل تعجيل العقوبة؛ أي: على قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، وبلاء يحيى، حيث ذبح، من قبيل الكرامة إذ لم يهمّ بخطيئة قط.

وإنما ختم القصة هنا، بقوله: ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾، وختمها في سورة ص بقوله: ﴿مِّنَّا﴾؛ لأن أيوب بالغ هنا في التضرع بقوله: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فبالغ تعالى في الإجابة، فناسب ذكر ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾؛ لأن ﴿عِندِنَا﴾ يدل على أنه تعالى. تولى ذلك بنفسه، ولا مبالغة في ص، فناسب فيها ذكر ﴿مِّنَّا﴾ لعدم دلالته على ما دل عليه ﴿عِندِنَا﴾. قاله شيخ الإسلام زكريا» اهـ كرخي.

قال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين[2]: رد الله إليه أهله، وأولاده بأعيانهم، أحياهم الله، وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن. وعن ابن عباس رواية أخرى أن الله رد إلى المرأة شبابها، فولدت له ستة وعشرين ذكراً. وقيل: سبعة بنين وسبع بنات. وعن أنس يرفعه أنه كان له إندران، أندر للقمح، وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فأفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق، حتى فاضا. وروي أن الله بعث إليه ملكاً، وقال له: إن ربك يقرئك السلام بصبرك، فاخرج إلى أندرك، فخرج إليه، فأرسل الله عليه جراداً من ذهب، فذهبت واحدة، فأتبعها وردها إلى أندره، فقال له الملك: ما يكفيك ما في أندرك، فقال: هذه بركة من بركات ربي، ولا أشبع من بركاته.

روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أيوب يغتسل عرياناً، خرّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكنني لا غنى لي عن بركاتك».

---

(١) روح البيان.

(٢) الخازن.

وخلاصة ما سلف[1]: أن أيوب ابتلي في نفسه وولده وماله، فابتلي بالمرض وهلاك الأولاد وضياع الأموال امتحانا منه تعالى، واختباراً له، ثم كشف عنه ما به من ضر، فشفي من أمراضه التي أصيب بها، وأنجب من الأولاد ضعف ما كان، وحسن حاله في ماله، فزال ما به من عدم وإقتار، ولم يصرح القرآن الكريم بما صار إليه من سعة في المال كما صرح بما صار إليه أمره من كثرة الولد.

وما روى من مقدار ما لحقه من الضر في نفسه، حتى وصل إلى حد النفرة منه، وأن الناس جميعاً تحاشوه، وطردوه من مقامه إلى ظاهر المدينة في موضع الكناسة، ولم يكن يتصل به إلاّ امرأته التي تذهب إليه بالزاد والقوت.. فكل ذلك من الإسرائيليات التي يجب الاعتقاد بكذبها[2]؛ لأنه ليس لها من سند صحيح يؤيدها، ولأن من شروط النبوة أن لا يكون في النبي من الأمراض والأسقام ما ينفر الناس منه، ولأنه متى كان كذلك، لا يستطيع الاتصال بهم وتبليغ الشرائع والأحكام إليهم، وسيأتي لهذا مزيد إيضاح في سورة صٓ.

ولما ذكر الله سبحانه، أمر أيوب وصبره على البلاء، أتبعه بذكر هؤلاء الأنبياء، الذين سيذكرهم، لأنهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضاً فقال: ﴿و﴾ اذكر ﴿إسماعيل﴾ بن إبراهيم عليهما السلام، ومعناه: مطيع الله؛ أي: اذكر قصته لقومك، وعاش إسماعيل مئة وثلاثين سنة، وكان له، حين مات أبوه تسع وثمانون سنة، وأخوه إسحاق ولد بعده بأربع عشرة سنة، وعاش مئة وثمانين سنة، اهـ من «التحبير». ﴿وَإِدْرِيسَ﴾ بن شيث بن آدم، واسمه أخنوخ، قال بعضهم: سمّي به لكثرة دراسته، هو جد نوح، وولد في حياة آدم قبل موته بمئة سنة، وبعث بعد موته بمئتي سنة، وعاش بعد نبوته مئة وخمسين سنة، فتكون

---

(١) المراغي.

(٢) بالنسبة للإسرائيليات قال ابن كثير: لا تصدق ولا تكذب. انظر «تفسيره» (١/ ١٧٢، ١٧٣)، و«تاريخه» (١/ ٨) وانظر أيضاً «المسجد الحرام» (١٦٥ ـ ١٧٥) للدكتور وصي الله عباس ومحمد أبو الليث، وأرجو الاطلاع على ما كتبه أستاذنا محمد محمد أبو شهبة رحمه الله في كتابه «الإسرائيليات» فتجدون أن ذلك الحكم... حكمتم به على الإسرائيليات اطلاقه وإنما هو مقيد.

جملة عمره أربع مئة وخمسين سنة، وكان بينه وبين نوح. ألف سنة، اهـ من «التحبير». ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ بمعنى[1] الكفالة والضمان؛ لأن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه، أني أريد قبض روحك، فأعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر، ويصوم بالنهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فسلم ملكك إليه، ففعل ذلك، فقال شاب: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل ووفى به، فشكره الله، ونبّأه، فسمي ذا الكفل. ﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كل واحد من هؤلاء ﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ أي: الكاملين في الصبر على مشاق الطاعات واحتمال البليات.

والمعنى: واذكر يا محمد نبأ هؤلاء الرسل الكرام، الذين صبروا على ما ابتلاهم اللهبه، وأخبتوا له، فنالوا رضاه، وأدخلهم جنته:

١ ـ أما إسماعيل: فإنه صبر على الانقياد للذبح، وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه، ولا ضرع، ولا بناء، وصبر على بناء البيت، وتكلف المشاق في ذلك، وقد أكرمه الله سبحانه، فأخرج من صلبه خاتم النبيين محمداً، ﷺ.

٢ ـ وأما إدريس ـ أخنوخ ـ فقد صبر على دراسة الكتب، وبعث إلى قومه داعياً لهم إلى الله تعالى، فأبوا[2]، فأهلكهم الله، ورفعه إلى السماء الرابعة.

ويزعم كثير من الناس، أنه أول من خاط الثياب، ولبس المخيط، وكانوا من قبل يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح عدّة.

٣ ـ وأما ذو الكفل: فقد اختلف العلماء في شأنه: فمن قائل: إنه نبي، وهم الأكثرون، وقالوا: إنه ابن أيوب عليه السلام، بعثه الله نبياً بعد أبيه، وسمّاه ذا الكفل، وأمره بالدعاء إلى توحيد الله، وأقام عمره بالشام. وقال أبو موسى الأشعري ومجاهد: لم يكن نبياً، بل كان عبداً صالحاً، استخلفه إليسع عنه، على أن يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب ففعل.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ﴾؛ أي: وأدخلنا كل هؤلاء ﴿فِى﴾ محل ﴿رَحْمَتِنَآ﴾ جنات

---

(١) روح البيان.

(٢) مراح.

النعيم، جزاء لهم على ما فعلوا من صالح الأعمال، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: من الكاملين في الصلاح، وهم الأنبياء، فصلاحهم معصوم من كدر الفساد.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قصة ذي النون؛ أي: قصة صاحب الحوت، والمراد به يونس بن متّى ـ بفتح الميم وتشديد التاء المثناة فوق مفتوحة ـ قيل[1]: هو اسم أم يونس، كذا في جامع الأصول. وقال عطاء: سألت كعباً عن متّى أهو اسم أبيه أم أمه؟ فقال: اسم أبيه، وأمه بدورة، وهي من ولد هارون، وسمّي يونس بذي النون، لأنه ابتلعه الحوت. قال الامام السهيلي: أضافه هنا إلى النون، وقد قال في سورة القلم: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ وذلك أنه حين ذكره في موضع الثناء عليه قال: ذو النون، فإن الإضافة بذو أشرف من الإضافة بصاحب، لأن قولك: ذو يضاف إلى التابع، وصاحب إلى المتبوع، تقول: أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ صاحب النبي عليه السلام، ولا تقول: النبي صاحب أبي هريرة، إلاّ على جهة. وأما (ذو) فإنك تقول: ذو مال، وذو العرش، فتجد الاسم للاسم متبوعاً غير تابع، ولفظ النون أشرف من الحوت لوجوده في حروف التهجي، وفي أوائل بعض السور نحو ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾.

وقوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ﴾ ظرف لما مضى، متعلق بالمضاف المقدر؛ أي: اذكر خبره وقت ذهابه حال كونه ﴿مُغَٰضِبًا﴾؛ أي: مغضباً ومراغماً لقومه أهل نينوى، وهي قرية بالموصل، أو غضبان على قومه، لما مر من طول دعوته إياهم، وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم، مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر؛ لأنهم لما لم يؤمنوا، وعدهم بنزول العذاب بهم لأجل معلوم، وفارقهم، ثم بلغه بعد مضي الأجل، أنه تعالى لم يعذبهم، ولم يعلم سببه، وهو أنهم حين رأوا أمارات العذاب، تابوا وأخلصوا في الدعاء والتضرع إلى الله، فاندفع العذاب عنهم، فظن أنه كذبهم، وغضب من اندفاع العذاب عنهم، وذهب غضبان. وقرأ أبو شرف ﴿مُغَٰضِبًا﴾ اسم مفعول ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: أنه لن نضيق عليه الأمر بالحبس أو

---

(١) روح البيان.

بغيره؛ أي: فإنه ظن أنه مخير، إن شاء أقام، وإن شاء خرج، وأنه تعالى لا يضيق عليه في اختياره، فأتى بحر الروم، فوجد قوماً هيؤوا سفينة، فركب معهم، فلما توسطت السفينة البحر وقفت، ولم تجر بحال، فقال الملاحون: ههنا رجل عاص، أو عبد آبق، لأن السفينة لا تكون هكذا إلاّ، وفيها رجل عاص، أو آبق، ومن عادتنا إذا ابتلينا بهذا البلاء أن نقترع، فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر، فاقترعوا ثلاث مرات، فوقعت القرعة فيها كلها على يونس، فقال: أنا الرجل العاصي والعبد الآبق، وألقى بنفسه في البحر، فجاء حوت فابتلعه، فأوحى الله تعالى إلى ذلك الحوت: لا تأكل له لحماً، ولا تهشم له عظماً، فإنه ليس رزقاً لك، وما جعلتك له إلا سجناً، لا طعاماً.

وقرأ الجمهور: ﴿نَّقْدِرَ﴾ بنون العظمة مخففاً. وقرأ ابن أبي ليلى وأبو شرف والكلبي وحميد بن قيس ويعقوب: بضم الياء وفتح الدال مخففاً. وعيسى والحسن: بالياء مفتوحة وكسر الدال. وعلي بن أبي طالب واليماني: بضم الياء وفتح القاف والدال مشددة. والزهري: بالنون مضمومة وفتح القاف وكسر الدال مشددة.

وبناء المفاعلة في قوله: ﴿مُغَٰضِبًا﴾ ليس على بابه[1]، فلا مشاركة كعاقبت اللص، وسافرت، بل للدلالة على كمال غضبه والمبالغة فيه، ويحتمل أن تكون على بابها من المشاركة؛ أي: غاضب قومه، وغاضبوه، حين لم يؤمنوا في أول الأمر، اهـ كرخي.

والفاء في قوله: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فاقترعوا فخرجت عليه القرعة، فرموه في البحر، فالتقمه الحوت، فنادى في الظلمات، ؛ أي: في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل. وقيل: ابتلع حوته حوت آخر فحصل في ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر والليل. وقال الشيخ السمرقندي في تفسيره «بحر العلوم»: وعندي ـ والله أعلم ـ أن تلك الظلمات

---

(١) الفتوحات.

كانت من الجهات الست، كما قال عليه السلام: «ورأيت رجلاً من أمتي، من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، فهو متحير في الظلمات».

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾؛ أي[1]: بأنه، فأن مخففة من أنّ المشددة، أو مفسرة بمعنى أي ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾؛ أي: أنزهك تنزيهاً لائقا بك، من أن يعجزك شيء ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم بفراري من قومي بغير إذنك، فكان ذلك ظلماً، فعوقب[2] على ترك الأفضل، الذي هو المكث فيهم صابراً على أذاهم، فإنه خرج لا على تعمّد المعصية، بل لظنه أن خروجه موسّع، يجوز أن يقدّم ويؤخّر، فقد وصف يونس عليه السلام ربه، بكمال الربوبية، وهذا القدر يكفي في السؤال، ولذا قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه الذي دعا به، وأظهر به التوبة على ألطف وجه وأحسنه، وأول هذا الدعاء تهليل، وأوسطه تسبيح، وآخره إقرار بالذنب، اهـ شيخنا.

وعن رسول الله ﷺ: «ما من مكروب يدعو بدعوة ذي النون في بطن الحوت إلا استجيب له». وروى ابن جرير والبيهقي في جماعة عن سعد بن أبي وقاص، أن النبي ﷺ قال: «دعوة ذي النون في بطن الحوت: لا إله إلاّ أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط، إلاّ استجاب له».

وروي عن أنس مرفوعاً «أنه عليه السلام حين دعا بذلك، أقبلت دعوته تحف بالعرش، فقالت الملائكة: هذا صوت ضعيف، معروف من بلاد غريبة ـ وفي رواية: صوتاً معروفاً من مكان مجهول ـ فقال الله تعالى: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: يا رب من هو؟ قال: ذاك عبدي يونس، قالوا: عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل مقبول، ودعوة مستجابة، يا رب أفلا ترحم من كان يصنع في الرخاء: فتنجيه من البلاء، قال: بلى، فأمر الحوت، فطرحه»، فذلك قوله:

---

(١) روح البيان.
(٢) المراح.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾؛ أي: نجينا ذا النون ﴿مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ والهم، الذي ناله حين التقمه الحوت؛ أي: نجيناه من غم الالتقام والبحر، بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات ـ قال الشعبي[١]: التقمه ضحى، ولفظه عشيةً، أو[٢] بعد ثلاثة أيام، أو سبعة أيام، أو أربعين يوماً ـ وذهب به إلى البحار القاصية، وتخوم الأرض السابعة، وقال بعضهم: كان رأس الحوت فوق الماء، وفمه مفتوحاً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: وكما أنجينا يونس من كرب الحبس إذ دعانا ﴿نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا، داعين وطالبين رحمتنا. قال الرازي: شرط كل من يلتجيء إلى الله أن يبدأ بالتوحيد، ثم بعده بالتسبيح والثناء، ثم بالاستغفار والاعتراف بالذنب.

وعن جعفر بن محمد قال: عجبت ممن يبتلى بأربع، كيف يغفل عن أربع: عجبت لمن يبتلى بالهم كيف لا يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾، وعجبت لمن يخاف شيئاً من السوء كيف لا يقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾. وعجبت لمن يخاف مكر الناس كيف لا يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾، وعجبت لمن يرغب في الجنة كيف لا يقول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾.

وعن خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: يا رسول الله، إني أروع في منامي، قال: قل: «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون».

وقرأ الجمهور[٣]: ﴿نُـۨجِى﴾ مضارع أنجى. والجحدري مشدداً مضارع نجّى. وقرأ ابن عامر وأبو بكر ﴿نجّي﴾ بنون مضمومة وجيم مشددة وياء ساكنة،

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) البحر المحيط.

وكذلك هي في مصحف الإمام، ومصاحف الأمصار بنون واحدة، واختارها أبو عبيدة، لموافقة المصاحف، وقال الزجاج[1]: هذا لحن لا وجه له. وقال أبو علي الفارسي: غلط الراوي عن عاصم، ويدل على هذا، إسكانه الياء من نجّي، ونصب المؤمنين، ولو كان على ما لم يسم فاعله.. ما سكن الياء، ولرفع المؤمنين.

﴿و﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿زكريا﴾؛ أي: خبر زكريا بن آذن بن ماتان، من أنبياء بني إسرائيل، والظرف في قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ ودعا ﴿رَبَّهُۥ﴾ وخالقه، متعلق بالمضاف المقدر، وقال في دعائه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ ولا تتركني وحيداً، بلا ولد يرثني إرث نبوة، وعلم وحكمة. ومثل[2] هذه العبارة من العبد للسيد، تضرع ودعاء، لا نهي؛ أي: هب لي ولداً، ولا تدعني وحيداً، بلا ولد يرثني، لما بلغ عمر زكريا، عليه السلام مئة سنة، وبلغ عمر زوجته تسعاً وتسعين سنة، ولم يرزق لهما ولد، أحب أن يرزقه الله من يؤنسه، ويقويه على أمر دينه ودنياه، ويكون قائماً مقامه بعد موته، فدعا، ثم رد الأمر إلى مولاه مستسلماً ومنقاداً لمشيئته فقال ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾؛ أي: خير من يبقى بعد من يموت، فحسبي أنت إن لم ترزقني وارثاً، فهو ثناء على الله تعالى، بأنه الباقي بعد فناء الخلق، وله ميراث السموات والأرض ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾؛ أي: أجبنا لزكريا دعاءه في حق الولد كما قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ نبياً حكيماً عظيماً، لا في حق الوراثة، إذ المشهور أن يحيى قتل، قبل موت أبيه، وهذا لا يقدح في شأن زكريا، كما لا يقدح عدم استجابة دعاء إبراهيم في حق أبيه في شأنه، فإن الأنبياء عليهم السلام، وإن كانوا مجابي الدعوة، لكن أثر بعض الدعوات، لا يظهر في هذا الموطن للحكمة الإلهية ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ إيشاع بنت عمران، أو بنت فاقود للولادة، بعد انتهائها إلى سن اليأس منها، بحكم العادة؛ أي: جعلناها ولوداً. بعد أن كانت عقيماً، فإنها لم تلد قط بعد أن بلغت تسعاً وتسعين سنة.

---

(١) زاد المسير.

(٢) روح البيان.

وجملة قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ لتعليل ما قبلها من إحسانه سبحانه، إلى زكريا وأهله، وإلى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فالضمير[١] إما عائد إلى زكريا وزوجه ويحيى، أو إلى الأنبياء المذكورين، فيكون تعليلاً لما فصّل من فنون إحسانه تعالى، المتعلقة بهم مثل إيتاء موسى وهارون الفرقان، وتبريد النار وإطفائها لإبراهيم، وإنجاء لوط مما نزل بقومه، وإنجاء نوح، ومن كان معه في السفينة، من أذى القوم، وكرب الطوفان، وغير ذلك، مما تفضّل به على الأنبياء السابقين، أي: أنهم كانوا ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخيرات، وهو السر في إيثار كلمة «في» على كلمة «إلى» المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات، متوجهين إليها كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ الآية. قال الراغب: «الخير ما يرغب فيه الكل بكل حال، وهو الخير المطلق، والشر ضده».

والمسارعة في الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء[٢]، لأنها تدل على حرص عظيم في طاعة الله تعالى. ﴿و﴾ كانوا ﴿يدعوننا﴾ أي يفزعون إلينا ﴿رَغَبًا﴾ أي رغبة في ثوابنا ﴿وَرَهَبًا﴾ أي: رهبة من عقابنا. وقيل؛ الرغبة رفع بطون الأكف إلى السماء، والرهبة رفع ظهورها إليها. أو حال كونهم راغبين في اللطف والجمال، وخائفين من القهر والجلال، أو راغبين فينا، وراهبين مما سوانا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ أي خائفين متواضعين في عبادتهم، حذرين عن الانبساط في الأمور، أي[٣] كانوا لنا عابدين في تواضع وضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، ولكن شأن الأنبياء أعلى من أن يكون حالهم منحصراً في الظاهر، فلهم خشوع كامل في القلب والقالب جميعاً، وأكل العبد خشنا، واللبس خشنا، وطأطأة الرأس ونحوها من غير أن يكون في قلبه الإخلاص، والخوف من الله تعالى صفة المرائي والمتصنع.

---

(١) روح البيان.

(٢) الخازن.

(٣) روح البيان.

والمعنى: أنهم نالوا من الله ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة، فليفعل من أراد الإجابة إلى مطلوبه مثل ما فعلوا، وليتخلق بتلك الأخلاق.

وخلاصة معنى الآيات: أي واذكر خبر زكريا حين طلب أن يهبه الله ولدا يكون من بعده نبياً، فقال خفية عن قومه: «رب لا تدعني وحيداً، لا ولد لي، ولا وارث يقوم بعدي في النادي، فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث» فأجبنا سؤله، ووهبنا له يحيى، وأصلحنا له زوجة بأن أزلنا عنها الموانع التي كانت تمنعها من الولادة، فولدت له بعد أن كانت عقيماً، ثم ذكر السبب في إجابة مطلبهم، فقال: إنهم كانوا أي لأن زكريا وزوجه ويحيىٰ كانوا يسارعون في طاعتنا، والعمل بما يقربهم إلينا حال كونهم يدعوننا، ويعبدوننا رغبة منهم فيما يرجون من رحمتنا وفضلنا، وخوفاً من عذابنا وعقابنا، وكانوا لنا متواضعين متذللين، لا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا.

وقرأ ابن مسعود وابن محيصن[1]: ﴿يدعونا﴾ بحذف نون الرفع. وطلحة بنون مشددة، أدغم نون الرفع في «نا» ضمير النصب. وقرأ ابن وثاب والأعمش ووهيب بن عمرو النحوي وهارون وأبو معمر الأصمعي واللؤلؤي ويونس وأبو زيد سبعتهم عن أبي عمرو ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ بالفتح وإسكان الهاء، والأشهر عن الأعمش بضمتين فيهما. وقرأت فرقة بضم الراءين وسكون الغين والهاء.

﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿التي أحصنت فرجها﴾؛ أي: قصة مريم بنت عمران، التي أحصنت فرجها إحصاناً كلياً، وحفظته حفظاً تاماً من أن يصل إليه أحد من الرجال بحلال أو حرام جميعاً كما قالت: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، وجاء في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾.

﴿فَنَفَخْنَا﴾ الروح في عيسى، وأحييناه حالة كونه كائناً ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في جوفها وبطنها، فهو[2] حال من المفعول المحذوف ﴿مِن﴾ جهة ﴿رُّوحِنَا﴾ جبريل الأمين وبواسطته؛ أي؛ أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها، فخلقنا

---

(١) البحر المحيط.　(٢) روح البيان.

بذلك النفخ المسيح في بطنها. وقال السهيلي: «النفخ في روح القدس بأمر القدوس، فأضاف القدس إلى القدوس، ونزه المقدسة عن الظن الكاذب والحدس. وقيل: المعنى فنفخنا فيها بعض روحنا؛ أي: بعض الأرواح المخلوقة لنا، وذلك البعض هو روح عيسى؛ لأنها وصلت في الهواء، الذي نفخه إلى درعها. وقد سبقت قصة النفخ في سورة مريم. ومعنى «أحصنت» عفت، فامتنعت من الفاحشة وغيرها. وقيل: المراد بالفرج جيب القميص؛ أي: أنها طاهرة الأثواب.

﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ﴾ أي: جعلنا حالهما وشأنهما ﴿ءَايَةً﴾ عظيمة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ وعلامة دالة على القدرة الكاملة، لأهل زمانهما، ولمن بعدهما، فإن من تأمل في ظهور ولد، من بتول عذراء، من غير فحل، تحقق كمال قدرته تعالى. ولم يقل: «آيتَيْن»؛ لأنها قصة واحدة، وهي ولادتها له من غير ذكر، ولكل واحد منهما آيات مستقلة متكاثرة، كما أشير إلى بعض منها في القرآن، وإلى بعض آخر في التفاسير وكتب القصص، أما آيات مريم فمنها: ظهور الحمل من غير ذكر. ومنها: أن الملائكة كانت تأتيها برزقها، كما حكى القرآن قول زكريا لها وردها عليه: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾. وأما آيات عيسى فقد سبق تفصيلها في سورتي آل عمران ومريم.

ثم لمَّا ذكر سبحانه الأنبياء، بيَّن أنهم كلَّهم مجتمعون على التوحيد فقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ الملة التي هي ملة الإسلام والتوحيد المذكورة في كتابكم ﴿أُمَّتُكُمْ﴾؛ أي: ملتكم وطريقتكم التي يجب أن تكونوا عليها، لا تنحرفون عنها. والظاهر أن قوله: ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ خطاب لمعاصري الرسول ﷺ، حالة كونها ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: ملة واحدة متفقة، لا يخرج عنها إلاّ المشركون بالله؛ أي: إن هذه الشريعة المنزلة على محمد ﷺ، شريعتكم، أيها الناس، التي يجب أن تحافظوا على حدودها، وتراعوا حقوقها، ولا تخلوا بشيء منها، حالة كونها شريعة واحدة، غير مختلفة فيما بين الأنبياء، فإنهم متفقون في الأصول، وإن كانوا مختلفين في الفروع، بحسب اختلاف الأمم والأزمنة والأمكنة.

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ ومالككم، لا إله لكم غيري ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ خاصة، لا غيري كائناً ما كان؛ أي: لا دين سوى ديني، ولا رب لكم غيري، فوحّدوني بالعبادة، ولا تشركوا بي شيئاً من صنم، أو وثن شجر، أو حجر، أو بشر، أو ملك.

وقرأ الجمهور[١]: ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ بالرفع خبر ﴿إن﴾. ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ بالنصب على الحال. وقيل: بدل من ﴿هَٰذِهِ﴾. وقرأ الحسن ﴿أُمَّتَكُمْ﴾ بالنصب بدل من ﴿هَٰذِهِ﴾. وقرأ أيضاً هو وابن إسحاق والأشهب العقيلي وأبو حيوة وابن أبي عبلة والجعفي وهارون عن أبي عمرو والزعفراني ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ برفع الثلاثة على أن ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ و﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ خبر ﴿إن﴾، أو ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ بدل من ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ بدل نكرة من معرفة، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي أمة واحدة.

ثم نعى على المسلمين ما فعلوا من تفريق شأنهم فرقاً وشيعاً فقال: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: تفرقوا في أمرهم، وجعلوا دينهم قطعاً، ومذاهب مختلفة بينهم، بأن آمنوا بالبعض، وكفروا بالبعض. والضمير[٢] في ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ عائد على ضمير الخطاب على سبيل الالتفات؛ أي: وتقطعتم. ولما كان هذا الفعل من أقبح المرتكبات، عدل عن الخطاب إلى لفظ الغيبة، كأن هذا الفعل ما صدر من المخاطبين؛ لأن في الإخبار عنهم بذلك نعياً عليهم ما أفسدوه، وكأنه يخبر غيرهم ما صدر من قبيح فعلهم، ويقول: ألا ترى إلى ما ارتكب هؤلاء في دين الله، جعلوا أمر دينهم قطعاً، كما يتوزع الجماعة الشيء، لهذا نصيب، ولهذا نصيب، تمثيلاً لاختلافهم. وقرأ الأعمش ﴿زبرا﴾ بفتح الباء، جمع زبرة ذكره أبو حيان في «البحر».

والمعنى[٣]: جعل الناس أمر الدين قطعاً، واختلفوا فيه، فصاروا فرقاً، كأنه قيل: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله، الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء، حيث جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً، فأصاب كل جماعة قطعة من

---

(١) البحر المحيط.

(٢) البحر المحيط.

(٣) روح البيان.

الدين، فصاروا بتقطيع دينهم كأنهم قطع شتى، يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرّأ بعضهم من بعض. وإنما قال هنا: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾، وفي المؤمنون: ﴿فَاتَّقُونِ﴾؛ لأن الخطاب في هذه الآية للكفار، فأمرهم بالعبادة التي هي التوحيد. وفي سورة المؤمنين الخطاب للمؤمنين والرسل فأمرهم بالتقوى، اهـ كرخي.

قال الحسن البصري[1]: في هذه الآية يبيّن لهم ما يتقون، وما يأتون، يريد أن هذا إخبار بالغيب بما سيكون منهم.

والخلاصة: أنهم قد غفلوا عما أمر به دينهم، من وجوب الاعتصام بوحدة الأمة ونبذ الفرقة، ففعلوا ضد هذا، وذاق بعضهم بأس بعض، وكان في هذا وبال للجميع، وتمكن عدوهم من أن يهيض جناحهم، ويبطش بهم، ويستعبدهم في عقر دارهم، ويسيمهم الخسف والصَّغار، بعد أن كانوا سادة أحراراً، ولله الأمر من قبل، ومن بعد.

ثم توعدهم على ما فعلوا، فقال: ﴿كُلٌّ﴾ أي: كل واحدة من الفرق المتقطعة ﴿إِلَيْنَا﴾ لا إلى غيرنا ﴿رَاجِعُونَ﴾ بالبعث فنجازيهم حينئذٍ بحسب أعمالهم؛ أي: أنهم سيرجعون إلينا، ونجازيهم على تفرقهم واختلافهم شيعاً. وفي هذا إخبار بالغيب، بما سيحدث في هذه الأمة، التي ذاقت وبال أمرها، وعاقبة اختلافها، وكانت لقمة سائغة للآكلين، ونهبا مقسماً بين الطامعين جزاء ما اجترحت من التفرق.

وبعد أن أبان أن افتراق الأمة واقع لا محالة، أردفه فتح باب الرجاء في لم شعثها واتفاقها بعد تفرقها، عسى أن تقوم من كبوتها، وترجع إلى وحدتها، وتصير لها الدولة والصولة، كما كانت في سالف عهدها، فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾؛ أي: من بعض الأعمال الصالحة، لا كلها إذ لا يطيق ذلك أحد. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ورسله واليوم الآخر ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾؛ أي: لا جحود لعمله، ولا تضييع لجزائه، ولا حرمان لثواب عمله. وفي قراءة[2] ابن

---

(١) المراغي. (٢) الشوكاني.

مسعود ﴿فلا كفر لسعيه﴾.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ أي: لسعيه ﴿كَٰتِبُونَ﴾؛ أي: مثبتون في صحائف أعمالهم، حافظون له، لا نغادر منه شيئاً.

والمعنى: أي[1] ومن يعمل صالح الأعمال، وقلبه مليء بالإيمان بربه، والتصدق لأنبيائه ورسله، واليقين باليوم الآخر، يوم تجزي كل نفس بما عملت، من خير أو شر، فإنا لا نضيع سعيه، ولا نبخسه حقه، بل نوفيه على عمله الجزاء الأوفى، وإنا مثبتون له ذلك في صحيفة أعماله، لا نترك منه شيئاً جلّ أو قلّ، عظم أو حقر، ونحو الآية قوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ وقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

وقوله: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾؛ أي: ممتنع، خبر مقدم ﴿عَلَىٰ﴾ أهل ﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾؛ أي: استأصلناها بالعذاب في الدنيا، لكفرهم، متعلق بـ «حرام»، وجملة قوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلينا في الآخرة، للمجازاة في تأويل مصدر مرفوع، على كونه مبتدأ مؤخراً، أو فاعلاً سدّ مسدّ الخبر. والمعنى[2]: وممتنع ألبتة على أهل القرية المهلكة عدم رجوعهم إلينا للجزاء بأن يذهبوا تحت التراب، من غير إحساس بالنعمة، أو بالعذاب، بل لا بد من جزائهم في الآخرة على أعمالهم السيئة.

وقيل المعنى[3]: واجب على أهل قرية أهلكناها بالموت عدم رجوعهم عن الشرك والمعاصي، فإن الحرام قد يأتي بمعنى الواجب، ومنه قول الخنساء:

وَإِنَّ حَـرَامَـاً لاَ أَرَىٰ ٱلـدَّهْـرَ بَـاكِـيَـاً ... عَلَىٰ شَجْوِهِ إِلاَّ بَكَيْتُ عَلَىٰ صَخْرِ

وقيل[4]: إن ﴿لَا﴾ في ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ زائدة؛ أي: حرام على أهل قرية أهلكناها أن يرجعوا بعد الهلاك إلى الدنيا. واختار هذا أبو عبيدة. قال النحاس:

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) المراح.
(٤) الشوكاني.

والآية مشكلة، ومن أحسن ما قيل فيها وأجله ما رواه ابن عيينة وابن علية وهشيم وابن إدريس وغيرهم، عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في معنى الآية قال: واجب أنهم لا يرجعون؛ أي: لا يتوبون. قال الزجاج وأبو علي الفارسي: إن في الكلام إضماراً؛ أي: وحرام على قرية حكمنا باستئصالها أو بالختم على قلوب أهلها أن يتقبل منهم عمل؛ لأنهم لا يرجعون؛ أي: لا يتوبون.

وتخصيص[1] امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾؛ لأنهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم.

وفي «التأويلات النجمية»[2]: يشير إلى قلوب أهل الأهواء والبدع المهلكة باعتقاد السوء، ومخالفات الشرع، أنهم لا يتوبون إلى الله، ولا يرجعون إلى الحق، يدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿وَحَرَامٌ﴾. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وطلحة والأعمش وأبو حنيفة وأبو عمرو في رواية ﴿وحِرْمٌ﴾ بكسر الحاء وسكون الراء. وقرأ قتادة ومطر الورّاق ومحبوب عن أبي عمرو بفتح الحاء وسكون الراء. وقرأ عكرمة ﴿وحَرِمٌ﴾ بكسر الراء والتنوين. وقرأ ابن عباس وعكرمة أيضاً وابن المسيب وقتادة أيضاً بكسر الراء وفتح الحاء والميم على المضي، بخلاف عنهما. وأبو العالية وزيد بن علي بضم الراء وفتح الحاء والميم على المضي. وقرأ ابن عباس أيضاً: بفتح الحاء والراء والميم على المضي. وقرأ اليمان ﴿وحُرِّمَ﴾ بضم الحاء وكسر الراء مشدّدة وفتح الميم. وقرأ الجمهور ﴿أهلكناها﴾ بنون العظمة. وقرأ السلمي وقتادة بتاء المتكلم.

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

وقرىء ﴿إِنَّهُمْ﴾ بكسر الهمزة، فيكون الكلام قد تم عند قوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ ويقدر حينئذٍ مبتدأ مؤخر، ويكون ﴿حرام﴾ خبراً مقدماً له، والمعنى: وحرام على أهل قرية قدّرنا إهلاكهم لكفرهم عمل صالح، ينجون به من الإهلاك، ثم أكد ذلك وعلّله بقوله: إنهم لا يرجعون عن الكفر، فكيف لا يمتنع ذلك. وقراءة الجمهور بالفتح تصح على هذا المعنى، وتكون ﴿لا﴾ نافية على بابها، والتقدير لأنهم لا يرجعون.

و﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ ليست بحرف جر، ولا حرف عطف، بل هي حرف يبتدأ بعدها الكلام، غاية لما يدل عليه ما قبلها، كأنه قيل: يستمرون على ما هم عليه من الهلاك، حتى إذا قامت القيامة يرجعون إلينا، ويقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ إلخ، أو لا يرجعون عن الكفر، حتى إذا قامت القيامة، يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع. و﴿إذا﴾ شرطية جوابها قوله الآتي. ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾. وقيل: جوابها محذوف تقديره: يرجعون إلينا ويقولون: يا ويلنا كما قدّرناه آنفاً. وقوله: ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾ معطوف على الجواب المحذوف. ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الإنس، يقال: الناس عشرة أجزاء، تسعة منها يأجوج ومأجوج. والمراد بفتحهما فتح سدهما، فهو على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، وقد سبقت قصة يأجوج ومأجوج وبناء السد عليهم وفتحه في آخر الزمان في سورة الكهف. والتقدير: حتى إذا فتح سدّ يأجوج ومأجوج ﴿وَهُم﴾؛ أي: والحال أن يأجوج ومأجوج ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ أي إلى كل مكان مرتفع من الأرض ﴿يَنسِلُونَ﴾؛ أي: يسرعون المشي إليه لينزلوا فيه، ويظهروا فيه، ويتفرقون في الأرض، وينتشرون فيها. قال ابن عباس: من كل شرف يقبلون، أي: لكثرتهم ينسلون من كل ناحية. روى أنهم يسيرون في الأرض، ويقبلون على الناس من كل موضع مرتفع والحدب المكان المرتفع، والنسلان مقاربة الخطو من الإسراع. وقرأ ابن مسعود[1]، وابن عباس: ﴿من كل جدث﴾ بالجيم والثاء المثلثة، وهو القبر. وقرأ الجمهور: ﴿يَنسِلُونَ﴾ بكسر السين. وابن

(١) البحر المحيط.

إسحاق وأبو اليمان بضمها.

وذلك[١] بعد نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض، ثم يهلكون بدعائه عليهم، فتملأ رممهم وجيفهم الأرض، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت، فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً، فيغسل الأرض من آثارهم، ثم يقول الله للأرض: أنبتي ثمرك، فيكثر الرزق جدًا، ويستقيم الحال لعيسى والمؤمنين، فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحاً طيبة، تقبض روح كل مؤمن ومسلم، وتبقي شرار الناس يتهارجون كتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة اهـ «خازن». وبين موت عيسى والنفخة الأولى مئة وعشرون سنة، لكن السنة بقدر شهر، كما أن الشهر بقدر جمعة، والجمعة بقدر يوم، واليوم بقدر ساعة، فيكون بين عيسى والنفخة الأولى قدر ثنتي عشرة سنة من السنين المعتادة، اهـ.

وقيل: الضمير في قوله: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ يعود على العالم بأسره، ولكن الأول أظهر. والمعنى على هذا؛ أي[٢]: ويستمر هذا الإمتناع إلى قيام الساعة، ومن أماراتها فتح سد يأجوج ومأجوج، وإتيان الناس سراعاً من كل مرتفع من الأرض، والمقصود الرد على المشركين في إنكارهم البعث والجزاء.

والخلاصة: أنه لا تزال حياة من مات وهلك ممتنعةً، ولا يمكن رجوعهم إليها حتى تقوم الساعة، ويسرع الناس من كل حدب من الأرض. قال أبو حيان: والظاهر أن ضمير ﴿وهم﴾ عائد على يأجوج ومأجوج. وقيل: الضمير للعالم، ويدل عليه قراءة عبد الله وابن عباس ﴿من كل جدث﴾ بالجيم والثاء المثلثة، وهو القبر. وقرىء بالفاء. والثاء للحجاز، والفاء لتميم، وهي بدل من الثاء كما أبدلوا الثاء منها قالوا: المغثور، وأصله مغفور. ذكره في «البحر» كما مر بعضه.

وقوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾؛ أي: القيامة ـ عطف على ﴿فتحت﴾، والمراد: ما بعد النفخة الثانية، من البعث والحساب والجزاء ﴿فَإِذَا هِيَ﴾؛ أي: القصة ﴿شَاخِصَةٌ﴾؛ أي: مرتفعة ﴿أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من الدهشة والحيرة، حالة

---

(١) الخازن.
(٢) المراغي.

كونهم قائلين تحسراً وندامة ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾ ويا هلاكنا، تعال إلينا، فهذا أوان حضورك. وجملة قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ﴾ جواب الشرط في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾. وإذا[1] للمفاجأة سدّ مسدّ الفاء الجزائية كقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ فإذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، والضمير للقصة. و﴿شَٰخِصَةٌ﴾ خبر مقدم لـ ﴿أَبۡصَٰرُ﴾، والجملة من المبتدأ والخبر، خبر ضمير القصة مفسرة له.

وقال الفراء والكسائي[2]: الواو في قوله: ﴿واقترب الوعد﴾ زائدة مقحمة في جواب الشرط، والمعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق نظير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾؛ أي: ناديناه. وعلى هذا القول، فالفاء في قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ﴾ تكون عاطفة على هذا الجواب. فإن قيل[3]: فتح السد واقتراب الوعد الحق يحصل في آخر أيام الدنيا، والجزاء وشخوص الأبصار إنما يحصل يوم القيامة، والشرط والجزاء لا بد وأن يكونا متقاربين؟

فالجواب: أن التفاوت القليل يجري مجرى العدم، وفي الآية دلالة على أن قيام الساعة. لا يتأخر عن خروج يأجوج ومأجوج، كما روي عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: لو أن رجلاً اقتنى، فلوّا بعد خروج يأجوج ومأجوج، لم يركبه حتى تقوم الساعة. والفلوّ المهر؛ أي: ولد الفرس.

والمعنى[4]: أن القيامة إذا قامت ارتفعت أبصار هؤلاء، من شدة الأهوال، فلا تكاد تطرف من شدة ما يخافونه قائلين: يا ويلنا؛ أي: هلاكنا تعال فهذا أوان حضورك ﴿قَدۡ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفۡلَةٖ﴾ تامة ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ الذي أصابنا ودهمنا من البعث والرجوع إليه للجزاء، ولم نعلم أنه حق، وقوله: ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ إضراب[5] عما قبله، من وصف أنفسهم بالغفلة؛ أي: لم نكن غافلين

---

(١) البيضاوي.
(٢) القرطبي.
(٣) روح البيان.
(٤) المراح.
(٥) روح البيان.

عنه، حيث نبّهنا عليه بالآيات والنذر، بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر، مكذبين بها، أو ظالمين لأنفسنا، بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب، فليتفكر العاقل من هذا البيان والتذكار، فقد نبّه الله، وقطع الأعذار. وفي الحديث: «يقول الله عز وجل: يا معشر الجن الإنس، إني قد نصحت لكم، فإنما هي أعمالكم في صحفكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاّ نفسه».

وعن بعض الحكماء، أنه نظر إلى أناس يترحمون على ميت، خلف جنازته، فقال: لو تترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم، أما إنه قد مات ونجا من ثلاثة أهوال: أولها رؤية ملك الموت، والثاني مرارة الموت، والثالث خوف الخاتمة.

وصفوة القول[1]: إن الناس لا يرجعون إلى الحياة، حتى تزلزل الأرض زلزالها، ويختل نظام هذا العالم، فتموج الأمم في بعض، بتفريق أجزائها، لا فرق بين يأجوج ومأجوج وغيرهما، فذكرهما رمز لاختلال الأرض وخرابها، فكأنه قيل: إنهم لا يرجعون إلى الحياة إلاّ إذا اختل نظام العالم، ورجّت الأرض رجّاً، وماجت الأمم بعضها في بعض، وخرج الكفار من قبورهم شاخصة أبصارهم، من الهول الذي هم فيه.

ثم بيّن سبحانه حال معبوداتهم فقال: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: والأصنام التي تعبدونها، متجاوزين عبادة الله، وذلك[2] بدلالة ما، فإنها لما لا يعقل، فخرج عزير وعيسى والملائكة ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: وقود جهنم، تحصبون فيها، وترمون فتكونون وقودها. وهو بفتح المهملتين، اسم لما يحصب؛ أي: يرمى في النار، فتهيج به، من حصبه إذا رماه بالحصباء، ولا يقال له: حصب إلاّ وهو في النار، وأما قبل ذلك، فيقال له: حطب وشجر وخشب ونحو ذلك ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ أي: واردون عليها، وداخلون فيها

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

على طريق الخلود. والخطاب لهم، ولما يعبدون، تغليباً لهم. واللام في قوله: ﴿لَهَا﴾ للتقوية، لضعف عمل اسم الفاعل. وقيل: هي بمعنى ﴿عَلَى﴾، والمراد بالورود هنا الدخول.

والمعنى[1]: إنكم أيها المشركون بالله، العابدون من دونه الأوثان والأصنام، وما تعبدون من دونه، من الآلهة وقود جهنم، وإنكم واردوها وداخلون فيها، ونحو الآية قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾.

والحكمة في أن الآلهة تقرب بهم، وتدخل معهم في النار:

١ - أنهم كلما رأوهم، ازدادوا غمًّا وحسرةً؛ لأنهم ما وقعوا في العذاب إلاّ بسببهم، وقد قالوا: «النظرُ إلى وجه العدو باب من أبواب العذاب».

٢ - أنهم قد كانوا في الدنيا، يظنون أنهم يشفعون لهم في الآخرة، ويدفعون عنهم العذاب، فإذا استبان لهم أن الأمر على عكس ما كانوا يظنون، لم يكن شيء أبغض إليهم منهم.

٣ - أن إلقاءهم في النار استهزاء بهم وبعبادتهم.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿حَصَبُ﴾ بالحاء والصاد المهملتين، وهو ما يحصب به؛ أي: يرمى به في نار جهنم. وقرأ ابن السميقع وابن أبي عبلة ومحبوب وأبو حاتم عن ابن كثير: بإسكان الصاد، ورويت عن ابن عباس، وهو مصدر، يراد به المفعول؛ أي: المحصوب. وقرأ ابن عباس: بالضاد المعجمة المفتوحة. وعنه إسكانها. وبذلك قرأ كثير عزة. والحصب ما يرمى به في النار. وقرأ أبيّ وعليّ وعائشة وابن الزبير وزيد بن علي ﴿حطب﴾ بالطاء.

ثم بيّن لهم بالدليل خطأ ما يعتقدون فقال: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: لو كانت هذه الأصنام ﴿ءَالِهَةً﴾ على الحقيقة، كما تزعمون أيها العابدون ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾؛ أي: ما وردت تلك الآلهة النار، ولا دخلوها، لكنه قد اتضح لكم

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

على أتم وجهٍ أنهم وردوها إذ صاروا حطبها، فامتنع كونهم آلهة، أو: ما ورد العابدون والمعبودون النار. وقيل: ما ورد العابدون فقط. وفي هذا تبكيت لعباد الأصنام، وتوبيخ شديد لهم. وقرأ الجمهور: ﴿آلهة﴾ بالنصب على أنه خبر ﴿كان﴾ وقرأ طلحة: بالرفع على أن في ﴿كَانَ﴾ ضمير الشأن. وقصارى ذلك أن الأصنام، إذا كانت لا تنفع نفسها، ولا تدفع الضر عنها، فهي أبعد من أن تدفع الضر عن غيرها، ومن جرّاء ذلك، فهي جديرة بالتحقير والإهانة، لا بالتعظيم والعبادة ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في النار ﴿خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: ماكثون فيها أبدا، لا خلاص لهم منها.

ثم بيّن أحوالهم فيها، فقال: ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: لهؤلاء الذين وردوا النار ﴿فِيهَا﴾ أي: في النار ﴿زَفِيرٌ﴾ أي: أنين وتنفس شديد، متقطع، من شدة ما ينالهم من العذاب. والزفير: ترديد النفس حتى تنفخ الضلوع منه، وهو مع كونه، من أفعال العبدة، أضيف إلى الكل للتغليب ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: الذين دخلوا النار ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في النار ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: لا يسمع بعضهم، زفير بعض لعظم الهول، وفظاعة العذاب. وقيل[1]: لا يسمعون شيئاً؛ لأنهم يحشرون صمًّا كما قال سبحانه، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾، وإنما سلبوا السماع؛ لأن فيه بعض تروّح وتأنّس. وقيل: لا يسمعون ما يسرّهم، بل يسمعون ما يسوؤهم.

ثم لمّا بيّن سبحانه هؤلاء الأشقياء، شرع في بيان حال السعداء، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا﴾؛ أي: من جهتنا، وفي علمنا الخصلة ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ التي هي أحسن الخصال، وهي السعادة. وقيل: التوفيق، أو التبشير بالجنة، أو نفس الجنة. وهم كافة المؤمنين الموصوفين بالإيمان والأعمال الصالحة، أو سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بالصفة المذكورة ﴿عَنْهَا﴾؛ أي: عن نار جهنم ﴿مُبْعَدُونَ﴾؛ لأنهم قد صاروا في الجنة،

---

(١) الشوكاني.

وشتّان بينها وبين النار؛ لأن الجنة في أعلى عليين، والنار في أسفل السافلين.

وقال بعضهم[١]: ﴿أن﴾ هنا بمعنى إلاّ؛ أي: إلاّ الذين سبقت لهم منا الحسنى، يعني: السعادة والعدة الجميلة بالجنة. والمعنى: إن الذين سبق لهم التوفيق للطاعة، وأخبتوا لله، وأخلصوا له العمل لا يدخلون النار، ولا يقربونها ألبتة.

ثم ذكر أوصافهم حينئذٍ فقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾؛ أي: لا يسمعون صوت حركة النار، الذي يسمع من شدة تحركها واضطرابها وتوهّجها. والحسيس[٢] صوت يحس به؛ أي: لا يسمعون صوتها سمعاً ضعيفاً، كما هو المعهود، عند كون المصوت بعيداً وإن كان صوته في غاية الشدة، لا أنهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط، قال جعفر الصادق: كيف يسمعون حسيسها والنار تخمد لمطالعتهم، وتتلاشى برؤيتهم. وهذه الجملة[٣] بدل من ﴿مُبْعَدُونَ﴾، أو حال من ضميره، أو خبر ثان، وهي مذكورة للمبالغة في انقاذهم منها.

﴿وَهُمْ﴾؛ أي: هؤلاء الموصوفون بالصفات المذكورة ﴿فِي مَا اشْتَهَتْ﴾ وتمنّت والتذّت ﴿أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾؛ أي: دائمون في غاية التنعم والاشتهاء، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس، وتلذ به الأعين، كما قال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾، والشهوة[٤]: طلب النفس اللذة. وتقديم الظرف للقصر والاهتمام، وهو بيان لفوزهم بالمطالب، إثر بيان خلاصهم من المهالك. والمعنى: أنهم في حبور دائم، ونعيم لا ينقطع ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾؛ أي: لا يخيفهم ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾؛ أي: هول النفخة الأخيرة في الصور، حين قيامهم من قبورهم للحساب، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾، أو[٥] حين تغلق النار على أهلها، وييأسون من

---

(١) الخازن.

(٢) روح البيان.

(٣) المراح.

(٤) روح البيان.

(٥) المراح.

الخروج منها، أو حين يذبح الموت في صورة كبش أملح بين الجنة والنار، وينادي يا أهل النار، خلود بلا موت، فييأس أهل النار من الخروج منها، أو حين يؤمر بالكافر، بالذهاب إلى النار.

وهذا[1]: بيان لنجاتهم من الأفزاع بالكلية، بعد بيان نجاتهم من النار، لأنهم إذا لم يحزنهم أكبر الأفزاع، لا يحزنهم ما عداه بالضرورة. والفزع: انقباض ونفور، يعترى الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الفزع. ولا يقال: فزعت من الله، كما يقال: خفت منه. وقال بعضهم: الفزع الأكبر ذبح الموت بمرأى من الفريقين، وإطباق جهنم على أهلها؛ أي: وضع الطبق عليها بعد ما أخرج منها من أخرج، فيفزع أهلها حينئذٍ فزعاً شديداً، لم يفزعوا فزعاً أشد منه. وقال الراغب: الفزع الأكبر هو الفزع من دخول النار، اهـ.

وقرأ أبو جعفر وابن محيصن[2]: ﴿لا يُحزنهم﴾ بضم الياء وكسر الزاي من أحزن الرباعي لغة تميم. وقرأ الباقون ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾ بفتح الياء وضم الزاي؛ قال اليزيدي: حزنه لغة قريش، وأحزنه لغة تميم ﴿وَتَتَلَقَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: وتستقبلهم الملائكة الحفظة، الذين كتبوا أعمالهم وأقوالهم على أبواب الجنة، بالبشرى، بالنجاة من العذاب، أو ملائكة الرحمة مهنّئين لهم، قائلين: ﴿هَـٰذَا﴾ اليوم، وهذا الوقت هو ﴿يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا بمجيئه، وتبشرون بما لكم فيه من الثواب، كفاء إيمانكم بالله وطاعتكم له، وتزكية أنفسكم بصالح الأعمال باتباعكم أوامر ربكم، واجتنابكم نواهيه. وقصارى ذلك أنهم خلصوا من كل ما يكرهون، وفازوا بكل ما يحبون.

والظرف في قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ منصوب بـ ﴿ٱذْكُرْ﴾ محذوفاً، وهو أولى وأوضح. والطي ضد النشر، وهو الجمع والدرج. والمراد، بالسماء: الجنس. والكاف في قوله: ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ صفة لمصدر محذوف. والسجل: القرطاس والصحيفة، فالطي حينئذٍ، مصدر مضاد لمفعوله، والفاعل

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.

محذوف. والكتاب إما مصدر بمعنى الكتابة، أو بمعنى المكتوب. واللام على معناها؛ أي: للتعليل. والمعنى: واذكر يا محمد، لأمتك هول يوم نطوي السماء، ونلقها طيًّا ولفًّا، كما يطوي الرجل السجل والقرطاس، ويلفه لأجل الكتابة فيه، في مبدأ شغل الكتابة، أو يلفه لحفظ ما كتب فيه من المعاني الكثيرة والأعمال المنتشرة، في نهاية شغل الكتابة. وقيل: السجل اسم ملك في السماء الثالثة، فإن هذا الملك يطوي كتب الأعمال، إذا رفعت إليه، وعلى هذا المعنى، فالطي: مصدر مضاف إلى فاعله، والكتاب، بمعنى: المكتوب، والمعنى على هذا، طياً كطي الملك، المسمى بالسجل، وجمعه صحائف الأعمال، إذا رفعت الحفظة أعمال العباد إليه، فاللام على هذا زائدة.

وقيل: الظرف متعلق بقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ والمعنى عليه: لا يحزنهم[١] الفزع الأكبر حين تطوي السماء وتزال، وتأتي سماء أخرى جديدة، وكواكب أخرى، كما يطوي الطومار والقرطاس على ما يكتب فيه لحفظه من الضياع والمحو. واللام على هذا بمعنى على.

والخلاصة: أنه لا يلحقهم الفزع حين تمحى رسوم السماء، وتذهب آثارها، وتخلق أرض جديدة وكواكب جديدة.

وقيل: الظرف متعلق بـ «نعيده» الآتي؛ أي: نعيده يوم نطوي السماء. وقيل: متعلق بقوله: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ﴾.

وقرأ الجمهور[٢]: ﴿نَطْوِى﴾ بنون العظمة. وقرأ أبو جعفر وأبو العالية وابن أبي عبلة وفرقة ﴿تُطوى﴾ بتاء مضمومة وواو مفتوحة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ رفعاً وذلك بمحو رسومها، وتكدير نجومها، وتكوير شمسها. وقرأت[٣] فرقة: منهم مجاهد وشيبة بن نصّاح ﴿يَطوي﴾ بياء الغيبة، مبنياً للفاعل على معنى: يطوي الله السماء.

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط وزاد المسير.

(٣) البحر المحيط وزاد المسير.

وقرأ الجمهور: ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ بكسر السين والجيم وتشديد اللام. وقرأ الحسن وأبو المتوكل وأبو الجوزاء ومحبوب عن أبي عمرو ﴿السِّجْل﴾ بكسر السين وإسكان الجيم وتخفيف اللام. وقال أبو عمرو: وقراءة أهل مكة مثل قراءة الحسن. وقرأ الأعمش وطلحة وأبو السماك ﴿السَّجْل﴾ بفتح السين وسكون الجيم وتخفيف اللام. وقرأ أبو هريرة وصاحبه وأبو زرعة بن عمرو بن جرير ﴿السُّجُلّ﴾ بضمتين وتشديد اللام.

وقرأ الجمهور ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿للكتاب﴾ بالإفراد. وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿لِلْكُتُبِۚ﴾ بالجمع. وسكّن التاء الأعمش.

والكاف في قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ جارّة، وما مصدرية، والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف. والمعنى: نعيد أول خلق إعادة مثل بدئنا له؛ أي: كما أبرزناه من العدم إلى الوجود نعيده من العدم إلى الوجود، وهذا لاينافي الإعادة من عجب الذنب. وخلق مصدر بمعنى الخلائق. فلذلك أفرده اهـ «سمين». ففي الآية تشبيه الإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء. قال الزمخشري: فإن قلت: ما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه؟

قلت: أوله إيجاده من العدم. فكما أوجده أولاً من عدم، يعيده ثانياً من عدم.

تنبيه[1]: اختلفوا في كيفية الإعادة، فقيل: إن الله تعالى يفرّق أجزاء الأجسام، ولا يعدمها، ثم إنه يعيد تأليفها، فذلك هو الإعادة. وقيل: إنه تعالى يعدمها بالكلية، ثم إنه يوجدها بعينها مرة أخرى، وهذه الآية دالة على هذا الوجه؛ لأنه تعالى شبّه الإعادة بالابتداء، والابتداء، ليس عبارة عن تركيب الأجزاء المتفرقة، بل عن الوجود بعد العدم. فوجب أن تكون الإعادة كذلك.

واحتج الأولون بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾، فدل هذا على أن السموات، حال كونها مطوية تكون موجودة، وبقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ

(١) الفتوحات.

﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾، وهذا يدل على أن الأرض باقية، لكنها جعلت غير الأرض، اهـ كرخي.

والمعنى على الوجهين: أي[1] نعيد ما خلقناه أولاً إعادة مثل بدئنا إياه، في كونه إيجاداً بعد عدم، أو جمعاً للأجزاء المتبدّدة، فهو تشبيه للإعادة بالابتداء في تناول قدرة الله تعالى لهما، على السواء. وقيل[2]: معناه: كما بدأناهم في بطون أمهاتهم. حفاة عراة غرلاً، كذلك نعيدهم يوم القيامة. روي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة عراة. حفاة، غرلاً كما خلقوا»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ متفق عليه. وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد.

وقوله: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ﴾ منصوب بـ(وعدنا) مقدراً، وهو مؤكد لمضمون ما قبله؛ أي: وعدنا بالإعادة وعداً حقاً علينا إنجازه، والوفاء به بسبب الإخبار عن ذلك، وتعلق العلم بوقوعه، وأن وقوع ما علم الله وقوعه واجب ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ما وعدنا لا محالة. قال العمادي: أي محققين هذا الوعد فاستعدوا له. وقال الزجاج: معنى ﴿إنا كنا فاعلين﴾: إنا كنا قادرين على ما نشاء، وهو البعث والإعادة، وهذه الجملة، ذكرت تأكيداً لتحتم الخبر.

﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾، أي: وعزتي وجلالي لقد كتبنا وأثبتنا في الكتب المنزلة من السماء، التوراة، والإنجيل والزبور والفرقان ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ ما كتبناه في ﴿ٱلذِّكۡرِ﴾ وأثبتناه في اللوح المحفوظ ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾؛ أي: أن أرض الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ بامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات في الدنيا، من بعد بعثهم وإعادتهم في الآخرة، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ وعلى هذا المعنى: فالمراد بالزبور جميع الكتب المنزلة من السماء التوراة والإنجيل والزبور والقرآن؛ لأن الزبور والكتاب بمعنى واحد، يقال: زبرت وكتبت، قاله

(١) المراح.
(٢) زاد المسير.

الزجاج، ويؤيده ما قاله حمزة في الزبور بضم الزاي فإنه جمع زبر. وبالذكر اللوح المحفوظ. وبالأرض أرض الجنة. وبالصالحين عامة المؤمنين.

وقيل: المراد بالزبور كتاب داود، وبالذكر توراة موسى. وقيل: المراد بالزبور القرآن، وبالذكر التوراة والإنجيل. وقيل: المراد بالأرض: أرض الأمم الكافرة يرثها نبينا محمد ﷺ وأمته بفتحها. وقيل: المراد بها الأرض المقدسة. يرثها بنو إسرائيل بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾. والظاهر[1]: أن هذا تبشير لأمة محمد ﷺ، بوراثة أرض الكافرين، وإعزاز المسلمين، وإظهار الدين. وعليه أكثر المفسرين. وقرأ حمزة ﴿عبادي﴾ بتسكين الياء، وقرأ الباقون: بتحريكها.

وقيل معنى الآية: أي[2] ولقد كتب الله عنده، وأثبت في قديم علمه الأزلي، الذي لا ينسى، ثم أثبت في الكتب السماوية من بعد ذلك، أن الأرض لا يعمرها من عباده إلاّ من يصلح لعمارتها، من أي دين كان، وأي مذهب انتحل.

وصلاح الأمة، يقوم على أربعة أركان:

١ ـ أن يكون قادتها علماء مفكرين، وساستها حكماء عادلين، بعيدين عن الجور والظلم والمحاباة، يأخذون بيد المظلوم، وينصفونه من الظالم، ويعملون لخير الأمة وسعادتها، ويواصلون ليلهم بنهارهم في كل ما يرفع من شأنها، ويسمو بها على الأمم.

٢ ـ أن يكون لها جيش منظم، يحمي حريمها، ويدافع عنها، إذا جدّ الجدّ، وأدلهم الخطب، ولن يكون كذلك، إلاّ إذا كان فيه المهندسون والمخترعون والقادة البارعون، ولديه من السلاح، وعداد الحرب، ما يكشف عنه العلم، من وسائل الدفاع من طائرات، وغوّاصات وسفن حربية، وآلات للهدم والتدمير، وجند حذقوا فنون الحرب، وبلوا أساليبها المختلفة.

---

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.

٣ ـ أن يقوم أبناء الحرف المختلفة، من تجّار وصنّاع وزرّاع، بأداء أعمالهم على الوجه المرضي، وكل طائفة منها تظاهر الطوائف الأخرى، وتعاونها لخير الجميع، وتقوم بما يجب نحوها، من المساعدة فيما يكفل نجاح الجميع.

٤ ـ أن تنظم هذه الطوائف أعمالها، بحيث تتوزع هذه المهن بين الأفراد، بحسب حاجة الأمة إليها، حتى لا تمد يدها إلى غيرها لمعونتها، ويكون في كل طائفة جماعة، مبرزون يفكرون فيما يرقى بشؤون الطائفة، بحيث تنافس أمثالها في الأمم الأخرى، أو تفوقها بما أوتيت، من حسن التدبير والتصرف.

وهذا[١]: حكم أيّدته التجارب في سائر العصور، لدى جميع الدول، فما من أمة تهاونت في هذه الأمور، أو في شيء منها إلاّ حكم عليها بالفناء والزوال، وتواريخ الفرس والروم والأمم الإسلامية والدولة التركية تدل على صدق ما نقول.

ونحو الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾.

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾ المذكور في هذه السورة[٢]، من البراهين الدالة على التوحيد، وصحة النبوة والوعد والوعيد والمواعظ البالغة ﴿لَبَلَٰغًا﴾ أي: لكفاية ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾؛ أي عاملين بعلومهم، مشغولين بعبادة الله، مهتمّين بها، لا يعبدون أحداً من دون الله تعالى. وقيل: المعنى إن في هذا القرآن المنزل عليك لبلاغاً؛ أي: لوصولا إلى البغية، يعني من اتبع القرآن، وعمل بما فيه وصل إلى ما يرجو من الثواب، وهم أمة محمد ﷺ، أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج. والمعنى: أن من اتبع القرآن، وعمل به كان القرآن بلاغه إلى الجنة. وقيل: المعنى ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾؛ أي[٣]: إن فيما ذكر في هذه السورة، من أنظمة

---

(١) المراغي.

(٢) المراح.

(٣) المراغي.

الدول، والتسلط على ألطف الأشياء كالهواء، وعلى أصلبها كالحديد، ومن الجمع بين حرب الأعداء والاستغراق في ذكر الله، وتسخير العمّال في المباني العظيمة، واستخراج ما في البحار، من أصناف اللآلي، وما في باطن الأرض، من مختلف المعادن، لكفاية لقوم يجمعون بين العلم والعمل، إذ يعلمون أن العلم شجرة ثمرتها العمل، فعلى المسلمين قاطبةً، أن يصدعوا بما أمروا به في هذا الكتاب، وأن يعرضوا عن الجاهلين بأمور دينهم، فالله محاسبهم على أعمالهم، كما يحاسبهم على قُدَرِهم الجسمية، وليعلموا أنه متى ذاعت هذه الآراء في الأمة، قامت كلها قومة رجل واحد، في تنظيم شؤونها، وتربية أبنائها، تربية تؤهلهم أن يكونوا قادة العالم الإنساني.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد[1] بهذا القرآن وأمثاله من الشرائع والأحكام وغير ذلك، من الأمور التي هي مناط السعادة في الدارين، في حال من الأحوال ﴿إِلَّا﴾ حال كونك ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ قاطبةً في الدين والدنيا، فإن ما بعث به سبب لسعادة الدارين، ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين، ومن أعرض عنه واستكبر، فإنما وقع في المحنة من قبل نفسه فلا يُرحَم. فإن[2] الناس كانوا في ضلالة وحيرة، فبعث الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ، فبيَّن لهم سبيل الثواب، وأظهر الأحكام، وميَّز الحلال من الحرام، وإن كل نبي قبل نبينا، إذا كذَّبه قومه أهلكهم الله تعالىٰ بالخسف والمسخ والغرق فالله تعالىٰ أخّر عذاب من كذّبه إلى الموت، ورفع عذاب الاستئصال عنهم به ﷺ فجاء رحمةً في حق الكفار بسبب تأخير عقوبتهم. وقيل: المراد بالعالمين المؤمنون خاصة، والأول أولى بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾.

وفي «التأويلات النجمية»: في سورة مريم بين قوله في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ﴾ وبين قوله، في حق نبينا ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ فرق عظيم، وهو أنه في حق عيسى ذكر الرحمة مقيدة بحرف ﴿مِّن﴾، و﴿مِّن﴾ للتبعض، فلهذا كان عيسى رحمة لمن آمن به، واتبع ما جاء به،

---

(١) روح البيان. (٢) المراح.

إلى أن بعث نبينا محمد ﷺ، ثم انقطعت الرحمة من أمته بنسخ دينه، وفي حق نبينا ﷺ ذكر الرحمة للعالمين مطلقاً، فلهذا لا ترفع الرحمة عن العالمين أبداً، أما في الدنيا، فبأن لا ينسخ دينه، وأما في الآخرة، فبأن يكون الخلق محتاجين إلى شفاعته، حتى إبراهيم عليه السلام فافهم جداً، انتهى.

ثم بين سبحانه، أن أصل تلك الرحمة، هو التوحيد والبراءة من الشرك فقال: ﴿قل﴾ يا محمد لمشركي قومك ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾؛ أي: ما يوحىٰ إليّ في هذا القرآن شيء إلاّ ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ أي: إلاّ كون إلهكم إلهاً منفرداً، لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله.

وقال الشهاب: في هذه الآية قصران:

الأول: قصر الصفة على الموصوف.

والثاني: بالعكس، فالثاني قصر فيه الله على الوحدانية، والأول قصر فيه الوحي على الوحدانية، والمعنى: لا يوحي إليّ إلاّ اختصاص الإله بالوحدانية. وأورد عليه أنه كيف يقصر الوحي على الوحدانية، وقد أوحي إليه أمور كثيرة غيرها؟

وأجيب: بأنه معنى قصره عليها، أنها الأصل الأصيل، والأساس المقصود من البعثة، فإن ما عداها متفرع عليها، غير منظور إليه في جنبها، فهو قصر ادعائي، ليس حقيقياً، إذا المقصود نفي ما يصفه المشركون ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ يا أهل مكة؛ أي: منقادون لما يوحى إليّ من إخلاص الإلهية والتوحيد لله. والمراد بهذا الاستفهام الأمر، أي: أسلموا وأخلصوا عبادتكم لله تعالى.

والمعنى: أي قل يا محمد لمشركي قومك، ولمن بلغته الدعوة من غيرهم ما أوحى إليّ ربي، إلاّ أنه لا إله إلاّ هو، فلا تصلح العبادة لسواه، فانقادوا لأمره، وأذعنوا لطاعته، وابتعدوا عن عبادة الأوثان والأصنام، وتبرّؤوا منها حتى تسلكوا سبيل النجاة، وتفوزوا بالسعادة ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾؛ أي: فإن أعرضوا عن اتباع ما أوحي إليك، ولم يسلموا ﴿فَقُلۡ﴾ لهم ها أنا إذاً ﴿ءَاذَنتُكُمۡ﴾ وأعلمتكم، بأني حرب لكم، كما أنكم حرب لي، فأنا بريءٌ منكم، كما أنكم برآء مني، وأنتم كائنون ﴿عَلَىٰ سَوَآءٖۖ﴾ في هذا الإعلام، لا أخص أحداً منكم دون أحد، وما

فرقت بينكم في هذا النصح وتبليغ الرسالة. فالجار والمجرور حال من مفعول ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾؛ أي: كائنين على سواء في الإعلام به، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وعبارة «البيضاوي» هنا[1]: فقل: آذنتكم وأعلمتكم ما أمرت به، أو حربي لكم على سواءٍ؛ أي: مستوين في الإعلام به، أو مستوين أنا وأنتم في العلم، بما أعلمتكم به، أو في المعاداة، أو إيذاناً على سواء، وقيل: أعلمتم أني على سواء؛ أي: عدل واستقامة رأي بالبرهان النير انتهت.

﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ أي: ما أدري، وما أعلم ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾؛ أي: ما أعلم جواب أقريب ما توعدون به، من غلبة المسلمين وظهور الدين، أو الحشر مع كونه آتياً لا محالة، أم بعيد هو، ولا جرم أن العذاب والذلة يلحقكم لا محالة، ولكن لا علم لي بقربه، ولا بعده؛ لأن الله لم يطلعني على ذلك.

و﴿إِنْ﴾: نافية. و﴿أَدْرِىٓ﴾ معلّقة، والجملة الاستفهامية في موضع نصب بـ ﴿أَدْرِىٓ﴾، وتأخر المستفهم عنه، لكونه فاصلة، إذ لو كان التركيب: أقريب ما توعدون أم بعيد، لم تكن فاصلة، وكثيراً ما يرجح الحكم في الشيء، لكونه فاصلة آخر آية ذكره في «البحر».

ومعنى الآية: أي[2] فإن أعرضوا عن توحيد المعبود، فقل لهم، يا محمد: إني أعلمتكم بأني محارب لكم، على إعلان، ولكن لا أدري متى يأذن لي ربي في محاربتكم، فتبين بهذا، أن السورة مكية، فإن الأمر بالجهاد كان بعد الهجرة.

وعن ابن عامر في رواية[3] ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ بفتح الياء في الآيتين تشبيهاً بياء الإضافة لفظاً، وإن كانت لام الفعل لا تفتح إلاّ بعامل. وأنكر ابن مجاهد هذه الياء، والمعنى: أنه تعالى لم يُعْلِمْني علمه، ولم يطلعني عليه، والله هو العالم، الذي لا يخفى عليه شيء.

---

(١) البيضاوي.
(٢) المراح.
(٣) البحر المحيط.

﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ أي[1]: يعلم ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام، وتكذيب الآيات ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ وتخفونه من الحسد والعداوة للرسول ﷺ، وللمسلمين، فيجازيكم عليه نقيراً وقطميراً. وتكرير العلم في معنى تكرير الوعد؛ أي: لا يغيب عن علمه شيء منكم، في علانيتكم وسركم. قال بعض الكبار: كيف يخفى على الحق من الخلق خافية، وهو الذي أودع الهياكل أوصافها، من الخير والشر، والنفع والضر، فما يكتمونه أظهر مما يبدونه، وما يبدونه مثل ما يكتمونه، جل الحق أن يخفى عليه خافية.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿يعلم ما تجهرون﴾ من دعاوي الإسلام والإيمان والزهد والصلاح والمعارف ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ من الصدق والإخلاص والرياء والسمعة والنفاق ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾؛ أي: وما أدري ﴿لَعَلَّهُۥ﴾؛ أي: لعل تأخير العذاب الموعود عنكم ﴿فِتْنَةٌ﴾؛ أي: اختبار ﴿لَّكُمْ﴾ ليرى كيف صنيعكم، وهو أعلم بكم ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ أي: تمتيع لكم ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى حين انقضاء آجالكم تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة، ليكون ذلك حجة عليكم، وليقع الجزاء في وقت هو فيه حكمة.

و﴿لعل﴾[2] معلّقة هنا أيضاً، ولكن لا أعلم أحداً ذهب إلى أن ﴿لعل﴾ من أدوات التعليق، وإن كان ظاهراً فيها كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ والمعنى: أي[3]: وما أدري سبب تأخير جزائكم، ولعل ذلك زيادة في افتتانكم وامتحانكم لينظر كيف تعملون، وإنه ليؤخركم إلى حين كي تتمتعوا بلذات الدنيا، مع إعراضكم عن الإيمان، فيكون في ذلك زيادة عذابكم؛ لأن المعرض عن الإيمان مع توالي الآيات، وتتابع البينات والنذر يكون عقابه

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.

أشد. وقيل: المعنى: وما أدري[1] لعل تأخير الجهاد استدراج وضرر لكم، وتمتيع لكم إلى انقضاء آجالكم.

﴿قَالَ﴾ الرسول الكريم، ﷺ، فهو حكاية لدعائه، ﷺ ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ بيني وبين هؤلاء المكذبين ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، أي: بما هو الحق عندك، ففوض الأمر إليه سبحانه؛ أي: احكم بيننا وبين أهل مكة بالعدل المستلزم لتعجيل العذاب، وقد استجيب دعاؤه ﷺ، حيث عذبوا في بدر وأُحد والخندق وحنين ﴿وَرَبُّنَا﴾ مبتدأ، خبره قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ أي: كثير الرحمة لعباده، وهي وإن كانت بمعنى الأنعام فمن صفات الفعل، وإن أريد بها إرادة إيصال الخير، فمن صفات الذات ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ خبر آخر؛ أي: المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾؛ أي: على ما تقولون من أن الشوكة، تكون لهم، وإن راية الإسلام تخفق أياماً، ثم تركد وتسكن، فكذّب الله ظنونهم، وخذلهم ونصر رسوله ﷺ، والمؤمنين. ومعنى الآية؛ أي[2]: قال الرسول ﷺ: رب افصل بيني وبين من كذبني من مشركي قومي، وكفر بك وعبد غيرك بإحلال عذابك، ونقمتك به بالعدل، الذي يقتضي تعجيل العذاب به وتشديده عليه.

وخلاصة ذلك: رب عجّل بعذابهم، وقد أجاب الله دعاءه، وأنزل بهم العذاب الأليم يوم بدر. قال قتادة: كان الأنبياء يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ فأمر رسوله أن يقول ذلك، ﴿وربنا المستعان على ما تصفون﴾، من الشرك والكفر والكذب والأباطيل من قولكم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾، وقولكم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾. ومن قولكم: ﴿إن الشوكة تكون لكم﴾ وقولكم: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾.

وخلاصة ذلك: أنه طلب من ربه، أن يحكم بما يظهر الحق للجميع، وأمره ربه أن يتوعد الكفار بقوله: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾. وقد كثر استعمال «الوصف» في الكتاب الكريم بمعنى الكذب كقوله: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا

---

(١) المراح. (٢) المراغي.

﴿تَصِفُونَ﴾، وقوله: ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ﴾.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿قُل رَّبِّ﴾ بصيغة الأمر، وبكسر الباء. وقرأ حفص ﴿قَالَ﴾ بصيغة الماضي. وقرأ أبو جعفر ﴿ربُّ﴾ بضم الباء، وهو من اللغات الجائزة في «يا غلامي»، وهي أن تبنيه على الضم، وأنت تنوي الإضافة، لما قطعته عن الإضافة، وأنت تريدها بنيته، فمعنى ﴿رَبِّ﴾ يا ربي. وقرأ الجمهور: ﴿ٱحۡكُم﴾ على الأمر من حكم. وقرأ ابن عباس وعكرمة والجحدري وابن محيصن: ﴿ربي﴾ بإسكان الياء ﴿احكم﴾ جعله أفعل التفضيل، ﴿فربي احكم﴾ مبتدأ وخبر. وروي زيد عن يعقوب ﴿ربي﴾ بفتح الياء. وقرأت فرقة: ﴿أحكم﴾ فعلاً ماضياً. وقرأ الجمهور: ﴿تَصِفُونَ﴾ بتاء الخطاب. وروي أن النبي ﷺ قرأ على أبيّ ﴿على ما يصفون﴾ بياء الغيبة، ورويت عن ابن عامر وعاصم.

وفي الآية: إشارة إلى أنه، لا يطلب من الله تعالى، ولا يطمع في حق المطيع والعاصي، إلاّ ما هو مستحقه، وقد جرى حكم الله فيهما في الأزل، وإن رحمته غير متناهية، وإن كانت أنواعها مئة، على ما قال النبي ﷺ: «إن لله مئة رحمة»، فعلى العاقل أن لا يغتر بطول العمر وكثرة الأموال والأولاد، فإن الاغترار بذلك من صفات الكفرة، ومن كلمات أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «مَنْ وسَّع الله عليه دنياه، فلم يعلم أنه قد يمكر به فهو مخدوع عن عقله».

الإعراب

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾.

﴿وَأَيُّوبَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿أيوب﴾: مفعول به لفعل محذوف تقديره: واذكر أيوب، ولكنه على حذف مضاف تقديره: واذكر خبر أيوب، والجملة المحذوفة معطوفة على جملة قوله: ﴿وإبراهيم﴾. ﴿إِذۡ﴾ ظرف لما مضى من

(١) البحر المحيط.

الزمان. ﴿نَادَىٰ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على أيوب. ﴿رَبَّهُۥٓ﴾ مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾، والظرف بدل من المضاف المقدر في أيوب على كونه معمولاً لمحذوف تقديره: واذكر خبر أيوب حين نادى ربه. ﴿أَنِّي﴾ ناصب واسمه. ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ فعل ومفعول وفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر أن، وجملة أن ومعموليها في محل الجر بحرف جر محذوف تقديره: بأني مسني الضر. ﴿وَأَنتَ﴾ الواو حالية. ﴿أنت أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة الاسمية في محل النصب، حال من فاعل فعل محذوف، تقديره: فارحمني وأنت أرحم الراحمين. أو حال من ﴿رَبَّهُۥٓ﴾ على طريق الالتفات.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿استجبنا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿نَادَىٰ﴾. ﴿لَهُۥ﴾ متعلق به. ﴿فَكَشَفْنَا﴾ الفاء: عاطفة. ﴿كشفنا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿استجبنا﴾. ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول به لـ ﴿كشفنا﴾. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور صلة لـ ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿مِن ضُرٍّ﴾: جار ومجرور حال من ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، معطوف على ﴿كشفنا﴾. ﴿أَهْلَهُۥ﴾ مفعول ثان لـ ﴿آتينا﴾؛ لأنه بمعنى أعطينا. ﴿وَمِثْلَهُم﴾ معطوف على ﴿أَهْلَهُۥ﴾، أو مفعول معه. ﴿مَّعَهُمْ﴾ ظرف ومضاف إليه، متعلق بمحذوف حال من ﴿مثلهم﴾؛ لأنه تخصص بالإضافة وإن لم يعرف؛ أي: كائنين معهم. ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول من أجله، منصوب بـ ﴿آتينا﴾. ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ جار ومجرور مضاف إليه، صفة لـ ﴿رَحْمَةً﴾، ويجوز أن يكون مصدراً لفعل محذوف تقديره: رحمناه رحمة. ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ معطوف على ﴿رَحْمَةً﴾. ﴿لِلْعَٰبِدِينَ﴾: جار ومجرور، متعلق بـ ﴿ذكرى﴾؛ أي: تذكرة لهم. فيصبروا ويثابوا كما صبر أيوب وأثيب.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ

إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: منصوب بـ ﴿اذكر﴾ محذوفاً، والجملة معطوفة على جملة واذكر إبراهيم، ويجوز أن يعطف نسقاً على من تقدم من الأنبياء. ﴿وَإِدْرِيسَ﴾ معطوف على ﴿إسماعيل﴾. ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ معطوف عليه أيضاً، منصوب بالألف ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: مبتدأ وخبر، وسوّغ الابتداء بالنكرة الإضافة المقدّرة، أو العموم، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿فِى رَحْمَتِنَآ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿أدخلنا﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة تقديرها: فأعطيناهم ثواب الصابرين وأدخلناهم. ﴿إِنَّهُم﴾ ناصب واسمه. ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ جار ومجرور خبره، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾: منصوب بـ ﴿اذكر﴾: محذوفاً، ولكنه على تقدير مضاف، أي: واذكر خبر ذي النون، والجملة المحذوفة معطوفة على جملة: واذكر إبراهيم. ﴿إِذ﴾ ظرف لما مضى من الزمان. ﴿ذَّهَبَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ذي النون. ﴿مُغَٰضِبًا﴾ حال من فاعل ذهب، والجملة الفعلية في محل الجر، مضاف إليه لـ ﴿إذ﴾، والظرف بدل من المضاف المقدر؛ أي: واذكر خبر ذي النون حين ذهب مغاضباً. ﴿فَظَنَّ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿ظن﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ذي النون، والجملة في محل الجر معطوفة على جملة ذهب. ﴿أَن﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿لَّن﴾ حرف نفي ونصب. ﴿نَّقْدِرَ﴾ منصوب بـ ﴿لَّن﴾، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بـ ﴿نَّقْدِرَ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع، خبر ﴿أَن﴾ المخففة، وجملة ﴿أَن﴾ المخففة في تأويل مصدر، سادّ مسدّ مفعولي ﴿ظن﴾، تقديره: فظن عدم قدرتنا عليه. ﴿فَنَادَىٰ﴾ الفاء: عاطفة ﴿نادى﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ذي النون. ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: جار ومجرور حال من فاعل نادى، والجملة الفعلية

معطوفة على محذوف، تقديره: فهرب من قومه، فركب السفينة، فوقفت، فاقترعوا، فرموه، فالتقمه الحوت، فنادى في الظلمات، والجملة المحذوفة معطوفة على جملة فظن. ﴿أَن﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن؛ أي: أنه. ﴿لَّآ﴾: نافية تعمل عمل ان. ﴿إِلَٰهَ﴾: في محل النصب اسمها، وخبر لا محذوف جوازاً تقديره: موجود. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿أَنتَ﴾: ضمير رفع منفصل، في محل الرفع بدل من الضمير المستكن، في خبر ﴿لَّآ﴾، وجملة ﴿لَّآ﴾ من اسمها وخبرها في محل الرفع، خبر ﴿أَن﴾ المخففة، وجملة ﴿أَن﴾ المخففة في محل الجر بحرف جر محذوف: تقديره: بأنه لا إله إلا أنت، ويجوز أن تكون ﴿أَن﴾ مفسرة؛ لأن النداء فيه، معنى القول دون حروفه، ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: أسبحك سبحاناً، والجملة المحذوفة حال من ضمير أنت؛ أي: حالة كونك منزهاً، عن كل ما لا يليق بك. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿كُنتُ﴾. فعل ناقص واسمه. ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: خبره، وجملة كان في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل فعل محذوف، تقديره: فارحمني، لأني كنت من الظالمين.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿استجبنا﴾ فعل وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾ متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿نادى﴾. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿استجبنا﴾. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الواو استئنافية. ﴿كذلك﴾ جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير مستتر، يعود على الله والتقدير: وننجي المؤمنين قاطبة من كربهم، إنجاء مثل إنجائنا يونس من غمه، والجملة الفعلية مستأنفة.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿وَزَكَرِيَّآ﴾: منصوب بفعل محذوف تقديره: واذكر زكريا، ولكنه على

تقدير مضاف تقديره: واذكر خبر زكريا، كما مرّ مراراً، والجملة معطوفة على الجمل التي قبلها. ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، بدل من المضاف المقدر؛ أي: واذكر خبر زكريا حين نادى ربه. ﴿نَادَىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿زكريا﴾. ﴿رَبَّهُۥ﴾ مفعول به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿رَبِّ﴾ منادى مضاف حذف منه حرف النداء للتخفيف، وجملة النداء في محل النصب مقول لقول محذوف وقع حالاً من فاعل نادى؛ أي: حالة كونه قائلاً: رب لا تذرني فرداً، ﴿لا﴾ دعائية. ﴿تَذَرْنِي﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الدعائية، وعلامة جزمه سكون آخره، وفاعله ضمير يعود على الرب. والنون للوقاية، والياء مفعول به. ﴿فَرْدًا﴾ حال من ياء المتكلم؛ أي: حالة كونه منفرداً عن وارث، والجملة الفعلية في محل النصب، مقول لذلك القول المحذوف، على كونها جواب النداء. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة معطوفة على محذوف تقديره: فارزقني وارثاً وأنت خير الوارثين. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾ الفاء: عاطفة. ﴿استجبنا﴾ فعل وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة نادى. ﴿وَوَهَبْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿استجبنا﴾. ﴿لَهُۥ﴾ متعلق به. ﴿يَحْيَىٰ﴾ مفعول به. ﴿وَأَصْلَحْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على استجبنا. ﴿لَهُۥ﴾ متعلق به. ﴿زَوْجَهُۥٓ﴾ مفعول به، والمراد بإصلاحها جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وعقمها، والعُقْمُ انسداد الرحم عن الولادة كما في «المختار». ﴿إِنَّهُمْ﴾ ناصب واسمه. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: متعلق به، وجملة ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الإصلاح. ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾. ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: مصدران منصوبان على الحالية، من فاعل يدعون، ولكن بعد تأويله بمشتق تقديره: حالة كونهم راغبين في الثواب، وراهبين من العقاب، أو منصوبان على المفعول من أجله، أو على المصدرية لفعل محذوف تقديره: يرغبون رغباً في الثواب، ويرهبون رهباً من العقاب. ﴿وَكَانُوا۟﴾ فعل ناقص واسمه. ﴿لَنَا﴾ متعلق بـ ﴿خَٰشِعِينَ﴾. و﴿خَٰشِعِينَ﴾ خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كانوا﴾ معطوفة على

جملة كانوا الأولى.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣﴾.

﴿وَٱلَّتِيٓ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿التي﴾ اسم موصول في محل النصب. بفعل محذوف تقديره: واذكر قصة مريم التي أحصنت، والجملة المحذوفة معطوفة على الجمل المذكورة قبلها. ﴿أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿فَنَفَخۡنَا﴾ الفاء: عاطفة. ﴿نفخنا﴾: فعل وفاعل. ﴿فِيهَا﴾ متعلق به، والجملة معطوفة على جملة أحصنت. ﴿مِن رُّوحِنَا﴾: متعلق بـ ﴿نفخنا﴾: أيضاً، ولك أن تعرب التي مبتدأ، والخبر محذوف؛ أي: فيما يتلى عليهم. ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿وَٱبۡنَهَآ﴾ معطوف على الهاء، أو مفعول معه. ﴿ءَايَةٗ﴾ مفعول ثان، وإنما لم يطابق المفعول الأول فيُثنى؛ لأن كلًا من مريم وابنها آية بانضمامه للآخر، فصارا آية واحدة، أو يقال: إنه حذف من أحدهما لدلالة الثاني عليه؛ أي: وجعلنا مريم آية، وابنها آية، أو بالعكس. ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ جار ومجرور صفة لآية. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾ ناصب واسمه وخبره. ﴿أُمَّةٗ﴾ حال لازمة من ﴿أُمَّتُكُمۡ﴾: وقيل: بدل من ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾، وقد فصل بين البدل والمبدل منه بالخبر، نحو: إن زيداً قائم أخاك. و﴿وَٰحِدَةٗ﴾ صفة لازمة ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على جملة ﴿إن﴾. ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم أنا ربكم، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول: ﴿اعبدون﴾ ﴿اعبدوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والنون نون الوقاية، وياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها، بكسرة نون الوقاية، في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ الواو: عاطفة على محذوف تقديره: فأعرضوا عن العبادة، وتقطعوا أمرهم. ﴿تقطعوا﴾: فعل ماض وفاعل.

﴿أَمْرَهُم﴾ مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ ﴿تقطعوا﴾. ﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ. ﴿إِلَيْنَا﴾ متعلق بـ ﴿رَٰجِعُونَ﴾. و﴿رَٰجِعُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

﴿فَمَن﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية. ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما على الخلاف المذكور في محله. ﴿يَعْمَلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بلم على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على من. ﴿مِنَ﴾ زائدة. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مفعول به، أو من تبعيضية بمعنى بعض في محل النصب مفعول به، أو الجار والمجرور صفة لمفعول به محذوف تقديره: عملا كائناً من الصالحات. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿يَعْمَلْ﴾. ﴿فَلَا كُفْرَانَ﴾ الفاء: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية. ﴿لا﴾ نافية تعمل عمل ﴿إن﴾. ﴿كُفْرَانَ﴾ في محل النصب اسمها. ﴿لِسَعْيِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿كُفْرَانَ﴾، والخبر محذوف تقديره: فلا كفران لسعيه موجود، أو هو خبر لا، وجملة ﴿لا﴾ في محل الجزم بـ ﴿مِنَ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة من الشرطية مستأنفة. ﴿وَإِنَّا﴾ الواو: استئنافية، أو حالية. ﴿إنا﴾ ناصب واسمها. ﴿لَهُۥ﴾ متعلق بـ ﴿كَٰتِبُونَ﴾. و﴿كَٰتِبُونَ﴾ خبر ﴿إن﴾، والجملة مستأنفة، أو حال عامله محذوف دل عليه السياق، تقديره: فلا نكفر لسعيه حالة كوننا كاتبين له.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

﴿وَحَرَٰمٌ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، أو عاطفة. ﴿حرام﴾: خبر مقدم. ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ جار ومجرور متعلق به. ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الجر صفة لـ﴿قَرْيَةٍ﴾. ﴿أَنَّهُمْ﴾ ناصب واسمه. ﴿لَا﴾ نافية، وجملة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أنّ﴾ المفتوحة في تأويل مصدر، مرفوع على كونه مبتدأ مؤخراً، والتقدير: وعدم رجوع قرية أهلكناها إلينا

للمجازاة حرام ممتنع في علمنا؛ لأنه لا بد من رجوعهم إلينا ومجازاتهم على أعمالهم السيئة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء وغاية لمحذوف تقديره: ويستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى إذا فتحت. ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿وَمَأْجُوجُ﴾ معطوف على ﴿يَأْجُوجُ﴾، والجملة الفعلية في محل الخفض بإضافة إذا إليها، على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿وَهُم﴾ مبتدأ. ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَنسِلُونَ﴾، وجملة ﴿يَنسِلُونَ﴾: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب، حال من ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾. ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿فُتِحَتْ﴾. ﴿ٱلْحَقُّ﴾ صفة لـ ﴿ٱلْوَعْدُ﴾. ﴿فَإِذَا﴾ الفاء: رابطة لجواب إذا وجوباً. ﴿إِذَا﴾ فجائية مؤكدة للفاء الرابطة. ﴿هِىَ﴾: مبتدأ. ﴿شَٰخِصَةٌ﴾ خبره، ﴿أَبْصَٰرُ﴾ فاعل ﴿شَٰخِصَةٌ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿أَبْصَٰرُ﴾. ﴿كَفَرُوا۟﴾ فعل وفاعل صلة الموصول، والجملة الاسمية جواب إذا، لا محل لها من الإعراب، وجملة إذا مستأنفة، وقعت غاية لمحذوف، كما قدّرنا سابقاً. ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ منادى مضاف، وجملة النداء مقول لقول محذوف، تقديره: قائلين: يا ويلنا. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿فِى غَفْلَةٍ﴾: جار ومجرور خبر ﴿كان﴾. ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿غَفْلَةٍ﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل النصب مقول للقول المحذوف، على كونها جواب النداء. ﴿بَلْ﴾ حرف اضراب. ﴿كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة في محل النصب، مقول لذلك القول المحذوف.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

﴿إِنَّكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿وَمَا﴾ اسم موصول في محل النصب معطوف على الكاف. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: وما تعبدونه. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، حال من ما الموصولة، أو من العائد المحذوف. ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ خبر ﴿إنّ﴾ ومضاف إليه، مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث المعنوي، أو للعلمية والعجمة، وجملة ﴿إنّ﴾ مستأنفة ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ﴿لَهَا﴾: متعلق بـ﴿وَٰرِدُونَ﴾. ﴿وَٰرِدُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، أو بدل من﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، أو حال من﴿جَهَنَّمَ﴾؛ لأن حصب جزء، من جهنم.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

﴿لَوْ﴾: حرف شرط. ﴿كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة فعل شرط لـ ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿وَرَدُوهَا﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿وَكُلٌّ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾ متعلق بـ ﴿خَٰلِدُونَ﴾. و﴿خَٰلِدُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل النصب، حال من فاعل ﴿وَرَدُوهَا﴾. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور حال من ضمير لهم. ﴿زَفِيرٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والتقدير: زفير كائن لهم، حالة كونهم مستقرين فيها، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَهُمْ﴾ مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾ متعلق بـ ﴿يَسْمَعُونَ﴾. ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب، حال من ضمير لهم، أو معطوفة على جملة لهم فيها زفير.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه. ﴿سَبَقَتْ﴾ فعل ماض. ﴿لَهُم﴾ متعلق به. ﴿مِّنَّا﴾ جار ومجرور حال من الحسنى. ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾. فاعل، والجملة صلة

الموصول. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ. ﴿عَنْهَا﴾ متعلق بـ ﴿مُبْعَدُونَ﴾. ﴿مُبْعَدُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿حَسِيسَهَا﴾ مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل الرفع، خبر ثان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، أو بدل من ﴿مُبْعَدُونَ﴾، أو في محل النصب، حال من ضمير ﴿مُبْعَدُونَ﴾. ﴿وَهُمْ﴾ الواو: حالية، أو استئنافية. ﴿هم﴾ مبتدأ. ﴿فِي مَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَٰلِدُونَ﴾. ﴿ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾. فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: فيما اشتهته أنفسهم. ﴿خَٰلِدُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، أو في محل النصب حال، من الضمير المستكن في ﴿مُبْعَدُونَ﴾، أو من فاعل ﴿يَسْمَعُونَ﴾.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ﴾: فعل ومفعول وفاعل ﴿ٱلْأَكْبَرُ﴾: صفة لـ ﴿فزع﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ثان لـ﴿أن﴾، أو في محل النصب حال من الضمير المستكن في ﴿مُبْعَدُونَ﴾. ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ﴾. ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لقول محذوف. وقع حالاً من الملائكة، والتقدير؛ وتتلقاهم الملائكة حالة كون الملائكة قائلين: هذا يومكم ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة ليومكم ﴿كُنتُمْ﴾ فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تُوعَدُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كان﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: توعدونه.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية، متعلق بمحذوف تقديره: اذكر يوم نطوي السماء، أو متعلق بقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ﴾، أو بقوله: ﴿تتلقاهم﴾. ﴿نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل الجر

مضاف إليه لـ ﴿يَوْمَ﴾. ﴿كَطَيِّ﴾ جار ومجرور صفة، لمصدر محذوف تقديره: طيا كائناً كطي السجل. ﴿طي﴾ مضاف. ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ مضاف إليه، وهو مصدر مضاف للمفعول؛ أي: كما يطوي الرجل صحيفته ليكتب فيها. ﴿لِلْكُتُبِۚ﴾ جار ومجرور متعلق بطي، فهي لتقوية التعدية. ﴿كَمَا بَدَأْنَآ﴾ الكاف حرف جر وتشبيه ﴿ما﴾ مصدرية. ﴿بَدَأْنَآ﴾ فعل وفاعل. ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾: مفعول ﴿بَدَأْنَآ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر، مجرور بالكاف، والجار والمجرور نعت لمصدر محذوف، تقديره: نعيد أول خلق إعادة، مثل بدئنا إياه. ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿وَعْدًا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة، بفعل محذوف تقديره: وعدنا تلك الإعادة وعداً حقّاً. ﴿عَلَيْنَآۚ﴾. صفة لـ ﴿وعد﴾، أو متعلق به، والجملة المحذوفة مؤكدة لمضمون ما قبلها. ﴿إِنَّا﴾ ناصب واسمه. ﴿كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ فعل ناقص واسمه وخبره، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إنّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. واختار العمادي، كون جملة ﴿إنّ﴾ حالاً من فاعل ﴿وعدنا﴾ المقدر، تقديره: ﴿وعدنا﴾ ذلك، حالة كوننا، محققين ذلك الوعد.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، واللام موطئة للقسم. ﴿قد﴾ حرف تحقيق. ﴿كَتَبْنَا﴾ فعل وفاعل. ﴿فِي ٱلزَّبُورِ﴾ متعلق به. ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، حال من ﴿ٱلزَّبُورِ﴾، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة. ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ ناصب واسمه. ﴿يَرِثُهَا﴾ فعل ومفعول. ﴿عِبَادِيَ﴾ فاعل ومضاف إليه. ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ صفة لـ ﴿عِبَادِيَ﴾، وجملة ﴿يَرِثُهَا﴾ في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر، منصوب على المفعولية لـ ﴿كَتَبْنَا﴾، والتقدير: ولقد كتبنا في الزبور وراثة الصالحين الأرض.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِي هَٰذَا﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَبَلَٰغًا﴾ اللام: حرف ابتداء. ﴿بلاغا﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿لِّقَوْمٍ﴾ جار ومجرور صفة ﴿لَبَلَٰغًا﴾. ﴿عَٰبِدِينَ﴾ صفة ﴿قوم﴾، والتقدير: إن بلاغاً لقوم عابدين، لكائن في هذا، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿وَمَآ﴾: الواو: عاطفة. ﴿ما﴾ نافية ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول لأجله، أو حال مبالغةً في أن جعله نفس الرحمة، أو على حذف مضاف؛ أي: ذا رحمة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ صفة لـ ﴿رَحْمَةً﴾، أو يتعلق بنفس الرحمة.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر ﴿يُوحَىٰٓ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة. ﴿إِلَيَّ﴾ متعلقان به ﴿أَنَّمَآ﴾ ﴿أن﴾: حرف نصب وتوكيد ومصدر، ولكن بطل عملها، لدخول ما الكافة عليها. ﴿ما﴾: كافة لكفها ما قبلها عن العمل فيما بعدها. ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبر. ﴿وَٰحِدٌ﴾ صفة لـ ﴿إِلَٰهٌ﴾. وجملة ﴿أن﴾ وما في حيّزها. من المبتدأ والخبر، في تأويل مصدر مرفوع، على كونه نائب فاعل لـ ﴿يُوحَىٰٓ﴾، والتقدير: قل لهم يا محمد، ما يوحى إليّ إلاّ كون إلهكم إلهاً واحداً، والجملة الفعلية في محل النصب مقول قل. ﴿فَهَلْ﴾ الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما ذكرته لكم من التوحيد، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم، فأقول لكم هل أنتم مسلمون؛ أي: أسلموا. ﴿هل﴾: حرف استفهام بمعنى الأمر. ﴿أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل النصب، مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول لـ ﴿قُلْ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿فَإِن﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية. ﴿إن﴾ حرف شرط. ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ فعل ماض وفاعل في محل الجزم بأن الشرطية، على كونها فعل شرط لها. ﴿فَقُلْ﴾ الفاء، رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً. ﴿قل﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة في محل الجزم بـ ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواب شرط لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم﴾ مقول محكي. وإن شئت قلت: ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول، والثاني: محذوف تقديره: بالعذاب، والجملة في محل النصب مقول ﴿قل﴾. ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ جار ومجرور حال من مفعول ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾؛ أي: حالة كونكم على سواء في الإعلام به، لم أطوه عن أحد منكم، وما فرّقت بينكم في النصح وتبليغ الرسالة؛ أي: مستوين في علمه. ﴿وَإِنْ﴾ الواو: حالية. ﴿إن﴾: نافية. ﴿أَدْرِىٓ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿أَقَرِيبٌ﴾: الهمزة للاستفهام، الذي هو لطلب التعيين. ﴿قريب﴾ خبر مقدم. ﴿أَم﴾ حرف عطف. ﴿بَعِيدٌ﴾ معطوف على قريب. ﴿مَّا﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر. ﴿تُوعَدُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: ما توعدونه، والجملة الاسمية في محل النصب، سادّة مسدّ مفعولي أدري؛ لأنها معلقة عنها بهمزة الاستفهام، وجملة ﴿أَدْرِىٓ﴾ في محل النصب، حال من فاعل ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه. ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: جار ومجرور. حال من الجهر، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قل﴾. ﴿وَيَعْلَمُ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿مَا﴾: موصولة في محل النصب مفعول به، وجملة ﴿يعلم﴾ في محل الرفع معطوفة على ﴿يعلم﴾ الأولى، وجملة ﴿تَكْتُمُونَ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: تكتمونه.

﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾.

﴿وَإِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إن﴾ نافية ﴿أَدْرِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على محمد، وجملة ﴿أَدْرِي﴾ في محل النصب معطوفة على ﴿أَدْرِي﴾ الأولى. ﴿لَعَلَّهُ﴾ ناصب واسمه. ﴿فِتْنَةٌ﴾ خبره. ﴿لَّكُمْ﴾ صفة لفتنة. ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ معطوف على فتنة. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ صفة لـ ﴿متاع﴾، أو متعلق به؛ لأنه بمعنى تمتيع، وجملة ﴿لعل﴾ في محل نصب بـ ﴿أَدْرِي﴾. والكوفيون يجرون الترجي، مجرى الاستفهام، في التعليق عن العمل، ولكن النحاة، لم يذكروا ﴿لعل﴾ من المعلقات، ولكنها وردت كثيراً في القرآن، كقوله في هذه الآية، وكقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾. وقيل: إن قوله﴿وَمَتَٰعٌ﴾ ليس داخلاً في حيز الترجي؛ لأنه محقق، فلا يصح عطفه على فتنة؛ لأنه حيث كان معطوفاً على خبرها، كان معمولاً لها، وداخلاً في حيّزها، وفي نطاق الترجي الذي تدل عليه، فالأولى إذن أن يقال: إن قوله: ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: وهذا متاع إلى حين؛ أي؛ وتأخير عذابكم متاع لكم، وتكون الجملة مستأنفة، وليس هذا ببعيد، فليتأمل.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿قَٰلَ﴾: فعل ماض، أو ﴿قل﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿رَبِّ﴾ منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، اجتزاء عنها بالكسرة، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَٰلَ﴾. ﴿ٱحْكُم﴾ فعل دعاء سلوكاً مسلك الأدب. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق به، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل النصب مقول ﴿قل﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَرَبُّنَا﴾ الواو استئنافية. ﴿ربنا﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: خبر أول. ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ خبر ثان، ويجوز أن يكون الرحمن صفة لـ ﴿ربنا﴾، والمستعان خبر المبتدأ؛ لأنه المحدّث به، والجملة الاسمية مستأنفة على كونها مقول القول. ﴿عَلَىٰ مَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾، وجملة ﴿تَصِفُونَ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: تصفونه مما هو مخالف للواقع.

التصريف ومفردات اللغة

﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ والفرق بين الضر، بفتح الضاد، والضر بضمها، أن الضر بالفتح هو: الضرر بكل شيء، والضر بالضم: هو الضرر في النفس من هزال ومرض، وفرّق بين البناءين لافتراق المعنيين، وقد نظم بعضهم الفرق بينهما، كما أورد معاني أخرى لهما، حيث قال:

وَضِدُّ نَفْعٍ قِيلَ فِيهِ ضَرُّ ⠀⠀ وَجُودُ ضَرَّةٍ لِعُرْسٍ ضَرُّ
وَسُوءُ حَالِ ٱلْمَرْءِ ذَاكَ ضُرُّ ⠀⠀ كَذَا هُزَالُ مَرَضٍ أَوْ كِبَرُ

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ هذا لقبه، والكفل: هو النصيب، واسمه بشير. وقيل: الياس. وقيل: زكريا، كأنه سمي بذلك لأنه المجدور وذو النصيب الأوفى من الحظ. وقيل: ذو الكفل اسمه، وقد كان له اسمان، ولم يكن لقباً.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ وفي «المختار»: النون الحوت، وجمعه أنوان ونينان، وذو النون: لقب يونس بن متّى ـ على وزن شتّى ـ اسم والده على ما ذكر في «القاموس»، أو اسم لأمه، على ما قاله ابن الأثير في «النهاية» وغيره، اهـ كرخي. وكان متّى رجلاً صالحاً، وتوفي متى ويونس في بطن أمه، وله أربعة أشهر، اهـ زكريا. وعبارة «الشهاب» ومتى اسم أبيه على الصحيح، وقال ابن الأثير وغيره: أنه اسم أمه، ولم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه، غير يونس وعيسى، عليهما السلام، اهـ.

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ أي: غضبان، فالمفاعلة ليست على بابها، فلا مشاركة، كعاقبت اللص، وسافرت. ويحتمل أن تكون على بابها من المشاركة؛ أي؛ غاضب قومه وغاضبوه، حيث لم يؤمنوا في أول الأمر، اهـ كرخي.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾: أي: لن نقضي عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت، أو نضيق عليه بذلك، فهي من القدر، لا من القدرة، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾. وفي «المصباح»: أن قدر بكل من المعنيين المذكورين، يأتي من بابي ضرب ونصر، اهـ. وذهب جمهور من

العلماء، أن معناها: فظن أن لن نضيّق عليه، من ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾؛ أي: ضيّق وقتّر.

﴿وَزَكَرِيَّآ﴾ بالمد، علم نبي، وألفه للتأنيث، فلذلك منع من الصرف، وهو أيضاً، غير مصروف للعجمة والتعريف. وقيل: هو عربي مشتق من زكر؛ أي: امتلأ، أو تزكر.

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ يقال: رغب الشيء اتسع، فإذا قيل: رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه، فإذا قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه. والرغبة العطاء الكثير لكونه مرغوباً فيه، فيكون مشتقاً من الأصل، فإن أصل الرغبة السعة في الشيء، ومنه ليلة الرغائب؛ أي: العطايا الجزيلة. يقال: يعطي الرغائب من يشاء ويمنع. والرهبة مخافة مع تحرك واضطراب، اهـ «روح البيان» وفي «المختار»: رغب ورهب كل منهما من باب طرب، اهـ.

﴿وَالَّتِىٓ أَحْصَنَتْ﴾ والحصن في الأصل: كل موضع حصين؛ أي: محكم لا يوصل إلى جوفه. وأحصنه، جعله في حصن وحرز، ثم تجوّز في كل تحرز، وامرأة حصان ـ كسحاب ـ عفيفة أو متزوجة؛ أي: ومريم التي منعت نفسها من قربان الرجال.

﴿فَرْجَهَا﴾ والفرج والفرجة: الشق بين الشيئين كفرجة الحائط. والفرج ما بين الرجلين. وكنى به عن السوءة، وكثر حتى صار كالصريح فيه. والفرج انكشاف الغم. وقال السهيلي ـ رحمه الله ـ: يريد فرج القميص؛ أي: لم يعلق بثوبها ريبة؛ أي: أنها طاهرة الأثواب. وفروج القميص أربعة: الكمّان، والأعلى، والأسفل، فلا يذهب وهمك إلى غير هذا، فإنه من لطيف الكناية، انتهى.

﴿رُّوحِنَا﴾ والروح هو المعنى المعروف، ونفخ الروح هو الإحياء.

﴿ءَايَةً﴾؛ أي: برهاناً ودليلاً على قدرة الله تعالى.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾؛ أي: ملتكم ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: غير مختلفة. قال في «القاموس»: الأمة جماعة أرسل إليهم رسول، انتهى. فأصلها القوم الذين يجتمعون على دين واحد، ثم اتّسع فيها، فأطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين والملة. واشتقاقها من أم بمعنى: قصد. فالقوم: هم الجماعة القاصدة، وما اجتمعوا عليه هو الملة المقصودة.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾؛ أي: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً. والقطع فصل الشيء مدركاً بالبصر كالأجسام، أو بالبصيرة كالأشياء المعقولة والتفعّل هنا للتعدية، نحو: علمته الفقه فتعلم الفقه اهـ من «الروح».

﴿فَلَا كُفۡرَانَ﴾ الكفران: مصدر بمعنى الكفر، كالشكران بمعنى الشكر، فهو كناية عن حرمان ثواب عمله.

﴿لِسَعۡيِهِۦ﴾ والسعي، في الأصل: المشي السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجد في الأمر، خيراً كان أو شراً، وأكثر ما يستعمل في الأفعال المحمودة.

﴿عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾ والقرية: اسم للمصر الجامع كما في «القاموس»، واسم للموضع، الذي يجتمع فيه الناس، كما في «المفردات».

﴿مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ والحدب: النشز من الأرض؛ أي: المرتفع، وكل كدية أو أكمةٍ فهي حدبة، وبها سمي القبر، لظهوره على وجه الأرض. قال الراغب: يجوز أن يكون الأصل في الحدب حدث الظهر، وهو خروجه، ودخول الصدر والبطن، ثم شبه به ما ارتفع من الأرض، فسمي حدباً، ومنه محدب الفلك.

﴿يَنسِلُونَ﴾؛ أي: يسرعون، والنسلان: مقاربة الخطا مع الإسراع، يقال: نسل ينسل ـ بالفتح في الماضي، والكسر والضم في المضارع، اهـ «سمين». وفي «المصباح»: نسل في مشيه نسلاناً أسرع، وهو من باب ضرب، اهـ. وفي «بحر العلوم»: من نسل الذئب إذا أسرع في مشيه.

﴿فَإِذَا هِىَ شَاخِصَةٌ﴾ يقال: شخص بصره، فهو شاخص، إذا فتح عينيه، وجعل لا يطرف، وبصره رفعه، وشخص شخوصاً ارتفع.

﴿قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ﴾ والغفلة: سهو يعترى من قلة التحفظ والتيقظ.

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الحصب المحصوب به؛ أي: يحصب بهم في النار. والحصب الرمي. وفي «المختار»: والحصب ـ بفتحتين ـ ما تحصب به النار؛ أي: ترمى، وكل ما ألقيته في النار لاشتعالها فقد حصبتها به. من حصبه يحصبه من باب ضرب إذا رماه بالحصباء.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ والزفير: صوت نفس المغموم، يخرج من أقصى الجوف.

﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾؛ أي: الكلمة الحسنى التي تتضمن البشارة بثوابهم حين الجزاء على أعمالهم.

﴿حَسِيسَهَا﴾ والحسيس: الصوت الذي يحس من حركتها.

﴿فِى مَا ٱشْتَهَتْ﴾ والشهوة: طلب النفس اللذة.

﴿ٱلْفَزَعُ﴾ انقباض ونفار يعترى الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع كما مر.

وفي «المصباح»: حزن من باب قتل.

﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ والطي: ضد النشر. وقال ابن عباس: السجل الصحيفة، والمعنى: كطي الصحيفة على مكتوبها.

﴿ٱلزَّبُورِ﴾: الكتب التي أنزلت على الأنبياء. قال الراغب: زبرت الكتاب، كتبته كتابة غليظة، وكل كتابٍ غليظ الكتابة يقال له الزبور. قال في «القاموس»: الزبور الكتاب بمعنى المزبور، والجمع زبر، وكتاب داود، عليه السلام، انتهى.

و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: اللوح المحفوظ. ﴿والبلاغ﴾: الكفاية.

﴿والعابد﴾ من عمل بما يعلم، من أحكام الشريعة وآدابها.

﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾؛ أي: أعلمتكم، فالهمزة فيه للنقل. قال الزمخشري: آذن منقول من أذن إذا علم، ولكنه كثر استعماله في إجرائه مجرى الإنذار، اهـ سمين» كما في قوله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

﴿مَّا تُوعَدُونَ﴾: من غلبة المسلمين عليكم.

﴿فِتْنَةٌ﴾: أي: اختبار.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التلطف في طلب الرحمة في قوله: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ولم يقل: ارحمني، لطفاً في السؤال، وحفظاً للأدب في الخطاب، فإن أكثر أسئلة الأنبياء في كشف البلاء، إنما هي على سبيل التعريض.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

ومنها: إدخال أل الجنسية على الضر، لتشمل أنواعه المتقدمة.

ومنها: الجناس الناقص بين ﴿الصابرين﴾ و﴿الصالحين﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، وبين ﴿قريب﴾ أم ﴿بعيد﴾.

ومنها: الإضافة للتشريف في قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أضاف الروح إليه تعالى، على جهة التشريف كقوله: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ مثل اختلافهم في الدين وتفرقهم فيه إلى شيع وأحزاب بالجماعة، تتوزَّع الشيء، لهذا نصيب ولهذا نصيب، وهذا من لطيف الاستعارة.

ومنها: الالتفات من الخطاب في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ تشنيعاً

عليهم بسوء صنيعهم، اهـ «سمين». وكان حق التركيب: وتقطعتم على الأول، إلاّ أنه صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتفات.

ومنها: المجاز في قوله: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾؛ لأن الأمة حقيقة في الأمة المجتمعة، ثم تجوّز فيها، فأطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي: دين وملة، اهـ زاده. قال الشهاب: وظاهر كلام الراغب، أنه حقيقة في هذا المعنى.

ومنها: الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ شبه ردّ العمل، ومنع الثواب بالكفران، الذي هو ستر النعمة وإنكارها بجامع المنع في كل، فاستعار له لفظ الكفران.

ومنها: نفي الجنس في قوله: ﴿فَلَا كُفْرَانَ﴾ قصدا للمبالغة، لأن نفي الماهية يستلزم نفي جميع أفرادها.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿لِسَعْيِهِۦ﴾؛ لأن السعي في الأصل المشي السريع، وهو دون العدو، فاستعاره للعمل المحمود، بجامع الجدّ في كل.

ومنها: الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ حيث استعار الحرام للممتنع الوجود، بجامع أن كلا منهما غير مرجو الحصول، اهـ «شهاب».

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾؛ أي: على أهلها، حيث أطلق لمحل، وأراد الحال.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾؛ لأنَّ الحدب حقيقة في حدب الظهر، وهو خروجه ودخول الصدر والبطن، ثم استعاره لما ارتفع من الأرض، بجامع مع الظهور في كل.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿يَـٰوَيْلَنَآ﴾؛ أي: ويقولون: يا ويلنا، ومثله قوله: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ﴾؛ أي: تقول لهم الملائكة: هذا يومكم الذي كنتم توعدون.

ومنها: المذهب الكلامي في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ وقد تقرَّر أن المذهب الكلامي، هو احتجاج المتكلم، على ما يريد إثباته بحجة، تقطع المعاند له؛ لأن المعنى؛ أن هؤلاء الأصنام والأوثان ليسوا بآلهة، فلو كانوا آلهة فهم حصب جهنم.

ومنها: المبالغة في قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ﴾ وذلك لأن، لقائل أن يقول: إذا نزل أهل الجنة منازلهم فيها، فأي بشارة لهم. في أنهم لا يسمعون حسيسها؟ فالجواب: أنه تأكيد للمبالغة في البعد عنها، وأنها لن تقرب منهم أبداً.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾؛ لأنه كناية عن نجاتهم من جميع الأفزاع بالكلية؛ لأنهم إذا لم يحزنهم أكبر الأفزاع، لا يحزنهم ما عداه بالضرورة.

ومنها: تقديم الظرف على عامله في قوله: ﴿وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ لغرض القصر والاهتمام بهم، وهو بيان لفوزهم بالمطالب، إثر بيان خلاصهم من المهالك كما مر.

ومنها: التشبيه المرسل المفصل في قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ﴾؛ أي: طياً مثل طي الصحيفة، على ما كتب فيها.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ﴾؛ لأن فيه تشبيهاً للإعادة بالابتداء، في تناول القدرة لهما على السواء.

ومنها: القصر في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾؛ لأن في هذه الآية قصرين:

الأول: قصر الصفة على الموصوف، وذلك في قصر الوحي على الوحدانية، والمعنى: لا يوحى إليّ إلاّ اختصاص الإله بالوحدانية، لا أنه، لم يوح إليه بشيء غيرها، ولكنها الأصل الرئيسي في كل عبادة وعمل، وهي المطلوبة أولاً وقبل كل شيء، حتى كان ما عداها غير منظور إليه، أو غير جدير

بالذكر، وهو قصر إدعائي.

والثاني: قصر الموصوف على الصفة، وذلك في قصر الله على الوحدانية، وهو ظاهر.

ومنها: الإيجاز في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾؛ لأن في هذه الآية إيجاز قصر؛ لأنه تحدث بثلاث كلمات، وهي: ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ عن كلام طويل؛ أي: إن تولوا بعد هذه الآيات والشواهد، وأعرضوا وطووا كشحاً فقل لهم: لقد أعلمناكم علي بيان أنّا وإياكم في حرب لا مهادنة فيها، ولا صلح بيننا، ولكنني لا أدري متى يأذن الله لي في محاربتكم.

ومنها: الاستفهام الذي يراد به الأمر في قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ أي: أسلموا.

ومنها: تكرير العلم في قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ لتكرير الوعيد وتوكيده.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: استدراج من إطلاق المسبب وإرادة السبب؛ لأنه لما كان الاستدراج سبباً للفتنة والعذاب، أطلق عليه لفظ الفتنة مجازاً مرسلاً، أو امتحان لكم؛ كيف تعملون؛ أي: معاملة تشبيهية بالامتحان على طريق الاستعارة التمثيلية، ذكره في «روح البيان».

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

خلاصة ما تضمنته هذه السورة

اشتملت هذه السورة على المقاصد التالية:

١ ـ الإنذار بقرب الساعة مع غفلتهم.

٢ ـ إنكار المشركين بنبوة محمد ﷺ؛ لأنه بشر مثلهم، وأ ما جاء به أضغاث أحلام، وأنه قد افتراه، ولو كان نبياً حقاً، لأتى بآية، كآيات موسى وعيسى، عليهما السلام.

٣ ـ الرد على هذه الشبهة بأن الأنبياء جميعاً كانوا بشراً، وأهل العلم من اليهود والنصارى، يعلمون ذلك حق العلم.

٤ ـ الإخبار بأن الله، أهلك كثيراً من الأمم، المكذبة لرسلها، وأنشأ بعدهم أقواماً آخرين.

٥ ـ بيان أن السموات والأرض لم تخلقا عبثاً، وأن الملائكة لا يستكبرون عن عبادته، ولا يملون.

٦ ـ إقامة الدليل على وحدانية الله تعالى، والنعي على من يتخذ آلهة من دونه، بلا دليل على صدق ما يقولون، مع أن الأنبياء جميعاً أوحي إليهم أنه لا إله إلاّ هو.

٧ ـ النعي على من ادعى أن الملائكة بنات الله.

٨ ـ وصف النشأة الأولى ببيان أن السموات والأرض كانتا رتقاً فانفصلتا، وأن الجبال جعلت على الأرض أوتاداً حتى لا تميد بأهلها، وأن كلا من الشمس والقمر يسبح في فلكه.

٩ ـ استعجال الكافرين للعذاب، مع أنهم لو علموا كنهه ما طلبوه.

١٠ ـ بيان أن الساعة تأتيهم بغتة، وهم لا يشعرون.

١١ ـ قصص بعض الأنبياء، كموسى وهارون وإبراهيم ولوط ونوح وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذي الكفل ويونس وزكريا وقصص مريم.

١٢ ـ بيان أن الدين الحق عند الله، هو الإسلام، وبه جاءت جميع الشرائع، والاختلاف بينها، إنما هو في الرسوم، بحسب اختلاف الأزمنة والأمكنة.

١٣ ـ حادث يأجوج ومأجوج، من أشراط الساعة، واقتراب يوم القيامة.

١٤ ـ بيان أن الأصنام وعابديها، يكونون يوم القيامة حطب جهنم، وأنهم لو كانوا آلهة حقًّا، ما دخلوها.

١٥ ـ وصف ما يلاقيه الكفار، من الأهوال في النار، يوم القيامة.

١٦ ـ وصف النعيم الذي يستمتع به أهل الجنة إذ ذاك.

١٧ ـ بيان أن الأرض ستبدل غير الأرض، وأن السماء تطوي طي السجل للكتاب.

١٨ ـ إن سنة الله في الكون، أن يرث الأرض من يصلح لعمارتها، من أي دين كان، وأي مذهب اعتنق.

١٩ ـ الوحي إنما جاء بالتوحيد، وأن لا إله إلا واحد، وأن الواجب الاستسلام له، والانقياد لأمره.

٢٠ ـ ما ختمت به السورة من طلب الرسول ﷺ، أن يحكم الله بينه وبين أعدائه المشركين، وأن الله هو المستعان على ما يصفونه به، من أنه مفترٍ، وأنه مجنون، وأنه شاعر، يتربصون به ريب المنون.

والله أعلم

* * *

سورة الحج

اختلف أهل العلم، هل هي مكية أو مدنية؟ وقال البيضاوي والخازن: سورة الحج مكية[(١)] كلها، إلاّ ست آيات، من قوله عز وجل: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾. وفي «تنوير المقياس»: «سورة الحج كلها مكية[(٢)] إلاّ خمس آيات ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ إلى آخر الآيتين، وقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ إلى آخر الآيتين، والسجدة الأخيرة، فهؤلاء الآيات مدنيات، وكل شيء في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهو مدني، وكل شيء في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو مكي أو مدني، ولا نجد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مكية» انتهى. وحكى القرطبي عن ابن عباس: أنها مكية سوى ثلاث آيات، وقيل أربع آيات إلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾، وحكي عن النقّاش: أنه نزل بالمدينة منها عشر آيات، وفي «المراغي»: هي مدنية كلها، إلاّ أربع آيات، (٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥)، فبين مكة والمدينة. قال القرطبي: وقال الجمهور: إن السورة مختلطة، منها مكي، ومنها مدني، قال وهذا هو الصحيح. قال العزيزي: هي من أعاجيب السور، نزلت ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، مكيّاً ومدنياً، سلمياً وحربياً، ناسخاً ومنسوخاً، محكماً ومتشابهاً.

وآياتها ثمان وسبعون آية، وكلماتها ألف ومئتان وإحدى وتسعون كلمة، وحروفها خمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفاً.

فضلها: وقد ورد في فضلها[(٣)]:

ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وابن مردويه والبيهقي في

(١) البيضاوي والخازن.
(٢) تنوير المقياس.
(٣) الشوكاني.

«سننه» عن عقبة بن عامر قال: قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: «نعم، فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما» قال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بالقويّ.

وأخرج أبو داود في المراسيل والبيهقي عن خالد بن معدان: أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت سورة الحج على القرآن بسجدتين».

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة والإسماعيلي وابن مردويه والبيقهي، عن عمر، أنه كان يسجد سجدتين في الحج، وقال: إن هذه السورة فضلت على سائر القرآن بسجدتين. وقد روي عن كثير من الصحابة أنَّ فيها سجدتين، وبه يقول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق. وقال بعضهم: إن فيها سجدة واحدة، وهو قول سفيان الثوري. وأخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عباس وإبراهيم النخعي.

التسمية: سمّيت سورة الحج، تخليداً لدعوى الخليل إبراهيم، عليه السلام، حين انتهى من بناء البيت العتيق، ونادى الناس لحج البيت الحرام، فتواضعت الجبال، حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع نداؤه من في الأصلاب والأرحام، وأجابوا النداء بقولهم: «لبيك اللهم لبيك».

وهي بحسب موضوعاتها أقسام ثلاثة[1]:

١ ـ البعث، والدليل عليه وما يتبع ذلك.

٢ ـ الحج والمسجد الحرام.

٣ ـ أمور عامة، كالقتال وهلاك الظالمين، والاستدلال بنظام الدنيا على وجود الخالق، وضرب المثل بعجز الأصنام، وعدم استطاعتها خلق الذباب.

المناسبة: ومناسبتها للسورة التي قبلها من وجوه:

١ ـ أن آخر السورة قبلها كان في أمر القيامة كقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ

(١) المراغي.

﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ﴾، وقوله: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ وأول هذه السورة الاستدلال على البعث بالبراهين العقلية.

٢ ـ أنه قد أقيمت في السورة السالفة الحجج الطبيعية على الوحدانية، وفي هذه جعل العلم الطبيعي من براهين البعث.

٣ ـ في السورة السالفة وما قبلها قصص الأنبياء وبراهينهم لقومهم، وفي هذه السورة خطاب من الله للأمم الحاضرة، وهو خطاب يسترعى السمع، ويوجب علينا ولو إجمالاً أن نعرف صنع الله في أرضه وسمائه، وتدبيره خلق الأجنة والنبات والحيوان.

قال أبو حيان[١]: ومناسبة أول هذه السورة لما قبلها: أنه سبحانه وتعالى ذكر فيما قبلها حال الأشقياء والسعداء، وذكر الفزع الأكبر، وهو ما يكون يوم القيامة، وكان مشركو مكة قد أنكروا المعاد، وكذبوه بسبب تأخر العذاب عنهم، فنزلت هذه السورة تحذيراً لهم، وتخويفاً لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة، وشدة هولها، وذكر ما أعد لمنكريها، وتنبيههم على البعث بتطويرهم في خلقهم، وبهمود الأرض واهتزازها بعد بالنبات.

الناسخ والمنسوخ: قال أبو عبد الله[٢] محمد بن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ: سورة الحج مكية وهي من أعاجيب القرآن، لأن فيها مكيًّا ومدنياً، حضرياً وسفرياً، وفيها حربياً وفيها سلمياً، وفيها ليلياً، وفيها نهارياً. فأما المكي. فمن رأس الثلاثين آية إلى آخرها. وأما المدني منها فمن رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين. وأما الليلي منها فمن أولها إلى رأس خمس آيات. وأما النهاري منها فمن رأس الخمس إلى رأس اثنتيّ عشرة. وأما الحضريّ فإلى رأس العشرين. ونسب إلى المدينة لقربه منها. وفيها ناسخ ومنسوخ، فمن ذلك المنسوخ آيتان:

---

(١) البحر المحيط.

(٢) الناسخ والمنسوخ.

أولاهما: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الآية (٥٢) نسخت بقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ الآية (٦) من سورة الأعلى.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية (٥٦) نسختها آية السيف.

والله أعلم

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ
كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم
بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن
مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ
طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا
يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن
كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ
عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣ إِنَّ
ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ
١٤ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ
هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ١٦ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ
ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ١٨﴾ .

المناسبة

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه[1] لما أنجز الكلام في خاتمة السورة المتقدمة إلى ذكر الإعادة وما قبلها وما بعدها.. بدأ سبحانه في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها، حثاً على التقوى، التي هي أنفع زاد، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لمّا أخبر[2] فيما سلف بأهوال يوم القيامة وشدتها، ودعا الناس إلى تقوى الله تعالى.. بيّن مع هذا التحذير الشديد أن كثيراً من الناس ينكرون هذا البعث، ويجادلون في أمور الغيب بغير علم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما حكى عن المشركين الجدال بغير علم في البعث والحشر، وذمهم على ذلك.. قفّى على هذا بإثباته من وجهين:

١ ـ الاستدلال بخلق الحيوان، وهو ما أشار إليه في الآية الأخرى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ﴾، وقوله: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾.

٢ ـ الاستدلال بحال خلق النبات في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً...﴾ إلخ.

وعبارة أبي حيان هنا[3]: ولما ذكر تعالى من يجادل في قدرة الله بغير علم، وكان جدالهم في الحشر والمعاد، ذكر دليلين واضحين على ذلك:

أحدهما: في نفس الإنسان وابتداء خلقه وتطوره في مراتب سبع، وهي التراب والنطفة والعلقة والمضغة والإخراج طفلاً وبلوغ الأشد والتوفي أو الرد إلى الهرم.

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

والثاني: في الأرض التي تشاهدون تنقلها من حال إلى حال، فإذا اعتبر العاقل ذلك، ثبت عنده جوازه عقلاً، فإذا ورد خبر الشرع بوقوعه، وجب التصديق به، وأنه واقع لا محالة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى﴾ الآيات مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه، لما ذكر في الآية قبلها حال الضُّلّال المقلدين، الذين يتبعون أهل الكفر والمعاصي.. أردف ذلك، بذكر حال الدعاة إلى الضلال، من رؤوس الكفرة والمبتدعين.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لمّا ذكر حال الضّالين المقلدين، الذين يجادلون في توحيد الله، بلا بينة ولا دليل، وحال المضلين الذين يجادلون بلا سلطان من عقل، ولا برهان صحيح من نقل، ثم بيَّن سوء مآلهما في الدنيا والآخرة، وأن لهما في الدنيا خزيا، وفي الآخرة عذاباً في النار، تحترق منه أجسامهما.. أعقب ذلك بذكر قوم مضطربي الإيمان، مذبذبين في دينهم، لا ثبات لهم في عقيدتهم، ولا استقرار لهم في آرائهم، إن أصابوا خيراً فرحوا به، وركنوا إليه، وإن نالهم بلاء وشدة في أنفسهم، أو أهليهم أو أموالهم ارتدوا كفاراً، فلحقهم الخسار والدمار في دينهم ودنياهم، وذلك هو الخسران الذي لا خسران بعده، وهم في ذلك الحين يعبدون الأصنام والأوثان لتكشف عنهم ضرهم، وتدفع عنهم ما نزل بهم من البلاء، وقد ضلوا في ذلك ضلالاً بعيداً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر في الآية السالفة حال المنافقين وحال معبوديهم.. عطف على ذلك بذكر حال المؤمنين، الذين آمنوا بقلوبهم، وصدَّقوا إيمانهم بأفعالهم، وعملوا الصالحات، وتركوا المنكرات.

قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: الله سبحانه وتعالى، لمّا ذكر[1] حال المجادل بالباطل

---

(١) المراغي.

وخذلانه في الدنيا، لأنه لا يدْلِي بحجةٍ من العقل، ولا ببرهان من الوحي، ثم بين ما يؤول إليه أمره من النكال في الدنيا، والخزي في الآخرة، ثم ذكر متابعيه وعمم خسارتهم في الدارين، وأردف ذلك ذكر حال المؤمنين، وما يلقونه من السعادة، والنعيم في الدار الآخرة.. قفى على ذلك، بذكر المجادل عنهم، وعن دين الله، بالتي هي أحسن، وهو رسول الله ﷺ، وبالغ في إثبات نصره بمالا مزيد عليه، ثم ذكر شأن كتابه، وأنه آيات واضحات، ترشد إلى سواء السبيل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه سبحانه، لما ذكر أنه يهدى من يريد.. أتبعه ببيان من يهديه ومن لا يهديه.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه سبحانه لما أبان فيما سلف، أنه يقضي بين أرباب الفرق السالفة يوم القيامة، وهو شهيد على أقوالهم وأفعالهم.. أردف هذا ببيان أنه ما كان ينبغي لهم أن يختلفوا، ألا يرون أن جميع العوالم العلوية والسفلية كبيرها وصغيرها، شمسها وقمرها ونجومها وجبالها وحيوانها ونباتها، خاضعة لجبروته، مسخرة لقدرته، وقد كان في هذا مفتاح لهم لو أرادوا، ولكن من يهنه الله، ويكتب عليه الشقاء فلا يستطيع أحد أن يسعده، فالله وحده هو القدير على الإشقاء والإسعاد.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ...﴾ الآيتين، عن عمران بن حصين وغيره[1]: أن هاتين الآيتين، نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلاً، فنادى رسول الله ﷺ: «فحثوا المطي» حتى كانوا حول رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم، فلم ير باكياً أكثر من تلك الليلة، فلمّا أصبحوا، لم يحطوا السروج عن الدواب، ولم يضربوا الخيام، ولم يطبخوا، والناس بين باك، وجالس حزين متفكر، فقال رسول الله ﷺ: «أيُّ يوم ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذلك يوم، يقول الله لآدم: قم، فابعث من ذريتك بعث النار». أخرجه[2] سعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد والترمذي، وصححه، والنسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم،

(١) الخازن. (٢) الشوكاني.

والحاكم وصححه، وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ الآيات، سبب نزول هذه الآيات ما أخرجه ابن أبي حاتم: أن هذه الآيات، نزلت في النضر بن الحارث، وكان مجادلاً يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، ولا يقدر الله على مَنْ بلي وصار تراباً.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية[1]: ما أخرجه البخاري ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان الرجل يقدم المدينة فيسلم، فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله.. قال هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولداً ذكراً ولم تنتج خيله.. قال: هذا دين سوء، فأنزل الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ...﴾ الآية.

وأخرج ابن مردويه من طريق عطية عن ابن مسعود قال: أسلم رجل من اليهود، فذهب بصره وماله وولده، فتشآم بالإسلام، فقال: لم أصب من ديني هذا خيراً، ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فنزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ...﴾ الآية.

التفسير وأوجه القراءة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ والظاهر أن الخطاب فيه عام لكل ناس، يشمل جميع المكلفين من الموجودين ومن سيوجد، على ما تقرر في موضعه. ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾؛ أي[2]: احذروا عقوبة مالك أموركم ومربيكم بطاعته، فأطيعوه ولا تعصوه بفعل ما أمركم به من الواجبات، وترك ما نهاكم عنه من المحرمات، فهو خطاب ينتظم فيه المكلفون حين النزول، ومن سيوجدون بعده إلى يوم القيامة. ثم علّل هذا الأمر بقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: إن تحرك الأرض وزلزلتها، التي هي أحد أشراط الساعة، التي تكون في الدنيا قبل يوم القيامة، عند قرب الساعة والقيامة، هذا قول الجمهور. وقيل: إنها تكون في النصف من شهر رمضان، ومن بعدها طلوع الشمس من مغربها،

---

(١) لباب النقول.
(٢) روح البيان.

فيكون الذهول والوضع، الآيتان على حقيقتهما. وقيل: تكون الزلزلة يوم القيامة، فيحملان على التمثيل، والأظهر ما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «إن زلزلة الساعة قيامها»، فيكون معناها، أن الزلزلة الواقعة عند قيام الساعة ﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ لا يحيط به الوصف، فلا بد من التقوى، لتخليص النفس من العذاب؛ أي: أمر هائل وخطر عظيم لا يعرف قدره إلا موجده، وإذا كانت الزلزلة وحدها لا تحتمل، فما بالك بما يحدث في ذلك اليوم من الحشر، والجزاء والحساب على الأعمال، لدى من لا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. والزلزلة[١]: التحريك الشديد، بطريق التكرير، كما يدل عليه تكرير الحروف؛ لأن زلزل مضاعف زل. والساعة عبارة عن القيامة، سميت بذلك لسرعة حسابها كما في «المفردات»، والمعنى: أن[٢] شدة حركة الأرض، في قرب الساعة، في نصف رمضان معها طلوع الشمس، من مغربها، أمر حادث جليل هائل، لا تدرك العقول كنهه.

روي عن رسول الله ﷺ، في حديث الصور: أنه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعقة، ونفخة القيام لرب العالمين، وأنه عند نفخة الفزع، يسير الله الجبال، وترجف الراجفة تتبعها الرادفة، قلوب يومئذٍ واجفة، وتكون الأرض كالسفينة تضربها الأمواج أو كالقنديل المعلق ترجرجه الرياح. ثم بين شيئاً من أهوال هذا اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ انتصاب الظرف بما بعده، والضمير يرجع إلى الزلزلة؛ أي: وقت رؤيتكم تلك الزلزلة ﴿تَذْهَلُ﴾؛ أي: تشغل وتغفل دهشة وحيرة، ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾؛ أي: كل امرأة ملتبسة بإرضاع ولدها ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾؛ أي: عن ولدها الذي ترضعه، وهو أعز شيء لديها، فكيف بذهولها عن سواه، وهذا على جعل ﴿ما﴾ موصولاً اسمياً، وقال المبرد[٣]: إن (ما) في ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ مصدرية؛ أي: تذهل عن إرضاعها، قال: وهذا يدل على، أن هذه الزلزلة في الدنيا، إذ ليس بعد القيامة حمل وإرضاع إلا أن يقال: من ماتت مرضعة بعثت كذلك، ويقال: هذا مثل كما يقال: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ

---

(١) روح البيان.
(٢) المراح.
(٣) الشوكاني.

﴿ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾. وقيل: يكون مع النفخة الأولى، قال: ويحتمل أن تكون الساعة عبارة عن أهوال يوم القيامة، كما في قوله: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾. والذهول: الذهاب[1] عن الأمر مع دهشة. والمرضعة: المرأة المباشرة للإرضاع بالفعل، وبغير التاء، هي التي من شأنها الإرضاع، لكن لم تلابس الفعل، ومثلها حائض وحائضة. والتعبير عن الطفل بما، دون مَنْ، لتأكيد الذهول، وكونه بحيث لا يخطر ببالها أنه ماذا؛ أي تغفل مع حيرة، عما هي بصدد إرضاعه، من طفلها الذي ألقمته ثديها، اشتغالاً بنفسها وخوفاً.

وقوله: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ معطوف على تذهل؛ أي: ويوم ترونها تضع وتسقط وتلقي كل صاحبة حمل وجنين، ﴿حَمْلَهَا﴾؛ أي: جنينها لغير تمام، من شدة ما غشيها من الهول، كما أن المرضعة تترك ولدها بغير رضاع لذلك. والحمل بالفتح: ما كان في البطن أو على رأس الشجر، وبالكسر ما كان على الظهر. وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ معطوف أيضاً على تذهل؛ أي: يوم ترونها.. ترى أيها المخاطب أو يا محمد الناس؛ أي: أهل الموقف، ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ جمع سكران؛ أي: تراهم أنهم سكارى، من شدة الهول والفزع، ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ حقيقة؛ أي: من الشراب. وإفراد الخطاب هنا بعد جمعه في ترونها؛ لأن الزلزلة يراها الجميع، لكونها أمراً مغايراً للناس، بخلاف الحالة القائمة بهم من أثر السكر، فإن كل واحد لا يرى إلا ما قام بغيره. والسكر حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، وقد يعترى من الغضب والعشق والخوف والفزع، ومنه سكرات الموت، قال جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ: «أسكرهم ما شاهدوا من بساط العز والجبروت، وسرادق الكبرياء، حتى ألجأ النبيين إلى أن قالوا: «نفسي نفسي». والمعنى: ترى الناس كأنهم من ذهول عقولهم، لشدة ما يمر بهم، يضربون اضطراب السكران من الشراب. وقرأ الجمهور:[2] ﴿تذهل كل﴾ بفتح التاء والهاء ورفع ﴿كل﴾، وابن أبي عبلة واليماني بضم التاء وكسر الهاء؛ أي ﴿تُذهِل﴾ الزلزلة أو الساعة ﴿كل﴾ بالنصب.

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.

وقرأ الجمهور: ﴿وترى﴾ بالتاء مفتوحة بخطاب المفرد. وزيد بن علي بضم التاء وكسر الراء؛ أي؛ وترى الزلزلة أو الساعة. وقرأ الزعفراني وعباس في اختياره بضم التاء وفتح الراء ورفع الناس، وأنث على تأويل الجماعة. وقرأ أبو هريرة وأبو زرعة هرم بن عمرو بن جرير وأبو نهيك كذلك، إلا أنهم نصبوا الناس، عدّي ترى إلى مفاعيل ثلاثة، أحدها: الضمير المستكن في ترى، وهو ضمير المخاطب، مفعول لم يسم فاعله، والثاني والثالث: الناس سكارى، وقرأ الجمهور[1]: ﴿سُكَارى﴾ بضم السين فيهما على وزن فعالى، واختلف في فعالى بضم الفاء، أهو جمع أو اسم جمع، وقرأ أبو هريرة وأبو نهيك وعيسى بفتح السين فيهما، وهو جمع تكسير واحده سكران، وقال أبو حاتم هي لغة تميم، وقرأ الأخوان حمزة والكسائي، وابن سعدان ومسعود بن صالح ﴿سكرى﴾ فيهما، وهي قراءة عبد الله وأصحابه وحذيفة، وقرأ الحسن والأعرج وأبو زرعة وابن جبير والأعمش ﴿سكرى﴾ بضم السين فيهما، قال أبو الفتح هو اسم مفرد، كالبشرى، وبهذا أفتاني أبو علي انتهى. وقال الزمخشري: هو غريب، ذكره في «البحر المحيط».

﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فغشيهم هوله، وطير عقولهم وسلب تمييزهم؛ أي: فبسبب هذه الشدة والهول العظيم طاشت عقولهم، واضطربت أفهامهم، فصاروا كالسكارى من الشراب.

﴿ولكن﴾ استدراك[2] على محذوف تقديره: فهذه الأحوال، وهي الذهول والوضع ورؤية الناس شبه السكارى، هينة لينة، ولكن عذاب الله شديد؛ أي: ليس ليناً ولا سهلاً، فما بعد لكن، مخالف لما قبلها، اهـ من «أبي حيان». فلما ذكر الله سبحانه وتعالى، أهوال يوم القيامة، ذكر من غفل عن الجزاء في ذلك، وكذب به، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ ويخاصم وينازع ﴿فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: في قدرته وصفاته وفي كتابه ونبيه وشؤونه، ويقول فيه ما لا خير فيه، من الأباطيل، حالة كون ذلك المجادل ملابساً، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وبرهان وحجة؛ أي: يجادل

---

(١) البحر المحيط. (٢) الفتوحات.

بسبب جهله وتمرّده كالنضر بن الحارث وأبي جهل وأبي بن خلف فإنهم ينكرون البعث، ويقولون: إن الله لا يقدر على إحياء من صار تراباً، ويكذبون القرآن والنبي ﷺ، ولكن[1] الآية عامة في كل كافر، يجادل في ذات الله وصفاته بالجهل، وعدم اتباع البرهان وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن من يجادل في الله، ماله علم بالله ولا معرفة به وإلا لم يجادل فيه وإنما يجادل لاتباعه الشيطان، كما قال: ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ ذلك المجادل في جداله، وعامة أحواله: ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾؛ أي: متجرد للفساد متعرّ من الخيرات، وهم رؤساء الكفرة، الذين يدعون من دونهم إلى الكفر أو إبليس وجنوده.

والمعنى: أنه[2] يخاصم في قدرة الله تعالى، فيزعم أنه غير قادر على البعث، بغير علم يعلمه، ولا حجة يستدل بها، ويتبع فيما يقوله ويتعاطاه، ويحتج به كل شيطان مرد، أي متمردٍ عاتٍ على الله تعالى.

والخلاصة: أي[3] ومن الناس من يتبع في كل ما يأتي وما يذر من شؤونه وأهوائه شياطين من شياطين الإنس والجن، الذين يزينون له طرق الغواية، ويسلكون به الطرق التي تزلق به في المهاوي، ويقودونه إلى الأعمال التي تصل به إلى النار، من شرك بالله، وعبادة للأوثان والأصنام، وشرب للخمر، ولعب بالميسر إلى نحو ذلك، ممّا يحسنون له عمله، ويكونون له فيه القادة الذين لا يرد لهم قول، ولا يقبح منهم فعل.

وقرأ زيد بن علي[4]: ﴿ويتبع﴾ خفيفاً. ثم وصف سبحانه ذلك الشيطان بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ بالبناء للمفعول؛ أي: كتب على ذلك الشيطان، من الجن والإنس في اللوح المحفوظ، وقضي وقدر عليه في علم الله تعالى، ونائب فاعله ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾؛ أي: أن الشأن من تولى ذلك الشيطان واتخذه ولياً وتبعه ﴿فإنه يضله﴾ بالفتح، على أنه خبر، مبتدأ محذوف؛ أي: فشأن ذلك الشيطان أن يضل من تولاه عن طريق الحق والجنة، ﴿وَيَهْدِيهِ﴾ ويدله ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ بحمله

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) المراغي.
(٤) البحر المحيط.

على مباشرة، ما يؤدي إليه من السيئات، وإضافة العذاب إلى السعير، وهي النار الشديدة الاشتعال بيانية كشجر الأراك، وعن الحسن «أنه اسم من أسماء جهنم».

قال في «التأويلات النجمية»[1]: أما الشيطان الجني، فيضله بالوساوس والتسويلات والقاء الشبه، وأما الشيطان الإنسي، فبإيقاعه في مذاهب أهل الأهواء والبدع، والفلاسفة والزنادقة، المنكرين للبعث والمستدلين بالبراهين المعقولة، بالعقول المشوبة بشوائب الوهم والخيال، وظلمة الطبيعة، فيستدل بشبههم ويتمسك بعقائدهم، حتى يصير من جملتهم، ويعد في زمرتهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ ويهديه بهذه الاستدلالات والشبهات إلى عذاب السعير، سعير القطيعة والحرمان، انتهى.

والمعنى: أي قدر سبحانه أن من اتبع ذلك الشيطان، وسلك سبيله، أضله في الدنيا بما يوسوس له، ويدسي به نفسه، ويزين لها من أتباع الغواية والفجور، وسلوك سبيل المعاصي والآثام، التي توبقه في جهنم وبئس القرار.

وخلاصة ذلك: أنه يضله في الدنيا، ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير، بما يجترح من السيئات ويترك من الآثام.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿كتب﴾ مبنيا للمفعول، وقرأ أبو عمران الجوني ﴿كتب﴾ بفتح الكاف؛ أي: كتب الله سبحانه، وقرأ الجمهور أنه بفتح الهمزة في موضع المفعول، الذي لم يسم فاعله ﴿فإنه﴾ بفتحها أيضاً، والفاء رابطة جواب من الشرطية إن جعلتها شرطية، أو داخلة في خبر من الموصولة، إن كانت موصولة، وقرأ أبو عمران الجوني ﴿أنه﴾ بفتح الهمزة ﴿فإنه﴾ بكسر الهمزة، وقرأ أبو مجلز وأبو العالية وابن أبي ليلى والضحاك وابن يعمر والأعمش والجعفي ﴿إنه﴾ ﴿فإنه﴾ بكسر الهمزة فيهما.

ثم ذكر سبحانه ما هو المقصود من الاحتجاج على الكفار، بعد فراغه من تلك المقدمة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: يا أهل مكة، المنكرين للبعث ﴿إن

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط وزاد المسير.

﴿كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ وشك ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ والإعادة والقيامة. وعبر سبحانه بالريب، مع أنهم موقنون بعدم حصوله، إيذاناً بأن أقصى ما يمكن صدوره منهم، وإن بلغوا غاية المكابرة والعناد هو الارتياب في شأنه، أما الجزم بعدم إمكانه، فلا يدور بخلد عاقل على حال.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿البعث﴾ بسكون العين، والكوفيون إسكان العين، عندهم تخفيف يقيسونه بما وسط حرف حلق، كالنهْر والنهَر والشعْر والشعَر، والبصريون لا يقيسونه، وما ورد من ذلك هو عندهم، مما جاء فيه لغتان، وقرأ الحسن ﴿من البعث﴾ بفتح العين، وهي لغة فيه، كالحلب والطرد في الحَلْب والطَرْد، والبعث[2]: الإخراج من الأرض والتسيير إلى الموقف، وجيء بإن مع كثرة المرتابين لاشتمال المقام على ما يقلع الريب من أصله، وتصوير أن المقام لا يصلح إلا لمجرد الفرض له، كما يفرض المحال. وشكهم يحتمل أن يكون في وقوعه أو في إمكانه؛ أي: إن كنتم في شك من إمكان الإعادة. وكونها مقدورة له تعالى، أو من وقوعها، ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ ليس جزاء للشرط؛ لأن خلقهم مقدم على كونهم مرتابين، بل هو علة للجزاء المحذوف، والمعنى: يا أيها الناس إن كنتم في شك من إمكان الإعادة، أو من وقوعها، فانظروا إلى مبدأ خلقكم، ليزول عنكم الريب، ويرتفع الشك، وتدحض الشبهة الباطلة، لأنا خلقنا كل فرد منكم خلقاً إجمالياً ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ في ضمن خلق أبيكم آدم منه.

والخلاصة: إن شككتم في بعثكم، فتدبروا أمر خلقكم وابتدائكم، فإنكم لا تجدون في القدرة، فرقا بين الابتداء والإعادة. ﴿ثُمَّ﴾ خلقناكم خلقاً تفصيلياً ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾؛ أي: من منيّ، وهي الماء الصافي قل أو كثر، ويعبر بها عن ماء الرجل من نطف الماء إذا سال، أو من النطف وهو الصبّ، ﴿ثُمَّ﴾ خلقناكم ﴿مِنْ عَلَقَةٍ﴾؛ أي: من قطعة من الدم جامدة، مكوّنة من المني، ﴿ثُمَّ﴾ خلقناكم ﴿مِن مُّضْغَةٍ﴾؛ أي: قطعة من اللحم، مكوّنة من العلق، وهي في الأصل، مقدار ما

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.

يمضغ ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ بالجر صفة مضغة؛ أي: تامّة التصوير والتخطيط والحواس ومستبينتها ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾؛ أي: وناقصة في هذه الأمور وغير مستبينتها، والمراد تفصيل حال المضغة وكونهاأولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء، ثم ظهر بعد ذلك شيء، لكنّه أخر غير المخلقة على خلاف الترتيب الطبعي لكونها عدم الملكة، والعدم مؤخر عن الوجود، كذا في «الإرشاد» ويؤيده قول صاحب «التأويلات» ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾؛ أي: منفوخة فيها الروح ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾؛ أي: صورة لا روح فيها، أو المعنى[1]؛ أي: ثم من قطعة من اللحم مسوّاة لا نقص فيها، ولا عيب في ابتداء خلقها، ومضغة غير مسوّاءة فيها عيب، وبهذا التفاوت في الخلق يتفاضل الناس في صورهم، وأشكالهم وطولهم وقصرهم. وفي «الفتوحات» قوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ هذا تقسيم على سبيل التسمح، فإن كل مضغة تكون أولاً غير مخلقة، ثم تصير مخلقة، ولو جاء النظم هكذا: ثم من نطفة غير مخلقة، ثم من مخلقة لكان أوضح.

وعبارة أبي السعود: كان مقتضى الترتيب السابق، المبني على التدريج من المبادىء البعيدة على القريبة، أن يقدم غير المخلقة على المخلقة، وإنما أخرت عنها لأنها عدم الملكة. اهـ. وقال القرطبي: قال ابن زيد: المخلقة: التي خلق الله فيها الرأس، واليدين والرجلين، وغير المخلقة: التي لم يخلق فيها شيء. أو يقال: إن الواو لا تقتضي ترتيباً، فكأنه قال: غير مخلقة ومخلقة، وقد يقال: إن الإثبات مقدم على النفي؛ لأن غير مخلقة من قبيل النفي، وقيل غير ذلك. وفي «الفتوحات» أيضاً: تأمل[2] في هذا الترتيب، فإنه يقتضي أن الإنسان الكامل خلق أولاً من نطفة، ثم ثانياً من علقة، ثم ثالثاً من مضغة، مع أن أصل الخلق من نطفة، ثم صارت النطفة علقة، ثم صارت العلقة مضغة، كما يصرح به قوله في آية أخرى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً...﴾ إلخ، إلا أن يقال: فإنّا صيرنا مادة خلقكم من تراب، ثم من نطفة إلخ، وقرأ ابن أبي عبلة ﴿مخلقة﴾ بالنصب ﴿وغير﴾ بالنصب أيضاً، نصباً على الحال من النكرة المتقدمة، وهو قليل وقاسه سيبويه.

---

(١) المراغي. (٢) الفتوحات.

واللام في قوله: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾ متعلقة بـ ﴿خلقنا﴾؛ أي: خلقناكم على هذا النمط البديع، لنبين لكم كمال قدرتنا، بتصريفنا أطوار خلقكم، وجميل نظامنا وعظيم حكمتنا، التي من جملتها أمر البعث والنشور، فإن من قدر على خلق البشر أوّلاً، من تراب، لم يشم رائحة الحياة قط.. فهو قادر على إعادته. وقوله: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾؛ أي: ونبقي في أرحام النساء، بعد تمام خلقه، ﴿مَا نَشَآءُ﴾ أن نقره فيها من الأجنة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ووقت معين؛ أي: إلى الوقت الذي قدّر أن تلد فيه المرأة. كلام مستأنف[1]، مسوق لبيان حالهم، بعد تمام خلقهم؛ أي: ونحن نقر في الأرحام ما نشاء من الأجنة؛ إلى وقت الوضع، وأدناه ستة أشهر عند الكل، وأقصاه سنتان عند أبي حنيفة، وأربع سنين عند الشافعي، وخمس سنين عند مالك، روي أن الضحاك بن مزاحم التابعي، مكث في بطن أمه سنتين، ومالكاً ثلاث سنين، كما ذكره السيوطي، وأخبر الإمام مالك - رحمه الله تعالى - أن جارية له ولدت ثلاثة أولاد، في اثنتي عشرة سنة، تحمل كل واحد أربع سنين، وقال ﴿ما نشاء﴾، ولم يقل من نشاء؛ لأنه يرجع إلى الحمل، وهو جماد قبل أن ينفخ فيه الروح، وفي الآية إشارة، إلى أن بعض ما في الأرحام، لا يشاء الله تعالى إقراره فيها، بعد تكامل خلقه، فيسقط وتمجه الأرحام.

وقرأ ابن أبي عبلة[2]: ﴿ليبين لكم ويقر﴾ بالياء، وقرأ يعقوب وعاصم في رواية و﴿نقر﴾ بالنصب عطفاً على ﴿لنبين﴾، وعن عاصم أيضاً ﴿ثم يخرجكم﴾ بنصب الجيم عطفاً على ﴿ونقر﴾ إذا نصب، وعن يعقوب ﴿ونَقُرُّ﴾ بفتح النون وضم القاف والراء من قر الماء صبه، وقرأ أبو زيد النحوي ﴿ويَقِرَ﴾ بفتح الياء والراء وكسر القاف، وقرأ الجمهور[3]: ﴿نقر﴾ بالرفع على الاستئناف؛ أي: ونحن نقر كما مر، قال الزجاج ﴿نُقر﴾ بالرفع لا غير؛ لأنه ليس المعنى فعلنا ذلك، لنقر في الأرحام ما نشاء، وقرىء ﴿ليبين﴾ ﴿ويقر﴾ ﴿ويخرجكم﴾ بالتحتية

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) المراغي.

في الأفعال الثلاثة، وقرأ يحيى بن وثاب ﴿ما نشاء﴾ بكسر النون. ﴿ثُمَّ﴾ بعد إقراركم فيها ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم عند تمام الأجل المسمى حال كونكم ﴿طِفْلًا﴾؛ أي: أطفالاً صغاراً بحيث لا تقومون بمصالح أموركم من غاية الضعف، وإنما وحد الطفل، اعتباراً بكل واحد منهم، أو لإرادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد، والطفل الولد ما دام ناعماً، كما في «المفردات». وقال المولى الفنادي في تفسير الفاتحة: حد الطفل من أول ما يولد حين يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام، انتهى. وقيل: يطلق الطفل على الصغير، من وقت انفصاله إلى البلوغ، ﴿ثُمَّ﴾ بعد إخراجكم طفلاً نُسَهِّلُ في تربيتكم أموراً ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟﴾ ولتصلوا ﴿أَشُدَّكُمْ﴾؛ أي: غاية كمالكم في القوة والعقل والتمييز، فهو علة لمحذوف، وقيل: هو[1] علة لنخرجكم، معطوفة على علة أخرى، مناسبة لها، كأنه قيل: ثم نخرجكم طفلاً لتكبروا شيئاً فشيئاً، ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز، وهو فيما بين الثلاثين والأربعين. وفي «القاموس» ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين. مفرد جاء على بناء الجمع كـ: آنُكٍ، ولا نظير لهما، انتهى.

وقيل[2]: إن ﴿ثُمَّ﴾ هنا، زائدة، والتقدير: ثم نخرجكم طفلاً لتبلغوا، إلخ، وقيل: إنه معطوف على نبين، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ قبل بلوغ الكبر؛ أي: يقبض روحه ويموت بعد بلوغ الأشد أو قبله، والتوفي عبارة عن الموت، يقال توفاه الله إذا قبض روحه.

وقرىء ﴿يَتوفّى﴾ بفتح الياء مبنياً للفاعل؛ أي: يستوفي أجله، والجمهور بالضم مبنياً للمفعول؛ أي: بعد الأشد وقبل الهرم، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ﴾ ويرجع ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾؛ أي: يبقى ويعمر إلى بلوغه أرذل العمر، وأخس الحياة وأدناها وأردأها، وهو الهرم والخرف والرذل والرذال المرغوب عنه لردائته، والعمر مدة عمارة البدن بالحياة، فيصير[3] إلى حالة الطفولية ضعيف البنية سخيف

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) البحر المحيط.

العقل، ولا زمان لذلك محدود، بل ذلك بحسب ما يقع في الناس، وقد نرى من علت سنه وقارب المئة أو بلغها في غاية جودة الذهن والإدراك مع قوة ونشاط، وترى من هو في سن الاكتهال وقد ضعفت بنيته، أوضح تعالى أنه قادر على إنهائه إلى حالة الخرف، كما أنه كان قادراً على تدريجه إلى حالة التمام، فكذلك هو قادر على إعادة الأجساد التي درجها في هذه المناقل، وإنشائها النشأة الثانية.

وقوله: ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بـ﴿يُرَدُّ﴾؛ أي: لكيلا ﴿يَعْلَمَ﴾ ويعقل ذلك المردود إلى أرذل العمر ﴿من بعد علمه﴾ وفهمه وعقله الأشياء، أو من بعد علمه الكثير ﴿شَيْئًا﴾ من الأشياء، أو شيئاً من العلم، والمعنى[1]: أنه يصير من بعد أن كان ذا علم بالأشياء، وفهم لها، لا علم له ولا فهم، وهو مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله، وإلا فهو يعلم بعض الأشياء كالطفل، فهذا الرد خاص، بغير قارىء القرآن والعلماء، أما قارىء القرآن والعلماء، فلا يردون في آخر عمرهم إلى الأرذل، بل يزداد عقلهم كلما طال عمرهم، اهـ شيخنا؛ أي: ليعود إلى ما كان عليه أوان الطفولية من ضعف البنية، وسخافة العقل وقلة الفهم، فينسى ما عمله، وينكر ما عرفه، ويعجز عما قدر عليه. وقال الزمخشري؛ أي: ليصير نسّاء، بحيث إذا كسب علماً في شيء، لم ينشب أن ينساه ويزلَّ عنه علمه، حتى يسأل عنه من ساعته، يقول لك من هذا، فتقول فلان، فما يلبث لحظة إلا سألك عنه، اهـ. وروي عن أبي عمرو ونافع تسكين ميم العمر.

والمعنى: أي[2] ومنكم من يتوفى على كمال قوته وكمال عقله، ومنكم من يبقى حتى يبلغ الهرم والخرف، فيصير كما كان في أول طفولته، ضعيف البنية، سخيف العقل، قليل الفهم.

وخلاصة ذلك: أنه إما أن يميتكم أو يردكم إلى أرذل العمر، الذي يسلب فيه العلم والقدرة على العمل. وفي «التأويلات النجمية»: في الآية[3] إشارة إلى

---

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

أن أطفال المكونات كانوا في أرحام أمهات العدم، متقررين بتقرير الحق إياهم فيها، ولكل خارج منها أجل مسمى، بالإرادة القديمة والحكمة الأزلية، فلا يخرج طفل مكون من رحم العدم، إلا بمشيئة الله تعالى، وأوان أجله. وفي هذا رد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم.

ثم ذكر الاستدلال على إمكان البعث، بحال خلق النبات أيضاً، فقال: ﴿وَتَرَى﴾ أيها المجادل أو يا من شأنه الرؤية، وهو حجة أخرى على البعث، ﴿ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ أي: ميتة يابسة لا تنبت شيئاً، يقال: همدت النار إذا صارت رماداً، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا﴾؛ أي: على الأرض الهامدة، ﴿ٱلْمَآءَ﴾؛ أي: ماء المطر والعيون والأنهار، ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾؛ أي: تحركت بالنبات، والاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور، فلا يكاد يقال اهتزّ فلان لكيت وكيت إلا إذا كان الأمر من المحاسن والمنافع؛ أي: تحركت في رأي العين بسبب حركة النبات وظهوره. ﴿وَرَبَتْ﴾ أي: انتفخت وازدادت للنبات. من ربا يربو ربا، إذا زاد ونما، وربا الفرس ربواً، إذا انتفخ من عدو وفزع، كما في «القاموس». ﴿وَأَنۢبَتَتْ﴾ أي: وأخرجت بالماء، ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾؛ أي: من كل نوع من أنواع النبات، ﴿بَهِيجٍ﴾؛ أي: حسن يسر ناظره، وإسناد الإنبات إلى الأرض مجاز، كما سيأتي؛ لأن المنبت هو الله سبحانه وتعالى.

وقرأ أبو جعفر[1] وعبد الله بن جعفر وخالد بن إلياس وأبو عمرو في رواية ﴿وَرَبَأَتْ﴾ بالهمز هنا، وفي فُصِّلَتْ؛ أي: ارتفعت وأشرفت، يقال: فلان يربأ بنفسه عن كذا؛ أي: يترفع بها عنه.

والمعنى: أي[2] وترى الأرض يابسة دارسة الآثار، من النبات والزرع، فإذا نحن أنزلنا عليها الماء، تحركت بالنبات، وازدادت وانتفخت، لما يتداخلها من الماء والنبات، ثم أنبتت أنواعاً يسرّ الناظرين ببديع منظرها، وجميل شكلها واختلاف طعومها، وروائحها ومقاديرها ومنافعها. وبعد أن قرّر سبحانه، هذين

---

(١) البحر المحيط.   (٢) المراغي.

البرهانين، رتب عليهما النتيجة الحتمية لذلك، وذكر أموراً خمسة:

١ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الصنع البديع، وهو خلق الإنسان على أطوار مختلفة، وتصريفه في أطوار متباينة، وإحياء الأرض بعد موتها حاصل بسبب، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى، ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: الثابت بنفسه الذي به يتحقق الأشياء، أو المعنى[١]: ذكرنا ذلك، لتعلموا بأن الله هو الحق، الثابت الموجود، إلخ. والحق هو الموجود، الذي لا يتغير ولا يزول، وقيل ذو الحق على عباده، وقيل الحق أفعاله.

والمعنى: أي[٢] هذا الذي ذكرت لكم من بدئنا خلقم في بطون أمهاتكم، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده طفلاً وكهلاً وشيوخاً في حال الهرم، وتنبيهنا إياكم إلى فعلنا بالأرض الهامدة بما ينزل عليها من الغيث لتصدّقوا بأن الذي فعل ذلك هو الله الحق، الذي لا شك فيه، وأن ما تعبدون من الأوثان والأصنام فهو باطل؛ لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك.

٢ ـ ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: شأنه وفعله إحياء الموتى.

وحاصله[٣]: أنه تعالى قادر على إحيائها بدأ وإعادة، وإلا لما أحيا النطفة والأرض الميتة مراراً بعد مرار، والمعنى؛ أي: ولتعلموا أن الذي قدر على هذه الأشياء البديعة لا يتعذر عليه أن يحي الموتى بعد فنائها ودروسها في التراب.

٣ ـ ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أي: مبالغ في القدرة، وإلاّ لما أوجد هذه الموجودات؛ أي[٤] ولتعلموا أن فاعل ذلك قادر على كل شيء، ولا يمتنع عليه شيء أراده، فهو قادر على إيجاد جميع الممكنات، ومن ذلك إعادة الأجسام بعد موتها.

٤ ـ ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾؛ أي: القيامة ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ فيما سيأتي، لمجازاة المحسن

---

(١) الخازن.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.
(٤) المراغي.

والمسيء، ﴿لَّا رَيْبَ﴾ ولا شك ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في إتيانها، إذ قد وضح دليلها وظهر أمرها، وهو خبر ثان لـ ﴿أن﴾؛ أي: ولتعلموا أن الساعة التي وعدكم أن يبعث فيها الموتى من قبورهم آتية لا ريب ولا محالة فيها، ولا شك في حدوثها، وليس لأحد أن يرتاب فيها.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ إلى آخره توكيد[1] لقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، والظاهر أن قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ ليس داخلاً في سبب ما تقدم ذكره، فليس معطوفاً على ﴿أَنَّهُۥ﴾ الذي يليه، فيكون على تقدير: والأمر أن الساعة إلخ.

٥ - ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿يَبْعَثُ﴾ ويجمع بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ﴿مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ من الموتى للمجازاة، جمع قبر وهو مقر الميت، «والبعث»: هو أن ينشر الله الموتى من القبور، بأن يجمع أجزاءهم الأصلية، ويعيد الأرواح إليها، وأنكره الفلاسفة، بناء على امتناع إعادة المعدوم.

أي: ولتوقنوا بأن الله حينئذٍ، يبعث من في القبور أحياء إلى مواقف الحساب.

وخلاصة ذلك: أنكم إذا تأملتم في خلق الحيوان، والنبات، أمكنكم أن تستدلوا بذلك على وجود الخالق، وقدرته على إحياء الموتى وعلى غيرها من الممكنات، وأن الساعة آتية لا شك فيها، وأنه يبعث من في القبور للحساب والجزاء، ولولا ذلك، ما أوجد هذا العالم؛ لأن أفعاله تعالى مبنية على الحكم الباهرة، والغايات السامية.

وعبارة أبي السعود: أي هذه الآثار من آثار الألوهية، وأحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية، وإن إتيان الساعة وإتيان البعث اللذين ينكرون وجودهما، من أسباب تلك الآثار العجيبة، التي يشاهدونها في الأنفس والآفاق؛ أي: ذلك الصنيع البديع حاصل بسبب أنه تعالى، هو الحق وحده، في ذاته وصفاته وأفعاله، المحقق والموجد لما سواه من الأشياء، فهذه الآثار الخاصة،

---

(١) البحر المحيط.

من فروع القدرة العامة، التامة ومسبباتها، ومن جملة فروعها ومتعلقاتها إحياء الموتى، وتخصيصه بالذكر، مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها، تصريحٌ بمحل النزاع، وتقديمه للاعتناء به، اهـ. بتصرف. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن﴾ هو أبو جهل أو النضر بن الحارث ﴿يُجَٰدِلُ﴾ ويخاصم وينازع ﴿فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: في شأنه ودينه وكتابه ونبيّه، حالة كون ذلك المجادل ملابساً ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ ضروري أو بديهي فطري، وهذا تكرير[1] لما تقدم للتأكيد، ولما نيط به من الدلالة بقوله: ﴿وَلَا هُدٗى﴾؛ أي: ولا استدلال ونظر صحيح هاد إلى المعرفة ﴿وَلَا كِتَٰبٖ﴾ من الله ﴿مُّنِيرٖ﴾؛ أي: له نور، ولا وحي مظهر للحق.

والمعنى: ومن الناس[2] من يخاصم في توحيد الله، والإقرار بالألوهية بغير علم منه بما يخاصم به، ولا برهان معه على ما يقول، ولا وحي من الله أتاه ينير حجته، بل يقول ما يقول من الجهل، ظناً منه وتخرصاً.

وخلاصة ذلك: أنه يجادل بلا عقل صحيح، ولا نقل صريح، بل يجادل اتباعاً للرّأي والهوى.

وقيل: الآية عامة[3] لكل من يتصدى لإضلال الناس وإغوائهم، وعلى كل حال، فالاعتبار بما يدل عليه اللفظ، وإن كان السبب خاصّاً، ومعنى اللفظ: ﴿ومن الناس﴾ فريق يجادل في الله، فيدخل في ذلك كل مجادل في ذات الله، أو صفاته أو شرائعه الواضحة، حالة كونه بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير. والمراد بالعلم هو العلم الضروري، وبالهدى هو العلم النظري الاستدلالي، والأولى حمل العلم على العموم، وحمل الهدى على معناه اللغويّ، وهو الإرشاد. والمراد بالكتاب المنير هو القرآن. والمنير: النيّر البيّن الحجة الواضح. وهو وإن دخل تحت قوله: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ فإفراده بالذكر كإفراد جبريل بالذكر بعد الملائكة، وذلك لكونه الفرد الكامل، الفائق على غيره من أفراد العلم.

---

(١) البيضاوي. (٢) المراغي. (٣) الشوكاني.

قيل: والمراد بهذا المجادل في هذه الآية، هو المجادل في الآية الأولى، أعني قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ وبذلك قال كثير من المفسرين: والتكرير للمبالغة في الذم، كما تقول للرجل تذمه وتوبخه: أنت فعلت هذا، أنت فعلت هذا. ويجوز أن يكون التكرير لكونه وصَفَه في كُلِّ آية، بزيادة على ما صوفه في الآية الأخرى، فكأنه قال: ومن الناس من يجادل في الله، ويتبع كل شيطان مريد بغير علم ﴿وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ ليضل عن سبيل الله. وفي «الفتوحات» وليست هذه الآية مكررة مع السابقة؛ لأن الأولى واردة في المقلدين بكسر اللام لتقلدهم واتباعهم للشيطان، وهذه واردة في المقلدين بفتح اللام لقوله: ﴿ليضل...﴾ إلخ قال في «الكشاف»: وهو أوفق وأظهر بالمقام. اهـ شيخنا. وأصله في «الرازي».

وقوله: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ حال ثانية: من فاعل يجادل؛ أي: حالة كونه معرضاً بجانبه عن الحق متكبرا عنه، من ثنى العود إذا حناه. وعطفه لأنه ضم أحد طرفيه إلى الآخر. وعطف الإنسان بكسر العين، جانبه من رأسه إلى وركه أو قدمه. وفي «الجلالين»: لاَوِى عنقه تكبراً. وفي «الإرشاد»: عاطفاً بجانبه، وطاوياً كشحه معرضا متكبراً: تقول العرب: جاءني فلان ثاني عطفه، إذا جاء متبختراً متكبراً.

فالمراد[1]: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ وهو لاوِ عنقه، معرض عما يدعى إليه من الحق، متكبر عن قبوله. وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بـ ﴿يُجَٰدِلُ﴾، فإنه غرضه الإضلال عنه، وإن لم يعترف بأنه إضلال؛ أي: ليخرج المؤمنين عن الهدى إلى الضلال، أو ليثبت الكفرة عليه.

وقرأ الحسن[2]: ﴿ثاني عطفه﴾ بفتح العين؛ أي: تعطفه وترحّمه. وقرأ مجاهد وأهل مكة وأبو عمرو في رواية: ﴿لِيَضل﴾ بفتح الياء؛ أي: ليضل في نفسه. والجمهور بضمها؛ أي: ليُضل غيره، وهو يترتب على إضلاله كثرة

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

العذاب، إذ عليه وِزْر مَنْ عمل به؛ أي: ليصد المؤمنين بالله عن دينهم، الذي هداهم الله إليه، ويستنزلهم عنه. وبعد أن ذكر فعله وثمرته، ذكر ما أعد له عليه في الدنيا والآخرة فقال: ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ جملة مستأنفة[1] مبنية لما يحصل له بسبب جداله من العذاب المعّجل وسوء الذكر على ألسن الناس؛ وقيل: الخزي الدنيوي هو القتل، كما وقع في يوم بدر، والأسر والهزيمة، وقد أسر النضر؛ أي: لذلك المجادل في الدنيا إهانة، وذلك كفاء استكباره عن آيات الله، كما حدث من القتل والأسر بأيدي المؤمنين يوم بدر.

﴿وَنُذِيقُهُۥ﴾؛ أي: ونذيق ذلك المجادل ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: في الآخرة ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾؛ أي: العذاب المحرق، وهو النار، والحريق قيل طبقة من طباق جهنم، وقد يكون من إضافة الموصوف إلى صفته؛ أي: العذاب الحريق؛ أي: المحرق، كالسميع بمعنى المسمع. وقرأ زيد بن علي﴿فَأُذِيقُهُۥ﴾ بهمزة المتكلم؛ أي: وسيصلى في الآخرة عذاب النار، ويحرق بلهبها، ثم بين سبحانه، سبب هذا الخزي المعجل والعذاب المؤجل فقال ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الدنيوي والأخروي ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾؛ أي: بسبب ما عملته من الكفر والمعاصي؛ أي: يقال له يوم القيامة: ذلك الخزي في الدنيا، وعذاب الآخرة كائن بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي: وإسناده[2] إلى يديه لما أن الاكتساب عادة بالأيدي. ويجوز أن يكون الكلام من باب الالتفات، لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد، فكأنه قال: ذلك بما قدمت يداه.

ومحل (أن) ومعموليها في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: والأمر والشأن أن الله سبحانه وتعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم. وقيل: علة لمحذوف تقديره وقد فعلنا[3] ذلك لأن الله لا يظلم عباده، فيعاقب بعض عبيده على جرم، ويعفو عن مثله عن آخر غيره،

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

وقصارى ذلك أنهم استحقوا هذا العذاب لما اجترحوه من الآثام والذنوب، والله لا يظلم أحداً بغير جرم قد فعله، ومآل ذلك توبيخهم وتبكيتهم، بأنهم هم سبب هذا العذاب.

فإن قلت: الظاهر أن يقال: ليس[1] بظالم للعبيد، ليفيد نفي أصل الظلم، ونفي كونه مبالغاً مفرطاً في الظلم لا يفيد نفي أصله.

قلت: المراد نفي أصل الظلم. وذكر لفظ المبالغة مبني على كثرة العبيد، فالظالم لهم، يكون كثير الظلم، لإصابة كل منهم ظلماً؛ لأن العبيد دال على الاستغراق، فيكون ليس بظالم لهذا ولا ذلك إلى ما لا يحصى. وأيضاً أن من عدله تعالى، أن يعذب المسيء من العبيد، ويحسن إلى المحسن، ولا يزيد في العقاب، ولا ينقص من الأجر، لكن بناء على وعده المحتوم، فلو عذب من لا يستحق العذاب، لكان قليلُ الظلم منه، كثيراً لاستغنائه عن فعله، وتنزيهه عن قبحه.

وهذا كما يقال: زَلَّةُ العالم كبيرةٌ.

وعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه عز وجل، أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا» الحديث. أخرجه مسلم، ويقال من كثر ظلمه، واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه، وشر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم. وفي الآية إشارة؛ إلى أن العبيد ظلاّمون لأنفسهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بأن يضعوا العبادة، والطلب والاستغاثة في غير موضعها.

فصل في مبحث الجدال

واعلم: أن جدال المنافق، والمرائي وأهل الأهواء والبدع والخرافات مذموم. وأما من يجادل في معرفة الله، ودفع الشبه، وبيان الطريق إلى الله تعالى، بالعلم، وهدي نبيّه ﷺ، وشاهد نصّ كتابٍ منيرٍ، يظهر بنوره الحق من الباطل.. فجداله

---

(١) روح البيان.

محمود. قال بعضهم: البحث والتفتيش عما جاءت به السنة، بعد ما وضح سنده، وصحّ، يجر الباحث إلى التّعمّق والتوغل في الدين، فإنه مفتاح الضلال لكثير من الأمة، يعني الذين لم يرزقوا بأذهان وقّادة وقرائح نقادة، وما هلكت الأمم الماضية إلا بطول الجدال، وكثرة القيل والقال، فالواجب أن يعض بأضراسه على ما ثبت من السنة. ويعمل بها، ويدعو إليها، ويحكم بها، ولا يصغي إلى كلام أهل البدعة، ولا يميل إليهم ولا إلى سماع كلامهم، فإنَّ كل ذلك منهي عنه شرعاً. وقد ورد فيه وعيد شديد، وقالوا: الطبع جذاب، والمقارنة مؤثرة، والأمراض سارية.

وقال المولى الجامي ـ رحمه الله تعالى ـ: كلام أهل البدعة والأهواء، والخرافات كخوار العجل، فكما أن السامري ضل بذلك الخوار، وأضل كثيراً من بني إسرائيل، فكذا كل من كان في حكمه، فإنه يغتر بأوهامه وخيالاته، ظنًّا أنها علوم صحيحة، فيدعو أهل الأوهام إليها فيضلهم، بخلاف من له علم صحيح وكشف صريح، فإنه لا يلتفت إلى كلمات الجهال، ولا يميل إلى خوارق العادات، التي تظهر على أيدي أهل البدع والخرافات، استدراجاً لهم التي يسمونها كرامة لهم، ألا ترى من ثبت على دين موسى عليه السلام، لم يصخ إلى الخوار، وعرف أنه ابتلاء من الله، تعالى للعباد، فويل للمجادل المبطل، وويل للسامع إلى كلامه، وقد ذمَّ هذا المجادل بالكبر، وهو من الصفات العائقة عن قبول الحق، ولا شيء فوقه من المذمة.

وعن أرسطو[1]: من تكبر على الناس أحب الناس ذلته، وعنه بإصابة المنطق يعظم القدر، وبالتواضع تكثر المحبة، وبالحلم تكثر الأنصار، وبالرفق يستخدم القلوب، وبالوفاء يدوم الإخاء، وبالصدق يتم الفضل. نسأل الله سبحانه، التخلي عن الصفات القبيحة الرذيلة، والتحلي بالملكات الحسنة الجميلة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وبعض الناس يعبد الله، سبحانه وتعالى،

(١) روح البيان.

حالة كونه ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ وطرف من الدين، لا في وسطه وقلبه، وشك وضعف يقين، فلا ثبات له فيه، كالذي ينحرف على طرف الجيش، فإن أحس بظفر قرّ، وإلاّ فرَّ. فالحرف الطرف والناحية. وصف الدين بما هو من صفات الأجسام، على سبيل الاستعارة التمثيلية، كما سيأتي. قال أكثر المفسرين[1]: الحرف الشك وأصله من حرف الشيء، وهو طرفه، مثل حرف الجبل والحائط، فإن القائم عليه غير مستقر، والذي يعبد الله على حرف، قلق في دينه، على غير ثبات وطمأنينة، كالذي هو على حرف الجبل، ونحوه يضطرب اضطراباً ويضعف قيامه. فقيل للشاك في دينه: إنه يعبد الله على حرف؛ لأنه على غير يقين من وعده ووعيده، بخلاف المؤمن؛ لأنه يعبده على يقين وبصيرة. فلم يكن على حرف.

وقيل: الحرف الشرط؛ أي: من الناس من يعبد الله على شرط، والشرط هو قوله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ﴾ وناله ﴿خَيْرٌ﴾؛ أي: دنيوي من الصحة والخصب والسعة ﴿ٱطْمَأَنَّ﴾ وثبت ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بذلك الخير في الدين، ولا يتزلزل عنه، ويرضى به. ومعنى اطمأن به ثبت على دينه، واستمر على عبادته أو اطمأن قلبه بذلك الخير الذي أصابه؛ أي[2]: ثبت على ما كان عليه ظاهراً لا باطناً، إذ ليس له اطمئنان المؤمنين الراسخين، والاطمئنان: السكون بعد الانزعاج. ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: شيء يفتتن به، من مكروه يصيبه في نفسه أو أهله أو ماله، فالمراد بالفتنة: ما يستكرهه الطبع، ويثقل على النفس، كالجدري والمرض وسائر المحن، وإلا لما صح أن يجعل مقابلاً للخير؛ لأنه؛ أي: الخير أيضاً فتنة وامتحان، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ ولذلك قال بعضهم: وإنما لم يقل: وإن أصابه شرّ، مع أنه المقابل للخير؛ لأن ما ينفر عنه الطبع ليس شرّاً في نفسه، بل هو سبب القربة، ورفع الدرجة، بشرط التسليم والرضا بالقضاء ﴿ٱنقَلَبَ﴾ وانكبّ ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾؛ أي: ارتدّ ورجع إلى جهته وحالته وطريقته التي كان عليها أولاً، من الكفر. والانقلاب الانصراف والرجوع. والوجه بمعنى الجهة والطريقة، وقال في «بحر العلوم»: انقلب على وجهه؛ أي: تحوّل عن

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

الجهة التي أقبل إليها وهي الإسلام، فأنكب ورجع إلى ما كان عليه أوّلاً من الكفر، فـ﴿على﴾ على هذا بمعنى عن؛ أي: والمعنى فإن أصابه[1] رخاء وسعة في العيش، سكن واستبشر بهذا الخير والدين، فعبد الله، وإن أصابه شرّ وبلاء في جسمه، أو ضيق في معيشته.. ارتدّ ورجع إلى الكفر.

والثبات في الدين إنما يكون إذا كان الغرض منه إصابة الحق، وطاعة الرب، والخوف من عقابه، أما إذا كان المقصد منه الخير المعجّل، فإنه يظهر في السراء، ويختفي لدى الضراء، وهذا هو النفاق بعينه، كما يرشد إلى ذلك. قوله: في المنافقين ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾.

وخلاصة ذلك: أن من الناس من ليس له ثبات في أمر دينه، بل هو مرجحٌ مضطربٌ، مذبذبٌ، يعبد الله على وجه التجربة، انتظاراً للنعمة، فإن أصابه خير بقي مؤمناً، وإن أصابه شر من سقم أو ضياع مال، أو فقد ولد.. ترك دينه وارتد كافراً.

ثم بيَّن سبحانه، حاله بعد انقلابه على وجهه، وسوء عاقبة عمله، فقال: ﴿خَسِرَ﴾ وحرم ذلك المنقلب ﴿ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾ أي: خيري الدنيا والآخرة؛ أي: ضيعهما وفقدهما، فلا حظَّ له في الدنيا، من الغنيمة والثناء الحسن، ولا في الآخرة من الأجر، وما أعده الله للصالحين من عباده؛ أي[2]: ضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالإرتداد والأظهر أن خسران الدنيا ذهاب أهله، حيث أصابته فتنة، وخسران الآخرة الحرمان من الثواب، حيث ذهب الدين ودخل النار مع الداخلين. وقال بعضهم: «الخسران في الدنيا ترك الطاعات ولزوم المخالفات، والخسران في الآخرة كثرة الخصوم والتبعات».

وقرأ مجاهد وحميد والأعرج وابن محيصن من طريق الزعفراني وقعنب والجحدري وبن مقسم ﴿خاسر الدنيا والآخرة﴾ اسم فاعل نصباً على الحال.

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

وقرىء ﴿خاسر الدنيا﴾ اسم فاعل مرفوعاً على تقدير هو خاسر الدنيا. وقرأ الجمهور: ﴿خَسِرَ﴾ فعلاً ماضياً، وهو استئناف إخبار. ويجوز أن يكون في موضع الحال، ولا يحتاج إلى إضمار قد؛ لأنه كثر وقوع الماضي حالاً، في لسان العرب بغير قد، فساغ القياس عليه. والإشارة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى خسران الدنيا والآخرة، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: الواضح الظاهر الذي لا خسران مثله لمن تدبر فيه وتفكَّر، ثم أكد عظم ذلك الخسران بقوله: ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ استئناف مبين لعظم الخسران، فيكون الضمير راجعاً إلى المرتد المشرك المنقلب على وجهه؛ أي: هذا المرتد الذي انقلب على وجهه ورجع إلى الكفر يدعو من دون الله؛ أي: يعبد متجاوزاً عبادة الله إلى عبادة الأصنام. ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾؛ أي: معبوداً لا يضره إن ترك عبادته. ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ إن عبده لكون ذلك المعبود جماداً، لا يقدر على ضرّ ولا نفع؛ أي: يعبد جماداً ليس من شأنه الضرّ والنفع، كما يلوح به تكرير كلمة ما. والإشارة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الدعاء المفهوم من الفعل وهو يدعو، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾؛ أي: ذلك الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى، والخطأ البعيد عن الصواب والرشاد، مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالاً عن الطريق، فطالت وبعدت مسافة ضلاله، فإن القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية.

والمعنى[1]: أي ذلك الارتداد وعبادة تلك الآلهة دون الله، هو السير على غير استقامة، والذهاب على غير هدى، فما مثله إلا مثل من أبعد في التيه ضالاً وبعدت مسافته في ضلاله، فلم يهتد إلى الصراط المستقيم السويّ، ولم ينل ما يبتغي، وبلغت به الحيرة كل مبلغ.

ثم زاد ما سلف توكيداً وبين مآل دعائه، وعبادته غير الله تعالى، فقال: ﴿يَدْعُوا۟﴾ وينادي ذلك الكافر، المنقلب يوم القيامة برفع صوت ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ

---

(١) المراغي.

مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ﴾ وقبح ﴿ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ والناصر لي ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾؛ أي: الصاحب والعشير والمخالط لي، والدعاء[1] بمعنى القول. واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولاً له. و﴿مَن﴾ مبتدأ. خبره جملة القسم الآتية. ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ مبتدأ ﴿أقرب﴾ خبره، والجملة صلة من الموصولة. وقوله ﴿لَبِئۡسَ﴾ إلخ جواب لقسم محذوف، وهو وجوابه خبر لـ ﴿من﴾ الموصولة.

والمعنى: يقول ذلك الكافر يوم القيامة بنداء بناء ورفع صوت وصراخ، حين يرى تضرره بمعبوده، ودخوله النار بسببه، ولا يرى منه أثر النفع أصلاً لمن ضره أقرب من نفعه: والله، لبئس الناصر ولبئس الصاحب والمعاشر؛ أي: يقول في ذمه وبيان قبحه لمعبودي، الذي تضرري بعبادته أقرب من انتفاعي بها، أقسم في ذمه وبيان قبحه بقولي: والله، لبئس المولى والناصر هو؛ أي؛ معبودي، ولبئس العشير والصاحب هو؛ أي: معبودي.

وخلاصة ذلك: أيُّ عشير هذا، وأيُّ ناصر ذاك، الذي لا ينفع ولا ينصر من يعاشره، والله لبئس العشير، ولبس النصير. فالآية استئناف، مسوق لبيان مآل دعائه المذكور، وتقرير كونه ضلالاً بعيداً، وإيراد صيغة التفضيل، مع خلوه عن النفع، بالكلية، للمبالغة في تقبيح حاله، والإمعان في ذمه. والظاهر أن اللام زائدة. و﴿من﴾ مفعول ﴿يدعو﴾، و﴿ضره﴾ مبتدأ و﴿أقرب﴾ خبره، والجملة صلة ﴿من﴾ الموصولة، ويؤيده القراءة بغير اللام؛ أي: يعبد من ضره بكونه معبوداً؛ لأنه يوجب القتل في الدنيا، والعذاب في الآخرة ـ أقرب من نفعه، الذي يتوقع بعبادته في زعمهم، وهو الشفاعة والتوسل إلى الله. فإيراد كلمة (من) وصيغة التفضيل تهكم به، والجملة القسمية حينئذٍ مستأنفة، ويؤيِّد هذا الوجه قراءة عبد الله ﴿يدعو من ضره﴾ بإسقاط اللام. وقيل: إن يدعو بمعنى: يسمي، ومفعوله الثاني محذوف، واللام زائدة، تقديره: أي: يدعو ويسمي من ضره أقرب من نفعه إلهاً، وجملة القسم حينئذٍ مستأنفة. فإن قلت: نفى[2] سبحانه الضر والنفع عن الأصنام،

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

في قوله: ﴿مَا لَا يَضُـرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥٓ﴾ وأثبتهما لها في قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦٓ﴾ فحصل التعارض والتناقض بين الآيتين.

قلت: أجيب عنه بأنها، لا تضر ولا تنفع بأنفسها، فنفاهما عنها، ولكن يحصل الضرر بسبب عبادتها، فنسب الضرر إليها، كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، حيث أضاف الإضلال إليها، من حيث إنها كانت سبب الضلال اهـ، شيخنا.

وفي «البيضاوي»: لا يضر بنفسه ولا ينفع، اهـ. وأشار بذكر نفسه إلى الجمع، بين نفي الضرر والنفع بمعبودهم هنا، وإثباتهما له، في قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦٓ﴾.

وحاصله: أنه لا ضرر له ولا نفع له بنفسه، وله ذلك بسبب معبوديته، كما أشار له بقوله: «بكونه معبوداً»، أما الضرر فظاهر، وأما النفع فبزعمهم اهـ. زكريا. وقال الشهاب: دفع التنافي، بأن النفي باعتبار ما في نفس الأمر، والإثبات باعتبار زعمهم الباطل اهـ. وقال أبو حيان: نفى الله سبحانه النفع والضر، في قوله: ﴿مَا لَا يَضُـرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥٓ﴾ وأثبتهما في قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦٓ﴾، لاختلاف المتعلق. وذلك أن قوله: ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥٓ﴾ هو الأصنام والأوثان، ولذلك أتى التعبير عنها، بـ(ما) التي لا تكون لآحاد من يعقل، وقوله: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ هو من عبد باقتضاء، وطلب من عابديه من المدعين الإلهية، كفرعون وغيره، من ملوك بني عبيد، الذين كانوا بالمغرب، ثم ملكوا مصر، فإنهم كانوا يدعون الإلهية، ويطاف بقصرهم في مصر، وينادون بما ينادي به رب العالمين، من التسبيح والتقديس، فهؤلاء وإن كان منهم نفع ما، لعابديهم في دار الدنيا، فضررهم أعظم وأقرب من نفعهم، إذ هم في الدنيا مملوكون للكفار، وعابدون لغير الله، وفي الآخرة معذبون العذاب الدائم، ولهذا كان التعبير هنا. بـ﴿مَن﴾ التي هي لمن يعقل، وعلى هذا، فتكون الجملتان من إخبار الله تعالى، عمن يدعو إلهاً غير الله تعالى اهـ.

ولمَّا فرغ من ذكر حال المشركين، ومن يعبد الله على حرف، ذكر حال

المؤمنين في الآخرة، وأنه يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُواْ﴾ الأعمال ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بامتثال المأمورت، واجتناب المنهيات ﴿جَنَّٰتٖ﴾ أي: بساتين ﴿تَجۡرِي﴾ وتسيل ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾؛ أي: من تحت أشجارها وقصورها ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾ الأربعة الجارية فيها. وهذا[1] بيانٌ لكمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى، إثر بيان سوء حال الكفرة. والجنة الأرض المشتملة على الأشجار المتكاثفة، الساترة لما تحتها. والنهر مجرى الماء الفائض، فإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد الحكمي، كقولهم: سال الميزاب، إذ الجريان من أوصاف الماء، لا من أوصاف النهر. ووصف الجنات به، دلالة على أنها من جنس ما هو أبهى الأماكن، التي يعرفونها لتميل إليها طباعهم. واعلم أنه وإن أريد بالجنات الأشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها، فجريان الأنهار من تحتها ظاهر، وإن أريد بها الأرض، فلا بد من تقدير مضاف؛ أي: من تحت أشجارها. والمعنى أن الله سبحانه، يتفضل على المؤمنين، الذين عملوا صالح الأعمال، ويكافئهم لقاء إحسانهم بدخول الجنات، التي تجري من تحت أشجارها الأنهار، جزاءً وفاقاً على ما قاموا به من جليل الأعمال، وما زكوا به أنفسهم من جميل الخصال.

ولمَّا بين سبحانه، حال الفريقين، ذكر أنه قادر على أن يفعل بهما ما يشاء، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من إكرام من يطيعه، وإهانة من يعصيه، لا راد لحكمه، ولا مانع لقضائه، فهو يعطي المتقين ضروباً من الفضل والإحسان، زيادة على أجورهم، كما قال: ﴿فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ ويدخل الكافرين ناراً وقودها الناس والحجارة، لما دَسُّوا به أنفسهم من أنواع الرجس والفسوق، وهذه الجملة تعليل لما قبلها؛ أي: يفعل ما يريده من الأفعال، لا يسأل عما يفعل، فيثيب من يشاء، ويعذب من يشاء.

﴿مَن﴾ شرطية ﴿كَانَ يَظُنُّ﴾ ويحسب ويتوهم من أعدائه وحاسديه، ﷺ ﴿أَن

---

(١) روح البيان.

﴿لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أنَّ الله سبحانه، لا ينصر محمداً ﷺ، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بإعلاء كلمته، وإظهار دينه، وقهر أعدائه ﴿وَ﴾ في ﴿الآخرة﴾ بإعلاء درجته، والانتقام من مكذِّبيه، وأراد أن يقطع عنه النصر، الذي أوتيه من ربه ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ ويبسط ﴿بِسَبَبٍ﴾ وحبل واصل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ يصل به إلى ما فوقها؛ أي؛ فليطلب حيلةً، يصل بها إلى السماء ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ النصر الذي يأتيه من ربه، إن أمكن له ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ وليفكر بعد احتياله، وكيده في قطع نصره، أنه إن فعل ذلك ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ واحتياله في ذلك ﴿مَا يَغِيظُ﴾ ويكره ذلك الحاسد من نصره ﷺ. قال النحاس: هذا من أحسن ما قيل في تفسيره هذه الآية، أو الضمير في ﴿يَغِيظُ﴾ يعود على ﴿مَا﴾، أي: ما يغضبه.

وقيل المعنى: من كان يظن، ويحسب أن لن ينصر الله، محمداً ﷺ، حتى يظهره على الدين كله، فليمدد بسبب إلى جهة السماء والعلو؛ أي: فليشدد حبلاً في سقف بيته، ثم ليربط طرفه الأسفل في عنقه ثم ليقطع؛ أي: ثم ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً به. ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾؛ أي: صنيعه وحيلته ﴿مَا يَغِيظُ﴾؛ أي: غيظه. و﴿مَا﴾ مصدرية. والمعنى فليختنق غيظاً حتى يموت، فإن الله ناصره، ومظهره، ولا ينفعه غيظه. وقيل: إن الضمير في ينصره، يعود إلى ﴿مَن﴾ والمعنى من كان يظن، أن الله لا يرزقه، فليقتل نفسه، وبه قال أبو عبيدة. وقيل: إن الضمير إلى الدين؛ أي: من كان يظن أن لن ينصر الله دينه إلخ. والمعنى: أي[1] من كان يحسب، أن الله لن ينصر محمداً، ﷺ، في الدنيا والآخرة. . فليمدد بحبل إلى سماء بيته، ثم ليختنق به، ثم ليصور في نفسه النظر، هل يذهبن ذلك الكيد الذي كاده، والفعل الذي فعله ما يغيظه من النصرة؟ كلاَّ يعني أنه لا يقدر على دفع النصرة، وإن مات غيظاً.

وخلاصة المعنى: من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً ولا كتابه ولا دينه، فليذهب وليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه، فإن الله ناصره لا محالة، كما

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

قال: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ وسيعلي كلمته في الدنيا، ويظهر دينه، ويرفع في الآخرة درجته، ويدخل من صدقه، جنات تجري من تحتها الأنهار، وينتقم ممن كذّبه، ويذيقه عذاب الحريق، فمن كان من أعاديه، يغيظه ذلك، فليبالغ في كيده إلى أقصى مجهوده، فقصارى أمره خيبة مسعاه، ودوام غيظه، دون أن يصل إلى غاية، أو يبلغ أمنيته.

وتلخيص هذا[١]: أيها الكاره لمحمد ﷺ، الذي أرسل لانقاذك، إنَّ نعم الله على عباده كثيرة، ولا سيما بعثة الأنبياء، فإذا كرهت ما أنعم الله به عليك، ببعثة محمد ﷺ... فكأنك تختنق؛ لأنك تكره النعم لنفسك، فتستبيح خنقها من حيث لا تشعر.

وقرأ أبو عمرو وابن عامر[٢]: ﴿ليقطع﴾ ﴿ثم ليقضوا﴾ بكسر اللام، زاد ابن عامر ﴿وليوفوا﴾ ﴿وَلِيَطَّوَّفُوْا﴾ بكسر اللام أيضاً. وكسر ابن كثير لام ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوْا﴾ فحسب. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بسكون هذه اللامات، وكذلك في كل القرآن، إذا كان قبلها واو، أو فاء، أو ثم. قال الفرّاء: من سكن فقد خفّف. وكل لام أمر وصلت بواو أو فاء فأكثر، كلام العرب تسكينها، وقد كسرها بعضهم. قال أبو علي: الأصل الكسر، لأنك إذا ابتدأت قلت: لِيقم زيد.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: ومثل إنزالنا ما تقدم من الآيات، من أول السورة إلى هنا ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي: أنزلنا القرآن كله؛ أي: ومثل ذلك الإنزال البديع، المنطوي على الحكم البالغة، أنزلناه؛ أي: أنزلنا القرآن الكريم كله حال كونه ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: واضحات الدلالة على معانيها اللطيفة، والأسرار العجيبة.

والمعنى: أي وكما بينت لكم حججي، على من جحد قدرتي على إحياء من مات من الخلق بعد فنائه، وأوضحتها غاية الإيضاح، أنزلنا القرآن كله آيات واضحات الدلالة على معانيها.

---

(١) المراغي. (٢) زاد المسير.

ومحل جملة قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ ويضل من يريد الرفع[1] على أنه خبر؛ أي: والأمر أن الله سبحانه وتعالى، يهدي بالقرآن ابتداء، أو يثبت به على الهدى، أو يزيد فيه بسببه من يريد هدايته، أو تثبيته، أو زيادته. أو الجملة علة لمحذوف معطوف على ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي: وكذلك أنزله ليوفق به سبيل الحق من أراد هدايته، وإرشاده إلى سبل السلام. أو الجملة معطوفة على هاء ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، والمعنى: وأنزلنا أن الله يهدي من يريد؛ أي: أنزلنا هداية الله لمن يريد هدايته. فـ ﴿أَنَّ﴾ وصلتها في محل نصب. وفي الحديث: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين»؛ أي: يرفع بالقرآن درجة أقوام، وهم من آمن به وعمل بمقتضاه، ويحط به أقواماً آخرين، وهم من أعرض عنه، ولم يحفظ وصاياه، وكان نظر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وشغلهم في الأحوال والأعمال، ولذا كانوا يتعلمون عشر آيات، لا يجاوزونها إلى غيرها، حتى يعملوا بما فيها. قال في «الإحياء»: مات النبي ﷺ، عن عشرين ألفا من الصحابة، ولم يحفظ القرآن منهم إلا ستة، اختلف منهم في اثنين، فكان أكثرهم يحفظ السورة أو السورتين، وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم، فالاشتغال بالقرآن والعمل بمقتضاه من علامات الهداية، ولا بد من الاجتهاد آناء الليل وأطراف النهار، إلى أن يحصل المقصود، فإن من أراد أن يصل إلى ماء الحياة، يقطع الظلمات بلا فتور وجمود، والملال من العلم، واستماعه سبب الانقطاع عن طريق التحقيق، وأثر الحرمان من العناية والتوفيق انتهى.

تنبيه: ثم اعلم[2] أن كون القرآن مشتملاً على متشابهات وغوامض، لا ينافي كون آياته بينات؛ لأنه ليس فيه ما لا يعلم معناه، لكن العلماء يتفاوتون في طبقات المعرفة، هدانا الله وإياكم، إلى ما هدى الله العلماء الراسخين إليه، وشرّفنا في كل غامض بالإطلاع عليه آمين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسوله، وبكل ما يجب أن يؤمن به، أو بما ذكر من

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

الآيات البينات ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾؛ أي: دخلوا في اليهودية، وهم المنتسبون إلى ملة موسى، عليه السلام. قال الراغب: الهود: الرجوع برفق، وصار في التعارف التوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾؛ أي: تبنا إليك، قال بعضهم: اليهود في الأصل: هو من قولهم: «هدنا إليك»، وكان اسم مدح، ثم صار بعد نسخ شرعتهم لازماً لهم، وإن لم يكن فيه معنى المدح، كما أن النصارى في الأصل من قوله: ﴿من أنصاري إلى الله﴾، ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم.

﴿وَالصَّابِئِينَ﴾؛ أي: الذين صبؤوا عن الأديان كلها؛ أي: خرجوا واختاروا عبادة الملائكة والكواكب. من صبأ الرجل عن دينه، إذا خرج عنه إلى دين آخر. قال الراغب: الصابؤون: قوم كانوا على دين نوح. وقيل: لكل خارج من الدين إلى دين آخر صابىء، من قولهم: صبأ، ناب البعير إذا طلع. وقيل: وهم من جنس النصارى وليس بصحيح، بل هم فرقة معروفة، لا ترجع إلى ملة من الملل المنتسبة إلى الأنبياء، والصحيح المقرر في الفروع الصابؤون: فرقة من النصارى اهـ، شيخنا. والنصارى: هم المنتسبون إلى ملة عيسى، عليه السلام.

وقدم النصارى على الصابئين في سورة البقرة[1]، وأخرهم عنهم هنا، قيل: وجه تقديم النصارى هناك أنهم أهل كتاب دون الصابئين، فلهم شرف عليهم، ووجه تقديم الصابئين هنا أن زمنهم متقدم على زمن النصارى. ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ هم قوم يعبدون النار، ويقولون إن للعالم أصلين، النور، والظلمة. وقيل: هم قوم يعبدون الشمس والقمر. وقيل: قوم يستعملون النجاسات. وقيل: هم قوم من النصارى، اعتزلوهم ولبسوا المسوح. وقيل: إنهم أخذوا بعض دين اليهود وبعض دين النصارى، وليسوا[2] من أهل الكتاب، ولذا لا تنكح نساؤهم، ولا تؤكل ذبائحهم، وإنما أخذت الجزية منهم؛ لأنهم من العجم، لا لأنهم من أهل الكتاب. ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ بالله سبحانه، وعبدوا الأوثان والأصنام وغيرها.

وجملة قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَفْصِلُ﴾ ويقضي ﴿بَيْنَهُمْ﴾؛ أي:

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

بين هؤلاء الستة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيدخل المؤمنين الجنة، والكافرين النار. والظاهر تعميم الكلام لعبدة الأوثان، ولعباد الشمس والقمر والنجوم اهـ. كرخي في محل الرفع، خبر لـ﴿إن﴾ الأولى. وفي «السمين»(١): هذه الآية فيها وجهان:

أحدهما: أن ﴿إن﴾ الثانية واسمها وخبرها في محل رفع خبر لـ﴿أن﴾ الأولى. قال الزمخشري: أدخلت ﴿إن﴾ على كل واحد من جزأي الجملة، لزيادة التأكيد وحسن دخول ﴿إن﴾ في الخبر، طول الفصل بينهما بالمعاطيف.

والثاني: أن ﴿إن﴾ الثانية تكرير للأولى على سبيل التوكيد.

أي: يقضي بين(٢) المؤمنين وبين الفرق الخمسة، المتفقة في الكفر، بإظهار المحق من المبطل، بإثابة الأول وعقاب الثاني، بحسب الاستحقاق. يعني أن الله تعالى، يعامل كل صنف منهم يوم القيامة، على حسب استحقاقه، إما بالنعيم وإما بالجحيم. وعلم من الآية، أن الأديان ستة، واحد للرحمن، وهو دين المؤمنين الذي هو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ وخمسة للشيطان، وهي ما عدا الإسلام؛ لأنها مما دعا إليها الشيطان، وزينها في أعين الكفرة.

وجملة قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٣) تعليل لما قبلها؛ أي: أنه سبحانه وتعالى على كل شيء من أفعال خلقه، وأقوالهم شهيد، لا يعزب عنه شيء منها. والمعنى؛ أي(٤): أن الله سبحانه، يقضي بين هذه الفرق، ويجازي كلاً بما يفعل، ويضعه في الموضع اللائق به، إذ ليس شيء من أحوالهم بغائب عنه، بل هو عليم بأقوالهم، مراقب لأفعالهم.

وخلاصة ذلك: أنه تعالى يحكم بالعدل، فيدخل من آمن به الجنة، ويلقي من كفر به في جهنم، وبئس القرار. وهو الشهيد على أعمالهم، الحفيظ لأفعالهم، العليم بسرائرهم، وما تكنّه ضمائرهم.

---

(١) الفتوحات.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.
(٤) المراغي.

والرؤية في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هي العلمية لا البصرية؛ لأن رؤية سجود هذه الأمور لله، إنما جاءنا من طريق العقل؛ لأنا لا نراه بأبصارنا اهـ. شيخنا. والخطاب لكل من يصلح له، وهو من تتأتي الرؤية منه. والمراد بالسجود هنا: المعنى اللغوي، وهو الإنقياد الكامل والتذلل البالغ، لا السجود الشرعي، الذي هو وضع الجبهة، الخاص بالعقلاء، سواء جعلت كلمة (من) خاصة بالعقلاء، أو عامة لهم ولغيرهم. وإنما حملنا السجود على المعنى اللغوي، الذي هو التسخير والتذلل؛ لأنه ليس في كفرة الإنس ومردة الجن والشياطين، وسائر الحيوانات والجمادت، سجود طاعة وعبادة، الذي هو وضع الجبهة على الأرض، خصوصاً لله تعالى، ولهذا عطف ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ على ﴿مَن﴾ فإن ذلك يفيد أن السجود هو الأنقياد الكامل، لا الطاعة الخاصة بالعقلاء، وإنما أفرد هذه الأمور بالذكر، مع كونها داخلة تحت ﴿مَن﴾ على تقدير جعلها عامة، لكون قيام السجود بها في العادة، وجملة ما ذكره هنا ثمانية.

والمعنى: ألم تعلم أيها المخاطب، أن الله سبحانه وتعالى، ينقاد لتدبيره ومشيئته، من في السموات، من الملائكة، ومن في الأرض من الجن والإنس، مطيعاً كان أو عاصياً، والشمس والقمر والنجوم بالسير والطلوع والغروب، لمنافع العباد، والجبال بإجراء الينابيع، وإنبات المعادن والشجر بالظل وحمل الثمار ونحوها، والدواب بعجائب التركيب ونحوها، فكل شيء ينقاد له سبحانه، على ما خلقه وعلى ما رزقه، وعلى ما أصحَّه وعلى ما أسقمه، فالبر والفاجر والمؤمن والكافر في هذا سواء.

وقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ مرفوع بفعل محذوف، يدل عليه المذكور؛ أي: ويسجد له سبحانه كثير من الناس، سجود طاعة وعبادة. وقيل: مرفوع على الابتداء، وخبره محذوف، تقديره: وكثير من الناس يستحق الثواب، والأول أظهر، وإنما لم يرتفع[1] بالعطف على ﴿مَن﴾ لأنّ سجود هؤلاء الكثير من

---

(١) الشوكاني.

الناس، هو سجود الطاعة، الخاص بالعقلاء، والمراد بالسجود المتقدم، هو الانقياد، فلو ارتفع بالعطف على ﴿مَن﴾ لكان في ذلك جمع بين معنيين مختلفين في لفظ واحد، وأنت خبير، بأنه لا ملجأ إلى هذا بعد حمل السجود على الانقياد، ولا شك أنه يصح أن يراد من سجود كثير من الناس، هو انقيادهم، لا نفس السجود الخاص، فارتفاعه بالعطف لا بأس به، وإن أبى ذلك صاحب «الكشاف» ومتابعوه.

قال في «التأويلات النجمية»: أهل العرفان، يسجدون سجود عبادة، بالإرادة، والجماد وما لا يعقل، ومن لا يدين، يسجدون سجود خضوع للحاجة.

وخلاصة معنى الآية: ألم تعلم[1] أيها المخاطب بهذا أن هذه الخلائق مسخرة لقدرة بارئها، وجبروت منشئها، منقادة لإرادته طوعاً أو كرهاً، فهي مفتقرة في وجودها، وبقائها إليه، فهو الذي أنشأها ورتبها، وأكمل وجودها على النحو الذي أراده، والحكمة التي قدّرها لها في البقاء.

وأفرد الشمس وما بعدها بالذكر؛ لأنها قد عبدت من دون الله تعالى، فعبدت الشمس حِمير، والقمر كنانة، والشعرى لخم، والثريا طيءُ، والمصريون عبدوا العجل أبيس وعبدت العزَّى شجرة غطفان.

وأما قوله: ﴿وَكَثِيرٌ﴾ من الناس ﴿حَقَّ﴾ وثبت ﴿عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ بسبب كفره وامتناعه من السجود، وهو من لا يوحد الله تعالى، فقال الكسائي والفراء: إنه مرفوع بالابتداء وخبره ما بعده، وقيل: هو معطوف على ﴿كثير﴾ الأول، ويكون المعنى: وكثير من الناس يسجد وكثير منهم يأبى ذلك، وقيل المعنى: وكثير من الناس في الجنة، وكثير منهم حق عليهم العذاب، هكذا حكاه ابن الأنباري.

﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: ومن أهانه الله سبحانه، وأذله، فكتب عليه الشقاء لسوء استعداده ﴿فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ يسعده ومعز يعزه، فيصير

---

(١) المراغي.

سيعداً عزيزاً. وحكى الأخفش والكسائي والفرّاء أنَّ المعنى: ومن يهن الله، فما له من مكرم؛ أي: إكرام؛ لأن الأمور كلها بيده تعالى، يوفق من يشاء لطاعته، ويخذل من يشاء لتدسيته نفسه، واجتراحه للسيئات وارتكابه للآثام والمعاصي. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من الأشياء التي من جملتها ما تقدم ذكره، من الشقاوة والسعادة والإكرام والإهانة؛ أي: أن الله سبحانه يفعل في خلقه ما يشاء، من إهانة من أراد إهانته، وإكرام من أراد إكرامه، فهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

تنبيه: هذه السجدة[١] من عزائم سجود القرآن، فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها. وقرأ جناح بن حبيش[٢]: ﴿وكبير حق﴾ بالباء الموحدة، وقرىء ﴿وكثير حقا﴾؛ أي: حق عليهم العذاب حقاً. وقرىء ﴿حُق﴾ بضم الحاء ومن مفعول مقدم بـ(يهن). وقرأ الجمهور[٣]: ﴿من مكرِم﴾ بصيغة اسم الفاعل. وقرأ ابن أبي عبلة بفتح الراء على المصدر، أي: من إكرام.

قال الامام النيسابوري ـ رحمه الله تعالى ـ في «كشف الأسرار»[٤]: جعل الله الكفار أكثر من المؤمنين، ليريهم أنه مستغن عن طاعتهم، كما قال: «خلَقْتُ الخَلْق ليربحوا عليَّ لا لأربح عليهم» وقيل: ليظهر عز المؤمنين فيما بين ذلك؛ لأن الأشياء تعرف بأضدادها، والشيء أذا قل وجوده عزَّ، ألا ترى أن المعدن، لعزته صار مظهراً للاسم العزيز. وقيل: ليرى الحبيب قدرته، بحفظه بين أعدائه الكثيرة، كما حفظ رسول الله ﷺ، وهو واحد، وأهل الأرض أعداء كلهم، ليتبين أن النصر من عند الله تعالى، والقليل يغلب الكثير بعونه وعنايته ومن أكرمه بالغلبة، لا يهان بالخذلان ألبتة.

فإن قيل: إن رحمته سبقت، وغلبت غضبه، فيقتضي الأمر، أن يكون أهل الرحمة أكثر من أهل الغضب، وأهل الغضب، تسع وتسعون من كل ألف، واحد

---

(١) الخازن.
(٢) البحر المحيط.
(٣) البحر المحيط.
(٤) روح البيان.

يؤخذ للجنة، كما ورد في «الصحيح»، وورد «أهل الرحمة كشعرة بيضاء في جلد الثور الأسود».

قلنا: هذه الكثرة بالنسبة إلى بني آدم، وأما أهل الرحمة بالنسبة إليهم وإلى الملائكة والحور والغلمان، فأكثر من أهل الغضب.

مشكلةٌ: فإن قلت: إن قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يسجد مفهومه أن قليلاً منهم أبوا من السجود، فيناقض كثيراً الثاني، وأن قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ مفهومه أن قليلاً منهم يسجد، فيناقض كثيراً الأول، فبين الكثيرين تناقض.

قلت: إن المراد بالكثير، الأول: كثرته في ذاته، فلا ينافي قلته بالنسبة إلى الكثير الثاني، وقد أشكلني هذا التناقض زماناً، فبحثت عن جوابه في كتب التفاسير، فلم أجده، فظهر لي هذا الجواب بفضله، فلله الحمد، ثم رأيت ما يوافقه في تفسير «روح البيان»، ونص عبارته، يقول الفقير: الكثير الأول كثير في نفسه، قليل بالنسبة إلى الكثير الثاني، إذ أهل الجمال أقل من أهل الجلال، وهو الواحد من الألف، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إن الواحد على الحق، هو السواد الأعظم. وعن بعضهم: قليل إذا عدوا، كثير إذا شدوا؛ أي: أظهروا الشدة انتهت.

الإعراب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ ﴿يا﴾: حرف نداء ﴿أيّ﴾: منادى نكرة مقصودة. ﴿ها﴾ حرف تنبيه زائد، زيدت تعويضاً عما فات؛ أي: من الإضافة. ﴿ٱلنَّاسُ﴾ صفة لـ ﴿أي﴾، أو بدل منها، وجملة النداء مستأنفة. ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾: فعل وفاعل ومفعول به مبني على حذف النون، والجملة الفعلية جواب النداء، لا محل لها من الإعراب، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ ناصب واسمه ومضاف إليه. ﴿شَيْءٌ﴾: خبره: ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة ﴿شَيْءٌ﴾ والإضافة في ﴿زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ من إضافة المصدر إلى فاعله، أو إلى مفعوله، فعلى الأول كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي، وعلى الثاني على طريقة الاتساع في الظرف، وإجراءه مجرى المفعول به، كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل

ما قبلها، لا محل لها من الإعراب.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية متعلق بـ ﴿تَذْهَلُ﴾ الآتي، ولم يذكر الزمخشري غيره، الثاني: أنه منصوب بـ ﴿عَظِيمٌ﴾، الثالث أنه منصوب بإضمار أذكر، وقيل غير ذلك. ﴿تَرَوْنَهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به؛ لأن رأى هنا بصرية، والجملة الفعلية في محل الجر، مضاف إليه لـ ﴿يَوْمَ﴾. ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة مستأنفة، ﴿عَمَّآ﴾ جار ومجرور، متعلق بـ ﴿تَذْهَلُ﴾ و﴿ما﴾ موصولة أو مصدرية ﴿أَرْضَعَتْ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الـ ﴿مُرْضِعَةٍ﴾، والجملة صلة لـ ﴿ما﴾ الموصولة والعائد محذوف، تقديره عن الذي أرضعته، أو صلة ﴿ما﴾ المصدرية؛ أي: عن إرضاعها. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿تَذْهَلُ﴾، ﴿كُلُّ﴾ مضاف ﴿ذَاتِ﴾ مضاف إليه ﴿ذَاتِ﴾: مضاف ﴿حَمْلٍ﴾ مضاف إليه ﴿حَمْلَهَا﴾: مفعول به، ﴿وَتَرَى﴾: الواو عاطفة ﴿ترى﴾ فعل مضارع بصرية، معطوف على ﴿تَرَوْنَهَا﴾ وفاعله ضمير، يعود على أيِّ مخاطب، وإنما جمع الضمير في ﴿تَرَوْنَهَا﴾، وأفرد هنا لأن الرؤية الأولىٰ علقت بالزلزلة أو الساعة، وكل الناس يرونها، أما الثانية فهي متعلقة بكون الناس ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ فلا بد من جعل كل أحد رائياً للباقي، بقطع النظر عن اتصافه بالسُّكر ﴿ٱلنَّاسَ﴾ مفعول به ﴿سُكَٰرَىٰ﴾: حال من الناس ﴿وَمَا﴾ الواو حالية ﴿ما﴾ حجازية ﴿هُم﴾: في محل الرفع اسمها ﴿بِسُكَٰرَىٰ﴾ الباء: زائدة ﴿سُكَٰرَىٰ﴾: خبرها منصوب، بفتحة مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالكسرة المجلوبة لحرف جر زائد، الممنوعة للتعذر، وجملة ﴿ما﴾ الحجازية في محل النصب، حال ثانية من ﴿ٱلنَّاسَ﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو عاطفة ﴿لكن﴾: حرف نصب واستدراك، ﴿عَذَابَ ٱللَّهِ﴾: اسمها ﴿شَدِيدٌ﴾: خبرها، والجملة استدراكية، معطوفة على محذوف، مخالف لما بعد ﴿لكن﴾ وهذا حكم مطرد فيها، والتقدير كما في «البحر» لأبي حيان، فهذه الأحوال وهي الذهول والوضع ورؤية الناس، شبه السكارى هينة لينة، ولكن

عذاب الله شديد؛ أي: ليس ليناً وسهلاً فيما بعد، لكن مخالف لما قبلها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم ﴿مَن﴾: نكرة موصوفة حتماً أو موصولة في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، مسوقة لبيان من غفل عن الجزاء في ذلك اليوم، ﴿يُجَٰدِلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير، يعود على ﴿مَن﴾ والجملة صفة ﴿مَن﴾، تقدير ومن الناس فريق مجادل في الله، أو صلة لها؛ أي: ومن الناس الفريق الذي يجادل في الله لا تنفعهم العظات، ﴿فِي ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ ﴿يُجَٰدِلُ﴾. ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ حال من الفاعل في ﴿يُجَٰدِلُ﴾ موضحة لما تشعر به المجادلة من الجهل؛ أي: ملتبساً بغير علم، ﴿وَيَتَّبِعُ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿يُجَٰدِلُ﴾ وفاعله ضمير، يعود على ﴿مَن﴾. ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٖ﴾: مفعول به، ومضاف إليه ﴿مَّرِيدٖ﴾ صفة.

﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾.

﴿كُتِبَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلق به ﴿أَنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم، في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو اسم موصول مبتدأ ﴿تَوَلَّاهُ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾، والجملة في محل الجزم فعل شرط لـ ﴿مَن﴾، إن قلنا شرطية، أو صلة لها، إن قلنا موصولة. ﴿فَأَنَّهُۥ﴾: الفاء، رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية إن كانت شرطية، أو واقعة في خبر ﴿مَن﴾ الموصولة، إن كانت موصولة لـ ﴿ما﴾ في الموصول من رائحة الشرط، ﴿أن﴾ حرف نصب ومصدر، والهاء: في محل النصب اسمها ﴿يُضِلُّهُۥ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الـ ﴿شَيۡطَٰنٖ﴾ ﴿وَيَهۡدِيهِ﴾: فعل ومفعول معطوف على يضله ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: جار ومجرور، ومضاف إليه متعلق بـ ﴿يهديه﴾، وجملة ﴿يُضِلُّهُۥ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر، مرفوع على كونه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: فهو مُضِلُّهُ وهاديه إلى عذاب السعير، والجملة الاسمية في محل الجزم، جواب ﴿مَن﴾ الشرطية أو خبر ﴿مَن﴾ الموصولة، وجملة الشرط، أو الموصول في محل

الرفع خبر ﴿أَنَّهُۥ﴾، وجملة ﴿أَنَّهُۥ﴾ في تأويل مصدر مرفوع، على كونه نائب فاعل لـ ﴿كُتِبَ﴾، تقديره: كتب عليه إضلاله وهدايته، من تولاه إلى عذاب السعير، وجملة ﴿كُتِبَ﴾ من الفعل ونائب فاعله، في محل الجر صفة ثانية لـ﴿شَيْطَٰنٍ﴾ ولكنها سببية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: يا: حرف نداء ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿والهاء﴾: حرف تنبيه ﴿ٱلنَّاسُ﴾: صفة لـ﴿أيّ﴾ أو بدل منها، وجملة النداء مستأنفة ﴿إِن كُنتُمْ﴾: جازم وفعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ ﴿إِن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها ﴿فِى رَيْبٍ﴾ خبر ﴿كان﴾ ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾: متعلق بـ ﴿رَيْبٍ﴾ أو صفة له، ﴿فَإِنَّا﴾ الفاء: رابطة للجواب ﴿إنا﴾: ناصب واسمه ﴿خَلَقْنَٰكُم﴾: فعل وفاعل ومفعول ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِن﴾، وجملة ﴿إِن﴾ في محل الجزم بـ ﴿إِن﴾ الشرطية على كونها جوابا لها، ولكنه على تأويل: فَمُزِيلُ رَيْبكم، إن تنظروا في بدء خلقكم، وجملة ﴿إِن﴾ الشرطية جواب النداء، لا محل لها من الإعراب. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: جار ومجرور معطوف على قوله: ﴿مِّن تُرَابٍ﴾: وعطف فيه وفيما بعده بـ ﴿ثُمَّ﴾ للدلالة على وجود تراخ في تطور الخلق، وتدرجه من حال إلى حال ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ معطوف على ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾. ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ معطوف على ﴿مِنْ عَلَقَةٍ﴾، ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ صفة لـ ﴿مُّضْغَةٍ﴾ ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ معطوف على ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾، والمراد تفصيل حال المضغة، وكونها أولاً قطعة، لم يظهر فيها شيء من الأعضاء، ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً، ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾ اللام: حرف جر وتعليل، ﴿نبين﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً. بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في تأويل مصدر، مجرور باللام، والجار والمجرور متعلق بـ ﴿خلقنا﴾، ومفعول التبيين محذوف

للتفخيم، والتقدير: فإنا خلقناكم على هذه الأطوار، لتبيين دلائل قدرتنا لكم، ﴿وَنُقِرُّ﴾ الواو: استئنافية ﴿نقر﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله ﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ متعلق به، والجملة مستأنفة؛ لأنه ليس المعنى خلقناكم لنقر ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول به ﴿نَشَآءُ﴾ فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة صلة لـ ﴿مَا﴾ والعائد محذوف تقديره: ما نشاء إقراره ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ متعلق بـ ﴿نقر﴾، أو حال من ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿مُّسَمًّى﴾ صفة ﴿أَجَلٍ﴾ ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف وتراخ ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ فعل ومفعول وفاعل مستتر، يعود على الله معطوف على ﴿نقر﴾، ﴿طِفْلًا﴾ حال من مفعول نخرجكم؛ أي: صغاراً، وإنما وحد: لأنه في الأصل مصدر، كالرضا والعدل، فيلزم الإفراد والتذكير، قاله المبرد.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ، ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، منصوب بأن مضمرة بعد لام كي ﴿أَشُدَّكُمْ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية، مع أن المضمرة، في تأويل مصدر، مجرور باللام، تقديره: لبلوغكم أشدكم، الجار والمجرور متعلق بمحذوف، معطوف على نخرجكم، تقديره: ثم نخرجكم طفلاً، ثم نربيكم لبلوغكم أشدكم، وقيل: إنّ ﴿ثُمَّ﴾ زائدة، والجار والمجرور متعلق بـ ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ ﴿وَمِنكُم﴾ جار ومجرور خبر مقدم ﴿مَّن﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، ﴿يُتَوَفَّىٰ﴾ فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿مَّن﴾: والجملة صلة ﴿مَّن﴾ الموصولة، والتقدير: ومن يتوفي بعد بلوغ الأشد، وقبل الهرم كائن منكم، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، ﴿وَمِنكُم﴾: خبر مقدم، ﴿مَّن يُرَدُّ﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يُرَدُّ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها، ﴿لِكَيْلَا﴾: اللام: حرف جر وتعليل، ﴿كي﴾ حرف نصب ومصدر ﴿لا﴾ نافية ﴿يَعْلَمَ﴾: فعل مضارع

منصوب بـ ﴿كي﴾ وفاعله ضمير يعود على المردود ﴿مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ﴾ جار ومجرور حال من ﴿شَيۡـٔٗاۚ﴾ و﴿شَيۡـٔٗاۚ﴾ مفعول به؛ لأن علم هنا بمعنى عرف، والجملة الفعلية مع ﴿كي﴾ المصدرية في تأويل مصدر. مجرور باللام، تقديره: لعدم علمه شيئاً، الجار والمجررو متعلق بـ ﴿يُرَدُّ﴾، ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر، يعود على أيِّ مخاطب ومفعول به؛ لأن ترى بصرية ﴿هَامِدَةٗ﴾ حال من الأرض، والجملة مستأنفة، ﴿فَإِذَآ﴾: الفاء: عاطفة ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، ﴿أَنزَلۡنَا﴾ فعل وفاعل ﴿عَلَيۡهَا﴾ متعلق بـ ﴿أنزلنا﴾، ﴿ٱلۡمَآءَ﴾ مفعول به، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه، على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي، ﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾ فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾، والجملة جواب ﴿إذا﴾، لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ معطوفة على جملة ﴿ترى﴾، ﴿وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ﴾ معطوفان على اهتزت ﴿مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾: جار ومجرور، ومضاف إليه صفة لمفعول محذوف، تقديره: وأنبتت أصنافاً كائنة من كل صنف بهيج، و﴿بَهِيجٖ﴾ صفة لـ ﴿زَوۡجِۭ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ جار ومجرور خبر المبتدأ، تقديره: ذلك كائن بسبب أن الله إلخ. والجملة مستأنفة ﴿أن الله﴾ ناصب واسمه ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل، ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: خبر ﴿أن﴾ وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر، مجرور بالباء، تقديره: ذلك كائن بسبب كون الله هو الحق، ﴿وَأَنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه وجملة ﴿يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: خبره والجملة في محل الجر، معطوفة على جملة ﴿أن﴾ الأولى، ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ متعلق بـ ﴿قَدِيرٞ﴾ و﴿قَدِيرٞ﴾ خبر ﴿أن﴾ وجملة ﴿أن﴾ الأولى أيضاً، والتقدير: ذلك كائن، بسبب كون الله هو الحق، وإحيائه الموتى وقدرته على كل شيء.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧﴾.

﴿وَأَنَّ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة أو استئنافية ﴿أن الساعة آتية﴾: ناصب واسمه

وخبره، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر، مرفوع على كونه خبر، لمبتدأ محذوف، تقديره: والأمر إتيان الساعة حالة كونها ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ والجملة الاسمية معطوفة على جملة قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أو مستأنفة ﴿لَّا﴾ نافية ﴿رَيْبَ﴾: في محل النصب اسمها ﴿فِيهَا﴾ خبرها، والجملة في محل النصب، حال من الضمير المستكن في خبر ﴿أن﴾ أو خبر ثان لـ ﴿أن﴾ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ الواو عاطفة أو استئنافية ﴿أن الله﴾ ناصب واسمه وجملة ﴿يَبْعَثُ﴾ خبرها ﴿مَن﴾ مفعول به ﴿فِي ٱلْقُبُورِ﴾ متعلقان بمحذوف صلة ﴿مَن﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم ﴿مَن﴾ اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة، أو معطوفة على جملة قوله: أولاً: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾. ﴿يُجَٰدِلُ﴾: فعل وفاعل مستتر ﴿فِي ٱللَّهِ﴾ متعلق به ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جار ومجرور حال. من فاعل ﴿يُجَٰدِلُ﴾ والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ﴾: معطوفان على علم ﴿مُّنِيرٍ﴾ صفة كتاب ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾: حال من فاعل ﴿يُجَٰدِلُ﴾، وجاز نصبه على الحال، مع إضافته؛ لأن إضافته لفظية لا تفيد التعريف؛ لأنها في نية الانفصال، كما هو مقرر في محله ﴿لِيُضِلَّ﴾ اللام حرف جر وتعليل ﴿يضل﴾ فعل مضارع، منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على المجادل ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿يضل﴾ والجملة الفعلية، مع أن المضمرة، في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لإضلاله الناس عن سبيل الله، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿يُجَٰدِلُ﴾، ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور خبر مقدم ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾: جار ومجرور حال من ﴿خِزْيٌ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿خِزْيٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل النصب، حال من فاعل ﴿يضل﴾ أو مستأنفة ﴿وَنُذِيقُهُۥ﴾: فعل ومفعول أول، وفاعل مستتر يعود على الله ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف متعلق به ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: مفعول ثان، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب، مقول لقول محذوف، تقديره: ونقول له ذلك بما قدمت يداك. ﴿قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾. فعل وفاعل صلة الموصول والعائد محذوف، تقديره: قدمته يداك ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص. واسمه ضمير يعود على الله ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾: خبر ﴿لَيْسَ﴾ والباء: زائدة ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾. متعلق بـ ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾ وجملة ﴿لَيْسَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ وجملة ﴿أن﴾ في محل الجر، معطوفة على ﴿ما﴾ الموصولة، تقديره: ذلك حاصل بسبب ما قدمته يداك، وبسبب عدم كون الله ظلاماً للعبيد. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم ﴿مَن﴾ اسم موصول، في محل الرفع مبتدأ، مؤخر، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان حال المرتابين، أو معطوفة على جملة قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ ﴿يَعْبُدُ ٱللَّهَ﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على من ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ حال من فاعل ﴿يَعْبُدُ﴾ أي: حالة كونه مضطرباً مترجرجاً، والجملة الفعلية صلة لـ ﴿مَن﴾ الموصولة أو الموصوفة.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿فَإِنْ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفصيل، ﴿إن﴾ حرف شرط. ﴿أَصَابَهُۥ﴾ فعل ومفعول في محل الجزم بـ ﴿إن﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها ﴿خَيْرٌ﴾ فاعل ﴿ٱطْمَأَنَّ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ ﴿أن﴾ على كونه جواباً لها، وفاعله ضمير يعود على ذلك العابد، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية، معطوفة على جملة ﴿يَعْبُدُ﴾ على كونها صلة الموصول، ﴿به﴾ متعلقان به ﴿وَإِنْ﴾: الواو: عاطفة ﴿إن﴾ حرف شرط ﴿أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: فعل ومفعول وفاعل في محل الجزم بـ ﴿أن﴾ على كونه جواباً لها وفاعله ضمير يعود على العابد ﴿ٱنقَلَبَ﴾ فعل ماض مبني على الفتح وفاعله يعود على العابد والجملة جواب الشرط. ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿ٱنقَلَبَ﴾، أو حال من فاعل ﴿ٱنقَلَبَ﴾ وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معطوفة على جملة

﴿إن﴾ الأولى. ﴿خَسِرَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على العابد والجملة الفعلية مستأنفة، أو حال من فاعل ﴿ٱنقَلَبَ﴾، ولا حاجة إلى تقدير، قد على الصحيح، أو بدل من قوله: ﴿ٱنقَلَبَ﴾ كما أبدل المضارع من مثله في قوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ مفعول ﴿خَسِرَ﴾. ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ معطوف على ﴿ٱلدُّنْيَا﴾. ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾ خبر. ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ صفة لـ ﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾، والجملة مستأنفة.

﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥٓ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾.

﴿يَدْعُوا۟﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على العابد، والجملة مستأنفة، أو حال من فاعل ﴿يَعْبُدُ﴾ في قوله: ﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. جار ومجرور، حال من فاعل ﴿يَدْعُوا۟﴾ أي: حالة كونه، متجاوزاً الله، بعبادته إلى غيره. ﴿مَا﴾ موصولة أو موصوفة في محل النصب. مفعول به لـ ﴿يَدْعُوا۟﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَضُرُّهُۥ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ﴿مِن﴾، والجملة صلة لـ ﴿مَا﴾، أو صفة لها. ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥٓ﴾: معطوف على ما لا يضره ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ. ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل. ﴿ٱلضَّلَٰلُ﴾ خبر ﴿ٱلْبَعِيدُ﴾ صفة له، والجملة مستأنفة. ﴿يَدْعُوا۟﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على العابد، و﴿يَدْعُوا۟﴾ هنا بمعنى يقول. ﴿لَمَن﴾: اللام: حرف ابتداء. ﴿من﴾ اسم موصول، في محل الرفع مبتدأ. ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿أَقْرَبُ﴾: خبر للمبتدأ الذي هو ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾. ﴿مِن نَّفْعِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿أَقْرَبُ﴾، والجملة من هذا المبتدأ الأخير وخبره، صلة لـ ﴿مِن﴾ الموصولة. ﴿لَبِئْسَ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم ﴿بئس﴾: فعل ماض لإنشاء الذم. ﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾: فاعل والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: هو؛ أي: ذلك المعبود، وهو مبتدأ، خبره جملة ﴿بئس﴾، أو خبر لمحذوف، تقديره: والمخصوص بالذم هو، وجملة ﴿بئس﴾ جواب القسم، وجملة القسم مع جوابه في محل الرفع خبر لـ ﴿من﴾ الموصولة؛ أي: يقول ذلك العابد: لمن ضره أقرب من نفعه، لأقسم فيه، بقولي: بئس المولى هو. ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: هو،

وجملة ﴿يَدۡعُواْ﴾ بمعنى يقول مستأنفة. أو خبر من الموصولة محذوف، تقديره: يقول ذلك العابد، لمن ضره أقرب من نفعه. إله أو إلهي، وموضع الجملة نصب بالقول، وجملة لبئس مستأنفة؛ لأنها لا يصح دخولها في الحكاية؛ لأن الكفار لا يقولون عن أصنامهم: لبئس المولى ولبئس العشير. وهناك وجه آخر مقبول، وهو أن تكون اللام زائدة في المفعول به لـ ﴿يَدۡعُواْ﴾، ويؤيد هذا الوجه، قراءة عبد الله ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ فـ ﴿مَن﴾ مفعول ﴿يَدۡعُواْ﴾ و﴿يَدۡعُواْ﴾ على معناه، ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ مبتدأ ﴿أَقۡرَبُ﴾ خبره، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، وجملة القسم مستأنفة. وقد اختار الجلال السيوطي هذا الوجه، ودعمه شارحوه. قال الزمخشري: وهناك أوجه تربو على سبعةٍ، قد سلكها المفسرون، أكثرها غير مقبولة لما فيها من الغرابة والشذوذ، وإنما أوردناها مع كونها آراء غير مقبولة، لنخلص إلى القول، أن هذه الآية من المشكلات، التي شغلت علماء النحو والتفسير، ولم يأتوا فيها بما ينقع الغليل ويشفي العليل، وكلام الله المعجز اسمى من أن تطاله القواعد، التي وضعها الإنسان. انتهى بتصرف. ﴿وَلَبِئۡسَ﴾ الواو عاطفة. واللام، موطئة للقسم. ﴿بئس﴾ فعل ماض جامد، لإنشاء الذم ﴿ٱلۡعَشِيرُ﴾ فاعل والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: هو، وجملة هذا القسم، معطوفة على جملة القسم في قوله: ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه ﴿يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ﴾ فعل ومفعول. وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿ءَامَنُواْ﴾ فعل وفاعل صلة الموصولة. ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَامَنُواْ﴾ ﴿جَنَّٰتٖ﴾: مفول به ثان على السعة، أو نصب بنزع الخافض، وجملة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: صفة لـ ﴿جَنَّٰتٖ﴾. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه ﴿يَفۡعَلُ مَا﴾: فعل ومفعول وفاعل مستتر يعود على الله، وجملة ﴿يُرِيدُ﴾ صلة لـ ﴿مَا﴾ الموصولة والعائد محذوف، تقديره: يريده، وجملة

﴿يفعل﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة، مسوقة لتعليل ما تقدم.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿مَن﴾: اسم شرط جازم، في محل الرفع مبتدأ، أو الخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما، كما مر مراراً، أو موصولة في محل الرفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، في محل الجزم بـ ﴿مَن﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها، واسمه ضمير مستتر يعود على ﴿مَن﴾. ﴿يَظُنُّ﴾: فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر، يعود على ﴿مَن﴾، وجملة ﴿يَظُنُّ﴾ في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف؛ أي: أنه. ﴿لَّن﴾ حرف نصب ﴿يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ فعل مضارع ومفعول وفاعل منصوب بـ ﴿لَّن﴾. ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ متعلق بـ ﴿يَنصُرَهُ﴾. ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ معطوف على الدنيا، وجملة ﴿يَنصُرَهُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أَن﴾ المخففة، وجملة ﴿لَّن﴾ المخففة في تأويل مصدر، ساد مسد مفعولي ﴿ظن﴾، تقديره: من كان يظن عدم نصر الله تعالى، محمداً، ﷺ، في الدنيا والآخرة. ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾: الفاء، رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية، وجوباً، لكون الجواب جملة طلبية، أو واقعة في خبر ﴿مَن﴾ الموصولة، لشبهها بالشرط في العموم. واللام: لام الأمر. ﴿يمدد﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وفاعله ضمير مستتر يعود على من ﴿بِسَبَبٍ﴾ متعلق بـ ﴿يمدد﴾ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: صفة لسبب؛ أي: بسبب واصل إلى السماء. والمراد بالسماء، سقف البيت، أو على حقيقتها على سبيل التقدير. وجملة ﴿يمدد﴾ في محل الجزم بـ ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، أو خبر ﴿من﴾ الموصولة، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية، أو الموصولة مستأنفة.

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لْيَقْطَعْ﴾: اللام: لام الأمر ﴿يقطع﴾: فعل مضارع، مجزوم بلام الأمر، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة في محل الجزم،

معطوفة على جملة قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾. على كونها جواب ﴿مَن﴾ الشرطية. ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ الفاء: عاطفة، واللام: لام الأمر. ﴿ينظر﴾ فعل مضارع، مجزوم بلام الأمر، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾ والجملة في محل الجزم، معطوفة على جملة قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾. ﴿هَلْ﴾ حرف استفهام. ﴿يُذْهِبَنَّ﴾: فعل مضارع في محل الرفع، مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. ﴿كَيْدُهُ﴾: فاعل ومضاف إليه ﴿مَا﴾: موصولة في محل النصب مفعول به. ﴿يَغِيظُ﴾ فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿مَا﴾. ومفعول محذوف، تقديره ما يغيظه، فالضمير المرفوع في ﴿يغيظه﴾: عائد على ﴿مَا﴾ الموصولة، والمنصوب عائد على ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾، وجملة ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ﴾ في محل نَصْب بـ ﴿ينظر﴾؛ لأنها معلقة عنها بحرف الاستفهام، وفي «السمين»: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ﴾: الجملة الاستفهامية، في محل نصب على إسقاط الخافض؛ لأن النظر تعلق بالاستفهام، وإذا كان بمعنى الفكر. تعدى بفي.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿كذلك﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول به. ﴿ءَايَٰتٍۭ﴾ حال من مفعول ﴿أنزلنا﴾. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: صفة لـ ﴿ءَايَٰتٍۭ﴾: والتقدير، وأنزلنا القرآن كله، حالة كونه آيات بينات. إنزالاً مثل الآيات السابقة، من أول السورة إلى هنا، والجملة مستأنفة. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ الواو عاطفة، أو حالية. ﴿أن الله﴾ ناصب واسمه يـ ﴿يَهْدِى﴾. فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿مَن﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول به. ﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة صلة لـ ﴿مَن﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: من يريد هدايته، وجملة ﴿يَهْدِى﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر، معطوف على مفعول ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، والتقدير: وكذلك أنزلنا عليه القرآن كله. وهداية الله من يريد هدايته، أو في تأويل مصدر مرفوع، على كونه خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير: والأمر هداية الله من يريد، والجملة الاسمية في محل النصب، حال من فاعل ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه. وجملة ﴿ءَامَنُواْ﴾: صلة الموصول. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾. معطوف على الموصول الأول. وجملة ﴿هَادُواْ﴾: صلته. ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: معطوف على الموصول الأول. وكذلك قوله: ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ﴾: معطوفات على الموصول الأول. وجملة ﴿أَشْرَكُوٓاْ﴾: صلة الموصول الأخير. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه ﴿يَفْصِلُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿يَفْصِلُ﴾، وكذلك يتعلق به الظرف في قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ الثانية، وجملة ﴿إِنَّ﴾ الثانية، في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ الأولى. أعني قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ الأولى مستأنفة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ناصب واسمه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ جار ومجرور، ومضاف إليه متعلق بـ﴿شَهِيدٌ﴾ و﴿شهيد﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾. وكأن قائلاً قال: أهذا الفصل عن علم، أو لا، فقيل: إن الله على كل شيء شهيد؛ أي: عالم، اهـ شيخنا.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾.

﴿أَلَمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لم﴾ وفاعله ضمير، يعود على كل من يصلح للخطاب، وترى هنا علمية، كما مر في مبحث التفسير. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ ناصب واسمه ﴿يَسْجُدُ﴾ فعل مضارع ﴿لَهُۥ﴾ متعلق به ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع فاعل، وجملة ﴿يَسْجُدُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر، سادّ مسدّ مفعولي ﴿تَرَ﴾، تقديره: ألم تر سجود من السموات ومن في الأرض، ومن بعدهما. لله سبحانه وتعالى. وجملة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ جملة إنشائية مستأنفة. ﴿فِى

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جار ومجرور صلة ﴿مَن﴾ الموصولة ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وكذا قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ﴾ معطوفات على ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ جار ومجرور صفة لـ ﴿وَكَثِيرٌ﴾. ﴿وَكَثِيرٌ﴾ ليس معطوفاً على ما قبله، بل هو مبتدأ خبره محذوف، تقديره: مطيعون أو مجزيون أو مثابون، أو نحو ذلك، لدلالة ما قبله عليه، وسوغ الابتداء بالنكرة، وقوعه في معرض التقسيم، ووصفه بما بعده، والجملة من المبتدأ والخبر حينئذٍ، معطوفة على جملة ﴿أَنَّ﴾ في كونها سادة مسد مفعولي ﴿تَرَ﴾، وقيل هو مرفوع، بفعل محذوف، تقديره: ويسجد له كثير من الناس. ﴿وَكَثِيرٌ﴾ مبتدأ، وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعه في معرض التقسيم. ﴿حَقَّ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق به. ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ فاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب، معطوفة على جملة ﴿أَنَّ﴾. ﴿وَمَن﴾ الواو: استئنافية (من) اسم شرط جازم، في محل النصب مفعول به مقدم ﴿يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ فعل وفاعل مجزوم بـ﴿مَنْ﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿فَمَا﴾ الفاء: رابطة لجواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية وجوباً، لاقترانه بـ﴿مَا﴾ النافية ﴿ما﴾ نافية ﴿لَهُ﴾ خبر مقدم ﴿مِن﴾ زائدة. ﴿مُّكْرِمٍ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل الجزم ﴿مَن﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ناصب واسمه ﴿يَفْعَلُ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله ﴿مَا﴾ موصولة في محل النصب مفعول به، وجملة ﴿يَشَآءُ﴾: صلة ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: يشاؤه، وجملة ﴿يَفْعَلُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

التصريف ومفردات اللغة

﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ التقوى: التباعد عن كل ما يكسب الإثم، من فعل أو ترك. ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ الزلزلة: الحركة الشديدة، بحيث تزيل الأشياء من أماكنها، وقيل: الزلزلة: التحريك الشديد بطريق التكرير، كما يدل عليه تكرير الحروف؛ لأن زلزل مضاعف زل، ويحتمل في هذه الإضافة، أن تكون من إضافة

المصدر إلى فاعله؛ إن كان من زلزل اللازم، الذي بمعنى: تزلزل. والتقدير: إن تزلزل الساعة، أو من زلزل المتعدى ويكون المفعول محذوفاً، والتقدير: إن زلزال الساعة الناس، كذا قدره أبو البقاء، وأحسن من هذا، أن يقدر إن زلزال الساعة الأرض، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ والذهول، الدهش الناشيء عن الهم والغم الكثير. والمرضعة: الأنثى الملابسة للإرضاع، والمرضع: ما من شأنها أن ترضع، وإن لم تلابس به نظير حائض وحائضةٍ. ﴿حَمْلَهَا﴾ والحمل بفتح الحاء: ما كان في البطن أو على رأس الشجر، وبالكسر: ما كان على الظهر، اهـ «سمين». ﴿سُكَٰرَىٰ﴾: جمع سكران، والسكر، حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب.

﴿مَن يُجَٰدِلُ﴾ الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمقاتلة، وأصله من جدلت الحبل؛ أي: أحكمت فتله، كأن المتجادلين يقتل كل واحد الآخر عن رأيه. ﴿مَّرِيدٍ﴾ عات متجرد للفساد: يقال: مرد الشيء، إذا جاوز حدَّ مثله، وأصله العرى يقال: غلام أمرد إذا عرى من الشعر والورق. قال: الزجاج المريد والمارد المرتفع الأملس، وقال في «القاموس» وشرحه: المارد العاتي المرتفع، يقال: بناء مارد؛ أي: مرتفع، وهو مجاز. وجمعه مردة وماردون ومراد، والمريد الشديد المرادة والخبيث الشرير، وجمعه مرد ومؤنثه مرداء، يقال: مرد على جرد؛ أي: شبان مرد على خيول جرد.

﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ الريب: الشك. والبعث: الإخراج من الأرض، والتسيير إلى الموقف. ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ وأصل النطفة الماء العذب، ويراد بها هنا ماء الرجل. ﴿عَلَقَةٍ﴾ والعلقة: القطعة الجامدة من الدم. ﴿مِن مُّضْغَةٍ﴾ المضغة: القطعة من اللحم بقدر ما يمضغ. ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ والأجل المسمى: حين الوضع. ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ قال ابن زيد: المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين. وغير المخلقة التي لم يخلق فيها شيء.

﴿طِفْلًا﴾ والطفل: يطلق على الولد من حين الإنفصال إلى البلوغ، ويطلق

على الواحد والجمع، وأما الطفل بفتح الطاء وسكون الفاء، فهو الناعم، والمرأة طفلة، وأما الطفل بفتح الطاء والفاء، فوقت ما بعد العصر من قولهم: طفلت الشمس إذا مالت للغروب، وأطفلت المرأة؛ أي: ذات طفل. ﴿أَشُدَّكُمْ﴾ والأشد: القوة، وهو في الأصل جمع شدة، كأنعم جمع نعمة، اهـ «بيضاوي». وهو من ألفاظ الجمع، التي لم يستعمل لها واحد، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين. ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أدنؤه وأردؤه، وهو الخرف، والخرف: فساد العقل من الكبر و﴿ٱلْعُمُرِ﴾: مدة عمارة البدن بالحياة، كما مر. ﴿هَامِدَةً﴾؛ أي: ميتة يابسة، من همدت الأرض، إذا يبست ودرست، وهمد الثوب إذا بلي، والهمود السكون والخشوع ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾؛ أي: تحركت، وتجوز به هنا، عن إنبات الأرض نباتها بالماء؛ أي: اهتز نباتها وتحرك. ﴿وَرَبَتْ﴾؛ أي: ازدادت وانفتخت لما يتداخلها من الماء والنبات ﴿زَوْجٍ﴾؛ أي: صنف. ﴿بَهِيجٍ﴾؛ أي: حسن، سار للناظرين من البهجة، وهو حسن اللون وظهور السرور فيه، وابتهج بكذا سروراً، بأن أثره في وجهه. ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ والحق: هو الثابت الوجود، الذي يحق ثبوته، ويجب وجوده. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ والهدى: الاستدلال والنظر الصحيح، الموصل إلى المعرفة، والكتاب المنير: هو الوحي المظهر للحق.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ الثني، اللي، وفي «القاموس» ثنى الشيء يثني، عطفه وطواه، ورد بعضه على بعض وكفه. والعطف بكسر العين الجانب، يعطفه الإنسان ويلويه ويميله عن الإعراض عن الشيء، وهو عبارة عن التكبر، والعطف، بفتح العين: التعطف والرحمة والشفقة، والمعنى هنا، لاوياً جانبه: متكبراً مختالاً ونحوه تصغير الخد. وليُّ الجيد. ﴿خِزْيٌ﴾ والخزي: الهوان والذل والفضيحة. ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾؛ أي: عذاب النار التي تحرق داخليها، فيحتمل أن يكون من إضافة المسبَّب إلى سببه، على أن يكون الحريق عبارة عن النار، وأن يكون من إضافة الموصوف إلى صفته، والأصل العذاب الحريق؛ أي: المحرق وهو النار.

﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾؛ أي؛ على طرف وشك في الدين. ﴿خَيْرٌ﴾ كل ما يستلذه

الطبع وينشرح به القلب، كالصحة وكثرة المال والولد. ﴿فِتۡنَةٌ﴾ والفتنة: كل ما يستكرهه الطبع، ويثقل على النفس كالجدب والمرض، كما مر. ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ الانقلاب: الانصراف والرجوع، والوجه بمعنى الجهة والطريقة.

﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾؛ أي: ضيعهما إذ فاته فيهما ما يسره. ﴿يَدۡعُواْ﴾ الأولى يراد به يعبد. و﴿يَدۡعُواْ﴾ الثانية يراد بها يقول. ﴿ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ الناصر. ﴿ٱلۡعَشِيرُ﴾ الصاحب والمعاشر. ﴿بِسَبَبٍ﴾ السبب: الحبل الذي تصعد به النخل؛ أي: ليربط بحبل إلى سقف بيته؛ لأن كل ما علاك فهو سماء. ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ قال في «القاموس»: قطع فلان الحبل إذا اختنق به، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾؛ أي: ليخنق انتهى. وسمى الاختناق قطعاً؛ لأن المختنق يقطع نفسه، بحبس مجاريه ﴿فَلۡيَنظُرۡ﴾ المراد: تقدير النظر، وتصوره؛ لأن الأمر بالنظر بعد الاختناق، غير معقول؛ أي: فليتصور في نفسه، وليقدر النظر إن فعل. ﴿هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ﴾؛ أي: فعل ذلك بنفسه، وسماه كيدا: لأنه وضعه موضع الكيد، حيث لم يقدر على غيره، أو على وجه الاستهزاء؛ لأنه لم يكد به محسود، وإنما كاد به نفسه ﴿مَا يَغِيظُ﴾ الغيظ أشد غضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه؛ أي: ما يغيظه من النصرة لمحمد ﷺ.

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾. جمع نصران ونصرانة، مثل: الندامى جمع ندمان وندمانة، ويستعمل بغير الياء فيقال: رجل نصران وامرأة نصرانة. ﴿وَٱلۡمَجُوسَ﴾ قال في «القاموس»: مجوس كصبور، رجل صغير الأذنين وضع ديناً، ودعا إليه، معرب، منج كوش ورجل مجوسيٌّ، جمعه مجوس، كيهودي ويهود اهـ. والأصل: نجوس بالنون، فأبدلت ميما اهـ «سمين».

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾؛ أي: ألم تعلم، والسجود: لغة التطامن والتذلل، ثم أطلق على التذلل لله وعبادته، وهو ضربان: سجود بالاختيار: وهو خاص بالإنسان وبه يستحق الثواب، وسجود بالتسخير والانقياد لإرادته سبحانه: وهو دال على الذلة والافتقار إلى عظمته جلت قدرته. ﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾ جمع دابة، بتشديد الباء؛ لأنه مشتق من الدبيب، فأما من قرأ بتخفيف الباء، فقد حذفها كراهية التضعيف،

والدابة: مؤنث الداب ما دب من الحيوان؛ أي: مشى على البطن كالحية، أو على اليدين والرجلين كالطفل، وغلبت الدابة على ما يركب ويحمل عليه، وتقع على المذكر والمؤنث، والتاء فيه للوحدة، وتصغير الدابة دويبة، والدباب الشديد الدبيب، والضعيف الذي يدب في المشي. قال الشاعر:

زَعَمَتْنِيْ شَيْخاً وَلَسْتُ بِشَيْخٍ   إِنَّمَا ٱلشَّيْخُ مَنْ يَدُبُّ دَبِيْبَا

والدبابة، مؤنث الدباب، وسميت بها آلة كانت في الماضي، تتخذ في الحصار، وكانوا يدخلون في جوفها، ثم تدفع في أصل الحصن فينقبونه، وهم في أجوافها، ثم أطلقت في العصر الحديث على سيارة مصفحة، تهجم على صفوف الأعداء، وترمي منها القذائف.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الإسناد العقلي في قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ لأن إسناد الزلزلة إلى الساعة على سبيل المجاز العقلي؛ لأنها لما كانت من أشراطها أضيفت إليها.

ومنها: التشبيه البليغ المؤكد في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾؛ أي: تراهم كالسكارى من شدة الهول، حذفت أداة التشبيه، ووجه الشبه، فقد شبه حال الناس في ذلك اليوم العصيب بحالة السكارى، الذين فقدوا التمييز، وأضاعوا الرشد، فالآية الكريمة بعد أن أثبتت السكر المجازي، نفت الحقيقة، أبلغ نفي مؤكد بالباء، والسر في تأكيده، التنبيه على أن هذا السكر، الذي هو بهم في تلك الحالة، ليس من المعهود في شيء، وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله.

ومنها: أن في عدوله عن مرضع إلى مرضعة سراً. قلّ من يتفطن له، وهو

أن المرضعة هي التي باشرت الإرضاع فعلاً؛ فنزعها الثدي من فم طفلها عند حدوث الهول ووقوع الإرتباك، أدل على الدهشة، وأكثر تجسداً لمواطن الذهول، الذي استولى عليها.

ومنها: الاستعارة التصريحية، في قوله: ﴿شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ حيث استعار لفظ الشيطان لكل طاغية، متمرد على أمر الله.

ومنها: أسلوب التهكم، في قوله: ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

ومنها: الطباق، في قوله: ﴿يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾.

ومنها: طباق السلب، في قوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾.

ومنها: الاستعارة اللطيفة، في قوله: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ شبه الأرض بنائم لا حركة له، ثم يتحرك وينتعش، وتدب فيه الحياة، بنزول المطر عليه، ففيها استعارة تبعية.

ومنها: ائتلاف الطباق والتكافؤ في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ لمجيء أحد الضدين، أو أحد المتقابلين حقيقة، والآخر مجازاً، فهمود الأرض واهتزازها ضدان، لأن الهمود سكون فالاهتزاز هنا حركة خاصة، وهما مجازان، والربو والإنبات ضدان، وهما حقيقتان، وإنما قلنا ذلك؛ لأن الأرض تربو حالة نزول الماء عليها، وهي لا تنبت في تلك الحالة، فإذا انقطعت مادة السماء، وجفّفَ الهواء رطوبة الماء، خمد الربو، وعادت الأرض، إلى حالها، من الاستواء، وتشققت وأنبتت، فصدر الآية تكافؤ، وما قابله في عجزها طباقٌ.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ فقد أسند الإنبات إلى الأرض، وهو مجاز عقلي، لأن المنبت في الحقيقة، هو الله تعالى.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾؛ لأنه كناية عن الإعراض والتكبر والخيلاء.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ علاقته السببية؛ لأن اليد هي التي تفعل الخير أو الشر.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ حيث شبه المنافقين، وما هم فيه، من قلق واضطراب في دينهم، بمن يقف على شفا الهاوية، يريد العبادة والصلاة. ويا له من تمثيل رائع.

ومنها: المقابلة البديعة بين ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ و﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿يَضُرُّهُۥ﴾ و﴿يَنفَعُهُۥ﴾.

ومنها: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ لتأكيد الوعيد، وتشديد التهديد؛ لأن الأصل بما قدمت يداه.

ومنها: الاستعارة المصرحة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ حيث استعار ضلال من أبعد في التيه ضالاً، عن الطريق، فطالت وبدت مسافة ضلاله لخطأ، من أخطأ عن الحق والهدى، وبعد عنه، فإن القرب، والبعد من عوارض المسافة الحسية.

ومنها: إيراد صيغة المبالغة في قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ مع خلوه عن النفع بالكلية، للمبالغة في تقبيح حاله، والإمعان في ذمه.

ومنها: التهكم في قوله: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾؛ لأن تسميته مولى تهكم به.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فإسناد الجرى إلى الأنهار من الإسناد الحكمي، كقولهم: سال الميزاب إذ الجريان من أوصاف الماء، لا من أوصاف النهر، والنهر مجرى الماء الفائض.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿يَدْعُوا۟﴾ وفي قوله: ﴿لَبِئْسَ﴾.

ومنها: الإيجاز في قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿مَا

﴿يَغِيظُ﴾؛ لأن معناه: من كان يظن من حاسدي محمد ﷺ، ومبغضيه أن الله لن ينصره، وأنه يفعل شيئاً مغايراً للنصر. ومن كان يغيظه أن محمداً يظفر بمطلوبه، ويبلغ ما هدف إليه من المثل العليا، التي رسمناها له، فليستقص وسعه، وليستفرغ جهده، فلن يكون مثله إلا مثل من يأخذ حبلاً، يمده إلى سماء بيته، فيخنق نفسه به، ثم بعد ذلك كله، ليعد النظر، والتأمل مجدداً، ليرى هل ذهب نصر الله، الذي يغيظه، وهل ذهب عنه ما كان يساوره، من حرقة وارتماض.

ومنها: الاكتفاء في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ﴾؛ أي: ويضل من يريد.

ومنها: تصدير الجملتين بـ ﴿إن﴾ زيادة في تأكيد الكلام في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ﴾.

ومنها: عطف الخاص على العام في قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ...﴾ إلخ بعد قوله: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾
كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ
سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا
لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ
عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ
بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ
رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ
وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن
تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ
أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ
فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ
كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ
مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ...﴾ الآيات مناسبة هذه الآيات لما قبلها[1]: أنه سبحانه وتعالى، لما ذكر أهل السعادة وأهل الشقاوة، ذكر ما دار بينهم من الخصومة في دينه.

وعبارة المراغي هنا: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر أرباب الفرق الست، فيما سلف وذكر، أن الله تعالى، يفصل بينهم يوم القيامة، وهو العليم بأحوالهم وأفعالهم وأقوالهم.. قفى على ذلك، بذكر طرفي الخصومة، وتعيين موضع الخصومة، وتعيين موضع الخصومة، وبيان مآل كل من الفريقين، من الإهانة والكرامة والعذاب والنعيم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر[2] مآل كل فريق من الكفار، والمؤمنين.. أردف ذلك ببيان عظيم حرمة البيت، وأنكر على الكفار صدهم المؤمنين، عن شهوده وقضاء مناسكهم فيه، ودعواهم أنهم أولياؤه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات: أنَّ الله سبحانه وتعالى، لما ذكر أنَّ كثيراً من مشركي قريش، صدوا عن دين الله، وعن دخول المسجد الحرام، أردف بتأنيبهم وتوبيخهم على ما يفعلون، فبيّن أنه ما كان ينبغي لهم ذلك، فإن أباهم إبراهيم الذي يفخرون به. وينتسبون إليه، هو الذي بناه وجعله مباءة للناس، وأمر بتطهيره من الشرك للطائفين والمصلين، وأن ينادي في الناس بالحج، ليأتوه من كل فج عميق، لما لهم في ذلك من منافع دينية ودنيوية، ويذكروا اسم الله في أيام النحر، على ما آتاهم من بهيمة الأنعام.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ...﴾

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر أنه أمر إبراهيم ببناء البيت، وتطهيره من عبادة الأوثان والأصنام، وأن ينادي الناس ليحجوا هذا البيت الحرام، مشاة وركباناً، من كل فج عميق، لما لهم في ذلك من منافع دنيوية ودينية، وأن ينحروا البدن الهدايا، ذاكرين اسم الله عليها، في أيام معلومات، وأن يأكلوا منها، ويطعموا البائس الفقير.. قفَّى على ذلك ببيان أن اجتناب المحرمات، حال الإحرام، خير عند الله مثوبة، وأعظم أجراً، وأن ذبح الأنعام، وأكلها حلال، إلا ما حرم عليكم، وأنه يجب اجتناب عبادة الأوثان، وترك شهادة الزور، وأن من يشرك بالله فقد هلك، وأن تعظيم شعائر الله، علامة على أن القلوب مليئة بالتقوى والخوف من الله، وأن في هذه الهدايا منافع من الدر والصوف والنسل، إلى أجل مسمى، وهو أن تنحر، ثم تؤكل ويتصدق بلحومها.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر[1] أن تعظيم الشعائر من أعظم دعائم التقوى، وأن محل نحرها هو البيت العتيق.. قفى على ذلك ببيان أن الذبح وإراقة الدماء على وجه التقرب إليه تعالى، ليس بخاص بهذه الأمة، بل لكل أمة مناسك، وذبائح تذكر باسم الله حين ذبحها، والشكر له على توفيقه لإقامة هذه الشعائر، فالإله واحد، والتكاليف تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والمصالح، وبعدئذٍ أمر رسوله أن يبشر المتواضعين، الخاشعين لله، الذين يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقناهم، بجنات تجري من تحتها الأنهار.

قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما حث على التقرب بالأنعام كلها، وبين أن ذلك من تقوى القلوب.. خص من بينها الإبل؛ لأنها أعظمها خلقاً، وأكثرها نفعاً، وأنفسها قيمة.

---

(١) المراغي.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ...﴾ الآيات، سبب نزول هذه الآيات[١]: ما أخرجه الشيخان وغيرهما، عن أبي ذر قال: نزلت هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ في ستة من قريش، علي، وحمزة، وعبيد بن الحارث وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وكان أبو ذر يقسم أن هذه الآيات نزلت في هؤلاء المتابرزين.

وروى البخاري وغيره عن علي أنه قال: فينا نزلت هذه الآية، وأنا أول من يجثوا في الخصومة على ركبتيه، بين يدي الله يوم القيامة.

وأخرج الحاكم عن علي قال: فينا نزلت هذه الآية، في مبارزتنا يوم بدر ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْحَرِيقِ﴾.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله تعالى منكم، وأقدم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، فقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد ﷺ، وآمنا بنبيكم، وبما أنزل الله تعالى من كتاب، وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسداً، فنزلت الآية: وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة مثله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن الآية نزلت في أبي سفيان بن حرب وأصحابه، حين صدوا رسول الله ﷺ، وأصحابه عام الحديبية، عن المسجد الحرام، وقد كره، عليه الصلاة والسلام، أن يقاتلهم، وكان محرماً بعمرة، ثم صالحوه على أن يعود في العام المقبل.

وأخرج[٢] ابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: بعث النبي ﷺ عبد الله بن أنيس مع رجلين، أحدهما مهاجر، والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب، فغضب عبد الله بن أنيس، فقتل الأنصارى، ثم ارتد عن

---

(١) لباب النقول.

(٢) لباب النقول.

الإسلام، وهرب إلى مكة فنزلت فيه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه ابن جرير عن مجاهد قال: «كانوا لا يركبون فأنزل الله ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ فأمرهم بالزاد، ورخص لهم الركوب والمتجر.

قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية يضمخون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النبي ﷺ: فنحن أحق أن نضمخ فأنزل الله ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا...﴾ الآية.

التفسير وأوجه القراءة

﴿هَٰذَانِ﴾ الجمعان، جمع المؤمنين وجمع الكفرة المنقسمة إلى الفرق الخمس. ﴿خَصْمَانِ﴾؛ أي: فريقان مختصمان. ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ وجادلوا وتنازعوا. ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾؛ أي: شأنه أو في دينه، أو في ذاته وصفاته، أو في شريعته التي شرعها لعباده والكل من شؤونه، فإن اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه، وبطلان ما عليه صاحبه، وبناء أقواله وأفعاله عليه، خصومة للفريق الآخر، وإن لم يجر بينهما التحاور والخصام، وكان مقتضى السياق أن يقول: اختصما، بألف الإثنين، ولكن جمع الضمير نظراً إلى معنى الفريقين. فالمراد بالخصمين فريق المؤمنين وفريق الكافرين، والظاهر[1] أن الاختصام هو في الآخرة، بدليل التقسيم بالفاء، الدالة على التعقيب في قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ولذلك قال علي ـ رضي الله عنه ـ: أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة، بين يدي الله تعالى.

وقيل: المراد بالخصمين[2]: الجنة والنار، قالت الجنة: خلقني لرحمته، وقالت النار: خلقني لعقوبته، وقيل المراد بالخصمين، هم الذين برزوا يوم بدر، فمن المؤمنين، حمزة وعلي وعبيدة، ومن الكافرين، عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة. وقد كان أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ يقسم أن هذه الآية، نزلت في

---

(١) الفتوحات. (٢) الشوكاني.

هؤلاء المتبارزين، كما ثبت عنه في الصحيح. وقال بمثل هذا جماعة من الصحابة، وهم أعرف من غيرهم بأسباب النزول. وقرأ[1] ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعكرمة وابن كثير ﴿هاذان﴾ بتشديد النون. وقرأ ابن أبي عبلة[2]: ﴿اختصما﴾ راعى لفظ التثنية.

ثم فصَّل سبحانه، ما أجمله في قوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بجميع مللهم. ﴿قُطِّعَتْ﴾ وقدرت ﴿لَهُمْ﴾: على مقادير جثتهم. ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾؛ أي: لباس من نيران هائلة، تحيط بهم إحاطة الثياب بلابسها، كما تقطع الثياب الملبوسة. قال الأزهري[3]: أي سوّيت وجعلت لبوساً لهم، شبهت النار بالثياب؛ لأنها مشتملة عليهم كاشتمال الثياب. وعبر بالماضي عن المستقبل، تنبيهاً على تحقق وقوعه. وقيل إن هذه الثياب من نحاس، قد أذيب فصار كالنار، وهي السرابيل المذكورة في آية أخرى. وقيل: المعنى: في الآية أحاطت بهم النار. وقرأ الزعفراني في «اختياره»[4]: ﴿قُطِّعَتْ﴾ بتخفيف الطاء.

ومعنى الآية[5]: أي إن أهل الأديان الستة، التي سبق ذكرها فريقان، فريق المؤمنين، وفريق الكافرين أرباب الديانات الخمس المتقدمة، جادلوا في دين الله، فكل فريق يعتقد أن ما هو عليه هو الحق، وأن ما عليه خصمه هو الباطل، وبنى على ذلك كل أقواله وأفعاله، وهذا كاف في تحقيق الخصومة، وإن لم يحصل بينهما تحاور بالفعل.

ثم ذكر مآل كل فريق، وما يلقاه من الجزاء، بعد أن يفصل الله بينهما، وذكر من جزاء فريق الكافرين أموراً ثلاثة:

١ ـ ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾؛ أي: فالكافرون أعدت لهم نيران تحيط بهم كأنها ثياب قدرت على قدر أجسامهم، ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من التهكم بهم، واحتقار شأنهم، والتعبير بثياب للإشارة إلى تراكم

---

(١) زاد المسير.
(٢) البحر المحيط.
(٣) الشوكاني.
(٤) البحر المحيط.
(٥) المراغي.

طبقات النار المحيطة بهم، وكون بعضها فوق بعض. ونظير هذه الآية قوله ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾.

٢ ـ ﴿يُصَبُّ﴾ ويراق ﴿مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾؛ أي: الماء الحار الذي انتهت حرارته، لو قطرت قطرة منه على جبال الدنيا لأذابتها. ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾؛ أي: يذاب بذلك الحميم من فرط الحرارة. ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ من الأمعاء والأحشاء ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾؛ أي: وتشوى جلودهم فتتساقط فهو معطوف على ﴿ما﴾؛ أي: يصهر به الجلود، وتأخيره عنه لمراعاة الفواصل؛ أي: إذا صب الحميم على رؤوسهم يؤثر، من فرط حرارته في باطنهم، نحو تأثيره في ظاهرهم، فيذاب به أحشاؤم، كما يذاب به جلودهم، ثم يعاد كما كان، فله أثر في الظاهر والباطن وقرأ الحسن وفرقة: ﴿يُصَهَّر﴾ بفتح الصاد وتشديد الهاء، ذكره في «البحر».

٣ ـ ﴿وَلَهُم﴾؛ أي: وللكفرة؛ أي: ولتعذيبهم وجلدهم ﴿مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾؛ أي: سياط من حديد، تضرب بها رؤوسهم ووجوههم. جمع مقمعة، وهي آلة القمع. وفي الحديث «لو وضعت مقمعة منها في الأرض، فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها منها»؛ أي: رفعوها.

أي: يقمعون ويجلدون بها، ويردون إلى النار ردًّا عنيفاً إذا أرادوا الهرب منها، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ﴾ وحاولوا ﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾ وأشرفوا على الخروج ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من النار ودنوا إلى الخروج. وقوله: ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدل اشتمال من ضمير منها، أعيد معه الجار وحذف الرابط لفهم المعنى؛ أي: من غمها؛ أي: من غم شديد من غمومها. ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾؛ أي: في قعرها بأن ردوا من أعلاها إلى أسفلها، من غير أن يخرجوا منها. ﴿وَ﴾ قيل لهم ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾؛ أي: باشروا العذاب المحرق وذوقوا ألمه. والذوق مماسة يحصل معها إدراك الطعم، وهو هنا مجاز عن إدراك الألم. وروي «أنها تضربهم بلهبها فترفعهم، حتى إذا كانوا في أعلاها، ضربوا بالمقامع، فهووا فيها سبعين خريفاً».
وهو من ذكر البعض وإرادة الكل، إذا الخريف آخر الفصول الأربعة.

والمعنى: أي[1] إنهم كلما حاولوا الهرب من جهنم والخروج منها، حين يلحقهم عظيم عذابها، أعيدوا فيها، وضربوا بسياط من حديد، وقيل لهم ذوقوا عذاب هذه النار التي تحرق الأمعاء والأحشاء.

وبعد أن بين الله سبحانه، حال الكافرين.. أردف ذلك ببيان ما يناله المؤمنون، من الكرامة في المسكن والحلية والملبس وحسن القول والعمل. فقال:

١ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله وبرسله وبجميع ما جاؤوا به ﴿وَعَمِلُوا۟﴾ الأعمال ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: اتصفوا بها فعلاً أو تركاً، ﴿جَنَّٰتٍ﴾؛ أي: بساتين وحدائق ﴿تَجْرِي﴾ وتسيل ﴿من تحت﴾ أشجار ﴿ها﴾ وقصورها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الأربعة. الماء واللبن والخمر والعسل، كما بينه في سورة محمد؛ أي: إن الله سبحانه، يدخل من آمن به وبرسله وعمل صالح الأعمال، التي تزكي نفوسهم، وتقربهم إلى ربهم، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الوارفة الظلال، الأنهار الواسعة، يستمتعوا بها كما شاؤوا، ثم بين سبحانه، بعض ما أعد لهم من النعيم، بعد دخولهم الجنة، فقال:

٢ - ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾؛ أي: يلبسون في الجنة في أيديهم ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾؛ أي: بعض أساور، وهي جمع أسورة جمع سوار، وهي ما يلبس في الساعد. ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ بيان للأساور ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ عطف على محل من أساور. وقرىء بالجر، عطفاً على ذهب، على أن الأساور مرصعة بالذهب واللؤلؤ، أو على أنهم يسوَّرون بالجنسين، إما على المعاقبة، وإما على الجمع، كما تجمع نساء الدنيا بين أنواع الحلى، وما أحسن المعصم إذا كان فيه سواران، سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ أبيض. واللؤلؤ ما يستخرج من البحر من جوف الصدف. قال القشيري: والمراد ترصيع السوار باللؤلؤ. ولا يبعد أن يكون في الجنة سوار من لؤلؤ مُصمَّت، كما أن فيها أساور من ذهب؛ أي: تحليهم الملائكة بأمره تعالى

---

(١) المراغي.

وتزينهم بأساور من ذهب وبلؤلؤ؛ أي: يلبسون في أيديهم حلية من ذهب، وفي رؤوسهم تيجاناً من لؤلؤ.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿يُحَلَّون﴾ بضم الياء وفتح الحاء وتشديد اللام؛ أي: يزينون. وقرى بضم الياء والتخفيف، وهو بمعنى المشدد. وقرأ ابن عباس ﴿يَحْلَون﴾ بفتح الياء واللام وسكون الحاء من قولهم حلي الرجل وحلت المرأة، إذا صارت ذات حلي، أي: يلبسون حليهم. وقرأ ابن عباس ﴿مِنْ أَسْوِرِ﴾ بفتح الراء من غير ألف ولا هاء، وكان قياسه أن يصرفه؛ لأنه نقص بناؤه، فصار كجندل لكنه قدر المحذوف موجوداً فمنعه من الصرف. وقرأ عاصم ونافع والحسن والجحدري والأعرج وأبو جعفر وعيسى بن عمر وسلام ويعقوب: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ هنا، وفي فاطر بالنصب، وحمله أبو الفتح، على إضمار فعل، وقدره الزمخشري ويؤتون لؤلؤاً، ومن جعل ﴿مِن﴾ في ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ زائدة جاز أن يعطف ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ على موضع ﴿أَسَاوِرَ﴾. وقيل: يعطف على ﴿من أساور﴾؛ لأنه يقدر ويحلون حلياً من أساور. وقرأ باقي السبعة[2] والحسن أيضاً، وطلحة وابن وثاب والأعمش وأهل مكة ﴿ولؤلؤٍ﴾ بالخفض عطفاً على ﴿أَسَاوِرَ﴾. أو على ﴿ذَهَبٍ﴾. وقرأ الفياض ﴿ولوليا﴾ قلب الهمزتين واواً، صارت الثانية واواً قبلها ضمة، فقلبت الواو ياء والضمة كسرة. وقرأ ابن عباس ﴿ولِيليا﴾ أبدل الهمزتين واوين ثم قلبهما ياءين، أتبع الأولى للثانية. وقرأ طلحة: ﴿ولول﴾ مجروراً عطفاً، على ما عطف عليه المهموز.

٣ - ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا﴾؛ أي: في الجنة ﴿حَرِيرٌ﴾؛ أي: إن الحرير ثيابهم المعتادة في الجنة، فلا يمكن عراؤهم منه؛ أي:[3] ويلبسون الحرير الذي حرم عليهم لبسه في الدنيا، وكان فيها عنوان العزة والكرامة، فأوتوه في الآخرة إجلالاً، وتعظيماً لهم، ففيها ما تشتهيه الأنفس، وكل منهم يعطىٰ ما تشتهيه

---

(١) البحر المحيط.

(٢) البحر المحيط.

(٣) المراغي.

نفسه، وينال ما يريده، وغير الأسلوب، حيث لم يقل ويلبسون فيها حريراً للمحافظة على الفواصل؛ لأنه لو قال ما ذكر لكان في آخر الفاصلة الألف في الكتابة، والوقف بخلاف البقية اهـ. شيخنا.

٤ ـ ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: وأرشدوا إلى القول الطيب، وهو قولهم حين دخول الجنة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ وقيل: هو لا إله إلا الله. وقيل: الحمد لله. وقيل: القرآن. وقيل: هو ما يأتيهم من الله سبحانه، من البشارات، وقد ورد في القرآن، ما يدل على هذا القول. المجمل هنا. وهو قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾.

٥ ـ ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ وهو إما من إضافة الموصوف إلى صفته؛ أي: أرشدوا إلى الصراط المحمود، وهو طريق الجنة، أو إلى موصوف محذوف، بقيت صفته؛ أي: إلى صراط الله الحميد، أي: المحمود ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، وهو دينه القويم، الذي هو الإسلام، والمعنى على الأول وأرشدوا إلى الطريق الحميد، الذي يجعل أقوالهم وأفعالهم مرضية عند ربهم محمودة لدى معاشريهم وإخوانهم، لما فيها مما يجمل في المعاشرة والاجتماع. وأخر[1] بيان الهداية لرعاية الفواصل. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ورسوله ﴿وَيَصُدُّونَ﴾؛ أي: ويمنعون الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عن طاعة الله تعالى، والدخول في دينه عطف[2] المضارع على الماضي؛ لأن المراد بالمضارع ما مضى من الصد، ومثل هذا قوله سبحانه ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. والمراد بالصد هنا، الاستمرار، لا مجرد الاستقبال؛ أي: وصدوا عن سبيل الله، فصح بذلك عطفه على الماضي، ويجوز أن تكون الواو في ﴿ويصدون﴾ واو الحال؛ أي: كفروا والحال أنهم يصدون، وقيل: الواو زائدة والمضارع خبر ﴿أن﴾. والأولى أن يقدر خبر ﴿إن﴾ بعد قوله: ﴿وَٱلْبَادِ﴾. ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عطف على سبيل الله، قيل:

---

(١) روح البيان. (٢) الشوكاني.

المراد[1] به المسجد نفسه، كما هو الظاهر من هذا النظم القرآني، وقيل: الحرم كله؛ لأن المشركين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه، عنه يوم الحديبية، وقيل: المراد به مكة؛ أي: ويمنعون المؤمنين عن دخول المسجد الحرام؛ أي: المحترم من كل وجه، فلا يصاد صيده ولا يقطع شوكه ولا يسفك فيه الدماء.

﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ﴾ صفة للمسجد؛ أي: صيرناه حال كونه معبداً وقبلة ﴿لِلنَّاسِ﴾ كائناً من كان، من غير فرق بين مكي وآفاقي. ﴿سَوَآءً﴾ مفعول ثان لـ ﴿جَعَلْنَا﴾؛ أي: جعلناه مستوياً فيه، ﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ﴾ الملازم له ﴿وَٱلْبَادِ﴾؛ أي: الواصل إليه من البادية. والمراد به الطارىء عليه، من غير فرق بين كونه من أهل البادية، أو من غيرهم. والعاكف مرتفع بسواء؛ لأنه بمعنى مستوٍ، وصف المسجد الحرام بذلك، لزيادة التشنيع والتقريع والتوبيخ للصادين عنه، وهذا على قراءة النصب، وبها قرأ حفص عن عاصم والأعمش. وقرأ الجمهور[2]: برفع ﴿سواء﴾ على أنه مبتدأ وخبر، والجملة في موضع المفعول الثاني، والأحسن أن يكون العاكف والبادي. هو المبتدأ و﴿سواء﴾ الخبر، وقد أجيز العكس. وقرأ فرقة، منهم الأعمش في رواة القطعي ويعقوب بنصب ﴿سواءً﴾، وجر العاكف على أنه صفة للناس؛ أي: جعلناه للناس العاكف والبادي سواء. وأثبت الياء في البادي ابن كثير وصلا ووقفاً، وحذفها أبو عمرو في الوقف، وحذفها نافع في الوصل والوقف.

واختلفوا في معنى الآية[3]، فقيل: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ في تعظيم حرمته وقضاء النسك به، وإليه ذهب مجاهد والحسن، وجماعة قالوا: والمراد منه نفس المسجد الحرام. ومعنى التسوية: هو التسوية في تعظيم الكعبة، وفي فضل الصلاة فيه والطواف به.

وعن جبير بن مطعم، أن النبي ﷺ قال: «يا بني عبد مناف، لا تمنعوا

---

(١) الشوكاني.

(٢) البحر المحيط.

(٣) المراغي.

أحداً طاف بهذا البيت، وصلى أية ساعة، شاء من ليل أو نهار». أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي. وقيل: المراد منه جميع الحرم. ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء، في النزول به، ليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر، غير أنه لا يزعج أحدٌ أحداً، إذا كان قد سبق إلى منزل. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد هما سواء في البيوت والمنازل. قال عبد الرحمن بن سابط: كان الحجاج إذا قدموا مكة، لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم، وكانت دورهم بغير أبواب، حتى كثرت السرقة، فاتخذ رجل باباً، فأنكر عليه عمر، وقال: أتغلق باباً في وجه حاج بيت الله، فقال: إنما أردت حفظ متاعهم من السرقة، فتركه، فاتخذ الناس الأبواب، فعلى هذا القول، لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها، قالوا: إن أرض مكة لا تملك؛ لأنها لو ملكت لم يسو العاكف فيها والبادي، فلما استوى ثبت أن سبيلها سبيل المساجد، وإليه ذهب أبو حنيفة، وبه قال الثوري.

قالوا: والمراد بالمسجد الحرام، جميع الحرم. وعلى القول الأول، الأقرب إلى الصواب، أنه يجوز بيع دور مكة وإجارتها، وهو قول طاوس وعمرو بن دينار وإليه ذهب الشافعي واحتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ أضاف الديار إلى مالكيها، وقال النبي ﷺ، يوم فتح مكة: «من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان، فهو آمن» فنسب الديار إليهم نسبة ملك، واشترى عمر بن الخطاب دار السجن بمكة، بأربعة آلاف درهم، فدلت هذه النصوص على جواز بيعها.

والحاصل: أن الكلام في هذا راجع إلى أصلين:

الأصل الأول: ما في هذه الآية هل المراد بالمسجد الحرام المسجد نفسه، أو جميع الحرم أو مكة على الخصوص، كما ذكرناه مفصلاً.

والأصل الثاني: هل كان فتح مكة صلحاً أو عنوة، وعلى فرض أن فتحها كان عنوة، هل أقرها النبي ﷺ في يد أهلها على الخصوص، أو جعلها لمن نزلها على العموم. وخبر أن محذوف؛ أي: معذبون، كما يدل عليه آخر الآية.

والمعنى: أي[1] إن الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسوله، وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم، ويمنعون الناس أن يدخلوا في دين الله، ويصدون عن الدخول في المسجد الحرام الذي جعله للذين آمنوا به كافة، سواء منهم المقيم فيه والطارىء عليه، النازع إليه من غربته.. نذيقهم عذاباً مؤلماً موجعاً لهم، ويدل على هذا قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ﴾؛ أي: في المسجد الحرام. والباء في قوله: ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ زائدة في المفعول، وفي قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ سببية متعلقة بإلحاد؛ أي: ومن يرد في المسجد الحرام إلحاداً وميلاً عن الحق بسبب ظلم. قال الكازروني[2]: وفائدة قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ بعد قوله: ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ أن الإلحاد قد يكون بحق كونه في مقابلة الظلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، اهـ. شيخنا.

وقيل[3]: المفعول محذوف، والجار والمجرور في الموضعين، حالان من فاعل يرد؛ أي: ومن يرد فيه مراداً ما حال كونه مائلاً عن القصد والعدل ملتبساً بظلم. وقرأت فرقة ﴿ومن يرد﴾ بفتح الياء من الورود، وحكاها الكسائي والفرَّاء، ومعناه: ومن أتى به بإلحاد ظالماً ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جواب ﴿مَن﴾ الشرطية؛ أي: ومن يرد فيه أن يميل إلى الظلم في المسجد الحرام، فيعصي الله ويخالف أوامره.. يذقه يوم القيامة العذاب الموجع له.

وخلاصة ذلك: أن الله سبحانه وتعالى توعد الكفار الذين يصدون عن الدين، ويمنعون الناس عن اعتناقه، ويحولون بين الناس ودخول مكة، بالعذاب المؤلم لهم يوم القيامة، كما توعد بذلك من يرتكب الذنوب والآثام في المسجد الحرام.

وقد اختلف[4] في هذا الظلم ماذا هو؟ فقيل: هو الشرك، وقيل: هو الشرك والقتل، وقيل: صيد حيواناته وقطع أشجاره. وقيل: هو الحلف فيه بالأيمان الفاجرة، وقيل: المراد المعاصي فيه على العموم، وقيل المراد بهذه

---

(١) المراغي.
(٢) الفتوحات.
(٣) روح البيان.
(٤) الشوكاني.

الآية: أنه يعاقب بمجرد الإرادة للمعصية في ذلك المكان. وقد ذهب إلى هذا ابن مسعود وابن عمر والضحاك وابن زيد وغيرهم، حتى قالوا: لو هم الرجل في الحرم بقتل رجل بعدن.. لعذبه الله.

ولما ذكر سبحانه[1] حال الكفار وصدهم عن المسجد الحرام، وتوعد فيه من أراد فيه بإلحاد.. ذكر حال أبيهم إبراهيم، وتوبيخهم على سلوكهم غير طريقه؛ من كفرهم باتخاذ الأصنام، وامتنانه عليهم بإيفاد العالم إليهم، فقال: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾؛ أي: واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يصدون عن سبيل الله وعن دخول المسجد الحرام، إذ بوأنا وبيَّنا لإبراهيم الخليل عليه السلام مكان البيت؛ أي: أذكر لهم الوقت الذي بينا فيه لإبراهيم مكان البيت، وأريناه أصله وأساسه ليبنيه، وكان البيت[2] قد درس بالطوفان، فلما جاءت مدة إبراهيم عليه السلام.. أمره الله ببنائه، فجاء إلى موضعه، وجعل يطلب أثراً، فبعث الله له ريحاً هفافةً، فكشفت عن أساس آدم، فرتب قواعده عليه. وقيل: بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت، فقامت بحيال البيت، وفيها رأس يتكلم: يا إبراهيم! ابن على دوري فبنى عليه. اهـ. «خطيب».

وكانت الأنبياء بعد رفعه يحجون مكانه، ولا يعلمونه حتى بوأه الله وبينه لإبراهيم، فبناه على أساس آدم، وجعل طوله في السماء سبعة أذرع بذراعهم، وذرعه في الأرض ثلاثين ذراعاً بذراعهم، وأدخل الحجر في البيت، ولم يجعل له سقفاً، وجعل له باباً، وحفر له بئراً، يلقى فيها ما يهدى للبيت، وبناه قبله شيث، وقبل شيث آدم، وقبل آدم الملائكة، ثم بعد إبراهيم بنته قريش، وكان بناؤه هذه المرة قبل المبعث بخمس عشرة سنة، ثم بناه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ثم بناه الحجاج، وهو البناء الموجود الآن.

وقال المحدث الكازروني في «مناسكه»: إنَّ هذا[3] البيت خامس خمس

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الفتوحات.
(٣) روح البيان.

عشرة، سبعة منها في السماء إلى العرش، وسبعة منها إلى تخوم الأرض السفلى، لكل بيت منها حرم، كحرم هذا البيت، لو سقط منها بيت. . لسقط بعضها على بعض، إلى تخوم الأرض السابعة، ولكل بيت من أهل السماء والأرض من يعمره، كما يعمر هذا البيت، وأفضل الكل الكعبة المكرمة. اهـ.

والمراد بذكر الوقت[1]: ذكر ما وقع فيه من حوادث جسام؛ ليتذكروا فيقلعوا عن غيهم، ويرعووا إلى رشدهم، ويستبين لهم عظيم ما ارتكبوا من خطأ، وكبير ما اجترحوا من جرم، بصدهم الناس عن بيت بناه أبوهم، وجعله الله قبلةً للناس في الصلاة، ومكاناً للطواف حين أداء شعيرة الحج: و﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ زائدة، والجملة مقول لقول محذوف؛ أي: وقلنا له لا تشرك بي في بناء البيت شيئاً من الأغراض، ولا تجعل لي في العبادة شريكاً من خلقي من الأوثان وغيرها، أو المعنى: واذكر حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مبوأ ومرجعاً للعمَّارة وللعبادة؛ بأن يكون موحداً بقلبه لرب البيت عن الشريك، مشتغلاً بجسده بعمارة البيت وتنظيفه عن الأوثان، وذلك أن جرهماً والعمالقة كانت لهم أصنام في محل البيت.

وقرأ عكرمة وأبو نهيك[2]: ﴿أن لا يشرك﴾ بالياء؛ أي: وأمرناه أن لا يشرك بي شيئاً ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾؛ أي: وقلنا له طهر بيتي من الكفرو الأوثان والدماء وسائر النجاسات؛ أي: نزهه عن أن يعبد فيه صنم، وهذا أمر بإظهار التوحيد. وقرأ نافع وحفص وهشام ﴿بَيْتِيَ﴾ بفتح الياء. ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ حوله ﴿وَالْقَآئِمِينَ﴾؛ أي: وللمصلين إليه، ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جمع راكع وساجد؛ أي: وللمصلين الجامعين بين القيام والركوع والسجود. وصرح بهذه الثلاثة لكونها أعظم أركان الصلاة. والمراد بالقائمين هنا، هم المصلون، وذكر الركع السجود بعده لبيان أركان الصلاة، دلالة على عظم شأن هذه العبادة، وقرن الطواف بالصلاة؛ لأنهما لا يشرعان إلا في البيت، فالطواف عنده والصلاة إليه.

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

وقيل[1]: إن المراد بالقائمين المقيمون بالبيت، فيكون المراد بالطائفين: من يطوف به، وآفاقي غير مقيم هناك. ﴿و﴾ قلنا له ﴿أذن﴾؛ أي: ناد ﴿فِي ٱلنَّاسِ﴾ بدعوة ﴿الحج﴾ والأمر به وقرأ الجمهور ﴿وَأَذِّن﴾ بالتشديد من أذن من باب فعل المضعف؛ أي: ناد. روي أنه صعد أبا قبيس، فقال: يا أيها الناس، حجوا بيت ربكم. وقرأ الحسن وابن محيصن ﴿وَآذِن﴾ بمد الهمزة وتخفيف الذال من آذن، من باب أفعل كأكرم؛ أي: أعلم. وقرأ الجمهور ﴿بِٱلْحَجِّ﴾ بفتح الحاء، وقرأ ابن أبي إسحاق في كل القرآن بكسرها.

قال الواحدي[2]: قال جماعة من المفسرين: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، جاءه جبريل فأمره أن يؤذن في الناس بالحج، فقال: يا رب من يبلغ صوتي؟ فقال الله سبحانه: أذن وعلي البلاغ، فعلا المقام فأشرف به، حتى صار كأعلى الجبال، فأدخل أصبعيه في أذنيه، وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً، وقال: يا أيها الناس، كتب عليكم الحج إلى البيت، فأجيبوا ربكم، فأجابه من كان في أصلاب الرجال، وأرحام النساء.. لبيك اللهم لبيك.

وقال ابن عباس[3]: وأول من أجابه أهل اليمن، فليس حاج يحج من يومئذٍ إلى يوم تقوم الساعة إلا من كان أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذٍ. زاد غيره: فمن لبى مرة.. حج مرة، ومن لبى مرتين.. حج مرتين، ومن أكثر.. حج بقدر تلبيته.

قال في «أسئلة الحكم»: فأجابوه من ظهور الآباء، وبطون الأمهات في عالم الأرواح.

وفي «الخصائص الصغرى»: وافترض على هذه الأمة ما افترض على الأنبياء والرسل، وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد. وما وجب في حق نبي.. وجب في حق أمته، إلا أن يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية.

---

(١) روح البيان. (٢) الشوكاني. (٣) قسطلاني.

﴿يَأْتُوكَ﴾ يا إبراهيم، جواب للأمر، والخطاب لإبراهيم. وقال: ﴿يأتوك﴾ وإن كانوا يأتون البيت؛ لأن من أتى الكعبة حاجًّا.. فكأنه قد أتى إبراهيم؛ لأنه مجيب ندائه، أو الكلام على حذف مضاف؛ أي: يأتوا بيتك، كما في «الكرخي»؛ أي: يأتوا البيت الذي بنيته حالة كونهم. ﴿رِجَالًا﴾؛ أي: مشاة على أرجلهم ـ جمع راجل ـ كقيام جمع قائم ـ وقدم الرجال على الركبان في الذكر؛ لزيادة تعبهم بالمشي. وعبارة «الفتوحات» هنا: وقدم الراجل لفضله، إذ للراكب بكل خطوة سبعون حسنة، وللراجل سبع مئة من حسنات الحرم، كل حسنة مئة ألف حسنة، وإبراهيم وإسماعيل حجا ماشيين، اهـ «كرخي».

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ معطوف على ﴿رِجَالًا﴾؛ أي: يأتونك حالة كونهم مشاة على أرجلهم، وركباناً على كل بعير ضامر؛ أي: مهزول أتعبه بُعدُ السفر. ﴿يَأْتِينَ﴾ تلك الضوامر، صفة لضامر باعتبار المعنى؛ لأن المعنى على ضوامر من جماعة الإبل يأتين. ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾؛ أي: طريق واسع ﴿عَمِيقٍ﴾؛ أي: بعيد.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿رِجَالًا﴾ بكسر الراء مع التخفيف. وقرأ ابن أبي إسحاق ﴿ورجالا﴾ بضم الراء وتخفيف الجيم، وروي كذلك عن عكرمة والحسن وأبي مجلز، وهو اسم جمع كـ: ظُؤار.

وروي عنهم وعن ابن عباس ومجاهد وجعفر بن محمد بضم الراء وتشديد الجيم، ﴿رُجَّالا﴾ وعن عكرمة أيضاً ﴿رَجَالى﴾ على وزن النعامى بألف التأنيث المقصورة. وقرأ مجاهد ﴿رُجالى﴾ على وزن فعالى مثل كُسالى. وقرأ الجمهور: ﴿يأتين﴾ بضمير الإناث اعتباراً بمعنى الضامر. وقرأ عبد الله وأصحابه والضحاك وابن أبي عبلة ﴿يأتون﴾ على أنه صفة لرجالاً. وقر ابن مسعود ﴿معيق﴾ وهو بمعنى[2]: بعيد يقال: بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى.

والمعنى: أي وقلنا له: ناد الناس داعياً لهم إلى الحج، وزيارة هذا البيت،

---

(١) البحر المحيط والشوكاني.
(٢) البيضاوي.

الذي أمرت ببنائه، يأتوك مشاة على أرجلهم، وركباناً على ضوامر من الإبل، من كل طريق بعيد، ثم بين السبب في هذه الزيارة فقال: ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾ متعلق بـ ﴿يَأْتُوكَ﴾، وقيل: بقوله: وأذن الشهود هو الحضور؛ أي: ليحضروا ﴿مَنَٰفِعَ﴾ كائنة ﴿لَهُمْ﴾ من المنافع الدينية والدنيوية، وهي العفو والمغفرة والتجارة في أيام الحج، فتنكيرها؛ لأن المراد بها نوع من المنافع، مخصوص بهذه العبادة، لا يوجد في غيرها من العبادات. وقيل: المراد بها المناسك. وقيل: المغفرة. وقيل: التجارة كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وعن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج، فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص.

﴿وَيَذْكُرُواْ﴾ معطوف على يشهدوا؛ أي: وليذكروا عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها ﴿ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ تعالى، وفي جعله[1] غاية للإتيان، إيذان بأنه الغاية القصوى دون غيره. ﴿فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ هي أيام النحر، يوم العيد وأيام التشريق، كما يفيد ذلك قوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾؛ أي: على ذبح ما رزقهم من بهيمة الأنعام؛ أي: لأجل ما رزقهم وهي الإبل والبقر والغنم، وقيل: عشر ذي الحجة. و﴿بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ هي الأنعام، فالإضافة فيه. كالإضافة في مسجد الجامع. والأنعام جمع نعم، وهو مختص بالإبل، وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة، لكن الأنعام يقال: للإبل والبقر والغنم، ولا يقال لها، أنعام حتى يكون في جملتها الإبل.

والمراد بالذكر[2]: ما وقع عند الذبح، علق الفعل بالمرزوق، وبينه بالبهيمة تحريضاً على التقرب، وتنبيهاً على مقتضى الذكر، والبهيمة اسم لكل ذات أربع في البحر والبر، فبينت بالأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم؛ لأن الهدي والذبيحة لا يكونان من غيرها.

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.

والمعنى: أي[1] يأتونك ليحضروا منافع لهم في الدنيا، من تجارة رائجة وسلع نافقة، ومنافع في الآخرة، بما يعملون من عمل يرضي ربهم، وبما يحمدونه على النعم التي تترى عليهم، وما رزقهم من الهدايا والبدن التي أهدوها أيام النحر الثلاثة، يوم العيد ويومين بعده، والفاء في قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ عاطفة على محذوف، تقديره: فاذكروا اسم الله على ضحاياكم، فكلوا من لحومها إذ كانت مستحبة، والأمر فيه للإباحة، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، ويصح أن تكون الفاء فصيحة.

وفي «الخطيب»: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾؛ أي: من لحومها أمر إباحة، وذلك أن الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً، فأمر الله تعالى بمخالفتهم. واتفق العلماء، على أن الهدى، إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه، وكذلك أضحية التطوع، واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع، مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بإفساد الحج، وفوته وجزاء الصيد، هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئاً؟، قال: الشافعي ـ رحمه الله ـ: لا يأكل منه شيئاً، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر. وقال ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل مما سوى ذلك، وبه قال: أحمد وإسحاق، وقال مالك: يأكل من هدي التمتع، ومن كل هدي وجب عليه، إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر، وعن أصحاب أبي حنيفة، أنه يأكل من دم التمتع والقران، لكونها دم الشكر لا دم الجناية، ولا يأكل من واجب سواهما، اهـ. وكذا لا يأكل أولاده وأهله وعبيده وإماؤه، وكذا الأغنياء إذ الصدقة الواجبة حقٌّ للفقراء.

والأمر في قوله: ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾ للوجوب؛ أي: وأطعموا البائس الذي أصابه بؤس وشدة وزمانة، ﴿الْفَقِيرَ﴾؛ أي: المحتاج، فذكر الفقير بعده لمزيد الإيضاح. فالبائس الشديد الفقر، والفقير المحتاج الذي أضعفه الإعسار ليس له غنى، أو البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه، والفقير الذي لا يكون

(١) المراغي.

كذلك، بأن تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني. وفي «مختصر الكرخي» أوصى بثلث ماله للبائس الفقير والمسكين. قال: فهو يقسم إلى ثلاثة أجزاء، جزءٌ للبائس وهو الذي به الزمانة إذا كان به محتاجاً. والفقير المحتاج الذي لا يعرف بالأبواب، والمسكين الذي يسأل ويطوف، وعن أبي يوسف إلى جزئين، الفقير والمسكين واحد.

قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ عطف على يذكروا؛ أي: ثم بعد خروجهم من الإحرام، ليقطعوا أدرانهم، ويزيلوا أوساخهم، بحلق الرأس وقص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال؛ أي: الخروج من الإحرام. فالتفث الوسخ، يقال للرجل: ما أتفثك، وما أدرنك؛ أي: وما أوسخك، وكل ما يستقذر من الشعث، وطول الظفر ونحوهما تفث.

﴿وَلْيُوفُواْ﴾؛ أي: وليؤدوا ﴿نُذُورَهُمْ﴾؛ أي: ما أوجبوه على أنفسهم من أعمال البر، في أيام الحج مما لا يقتضي الحج وجوبه من الضحايا وغيرها، والنذر أن توجب على نفسك ما ليس بواجب. وقرأ[1] أبو بكر وشعبة عن عاصم ﴿وَلْيُوفُّوا﴾ بفتح الواو وتشديد الفاء وتسكين اللام.

﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ طواف الركن الذي يتم به التحلل، فإنه قرينة قضاء التفث ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾؛ أي: القديم، فإنه أول بيت وضع للناس، أو المعتق من تسلط الجبابرة، فكم من جبار سار إليه ليهدمه فعصمه الله، وأما الحجاج الثقفي، فإنما قصد إخراج ابن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ حين تحصن به، لا التسلط عليه، ولما قصد التسلط عليه أبرهة، فعل به ما فعل.

فصل

واعلم: أن طواف الحجاج ثلاثة:

الأول: **طواف القدوم**: وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً، يرمل

---

(١) المراح والبحر المحيط.

ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه، ويمشي أربعاً وهذا الطواف سنة لا شيء بتركه.

والثاني: طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، ويسمى أيضاً طواف الزيارة، وهو ركن لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به.

والثالث: طواف الوداع، لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً، فمن تركه فعليه دم، إلا المرأة الحائضة، فإنه يجوز لها ترك طواف الوداع، ثم إن الرمل يختص بطواف القدوم، ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع.

والمعنى: أي ثم ليزيلوا ما علق بهم من الأوساخ، فيحلقوا الشعر ويقلموا الأظفار ويأخذوا من الشوارب والعارضين، وليوفوا ما نذروه من أعمال البر، وليطوفوا طواف الإفاضة أو الوداع بالبيت العتيق، إذ هو أقدم بيت للعبادة في حياة البشر. وفي قراءة[1] أبي عمرو تحريك اللامات الثلاثة بالكسر، وفي قراءة ابن ذكوان بكسر اللامين الأخيرين، وفي قراءة الباقين بإسكان الكل.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: أي: الأمر والشأن ذلك الذي ذكر من قوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ إلى قوله: ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ فإن هذه الآية مشتملة على الأحكام المأمور بها، والمنهي عنها، وهذا وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين، أو بين وجهي كلام واحد، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: ذلك الأمر المذكور لازمٌ لكم، أو مفعول لمحذوف، أي: احفظوا ذلك. ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: جميع تكاليف الله تعالى، من مناسك الحج وغيرها بالعمل بموجبه، جمع[2] حرمة، وهي ما لا يحل هتكه، وهو خرق الستر عما وراءه؛ أي: يعظم أحكامه وفرائضه وسننه، وسائر ما لا يحل هتكه، كالكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام، بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه. ﴿فَهُوَ﴾؛ أي: التعظيم المفهوم من يعظم ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ ثواباً ﴿عِندَ

---

(١) المراح. (٢) روح البيان.

رَبِّهِۦ﴾؛ أي: في الآخرة من التهاون بشيء منها؛ أي: قربة وطاعة يثاب عليها عند الله تعالى.

وقيل: إن صيغة التفضيل هنا[١] لا يراد بها معناها الحقيقي، بل المراد أن ذلك التعظيم خير ينتفع به، فهي عدة بخير؛ أي: فالتعظيم خير له عند ربه؛ أي: قربة منه وزيادة في طاعته يثيبه عليها. وفي الآية، إشارة[٢] إلى أن تعظيم حرمات الله، هو نفس تعظيم الله تعالى، في ترك ما حرمه الله عليه، وفعل ما أمره به. يقال: بالطاعة يصل العبد إلى الجنة، وبالحرمة يصل إلى الله، ولهذا قال: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ يعني تعظيم الحرمة، والتكاليف، خير للعبد، في التقرب إلى الله، من تقربه بالطاعة. ويقال: ترك الخدمة يوجب العقوبة. وترك الحرمة يوجب الفرقة. ويقال: كل شيء من المخالفات، فالعفو فيه مساغ وللأمل فيه طريق، وترك الحرمة على خطر أن لا يغفر ذلك، وذلك بأن يؤدي شؤمه لصاحبه إلى أن يختل دينه وتوحيده. والمعنى؛ أي: هذا الذي أمر به من قضاء التفث والوفاء بالنذور، والطواب بالبيت، هو الفرض الواجب عليكم أيها الناس في حجكم، ومن يجتنب ما أمر باجتنابه في حال إحرامه تعظيماً منه لحدود الله، أن يواقعها، وحرمه أن يستحلها فهو خير له عند ربه في الآخرة، بما يناله من رضاه وجزيل ثوابه.

﴿وَأُحِلَّتْ﴾؛ أي: جعلت حلالاً وهو من حل العقدة، ﴿لَكُمُ﴾؛ أي: لمنافعكم ﴿ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ وهي الأزواج الثمانية على الإطلاق، من الضأن اثنين، أي: الذكر والأنثى، ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، فالخيل والبغال والحمير خارجة من الأنعام. ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ﴾ ويقرأ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ في سورة المائدة.

أي: وأحل لكم[٣] أيها الناس، أن تأكلوا الأنعام إذا ذكيتموها، فلم يحرم

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

عليكم بحيرةً ولا سائبةً ولا وصيلةً ولا حامياً، إلا ما يتلى عليكم تحريمه في كتاب الله تعالى، وهو الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على النصب، فإن كل ذلك رجس. أو المعنى: ورخصت لكم حال الإحرام ذبيحة الأنعام، وأكل لحومها، إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه، مما حرم منها لعارضٍ، كالميتة، وما أهل به لغير الله تعالى.

والفاء في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ تفريعية[1] على قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فلما حث على المحافظة على حدود الله، وترك الشرك تفرع عنه هذا، اهـ. «شهاب».

أي: وابتعدوا عن الرجس الذي هو الأوثان واتركوا عبادتها، فإنها سبب الرجس الذي هو العذاب، أو هي الرجس الذي هو النجس؛ لأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات؛ أي: فاجتنبوا عبادة الرجس والنجس الذي هو الأوثان. والرجس الشيء القذر، يقال: رجل رجس ورجال أرجاس والرجس يكون على أربعة أوجه، إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما من جهة الشريعة، وإما من كل ذلك، كالميتة فإنها تعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً. والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر والأوثان، وهي جمع وثن، وهو حجارة كانت تعبد، كما في «المفردات» وقال بعضهم[2]: الفرق بينه وبين الصنم: أن الصنم هو الذي يؤلف من شجر، أو ذهب، أو فضة في صورة الإنسان. والوثن هو الذي ليس كذلك، وأصله من وثن الشيء؛ أي: أقام في مقامه، وسمي الصليب وثناً؛ لأنه ينصب ويركز في مقامه، فلا يبرح عنه.

قال في «الإرشاد»: قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟...﴾ إلخ، مرتب على ما يفيده قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها،

---

(١) شهاب.

(٢) روح البيان.

ولما كان بيان حل الأنعام من دواعي التعاطي، لا من مبادي الاجتناب.. عقبه بما يجب الاجتناب عنه من المحرمات، ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات، كأنه قيل: ومن يعظم حرمات الله، فهو خير له، والأنعام ليست من الحرمات، فإنها محللة لكم، إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه، فإنه مما يجب الاجتناب عنه، فاجتنبوا ما هو معظم الأمور، التي يجب الاجتناب عنها. ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾؛ أي: الكذب والبهتان. وهذا تعميم[1] بعد تخصيص، فإن عبادة الأوثان رأس الزور، والمشرك يزعم أن الوثن يحق له العبادة، كأنه قيل: فاجتنبوا عبادة الأوثان، التي هي رأس الزور، واجتنبوا قول الزور كله، ولا تقربوا شيئاً منه، وكأنه لما حث على تعظيم الحرمات، أتبع ذلك ردًّا لما كانت الكفرة عليه، من تحريم السوائب والبحائر ونحوهما. والافتراء على الله تعالى، بأنه حكم بذلك. وقيل: المراد به شهادة الزور، والأولى أن يحمل على العموم، كما قلنا أولاً. وأعظمه الشرك بالله بأي لفظ كان، وسمي زوراً لأنه مائل عن الحق. ومنه قوله تعالى: ﴿تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾.

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ حال من واو فاجتنبوا؛ أي: حال كونكم مائلين عن كل دين، زائغ إلى الدين الحق مخلصين له ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ شيئاً من الأشياء، كما يفيده الحذف من العموم، فيدخل في ذلك الأوثان دخولاً أولياً، وهو حال أخرى من الواو، لكن الأولى مؤسسة، والثانية مؤكدة، فدل ذلك، على أن المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة، الإخلاص لله بها لا غيره. والمعنى: أي[2]: فابتعدوا عن عبادة الأوثان وطاعة الشيطان، فإن ذلك رجس، واتقوا قول الكذب والفرية على الله، كقولكم في الآلهة ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وقولكم: الملائكة بنات الله، ونحو هذا من القول، فإن ذلك كذب وزور، وشرك بالله، وقوله: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾؛ أي: تمسكوا بهذه الأمور على وجه العبادة لله وحده، دون إشراك أحد سواه معه. ولما أمر باجتناب عبادة الأوثان، وقول الزور.. ضرب مثلاً للمشرك فقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ سبحانه غيره تعالى، قولاً

---

(1) المراغي. (2) المراغي.

أو فعلاً ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ وسقط ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى الأرض ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾؛ أي: تسلبه وتختلسه، وتأخذه الطير بسرعة وتقطع لحمه ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾؛ أي: ترمي به الريح وتسقطه ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾؛ أي: بعيد، غرضه بهذا، ضرب مثل لمن يشرك بالله، اهـ شيخنا.

ومعنى الآية: أن[1] من أشرك مع الله غيره، فقد أهلك نفسه هلاكاً، ليس وراءه هلاك، وكانت حاله أشبه بحال من سقط من السماء، فتخطفه الطير، ففرقت أجزاءه في حواصلها إرباً إرباً، أو عصفت به الريح، فهوت به في المهاوي البعيدة، التي لا رجعة له منها.

وقيل[2]: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء؛ لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة؛ إما باستلاب الطير لحمه، أو بسقوطه في المكان السحيق.

وقرأ نافع[3]: ﴿فتَخَطَّفَه﴾ بفتح الخاء والطاء مشددة. وقرأ الجمهور: ﴿فتَخْطَفُه﴾ بسكون الخاء وتخفيف الطاء. وقرأ الحسن وأبو رجاء والأعمش: بكسر التاء والخاء والطاء مشددة. وعن الحسن كذلك إلا أنه فتح الطاء مشددة. وقرأ الأعمش أيضاً: ﴿تَخْطَفُه﴾ بغير فاءٍ وإسكان الخاء وفتح الطاء مخففة. وقرأ أبو جعفر والحسن وأبو رجاء الرياح بالجمع.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، كما مر نظيره؛ أي: الأمر والشأن ذلك الذي ذكر، من أن تعظيم حرمات الله خير، وأن الاجتناب عن الشرك، وقول الزور أمر لازم، امتثلوا ذلك واحتفظوا عليه ولا تتهاونوا في الحرص عليه، والسير على نهجه.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ ومعالم دينه التي منها الهدايا المشعرة، فإنها من

---

(١) المراغي.
(٢) الخازن.
(٣) البحر المحيط.

معالم الحج وشعائره، كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ وهو الأوفق[1] لما بعده والشعائر جمع شعيرة، وهي العلامة من الإشعار، وهو الإعلام والشعور العلم. وسميت البدنة شعيرة، من حيث إنها تشعر بأن تطعن في سنامها من الجانب الأيمن والأيسر، حتى يسيل الدم فيعلم أنها هدي فلا يتعرض لها، فهي من جملة معالم الحج، بل من أظهرها وأشهرها علامةً، وتعظيمها: اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات، وأن يختارها حساناً سماناً غالية الأثمان. ﴿فَإِنَّهَا﴾؛ أي: فإن تعظيمها ناشىء ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ وتخصيصها بالإضافة لأنها مركز التقوى، التي إذا ثبتت فيها وتمكنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء.

والمعنى: أي[2] ومن يعظم البدن التي يهديها للحرم، بأن يختارها عظيمة الأجسام سمينة غير هزيلة، غالية الثمن، ويترك المكاس حين شرائها.. فقد اتقى الله حقاً، فإن تعظيمها باب من أبواب التقوى، بل هو من أعظم أبوابها. وقرىء ﴿القلوبُ﴾ بالرفع على الفاعلية، بالمصدر الذي هو تقوى. روي أن النبي ﷺ أهدى مئة بدنة، فيها جمل لأبي جهل في أذنه برة (حِلَقٌ) من ذهب. وأنَّ عمر أهدى نجيبة (ناقة) طلبت منه بثلاث مئة دينار وقد سأل رسول الله ﷺ أن يبيعها، ويشتري بثمنها بهماً، فنهاه عن ذلك، وقال: بل أهداها. وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي - ثياب مصرية غالية الثمن - فيتصدق بلحومها وبجلالها.

﴿لَكُمْ﴾ أيها السائقون للهدايا إلى الحرم ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الهدايا المشعرة ليعرف أنها هدى ﴿مَنَٰفِعُ﴾ في درها ونسلها وصوفها وظهرها، فإن للمهدي أن ينتفع بهديه إلى وقت النحر، إذا احتاج إليه. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ووقت معين معلوم هو وقت نحرها والتصدق بلحمها، والأكل منه. ﴿ثُمَّ﴾ بعد تلك المنافع المذكورة ﴿مَحِلُّهَآ﴾؛ أي: مكان حل نحرها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾؛ أي: عند البيت، فإلى بمعنى عند، كما في «الفتوحات»؛ أي: عند الحرم

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

جميعه، إذ الحرم كله في حكم البيت الحرام.

والمعنى[1]: أي لكم في تلك الهدايا منافع، كركوبها حين الحاجة، وشرب ألبانها حين الضرورة إلى أن تنحر، ويؤكل منها، ويتصدق بلحومها، ثم مكان حل نحرها عند البيت العتيق؛ أي: عند الحرم جميعه، إذ الحرم كله في حكم البيت كما مر آنفاً. وقيل: المعنى: ثم بعد انتفاعكم بها محلها؛ أي: حلول تلك الهدايا، ونزولها ونهاية أمرها وحياتها إلى حرم البيت العتيق؛ لأنها تذبح في الحرم. والعتيق[2] المتقدم في الزمان والمكان والرتبة. أخرج البخاري في «تاريخه»، والترمذي، وحسنه، والحاكم وصححه، وابن جرير والطبري وغيرهم عن ابن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سماه الله البيت العتيق؛ لأنه أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار قط» وإلى هذا ذهب قتادة، وقد قصده تبع ليهدمه فأصابه الفالج، فأشير إليه أن يكف عنه، وقيل له: «إن له ربا يمنعه»، فتركه وكساه، وهو أول من كساه. وقصده أبرهة فأصابه ما أصابه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم، لا لبعض منهم دون بعض، فالتقديم للتخصيص. ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾؛ أي: متعبداً وقرباناً يتقربون به إلى الله تعالى، والمراد به إراقة الدماء لوجه الله تعالى. والمعنى: شرعنا لكل أمة مؤمنة أن ينسكوا له تعالى. يقال: نسك ينسك ونسوكاً ومنسكاً بفتح السين إذا ذبح القربان. وقرأ الجمهور[3]: ﴿منسَكا﴾ بفتح السين على القياس مطلقاً؛ لأنه من باب نصر، كما سيأتي في مبحث التصريف، وقرأ بكسرها على الشذوذ الأخوان حمزة والكسائي وابن سعدان وأبو حاتم عن أبي عمرو، ويونس ومحبوب وعبد الوارث إلا القصبي عنه، قال ابن عطية: والكسر في هذا من الشاذ، ولا يسوغ فيه القياس، ويشبه أن يكون الكسائي سمعه من بعض العرب اهـ.

والأمة الجماعة المجتمعة على مذهب واحد. والمعنى: وجعلنا لكل أهل

---

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) البحر المحيط.

دين من الأديان ذبحاً يذبحونه ودما يريقونه، أو متعبداً، أو طاعة، أو عيداً، أو حجاً يحجونه، وليس ذلك خاصاً بقوم دون آخرين.

﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ وحده دون غيره، ويجعلوا نسكهم خالصاً لوجهه الكريم، علَّل[1] الجعل به تنبيهاً على أن المقصود الأصلي من المناسك تذكر المعبود. ﴿عَلَىٰ﴾ ذبح ﴿مَا رَزَقَهُم﴾ وإعطائهم ﴿مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾؛ أي: عند ذبحها. وفي تبيين[2] البهيمة بإضافتها إلى الأنعام، تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام، وأما البهائم التي ليست من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، فلا يجوز ذبحها في القرابين، وإن جاز أكلها، وسماها بهيمة؛ لأنها لا تتكلم. والمعنى؛ أي: وإنما شرعنا لهم ذلك كي يذكروا الله حين ذبحها، ويشكروه على ما أنعم به عليهم، إذ هو المقصود الأعظم.

وفي «الصحيحين»: عن أنس أنه أُتي رسول الله ﷺ بكبشين أملحين فيهما بياض يخالطه سواد أقرنين، فسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما. وروى أحمد عن زيد بن أرقم قال: قلت: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: «سنة أبيكم إبراهيم». قالوا: ما لنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة». قالوا: فالصوف؟ قال: «بكل شعرة من الصوف حسنة».

ثم أخبرهم سبحانه بتفرده بالألوهية، وأنه لا شريك له. فقال: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ والفاء فيه لترتيب ما بعدها، على ما قبلها من الجعل المذكور، وتعليله. والخطاب للكل تغليباً للمخاطبين على غيرهم؛ أي: جعلنا لكل أمة منسكاً، فإن إلهكم إله منفرد يمتنع أن يشاركه شيء في ذاته وصفاته، وإلا لاختل النظام في العالم؛ أي[3]: فإن معبودكم واحد، وإن اختلفت العبادات بحسب الأزمنة والأمكنة، ونسخ بعضها بعضاً، فما المقصد منها جميعاً إلا عبادة الله وحده لا شريك له. كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

ثم أمرهم بالإسلام له والانقياد لطاعته وعبادته فقال: ﴿فَلَهُۥٓ﴾ سبحانه لا لغيره؛ لأن تقديم الجار والمجرور على الفعل للقصر، والفاء فيه للإفصاح؛ أي: فإذا كان إلهكم إلهاً واحداً فله ﴿أَسۡلِمُواْۗ﴾؛ أي: استسلموا لحكمه، وانقادوا له في جميع ما كفلكم به، وأخلصوا له العمل، واجعلوا التقرب أو الذكر خالصاً لوجهه الكريم، ولا تشوبوه بالإشراك. وفي «التأويلات النجمية»: والإسلام يكون بمعنى الإخلاص، والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات. ثم تصفيه الأخلاق من الكدورات، ثم تصفية الأحوال من الإلتفاتات، ثم تصفية الأنفاس من الأغيار انتهى.

ثم أمر رسوله ﷺ أن يبشر المخبتين، فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾؛ أي: وبشر أيها الرسول الكريم، الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة، بما أعد لهم من جزيل ثوابه وجليل عطائه. مأخوذٌ من الخبت، وهو المنخفض من الأرض. وقيل: إن المخبتين هم الذين لا يظلمون غيرهم، وإذا ظلمهم غيرهم لم ينتصروا، ولا يخفى حسن التعبير بالمخبتين هنا، من حيث إن نزول الخبت مناسب للحجاج، لما فيهم من صفات المتواضعين، كالتجرد عن اللباس، وكشف الرأس، والغربة عن الأوطان، ولذا وصفهم بالصبر، وذكر إقامة الصلاة؛ لأن السفر مظنة التقصير فيها. اهـ. «شهاب».

ثم وصف سبحانه هؤلاء المخبتين، وبين علاماتهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: ذكروه أو ذكره غيرهم ﴿وَجِلَتۡ﴾؛ أي: خافت منه تعالى. ﴿قُلُوبُهُمۡ﴾ وحذرت مخالفته لإشراق أشعة جلاله عليها، وطلوع أنوار عظمته لها، وحصول الوجل منهم، عند الذكر له سبحانه، دليل على كمال يقينهم وقوة إيمانهم. ووصفهم أيضاً بالصبر، فقال: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ من المصائب والنوائب، ومن التكاليف والمحن في طاعة الله تعالى.

قال في «بحر العلوم»: الذين صبروا على البلايا والمصائب من مفارقة أوطانهم، وعشائرهم، ومن تجرع الغصص والأحزان، واحتمال المشاق والشدائد

في نصر الله وطاعته، وازدياد الخير، ومعنى الصبر الحبس، يقال: صبرت نفسي على كذا؛ أي: حبستها. ثم وصفهم بإقامة الصلاة؛ أي: بالإتيان بها في أوقتها على وجه الكمال. فقال: ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في أوقاتها. أصله والمقيمين الصلاة، والإضافة فيه لفظية؛ أي: والمؤدين حقه تعالى فيما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة في الأوقات التي حددها. ثم وصفهم بالإنفاق، فقال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في وجوه الخيرات، وقدم[1] المفعول إشعاراً بكونه أهم، كأنه قيل: ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به، والمراد به إما الزكاة المفروضة لاقترانها بالصلاة المفروضة، أو مطلق ما ينفق في سبيل الله، لوروده مطلق اللفظ، من غير قرينة الخصوص.

والمعنى: أي وينفقون بعض ما آتاهم الله، من طيب الرزق في وجوه البر، وعلى أهليهم وأقاربهم، وعلى الخلق كافة، ومن ذلك إهداء الهدايا التي يغالون في أثمانها.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بالخفض على الإضافة، وحذفت النون لأجلها وقرأ ابن أبي إسحاق والحسن وأبو عمرو في رواية ﴿الصلاة﴾ بالنصب على توهم بقاء النون وحذفت النون لأجلها. وقرأ ابن مسعود والأعمش ﴿والمقيمين﴾ بالنون ﴿الصلاة﴾ بالنَّصْب. وقرأ الضحاك ﴿والمقيم الصلاة﴾.

وناسب[3] تبشير من اتصف بالإخبات هنا؛ لأن أفعال الحج من نزع الثياب والتجرد من المخيط وكشف الرأس والتردد في تلك المواضع الغبرة المحجرة، والتلبس بأفعال شاقةٍ، لا يعلم معناها إلا الله تعالى، مؤذن بالاستسلام المحض، والتواضع المفرط حيث يخرج الإنسان عن مألوفه إلى أفعال غريبة، ولذلك وصفهم بالإخبات والوجل إذا ذكر الله تعالى، والصبر على ما أصابهم من المشاق، وإقامة الصلوات في مواضع لا يقيمها إلا المؤمنون المصطفون،

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) البحر المحيط.

والإنفاق مما رزقهم ومنها الهدايا التي يغالون فيها، ذكره أبو حيان في «البحر».

﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾ منصوب بمضمر يفسره ما بعده، كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ﴾؛ أي: وجعلنا البدن ﴿جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي[1]: من أعلام دينه التي شرعها الله لكم، مفعول ثان للجعل، ولكم ظرف لغو متعلق به؛ أي: لأجلكم. والبدن جمع بدنة، وهي الإبل والبقر، مما يجوز في الهدي والأضاحي، سميت بها لعظم بدنها. والبدن هي الشعائر المذكورة في قوله أولاً: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾.

قال في «بحر العلوم»: البدنة في اللغة من الإبل خاصة، وتقع على الذكر والأنثى، وأما في الشريعة فللإبل والبقر، لاشتركهما في البدانة. والبدانة السمن. ولذا ألحق النبي ﷺ البقر بالإبل في الإجزاء عن السبعة، كما رواه أبو داود عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة»، وأضيف الشعائر إلى اسم الله تعظيماً لها، كبيت الله، فإن المضاف إلى العظيم عظيم.

﴿لَكُمۡ فِيهَا﴾؛ أي: في البدن ﴿خَيۡرٞ﴾؛ أي: نفع كثير في الدنيا من درها، ونسلها، وصوفها، وظهرها، وأجر عظيم في العقبى.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾ بإسكان الدال، وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وشيبة وعيسى بضمها، وهي الأصل، ورويت عن أبي جعفر ونافع. وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً بضم الباء والدال وتشديد النون، فاحتمل أن يكون اسماً مفرداً، بني على فعل كعتل، واحتمل أن يكون التشديد من التضعيف الجائز في الوقف، وأجرى الوصل مجرى الوقف. والجمهور على نصب. ﴿والبدن﴾ على الاشتغال؛ أي: وجعلنا البدن كما مر آنفاً، وقرىء بالرفع على الابتداء.

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾؛ أي: على نحرها بأن تقولوا عند ذبحها: الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر، اللهم منك وإليك؛ أي: عطاءٌ منك، ونتقرب بها إليك، حالة كونها ﴿صَوَآفَّ﴾؛ أي: قائمات قد صففن أيديهن اليمنى وأرجلهن،

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

معقولة الأيدي اليسرى؛ لأن قيام الإبل، يستلزم أن تصف أيديها وأرجلها. جمع صافة. والآية دلت على أن الإبل تنحر قائمة معقولة.

وقرأ الجمهور ﴿صواف﴾ بتشديد الفاء ونصبها بلا تنوين، كدواب، جمع صافة، كدابة في دواب. وقرأ الحسن والأعرج ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري وشقيق وسليمان التيمي ﴿صَوافِيَ﴾ كروابي، جمع صافية؛ أي: خوالص لوجه الله تعالى، لا تشركوا بالله أحداً في التسمية على نحوها، وخوالص من العيوب. وقرأ عمرو بن عبيد ﴿صوافيا﴾ بالتنوين عوضاً عن حرف الإطلاق عند الوقف، قاله الزمخشري، والأولى أن يكون على لغة من صرف ما لا ينصرف، ولا سيما الجمع المتناهي. وقرأ الحسن أيضاً ﴿صَوافٍ﴾ مثل عوارٍ، وهو على قول من قال: فكسوت عار لحمه، يريد عارياً، وقولهم أعط القوس باريها. وقرأ عبد الله وابن عمر وابن عباس والباقر وقتادة ومجاهد وعطاء والضحاك والكلبي والأعمش بخلاف عنه ﴿صوافن﴾ بالنون جع صافنة، والصافنة من الإبل هي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل، لئلا تضطرب، ومن الخيل ما اعتمدت على طرف رجل بعد تمكنها بثلاث قوائم، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾ وسقطت ﴿جُنُوبُهَا﴾؛ أي: جنوب البدن على الأرض بعد نحرها، وذلك عند خروج روحها، وهو كناية عن موتها، جمع جنب. ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾؛ أي: من لحومها إن شئتم إذا كانت تطوعاً، بأن لم تكن دم الجناية، والكفارة، والنذر. والأمر فيه للندب، كما ذهب إليه الجمهور. وللوجوب في قوله: ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ﴾؛ أي: الراضي بما عنده، وبما يدفع إليه من غير مسألة. ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾؛ أي: الذي يعتر ويتعرض بالسؤال بالسلام عليك، ولا يسألك بل يرى نفسه للناس كالزائر. وقال مجاهد[1]: القانع الجار وإن كان غنياً، وقال قتادة: القانع من القناعة، والمعتر المتعرض للسؤال. وقيل: المعتر الصديق

---

(١) البحر المحيط.

الزائر. وقرأ أبو رجاء: القنع بغير ألف؛ أي: القانع فحذف الألف كالحذر والحاذر. وقرأ الحسن والمعترى اسم فاعل من اعترى، وهو بمعنى اعتر. وقرأ عمرو وإسماعيل ﴿والمعترِ﴾ بكسر الراء دون ياء، هكذا نقل ابن خالويه.

والمعنى: أي[١] فإذا سقطت وزهقت أرواحها، ولم يبق لها حركة، فكلوا منها، وأطعموا القانع المستغني بما يعطونه، وهو في بيته بلا مسألة. والمعتر الذي يتعرض لكم، ويأتي إليكم لتطعموه من لحمها.

وخلاصة ذلك: كلوا وأطعموا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: تسخيراً مثل ذلك التسخير البديع، المفهوم من قوله: صواف ﴿سَخَّرْنَٰهَا﴾، أي: سخرنا البدن وذللناها ﴿لَكُمْ﴾؛ أي: لمنافعكم مع كمال عظمها، ونهاية قوتها، فلا تستعصي عليكم حتى تأخذوها منقادةً، فصارت منقادة لكم إلى مواضع نحرها، فتعقلونها، وتحبسونها صافة قوائمها، ثم تطعنون في لباتها؛ أي: مناحرها من الصدور، ولولا تسخير الله لم تطق. ولم تكن أعجز من بعض الوحوش، التي هي أصغر منها جرماً وأقل قوة، وتنتفعون بها بعد أن كانت مسخرة للحمل عليها، والركوب على ظهرها، والحلب لها، ونحو ذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لكي تشكروا إنعامنا عليكم، بالتقرب والإخلاص في أعمالكم، ولما كان أهل الجاهلية ينضحون البيت؛ أي: الكعبة بدماء قرابينهم، ويشرحون اللحم ويضعونه حوله، زاعمين أن ذلك قربة، قال: نهياً للمسلمين ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: لن يصعد إليه، ولن يبلغ ويدرك رضاه، ولا يكون مقبولاً عنده ﴿لُحُومُهَا﴾ المأكولة، والمتصدق بها ﴿وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ المراقة بالنحر، من حيث إنها لحوم ودماء ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ﴾ سبحانه ﴿ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ وهو قصد الائتمار، وطلب الرضى، والاحتراز عن الحرام والشبهة. وفيه دليل على أنه لا يفيد العمل بلا نية وإخلاص. والمعنى؛ أي: لن ينال رضا الله اللحوم المتصدق بها، ولا الدماء المراقة بالنحر، ولكن ترفع إليه الأعمال الصالحة،

---

(١) المراغي.

والإخلاص فيها بإرادة وجهه تعالى فحسب.

والخلاصة: لن يرضي اللَّهَ المضحون، والمتقربون إلى ربهم باللحوم والدماء، إلا إذا أحسنوا النية، وأخلصوا له في أعمالهم، فإذا لم يراعوا ذلك، لم تُغْنِ عنهم التضحية، والتقرب بها شيئاً، وإن كثر ذلك. فقد جاء في الصحيح: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

قال الزجاج[١]: أعلم الله أن الذي يصل إليه تقواه وطاعته فيما يأمر به وحقيقة معنى هذا الكلام تعود إلى القبول، وذلك أن ما يقبله الإنسان يقال قد ناله، ووصل إليه، فخاطب الله الخلق كعادتهم في مخاطبتهم.

ثم كرر سبحانه التنبيه على عظم تسخيرها لافتاً أنظارهم إلى ما أوجب عليهم، بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: تسخيراً مثل ذلك التسخير المذكور ﴿سَخَّرَهَا﴾؛ أي: سخر الله سبحانه البدن ﴿لَكُمْ﴾؛ أي: لأجل منافعكم، كرره للتذكير وللتعليل بقوله: ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ سبحانه؛ أي[٢]: لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره، فتوحدوه بالكبرياء ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ ﴿عَلَىٰ﴾ متعلقة بـ ﴿تكبروا﴾ لتضمنه معنى الشكر. و﴿مَا﴾ مصدرية؛ أي: لتشكروه على هدايته إياكم إلى معالم دينه، ومناسك حجه، فتقولوا: الله أكبر على ما هدانا، ولله الحمد على ما أولانا، أو موصولة؛ أي: لتشكروه على ما هداكم إليه، وأرشدكم من معالم دينه وقضاء نسكه، وذبح قرابينه.

والمراد قول الناحر[٣]: الله أكبر عند النحر، فذكر في الآية الأولى الأمر بذكر اسم الله عليها. وذكر هنا: التكبير للدلالة على مشروعية الجمع بين التسمية والتكبير. وقيل: المراد بالتكبير وصفه سبحانه بما يدل على الكبرياء، كما مرت الإشارة إليه آنفاً، ثم وعد من امتثل بقوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي:

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.

المخلصين في كل ما يأتون، وما يذرون في أمور دينهم بالجنة، أو بقبول الطاعات. والمعنى؛ أي: وبشر أيها الرسول الذين أطاعوا الله، فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا، بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

قال ابن الشيخ[١]: هم الذين يعبدون الله، كأنهم يرونه، يبتغون فضله، ورضوانه، لا يحملهم على ما يأتونه، وما يذرونه إلا هذا الابتغاء، وإمارة ذلك، أن لا يستثقل ولا يتبرم بشيء مما فعله، أو تركه، والمقصود منه، الحث والتحريض على استصحاب معنى الإحسان، في جميع أفعال الحج.

وقرأ مالك بن دينار والأعرج ويحيى بن يعمر وعاصم الجحدري وابن أبي عبلة ويقوب والزعفراني[٢]: ﴿لن تنال الله لحومها﴾ بالتاء ﴿ولكن تناله التقوى﴾ بالتاء أيضاً. وقرأ زيد بن علي: ﴿لحومها ولا دماءها﴾ بالنصب ﴿ولكن يناله﴾ بضم الياء، فمن قرأ: ﴿تناله التقوى﴾ بالتاء، فإنه أنث للفظ التقوى، ومن قرأ ﴿يناله﴾ بالياء، فلأن التقوى والتقى واحدٌ. قال المفسرون[٣]: ومعنى الآية، لن ترفع إلى الله لحومها ولا دماؤها، وإنا يرفع إليه التقوى، وهو ما أريد وجهه منكم؛ أي: لا يرفع نفس اللحم والدم، وإنما يرفع العمل الصالح، ومنه التصدق باللحم، فالتصدق من عمل العبد فيرفع إلى الله، وأما نفس اللحم المتصدَّق به فلا يرفع. والمعنى: أنه لا يثيبكم على لحمها، إلا إذا وقع موقعاً من وجوه الخير اهـ. شيخنا.

الإعراب

﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾.

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط وزاد المسير.

(٣) زاد المسير.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة معترضة، أو مستأنفة، مسوقة لسرد قصة المتبارزين يوم بدر، كما سبق. ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ فعل وفاعل. ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾، والجملة الفعلية صفة لـ ﴿خَصْمَانِ﴾، ولك أن تجعل الجملة الفعلية خبراً وخصمان بدلاً من هذان، وإنما قال: ﴿خَصْمَانِ﴾ ثم جمع الفعل؛ لأن الخصم في الأصل مصدر، ولذلك يوحد ويذكر غالباً، ويجوز أن يثنى ويجمع، أو الجمع مراعاة للمعنى، لأن المتخاصمين كانوا فرقاً شتى، وطوائف كثيرة. ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾. الفاء: حرف عطف وتفصيل، ﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿كَفَرُوا۟﴾ فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿قُطِّعَتْ﴾ فعل ماض مغير الصيغة. ﴿لَهُمْ﴾ متعلق به. ﴿ثِيَابٌ﴾ نائب فاعل. ﴿مِّن نَّارٍ﴾: جار ومجرور صفة ﴿ثِيَابٌ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة من المبتدأ والخبر، معطوفة على جملة ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ عطف مفصل على مجمل. ويحتمل أن تكون الفاء: في قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ﴾ فصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت أن الله سبحانه، يفصل بين أولئك الفرق، أعني قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ الخ. وأردت بيان كيفية الفصل بينهم، فأقول، لك: فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من إلخ. والجملة من المبتدأ والخبر على هذا الوجه، مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة معطوفة على جملة ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾، وجملة ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ معترضة، أو مستأنفة، مسوقة لبيان كيفية الفصل. ﴿يُصَبُّ﴾ فعل مضارع مغير الصيغة. ﴿مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿يُصَبُّ﴾. ﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ثان لاسم الموصول، أو حال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾، أو مستأنفة. ﴿يُصْهَرُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿بِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿يُصْهَرُ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل الرفع، نائب فاعل ليصهر. ﴿فِى بُطُونِهِمْ﴾ جار ومجرور صلة الموصول. ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾ معطوف على ﴿مَا﴾ الموصولة، وتأخيره إما لمراعاة الفواصل، أو للإشعار بغاية شدة الحرارة، بإيهام أن تأثيرها في الباطن أقوى من تأثيرها في الظاهر، مع أن ملابستها بالعكس اهـ. كرخي. وجملة ﴿يُصْهَرُ﴾ في محل النصب حال من الحميم. واختار بعضهم أن يكون ﴿الجلود﴾ مرفوعاً بفعل

مقدر؛ أي: وتحرق الجلود. قالوا: لأن الجلود لا تذاب وإنما تنقبض إذا صليت بالنار، فهو من باب علفتها تبناً وماءاً بارداً؛ أي: وسقيتها ماء بارداً؛ لأن الماء لا يكون علفاً. ﴿وَلَهُم﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مَّقَامِعُ﴾ مبتدأ مأخر. ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ صفة لـ ﴿مَّقَامِعُ﴾. والجملة الاسمية في محل النصب، حال من ضمير ﴿بُطُونِهِمْ﴾، هذا إن قلنا: إن الضمير في ﴿لهم﴾: عائد إلى الكفرة، وإن قلنا: إنه عائد على الزبانية، فالجملة مستأنفة، ولم يتقدم لهم ذكر، ولكن سياق الكلام يدل عليه.

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿كُلَّمَآ﴾: اسم شرط غير جازم في محل النصب على الظرفية الزمانية مبني على السكون، والظرف متعلق بالجواب. ﴿أَرَادُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ ﴿كُلَّمَآ﴾، لا محل لها من الإعراب. ﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾ ناصب وفعل وفاعل. ﴿مِنْهَا﴾ متعلق بـ ﴿يَخْرُجُواْ﴾، والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية، في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، تقديره: كلما أرادوا الخروج منها. ﴿مِنْ غَمٍّ﴾: جار ومجرور بدل من الجار والمجرور قبله، بدل اشتمال؛ لأنها تشمل عليه. ويجوز أن تكون من للتعليل، فتتعلق بـ ﴿يَخْرُجُواْ﴾ أيضاً؛ أي: أن يخرجوا من النار، لأجل الغم الذي لحق بهم. ﴿أُعِيدُواْ﴾: فعل ماض ونائب فاعل. ﴿فِيهَا﴾ متعلق به، والجملة الفعلية جواب كلما، لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿كُلَّمَآ﴾ مستأنفة مسوقة لبيان حالهم في النار. ﴿وَذُوقُواْ﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب، مقول لقول محذوف، تقديره: وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق، والقول المحذوف معطوف على ﴿أُعِيدُواْ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب ﴿ٱللَّهَ﴾ اسمها. ﴿يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ﴾ فعل ومفعول

وفاعله ضمير يعود على الله: والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة إن مستأنفة معطوفة في المعنى على جملة قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ﴾: ﴿ءَامَنُواْ﴾ فعل وفاعل صلة الموصول ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فعل وفاعل ومفعول، معطوف على ﴿ءَامَنُواْ﴾. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: مفعول به ليدخل على التوسع. ﴿تَجْرِى﴾ فعل مضارع. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ متعلق بـ ﴿تَجْرِى﴾. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب، صفة لـ ﴿جَنَّٰتٍ﴾، ولكنها سببية. ﴿يُحَلَّوْنَ﴾: فعل ونائب فاعل. والجملة الفعلية في محل النصب حال من ﴿ٱلَّذِينَ﴾. ﴿فِيهَا﴾ متعلق بـ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾. ﴿مِنْ﴾: زائدة ﴿أَسَاوِرَ﴾ مفعول ثان لـ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾، منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالفتحة المجلوبة، النائبة عن الكسرة المجلوبة، لحركة حرف جر زائد؛ لأنه اسم لا ينصرف لصيغة منتهى الجموع. وفي «الفتوحات» قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ في ﴿مِنْ﴾ الأولى ثلاثة أوجه، أحدها: إنها زائدة، كما تقدم، والثاني: إنها للتبعيض؛ أي: بعض أساور، والثالث: إنها لبيان الجنس. و﴿مِن﴾: في ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ لابتداء لغاية نعت ﴿أَسَاوِرَ﴾؛ أي: أساور كائنة من ذهب. والأقرب أن يكون ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ نعتا لمفعول محذوف؛ أي: حلياً ناشئاً من أساور كائنة من ذهب. ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ معطوف على محل من أساور؛ لأن محلها النصب. كذا قال المعربون. وجعله الزمخشري منصوباً بفعل محذوف، تقديره: ويؤتون لؤلؤاً. ﴿وَلِبَاسُهُمْ﴾ مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾ حال من ضمير ﴿لباسهم﴾. ﴿حَرِيرٌ﴾ خبر، والجملة الاسمية في محل النصب. معطوفة على جملة ﴿يُحَلَّوْنَ﴾. وفي هذا العدول عن الفعلية إلى الاسمية، دلالة على الديمومة، حيث لم يقل: ويلبسون حريراً، فقد دل على أن الحرير ثيابهم المعتادة، والدائمة في الجنة، كما أن فيه رعاية للمحافظة على الفواصل؛ لأنه لو قال: ويلبسون حريراً لكان في آخر الفاصلة الألف في الكتابة، والوقف بخلاف البقية.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَهُدُوٓاْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿هدوا﴾. فعل ونائب فاعل، معطوف على

﴿يُحَلَّوْنَ﴾. ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ﴾. متعلق به. ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: حال من الطيب، أو حال من الضمير المستكن فيه. و﴿مِنَ﴾ للتبعيض، أو للبيان اهـ «سمين». ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ فعل ونائب فاعل معطوف على ما قبله. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ متعلق به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب، واسمه ﴿كَفَرُواْ﴾ فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ فعل وفاعل، معطوف على ﴿كَفَرُواْ﴾ على تأويله بالماضي لعطفه على الماضي. ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بـ ﴿وَيَصُدُّونَ﴾. ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: معطوف على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وخبر ﴿إِنَّ﴾ محذوف، تقديره: خسروا، أو هلكوا، وقدره الزمخشري ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة معطوفة في المعنى على جملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول في محل الجر، صفة ثانية لـ ﴿المسجد﴾. ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة صلة الموصول. ﴿لِلنَّاسِ﴾ جار ومجرور حال من الضمير المستكن في ﴿سَوَآءً﴾؛ لأنه كان صفة وتقدم، ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب مفعول ثان لـ ﴿جعلنا﴾، إن جعلناه متعدياً لاثنين، وإن كانت متعدية لواحد، أعربت سواءً حالاً من هاء ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾. ﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ فاعل لـ ﴿سَوَآءً﴾ لأنه مصدر بمعنى مستو. ﴿فِيهِ﴾ متعلق بـ ﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾: أو بـ﴿سَوَآءً﴾. ﴿وَٱلْبَادِۚ﴾: معطوف على ﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾. مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة، تبعاً لرسم المصحف العثماني، منع من ظهورها الثقل؛ لأنه اسم منقوص. وقد انفرد حفص بقراءة النصب في ﴿سَوَآءً﴾. والجمهور على رفعها، على أنه خبر مقدم، و﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ و﴿وَٱلْبَادِۚ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة في محل النصب مفعول ثان لـ ﴿جعلنا﴾، أو حال من هاء ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾. ﴿وَمَن﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية ﴿من﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿يُرِدْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿مَن﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على من. ﴿فِيهِ﴾ متعلق بـ﴿يُرِدْ﴾. ﴿بِإِلْحَادٍۭ﴾. الباء: زائدة ﴿إلحاد﴾ مفعول به. ﴿بِظُلْمٍ﴾ جار ومجرور حال من فاعل ﴿يُرِدْ﴾، أو

متعلق ﴿بِإِلْحَادٍ﴾؛ أي: ومن يرد فيه إلحاداً، حالة كونه ملتبساً بظلم، أو إلحاداً بظلم. ﴿نُّذِقْهُ﴾ فعل ومفعول، مجزوم بـ ﴿مَن﴾ على كونه جواب الشرط، وفاعله ضمير يعود على الله، تقديره نحن. ﴿مِنْ عَذَابٍ﴾: متعلق بـ﴿نُّذِقْهُ﴾. ﴿أَلِيمٍ﴾ صفة لـ ﴿عَذَابٍ﴾. وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية مستأنفة. وقيل: مفعول يرد محذوف، ليتناول كل ما يمكن تناوله. و﴿بِإِلْحَادٍ﴾ حال من فاعل ﴿يُرِدْ﴾. و﴿بِظُلْمٍ﴾ حال أيضاً. فهما حالان مترادفتان؛ كأنه قال: ومن يرد فيه مراداً عادلاً عن القصد ظالماً. وهذا أولى من تقدير زيادة الباء، في إلحاد وجعله هو المفعول.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَإِذْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إذ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف، تقديره: واذكروا إذ بوأنا، الجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿بَوَّأْنَا﴾ فعل وفاعل. ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾: متعلق به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إذ﴾. ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ مفعول ﴿بَوَّأْنَا﴾، واختار أبو البقاء، وغيره، أن تكون اللام: زائدة؛ أي: أنزلناه مكان البيت، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وأما على القول الأول، فيكون معنى ﴿بَوَّأْنَا﴾ هيأنا. ﴿أَن﴾ زائدة. ﴿لَّا﴾: ناهية جازمة ﴿تُشْرِكْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَّا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على ﴿إبراهيم﴾. ﴿بِي﴾ متعلق بـ ﴿تُشْرِكْ﴾ ﴿شَيْئًا﴾ مفعول به لـ ﴿تُشْرِكْ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب، مقول لقول محذوف، تقديره: قائلين له لا تشرك بي شيئاً، ويصح أن تكون ﴿أَن﴾ مفسرة، لوقوعها بعد قول مقدر؛ أي: قائلين أن لا تشرك. ﴿وَطَهِّرْ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿إبراهيم﴾. ﴿بَيْتِيَ﴾ مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَّا تُشْرِكْ﴾. ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ متعلق بـ ﴿طهر﴾. ﴿وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ﴾ معطوفان على ﴿الطائفين﴾. ﴿السُّجُودِ﴾ صفة لـ﴿الركع﴾. والأولى أن تجعل الكلمتان، بمثابة الكلمة الواحدة؛ لأنهما عملان في عمل واحد، وهو الصلاة. ﴿وَأَذِّن﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير

يعود على ﴿إبراهيم﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿طهر﴾. ﴿فِي ٱلنَّاسِ﴾ متعلق بـ ﴿وَأَذِّن﴾. ﴿بِٱلۡحَجِّ﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿وَأَذِّن﴾؛ أي: حالة كونك معلناً بالحج. ﴿يَأۡتُوكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، مجزوم بالطلب السابق، وعلامة جزمه حذف النون. ﴿رِجَالٗا﴾: حال من فاعل ﴿يَأۡتُوكَ﴾؛ أي: مشاة. ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بمحذوف، معطوف على ﴿رِجَالٗا﴾؛ أي: مشاة وركبانا على كل ضامر. ﴿يَأۡتِينَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون، لاتصاله بنون النسوة، ونون الإناث في محل الرفع فاعل، وجملة ﴿يَأۡتِينَ﴾ في محل الجر صفة لـ ﴿كُلِّ ضَامِرٖ﴾؛ لأنه في معنى الجمع؛ أي: على كل ضوامر آتيات. ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿يَأۡتِينَ﴾. ﴿عَمِيقٖ﴾ صفة لـ ﴿فَجٍّ﴾.

﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿لِّيَشۡهَدُواْ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل ﴿يشهدوا﴾. فعل مضارع منصوب بـ ﴿أن﴾ مضمرة بعد (لام كي). و﴿الواو﴾ فاعل. ﴿مَنَٰفِعَ﴾ مفعول به ﴿لَهُمۡ﴾ صفة لـ ﴿مَنَٰفِعَ﴾، والجملة الفعلية مع أن المضمرة، في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لشهودهم منافع لهم، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿يَأۡتُوكَ﴾ ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾ فعل وفاعل ومفعول به. معطوف على ﴿يشهدوا﴾. ﴿فِيٓ أَيَّامٖ﴾: متعلق بـ ﴿يذكروا﴾. ﴿مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ صفة لـ﴿أَيَّامٖ﴾. ﴿رَزَقَهُم﴾ صفة لـ ﴿أَيَّامٖ﴾ ﴿عَلَىٰ مَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يذكروا﴾ أيضاً، وعلى تعليلة هنا. ﴿رَزَقَهُم﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة الموصول من ﴿مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾، متعلق بـ﴿رَزَقَهُم﴾. ﴿فَكُلُواْ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، تقديره: فاذكروا اسم الله على ضحاياكم، عند ذبحها فكلوا منها ﴿كلوا﴾: فعل وفاعل معطوف على تلك الجملة المحذوفة، والجملة المحذوفة مستأنفة، ويصح أن تكون الفاء: للإفصاح؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أنكم تذكرون اسم الله عليها، وعرفتم بيان ما تفعلون بها بعد الذبح.

فأقول لكم كلوا منها إلخ: وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿مِنْهَا﴾: متعلق بـ ﴿كلوا﴾. ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾ فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿كلوا﴾. ﴿الْفَقِيرَ﴾ صفة لـ﴿الْبَائِسَ﴾.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لْيَقْضُوا﴾ اللام، لام الأمر. ﴿يقضوا﴾. فعل وفاعل مجزوم بلام الأمر. ﴿تَفَثَهُمْ﴾ مفعول به. والجملة معطوفة على جملة ﴿يذكروا﴾. ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، مجزوم بلام الأمر، معطوف على ﴿يقضوا﴾. ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ فعل وفاعل مجزوم بلام الأمر، معطوف على ﴿يقضوا﴾ أيضاً ﴿بِالْبَيْتِ﴾: متعلق بـ ﴿يطوفوا﴾. ﴿الْعَتِيقِ﴾ صفة لـ﴿البيت﴾.

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ذَلِكَ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: الأمر والشأن ذلك المذكور، أو مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: ذلك الأمر الذي ذكرته. وقيل: في موضع نصب بمحذوف، تقديره: امتثلوا ذلك. وعلى كل التقادير فالجملة مستأنفة. وهذا مثل فعل من يكتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر، يقول: هذا وقد كان كذا، وفائدة هذا، أنه يذكر للفصل بين كلامين، أو بين وجهي كلام واحد. ﴿وَمَن يُعَظِّمْ﴾ الواو استئنافية: ﴿مَن﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ: والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾: فعل ومفعول وفاعل مستتر، يعود على ﴿مَن﴾ مجزوم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها: ﴿فَهُوَ﴾ الفاء: رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية وجوباً، ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿لَّهُ﴾ متعلق بـ ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿عِندَ رَبِّهِ﴾ ظرف متعلق بمحذوف، حال من الضمير المستكن في خير؛ أي: حال كونه مدخراً له عند

ربه. والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها وجملة من الشرطية مستأنفة. ﴿وَأُحِلَّتْ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة ﴿أحلت﴾ فعل ماض مغير الصيغة. ﴿لَكُمُ﴾ متعلق به. ﴿ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ نائب فاعل، والجملة مستأنفة، أو معطوفة على الجملة التي قبلها ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب على الاستثناء. ﴿يُتْلَىٰ﴾ فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿ما﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿يُتْلَىٰ﴾ والجملة صلة الموصول ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟﴾ الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره إذا عرفتم أن تعظيم حرمات الله خير لمن عظمها، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم؟ فأقول لكم اجتنبوا الرجس. ﴿اجتنبوا الرجس﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ حال من ﴿ٱلرِّجْسَ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب، مقول لجواب إذا المقدرة. وجملة إذا المقدرة مستأنفة، وقيل الفاء تفريع على قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾. ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾: فعل وفاعل ومفعول، ومضاف إليه معطوف على ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

﴿حُنَفَآءَ﴾: حال مؤسسة من ضمير ﴿اجتنبوا﴾. ﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بـ ﴿حُنَفَآءَ﴾ ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ﴾: حال مؤكدة منه. ﴿بِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿مُشْرِكِينَ﴾. ﴿وَمَن يُشْرِكْ﴾ الواو استئنافية. ﴿مَن﴾ اسم شرط جازم، في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿يُشْرِكْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿مَن﴾، على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على من. ﴿بِٱللَّهِ﴾ متعلق بـ ﴿يُشْرِكْ﴾. ﴿فَكَأَنَّمَا﴾ الفاء رابطة الجواب جوازاً. ﴿كأن﴾ حرف نصب وتشبيه، ولكن بطل عملها لدخول ما الكافة عليها. ﴿مَا﴾ كافة لكفها ما قبلها عن العمل فيما بعدها. ﴿خَرَّ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ متعلق بـ﴿خَرَّ﴾، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية مستأنفة مسوقة لضرب المثل لمن يشرك بالله.

﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ الفاء: عاطفة. ﴿تخطفه الطير﴾ فعل ومفعول وفاعل في محل الجزم معطوف على خرَّ: ﴿أَوْ﴾ حرف عطف وتنويع. ﴿تَهْوِى﴾ فعل مضارع معطوف على تخطف. ﴿بِهِ﴾ متعلق بـ ﴿تَهْوِى﴾. ﴿ٱلرِّيحُ﴾: فاعل. ﴿فِى مَكَانٍ﴾ متعلق بـ ﴿تَهْوِى﴾. ﴿سَحِيقٍ﴾ صفة لـ ﴿مَكَانٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: الأمر والشأن، ذلك المذكور السابق، والجملة مستأنفة، وهو نظير ما سبق في أوجه الإعراب السابقة وفي فائدته. ﴿وَمَن يُعَظِّمْ﴾ الواو استئنافية. ﴿مَن﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿يُعَظِّمْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: مفعول به، ومضاف إليه. ﴿فَإِنَّهَا﴾ الفاء رابطة الجواب وجوباً. ﴿إن﴾ حرف نصب، والهاء اسمها ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بمحذوف خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل الجزم بـ ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها. والعائد على ﴿من﴾ محذوف، تقديره منهم أو منه، نظراً للفظ ﴿من﴾، ومن جوز إقامة ألْ مقام الضمير، وهم الكوفيون أجاز ذلك هنا، والتقدير من تقوى قلوبهم، وجملة ﴿من﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿لَكُمْ﴾ خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾ حال من الضمير المستكن في الخبر. ﴿مَنَٰفِعُ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة، أو حال من ضمير فانها. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: جار ومجرور صفة لـ ﴿مَنَٰفِعُ﴾. ﴿مُّسَمًّى﴾ صفة لِـ ﴿أَجَلٍ﴾. ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف وتراخ. ﴿مَحِلُّهَآ﴾ مبتدأ. ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾ خبر. ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾ صفة لـ﴿البيت﴾، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ الواو استئنافية. ﴿لكل أمة﴾: جار ومجرور، ومضاف إليه متعلق بمحذوف مفعول ثان، لـ ﴿جَعَلْنَا﴾ مقدم عليه. ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لتقرير التشريع الخاص بكل أمة، ونوع التعبد الذي يتقربون به إلى الله.

﴿لِيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾.

﴿لِيَذْكُرُواْ﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي. ﴿ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ مفعول به ﴿عَلَىٰ مَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يذكروا﴾. ﴿رَزَقَهُم﴾ فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ متعلق بـ ﴿رَزَقَهُم﴾، وجملة ﴿رَزَقَهُم﴾ صلة لـ ﴿مَا﴾ الموصولة، وجملة ﴿يذكروا﴾ مع أن المضمرة، في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لذكرهم اسم الله. الجار والمجرور متعلق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿فَإِلَٰهُكُمْ﴾ الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أنا جاعلون منسكاً لكل أمة، وأردتم بيان إلهكم، فأقول لكم إلهكم إله واحد. ﴿إلهكم﴾ مبتدأ. ﴿إِلَٰهٌ﴾ خبره. ﴿وَٰحِدٌ﴾ صفة إله، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿فَلَهُۥٓ﴾ الفاء: حرف عطف وتفريع، ويصح كونها فصيحة كما مر في مبحث التفسير. ﴿له﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَسْلِمُواْ﴾. ﴿أَسْلِمُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿إلهكم﴾. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَسْلِمُواْ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب صفة لـ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾، أو بدل منه. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ فعل ونائب فاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة إذا إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فعل وفاعل. والجملة جواب إذا لا محل لها من الإعراب، وجملة إذا صلة الموصول، والعائد ضمير قلوبهم. ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ معطوف على الموصول. ﴿عَلَىٰ مَآ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿الصابرين﴾. ﴿أَصَابَهُمْ﴾. فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَآ﴾، والجملة صلة ﴿مَآ﴾ الموصولة. ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ معطوف على الموصول أيضاً. ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾: مضاف

إليه وحذفت النون فيه للإضافة. ﴿وَمِمَّا﴾. جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنفِقُونَ﴾. ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجملة صلة ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره ومما رزقناهموه. ﴿يُنفِقُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة إذا، على كونها صلة الذين؛ أي: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وينفقون مما رزقناهم.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾.

﴿وَالْبُدْنَ﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿وَالْبُدْنَ﴾ مفعول لفعل محذوف وجوباً. يفسره المذكور بعده، على سبيل الاشتغال، تقديره: وجعلنا البدن جعلنا فعل وفاعل، البدن مفعوله، والجملة مستأنفة. ﴿جَعَلْنَاهَا﴾ فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلْنَاهَا﴾. ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه في محل المفعول الثاني لـ ﴿جَعَلْنَاهَا﴾ التي هي بمعنى التصيير، والجملة الفعلية جملة مفسرة للمحذوف، لا محل لها من الإعراب. ﴿لَكُمْ﴾ خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: حال من الضمير المستكن في الخبر. ﴿خَيْرٌ﴾ مبتدأ مؤخر؛ والجملة في محل النصب حال إما من هاء جعلناها، وإما من شعائر الله. وهذان مبنيان على أن الضمير في فيها، هل هو عائد على البدن، أو على شعائر؟ والأول قول الجمهور. اهـ «سمين».

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿فَاذْكُرُوا﴾: الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أن البدن من شعائر الله، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم: اذكروا اسم الله. ﴿اذكروا اسم الله﴾ فعل وفاعل ومفعول به ومضاف إليه، والجملة في محل النصب، مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلق بـ ﴿اذكروا﴾. ﴿صَوَافَّ﴾ حال من الهاء في عليها، ولم ينون؛ لأنه اسم لا ينصرف؛ لأنه على صيغة منتهى الجموع. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾ الفاء:

فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أنكم تذكرون اسم الله عليها، عند الذبح، وأردتم بيان ما تفعلون بها بعد الذبح، فأقول لكم: ﴿إذا وجبت﴾: ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة إذا إليها، على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿فَكُلُوا﴾ الفاء: رابطة لجواب ﴿إذا﴾. ﴿كلوا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنْهَا﴾: متعلق به، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿كلوا﴾. ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: معطوف على ﴿كلوا﴾. ﴿كَذَلِكَ﴾ جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿سَخَّرْنَاهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿لَكُمْ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية مستأنفة، والتقدير: سخرناها لكم تسخيراً، مثل ذلك التسخير البديع، المفهوم من قوله: ﴿صَوَافَّ﴾ كما يفهم من «أبي السعود». ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ ناصب واسمه. وجملة ﴿تَشْكُرُونَ﴾ خبره، والجملة في محل الجر بلام التعليل المقدرة؛ أي: وسخرناها لكم لكي تشكرونا على ذلك التسخير البديع.

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا﴾: ناصب وفعل ومفعول وفاعل. والجملة مستأنفة. ﴿وَلَا دِمَاؤُهَا﴾: معطوف على لحومها. ﴿وَلَكِن﴾ الواو عاطفة. ﴿لكن﴾ حرف استدراك. ﴿يَنَالُهُ التَّقْوَى﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة الاستدراكية معطوفة على جملة ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ﴾. ﴿مِنكُمْ﴾: حال من ﴿التَّقْوَى﴾. ﴿كَذَلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف. ﴿سَخَّرَهَا﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿لَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿سَخَّرَهَا﴾، والجملة مستأنفة، والتقدير: سخرها الله سبحانه لكم، تسخيراً، مثل ذلك التسخير المذكور. ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ اللام: حرف جر وتعليل ﴿تكبروا الله﴾ فعل وفاعل ومفعول به، منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره لتكبيركم إياه، الجار والمجرور متعلق بسخرها. ﴿عَلَى﴾ حرف جر. ﴿مَا﴾ مصدرية، أو

موصولة ﴿هَدَىٰكُمْ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله: والجملة صلة ﴿مَا﴾ المصدرية، تقديره: على الذي هداكم إليه، والجار والمجرور متعلق بـ ﴿تكبروا﴾. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فعل وفاعل مستتر يعود على محمد، ومفعول به، والجملة مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ واحده خصم، وهو من له رأي غير رأيك في موضوع ما، وكل منهما يحاج صاحبه فيه. وفي «السمين» الخصم في الأصل مصدر ولذلك يوحد ويذكر غالباً، وعليه قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ ويجوز أن يثنى ويؤنث، وعليه هذه الآية. ولما كان كل خصم فريقاً يجمع طوائف، قال: اختصموا بصيغة الجمع، كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ فالجمع مراعاة للمعنى.

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ﴾؛ أي: قدرت لهم على قدر جثثهم؛ لأن الثياب الجدد تقطع وتفصل على مقدار بدن من يلبسها، فالتقطيع مجاز عن التقدير بذكر المسبب، وهو التقطيع. وإرادة السبب وهو التقدير والتخمين، كما سيأتي في مبحث البلاغة. ﴿ٱلْحَمِيمُ﴾: قال الراغب: الحميم، الشديد الحرارة، وسمي العرق حميماً على التشبيه، واستحم الفرس إذا عرق، وسمي الحمام حماماً، إما لأنه يعرق، وإما لما في من الماء الحار، وسميت الحمى بذلك، إما لما فيها من الحرارة المفرطة، وإما لما يعرض فيها من الحميم؛ أي: العرق، وإما لكونها من إمارات الحمام؛ أي: الموت.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾؛ أي: بذلك الحميم من فرط الحرارة، يقال: صهرت الشيء فانصهر؛ أي: أذبته فذاب فهو صهير. والصهر إذابة الشيء، والصهارة ما ذاب منه، يقال: صهرت الشحم من باب قطع إذا أذبته، والصهارة الألية المذابة، وصهرته الشمس أذابته. ﴿مَّقَٰمِعُ﴾ جمع مقمعة بكسر الميم، وهي آلة القمع، يقال: قمعه يقمعه من باب قطع إذا ضربه بشيء يزجره ويذله. والمقمعة المطرقة،

وقيل: السوط اهـ. «سمين». ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ والغم الحزن الشديد. ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته،؛ أي: العذاب المحرق؛ أي: البالغ نهاية الإحراق؛ لأن فعيلا بمعنى مُفْعِل من صيغ المبالغة اهـ. شيخنا. ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ جمع نهر بفتحتين، وأما نهر بسكون ثانيه، فجمعه أنهر بوزن أفعل كأفلس. ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ الجمهور على ضم الياء وفتح اللام، مشددة من حلاه تحلية إذا ألبسه الحلي. ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة جمع سوار، اهـ. «بيضاوي».

﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ والمراد به مكة، وعبر به عنها، لأنه المقصود المهم منها ﴿بِإِلۡحَادِۭ﴾ وفي «المختار» ألحد في دين الله؛ أي: حاد عنه وعدل، ولحد من باب قطع لغة فيه، وألحد الرجل ظلم في الحرم.

﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ يقال: بوأه منزلا: أي: أنزله فيه. ﴿مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ وأصل البيت مأوى الإنسان بالليل، ثم أطلق على كل مأوى متخذ من حجر، أو مدر، أو صوف، أو وبر، والمراد به هنا الكعبة، وقد بنيت عدة مرات في أوقات مختلفة.

﴿رِجَالٗا﴾؛ أي: مشاة على أرجلهم، جمع راجل، كقيام جمع قائم، قال الراغب: اشتق من الرجل رجل وراجل للماشي، يقال رجل يرجل بفتح الجيم رجلاً بفتحتين سار على رجليه لا راكباً، ويقال هذا رجل؛ أي: كامل في الرجال بين الرجولية والرجولية. ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾؛ أي: وركباناً على كل بعير ضامر؛ أي: مهزول، يقال ضمر الفرس والبعير من باب دخل إذا أتعبه بعد السفر فهزل، قال الراغب: الضامر من الفرس: الخفيف اللحم من الأصل لا من الهزال، وتضمير الفرس أيضاً، أن تعلفه حتى يسمن، ثم ترده إلى القوت، وذلك في أربعين يوماً. ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾ والفج بفتح الفاء: الطريق الواسع، قال الراغب: الفج طريق يكتنفها جبلان، ويجمع على فجاج بكسر الفاء، والفجاج بضم الفاء: الطريق الواسع الواضح بين الجبلين. ﴿عَمِيقٖ﴾ بعيد، وأصل العمق البعد سفلاً، يقال بئر عميق إذا كانت بعيدة القعر. ﴿لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾؛ أي: أوساخهم، وقضاء التفث، المراد به قص الأظافر، ونتف الإبط قال الراغب: أصل التفث،

وسخ الظفر وغيره، مما شأنه أن يزال عن البدن، كطول الظفر وفي المصباح تفث تفثاً فهو تفث، مثل تعب تعباً. فهو تعب إذا ترك الادهان والاستحداد فعلاه الوسخ وحكى قطرب: تفث الرجل إذا كثر وسخه في سفره، ومعنى ليقضوا ليصنعوا ما يصنعه المحرم من إزالة شعر وشعث ونحوهما عند حله.

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ يقال وفى بعهده، وأوفى إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه، كما دل عليه الغدر، وهو الترك. ﴿والنذور﴾ أن توجب على نفسك ما ليس بواجب، والمراد بالنذور ما نذروه من أعمال البر في أيام الحج، فإن الرجل إذا حج واعتمر، فقد يوجب على نفسه من الهدى وغيره. ما لولا إيجابه لم يكن الحج تقتضيه، وإن كان على الرجل نذور مطلقة، فالأفضل أن يتصدق بها على أهل مكة.

﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الحرمات بضمتين، ويقال في الجمع أيضاً حرمات بضم ففتح، وحرم بضم ففتح، جمع حرمة بضم فسكون، وحرمة بضمتين وحرمة بضم ففتح، وهي الذمة والمهابة، وما وجب القيام به من حقوق الله، والتكاليف الدينية من مناسك الحج وغيرها. وتعظيمها العلم بوجوبها، والعمل على موجب ذلك. ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ بتشديد الراء المكسورة وسكون الجيم، والرجس بتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم، والرجس بتشديد الراء المفتوحة وكسر الجيم القذر والأوساخ، وسمى الأوثان رجساً على طريق التشبيه؛ لأنها قذر معنوي. ﴿ٱلزُّورِ﴾ الشرك بالله والباطل والكذب، ومن معانيه العقل والقوة، يقال ماله زور ولا صيور؛ أي: لا قوة له ولا مرجع إليه، وهو من الزور، أو الإزورار وهو الانحراف. ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ في «القاموس» خطف يخطف من باب تعب، خطفاً خطف الشيء إذا استلبه بسرعة، وخطف البرق البصر ذهب به بسرعة.

﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ جمع شعيرة، أو شعارة بالكسر بوزن قلادة، وفي «المصباح» والشعائر أعلام الحج وأفعاله، الواحدة شعيرة أو شعارة بالكسر، والمشاعر مواضع المناسك، والمراد بها الهدايا من الإبل وغيرها، وتعظيمها أن تختار حساناً سماناً غالية الأثمان. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أن تنحر وتذبح. و﴿مَحِلُّهَآ﴾ مكان نحرها.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها، فالفتح على أنها مصدر ميمي، والكسر على أنها اسم مكان، وفي «المصباح» نسك الله، ينسك، من باب قتل تطوع بقربة، والنسك بضمتين اسم منه وفي التنزيل ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ والمَنْسك بفتح السين وكسرها يكون زماناً ومصدراً ويكون اسم المكان الذي تذبح فيه النسيكة، وهي الذبيحة وزنا، ومعنى، ومناسك الحج عباداته، وقيل مواضع العبادات، وفي «القاموس» المنسك بفتح السين المكان المألوف، والمنسك بالفتح أيضاً مصدر نسك، والمنسك بالكسر شرعة النسك وموضع تذبح فيه النسيكة اهـ.

﴿بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ سمَّاها بهيمة؛ لأنها لا تتكلم، وقيد بالأنعام لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين، وإن جاز أكله اهـ «خازن». وفي «القاموس» البهيمة كل ذات أربع قوائم ولو في الماء، أو كل حي لا يميز، والجمع بهائم. والأبهم الأعجم، واستبهم استعجم فلم يقدر على الكلام اهـ.

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾؛ أي: المطيعين المتواضعين، وهذا أصل معناه، لأن الإخبات نزول الخبت، وهو المكان المنخفض، وهو من أخبت الرجل إذا سار في الخبت، وهو المطمئن من الأرض. وفي «القاموس» الخبت المتسع من بطون الأرض، والجمع أخبات وخبوت اهـ.

﴿وَالْبُدْنَ﴾ بضم الباء جمع بدنة، سميت بذلك لعظم بدنها، وهي خاصة بالإبل، كما قال الأزهري، أو هي تشمل الإبل والبقر، كما قال صاحب «الصحاح» قال القسطلاني: البدن عند الشافعي خاصة بالإبل، وعند أبي حنيفة من الإبل والبقر، فكلام الشافعية موافق لكلام الأزهري، وكلام الحنفية موافق لكلام «الصحاح». وأما الهدي فيشمل الإبل والبقر والغنم.

﴿صَوَافَّ﴾؛ أي: قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، جمع صافةٍ، وقرىء ﴿صوافن﴾ من صفن الفرس. إذا قام على ثلاث، وينصب الرابعة على طرف سنبكه؛ لأن البدنة تعقل إحدى يديها.

﴿وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ وجوب الجنوب وقوعها على الأرض. من وجب الحائط وجبة إذا سقط، ووجبت الشمس وجبة إذا غربت. قال أبو تمام:

فَٱلشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ غَرَبَتْ وَٱلشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ

ومنه الواجب الشرعي، كأنه سقط علينا ولزمنا اهـ «سمين». وهذا كناية عن الموت وزهوق الروح وفقدان الحركة. وجمع الجنوب مع أن البعير إذا خر، يسقط على أحد جنبيه، لأن ذلك الجمع في مقابلة جمع البدن اهـ. شيخنا.

﴿ٱلْقَانِعَ﴾؛ أي: الراضي بما عنده وبما يعطي من غير مسألة قال لبيد:

فَمِنْهُمْ سَعِيْدٌ آخِذٌ بِنَصِيْبِهِ وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ بِٱلْمَعِيْشَةِ قَانِعُ

وقيل: القانع السائل المتذلل، والخارج من مكان إلى مكان، وخادم القوم، وأجيرهم والجمع قانعون وقنعٌ، يقال قنع يقنع من باب تعب تعباً قنعاً وقناعة وقنعانا إذا رضى بما قسم له، وقنع يقنع نم باب فتح قنوعاً سأل وتذلل. وفي «الأساس» و«اللسان» العز في القناعة والذل في القنوع، وهو السؤال.

﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: المعترض بسؤال، وعره وعراه بمعنى واحد، وقيل: القانع: السائل، والمعتر: المتعرض للسؤال من غير طلب، يقال: عره واعتره وعراه واعتراه، إذا تعرض للمعروف من غير مسألة.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ بذكر المسبب، وهو التقطيع وإرادة السبب وهو التقدير والتخمين. وفيه أيضاً استعارة تمثيلية تهكمية، حيث شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتفصيل الثياب، وتقطيعها على قددهم، مع التهكم الذي ينطوي عليه. وجمع الثياب؛ لأن النار لتراكمها عليهم، كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض، وهذا أبلغ من جعلها من مقابلة الجمع

بالجمع. وفيه أيضاً التعبير بالماضي عن المستقبل، حيث قال: قطعت، لأنه بمعنى إعدادها لهم، كما في «الشهاب»، أو إشارةً إلى تحقق الوقوع.

ومنها: الإرداف في قوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾؛ لأنه لمّا كانت الثياب تشمل جميع الجسد غير الرأس، أفرد الرؤوس بالذكر بقوله: يصب الخ.

ومنها: الإيجاز في قوله: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾؛ أي: في دين ربهم، فهو على حذف مضاف.

ومنها: رعاية الفواصل في قوله: ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾ حيث أخّره عن قوله: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ مع أن ملابستها بالجلود أسبق من ملابستها بالباطن، إشعاراً بغاية شدة الحرارة، بإيهام أن تأثيرها في الباطن أقوى من تأثيرها في الظاهر، مع أن ملابستها بالعكس.

ومنها: المجاز في قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾؛ لأن لإرادة هنا مجاز عن القرب، والمراد: أنها ترفعهم وترميهم إلى أعلاها فلا خروج لهم. لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ ولهذا قال: ﴿أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ دون إليها. وبعضهم أبقى الإرادة على حقيقتها، وأجاب عن قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ بأنهم لا يستمرون على الخروج، وبأن العود قد يتعدى بفي، للدلالة على التمكن والاستمرار، وذكر الإرادة للدلالة على رغبتهم في الخروج، اهـ. من «الشهاب».

ومنها: تغيير الأسلوب في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الخ. حيث لم يقل والذين آمنوا إلخ عطفاً على الذين كفروا تعظيماً لشأن المؤمنين، اهـ. شيخنا. وفي قوله: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ غير الأسلوب حيث لم يقل: ويلبسون فيها حريراً، للمحافظة على الفواصل؛ لأنه لو قال، من ذكر، لكان في آخر الفاصلة الألف في الكتابة والوقف، بخلاف البقية، كما مر في مبحث التفسير. وفي «الكرخي» غير أسلوب الكلام فيه، حيث لم يقل ويلبسون حريراً للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة في الجنة، فإن العدول إلى

الجملة الاسمية يدل على الدوام. والمعنى: أنه تعالى يوصلهم في الآخرة إلى ما حرمه عليهم في الدنيا. قال ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة، فإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة، ولم يلبسه»، ومحله فيمن مات مصرًّا على ذلك اهـ.

ومنها: الطباق بين ﴿ٱلْعَٰكِفُ، وَٱلْبَادِۚ﴾ لأن العاكف المقيم في المدينة، والبادي القادم من البادية.

ومنها: الإضافة للتشريف في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ كقوله: ﴿ناقة الله وروح الله﴾.

ومنها: المجاز في قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ لأن القضاء في الأصل القطع والفصل، فأريد به هنا الإزالة مجازاً.

ومنها: التعميم بعد التخصيص في قوله: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ فإن عبادة الأوثان رأس الزور.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ فإنه تأكيد لقوله: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾.

ومنها: التشبيه المركب والتمثيلي، في قوله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾. وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وبيان ذلك، أنه انقسمت فيه حال الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما:

الأول: منهما المتذبذب الشاك المتمادي على الشك، وعدم التصميم على ضلالة واحدة، فهذا القسم من المشركين شبه بمن اختطفه الطير، وتوزعته، فلا يستولي طائر على مزعة منه، إلا انتهبها منه آخر، وذلك حال المذبذب، لا يلوح له خيال إلا أتبعه، ونزل عما كان عليه.

والثاني: مشرك مصمم على معتقد باطل، لو نشر بالمناشير لم يتراجع عن تصميمه، لا سبيل إلى تشكيكه، ولا مطمع في نقله عما هو عليه، فهو فرح مبتهج

لضلالته، فهذا مشبه في إقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح إلى وادٍ سحيق سافل فاستقر فيه، ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق، الذي هو أبعد ما يكون من السماء.

وأجاز الزمخشري أن كون هذا التشبيه من المركب والمفرق، فقال: إن كان تشبيهاً مركباً، فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده هلاك، بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء، فاختطفته الطير متفرقاً موزعاً في حواصلها، وعصفت به الريح، حتى هوت به في بعض الأماكن البعيدة، وإن كان مفرقاً، فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح ويذهب به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي عصفت به، في بعض المهاوي المتلفة.

ومنها: الطباق بين ﴿ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾؛ لأن القانع المتعفف، والمعتر السائل.

ومنها: العدول إلى صيغة المضارع في قوله: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ مع عطفه على الماضي وهو ﴿خَرَّ﴾ لتصوير هذه الحالة الهائلة، التي اجترأ عليها المشرك للسامعين، التي هي كونه موزعاً في حواصل الطير.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا :

﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ
يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ
إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ
وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)
الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢)
وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ
(٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا
مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ (٥٢) لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ
الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ
لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥٧) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ
قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم
مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ﴾ .

المناسبة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر[١] صد المشركين عن دين الله وعن المسجد الحرام، ثم أردفه بذكر مناسك الحج، وبين ما فيها من منافع في الدين والدنيا.. قفى على ذلك، ببيان ما يزيل الصد عنه، ويؤمن معه من التمكن من أداء تلك الفريضة على أتم الوجوه.

وعبارة أبي حيان هنا: ومناسبة هذه الآية لما قبلها[٢]: أنه تعالى لما ذكر جملة مما يفعل في الحج، وكان المشركون قد صدوا رسول الله ﷺ، عام الحديبية، وآذوا من كان بمكة من المؤمنين.. أنزل الله تعالى هذه الآيات، مبشرة المؤمنين بدفعه تعالى عنهم، ومشيرة إلى نصرهم، وإذنه لهم في القتال، وتمكينهم في الأرض بردهم إلى ديارهم، وفتح مكة، وأن عاقبة الأمور راجعة إلى الله تعالى. وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

قوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما بيَّن[٣] فيما سلف أن المشركين أخرجوا المؤمنين من ديارهم بغير حق، وأنه أذن لهم في مقاتلتهم، وضمن لهم النصرة عليهم.. أردف هذا تسلية لرسوله ﷺ، على ما يرى من قومه، وتصبيره على أذاهم وتكذيبهم إياه، فأبان له أن هذا التكذيب ليس بدعاً في الأمم، فكثير منها قد كذبت رسلها، فحل بها من البوار ما فيه عبرة لمن اعتبر، وتذكر مما يشاهدونه رأي العين في حلهم وترحالهم، وفي غدوهم، ورواحهم، فلا تحزن على ما ترى، واصبر فإن العاقبة للمتقين.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

(٣) المراغي.

ذكر أن المشركين كذبوا رسوله، وبالغوا في تكذيبه، وسلاّه على ذلك، بأنك لست ببدع في الرسل، فكثير ممن قبلك منهم قد كذبوا، وأوذوا، فلا تبتئس بما يفعلون، واصبر على ما تدعو إليه ولا يضيرنك ما يأتون وما يذرون.. ققفى على ذلك ببيان أنهم لاستهزائهم به، وشديد تكذيبهم، كانوا يستعجلونه العذاب. كما قال تعالى، حكاية عنهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ثم أنبهم على إنكار ذلك العذاب، وقد سبق وعد الله به، فكان لزاماً عليهم أن لا يستعجلوه، فإنهم لو عرفوا ما ينالهم من آلامه وشدائده، ما طلبوا استعجاله، فيوم عند ربك تصيبهم فيه المحن والشدائد كألف سنة، لو بقوا وعذبوا في الدنيا، ثم ذكرهم بأن كثيراً من القرى الظالمة أمهلت، ولم تعذب لعلها ترعوي عن غيها، ثم أخذت أخذ عزيز مقتدر، وحسابها مدخر ليوم تشخص فيه الأبصار، ثم أبان أن وظيفة الرسول إنما هي الإنذار والتحذير، وليس عليهم من حسابهم من شيء، فإن شاء الله عجل لهم العذاب، وإن شاء أخره عنهم. وقد وعد المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالمغفرة من الذنوب، ودخول دار النعيم، وأوعد الذين يثبّطون العزائم عن قبول دعوة الإسلام، بدوام العذاب في نار الجحيم.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر في الآيات السالفة، أن قومه قد كذَّبوه بوسائل شتى من التكذيب، فقالوا تارة: إنه ساحر، وأخرى: إنه شاعر، وثالثة: إن القرآن أساطير الأولين، ثم سلاه على هذا، بأنه ليس بدعاً من الرسل، فكثير قبله قد كذبوا، ثم ذكر أنهم لعظيم استهزائهم به وتهكمهم بما يبلغهم عن ربه، طلبوا منه استعجال العذاب الذي يعدهم به.. أردف ذلك بذكر نوع آخر من التكذيب، وهو إلقاؤهم الشبه والأوهام فيما يقرؤه على أوليائه من القرآن، ليجادلوه بالباطل، ويردوا ما جاء به من الحق، ويكون في ذلك فتنة لضعاف الإيمان، وللكافرين، وليزداد المؤمنون إيماناً ويقيناً بأنه الحق من ربهم، فتخبت له قلوبهم، وأن هذه حالهم حتى يموتوا، أو يأتيهم عذاب لا يبلغ الوصف كنه حقيقته، وعندئذٍ يحكم الله بين عباده، فيدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات

جنات النعيم، ويجازي الذين كذبوا بآياته، وكانوا في مرية من رسالة رسوله بالعذاب المهين، جزاء وفاقاً على تدسية أنفسهم وتدنيسها بزائغ العقائد، وسيء الأعمال، وباطلها.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ. . .﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر أن الملك له يوم القيامة، وأنه يحكم بين عباده المؤمنين والكافرين، وأنه يدخل المؤمنين جنات النعيم. . أردف ذلك ذكر وعده الكريم للمهاجرين في سبيله، بأنه يرزقهم الرزق الحسن ويدخلهم مدخلاً يرضونه، ثم ذكر وعده لمن قاتل مبغياً عليه بأن اضطر إلى الهجرة، ومفارقة الوطن، بأنه ينصره وهو قدير على ذلك.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟. . .﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية[١]: ما أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس، أنه قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن القوم فأنزل الله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ قال أبو بكر: فعرفت أنه سيكون قتال. وقيل[٢]: نزلت هذه الآية في قوم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، فاعترضهم مشركو مكة، فأذن الله لهم في قتال الكفار، الذين يمنعونهم من الهجرة، بسبب أنهم مظلومون بالإيذاء. وقيل: كان مشركو مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ أذى شديداً، وكانوا يأتونه ﷺ، من بين مضروب ومشجوج يشكون إليه فيقول لهم اصبروا، فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم . . .﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان ـ رضي

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

الله عنه ـ قال: فينا نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ . . .﴾ والآية التي بعدها. أخرجنا من ديارنا بغير حق، ثم مكننا في الأرض، وأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، فهي لي ولأصحابي.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب محمد ﷺ ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ. . .﴾ الآية. قال: لولا دفع الله بأصحاب محمد ﷺ عن التابعين لهدمت صوامع.

التفسير وأوجه القراءة

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يُدَٰفِعُ﴾ غوائل المشركين وضررهم وكيدهم ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ بالله ورسوله، وتوكلوا عليه، وأنابوا إليه؛ أي: يبالغ في دفع شر الأشرار، وكيد الفجار عنهم، ويحميهم أشد الحماية من أذاهم، ويكلؤهم وينصرهم على أعدائهم، ويكتب لهم الفلج عليهم، والظفر بهم، كما قال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

وقرأ الحسن وأبو جعفر ونافع[1]: ﴿يدافع﴾ و﴿لولا دفاع الله﴾. وقرأ أبو عمرو وابن كثير ﴿يَدْفَع﴾ ﴿ولولا دَفْع﴾. وقرأ الكوفيون وابن عامر ﴿يدافع﴾ ﴿ولولا دفع﴾ وصيغة المفاعلة هنا مجردة عن معناها الأصليِّ، وهو وقوع الفعل من الجانبين، كما تدل عليه القراءة الأخرى. ففاعل هنا بمعنى المجرد، نحو جاوزت وجزت؛ لأن هذه[2] الصيغة قد ترد ولا يراد بها معناها الأصلي كثيراً، نحو عاقبت اللصَّ. وقيل: إن إيراد هذه الصيغة هنا للمبالغة. وقيل: للدلالة على تكرر الواقع، والمعنى يبالغ في دفع ضرر المشركين عن المؤمنين. وقيل: يُعْلي حجتهم. وقيل: يوفقهم، والجملة مستأنفة، لبيان هذه المزية الحاصلة للمؤمنين من رب العالمين، وأنه المتولى للمدافعة عنهم. وجملة قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿لَا يُحِبُّ﴾؛ أي: يبغض ﴿كُلَّ خَوَّانٍ﴾؛ أي: كثير الخيانة في أمانة الله

---

(١) البحر المحيط. (٢) الشوكاني.

تعالى، أمراً كان، أو نهياً أو غيرهما من الأمانات. ﴿كَفُورٍ﴾؛ أي: كثير الكفران لنعمته، مقررة[1] معللة لمضمون الجملة الأولى، فإن المدافعة من الله لهم عن عباده المؤمنين، مشعرة أتم إشعار بأنهم مبغضون إلى الله، غير محبوبين له، فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم.

أي: وإنما[2] دفعهم وقهرهم؛ لأنهم خانوا أمانة الله، وهي أوامره ونواهيه، وكفروا أنعمه التي يسديها إليهم بكرةً وعشياً، وعبدوا غيره مما لا يضر ولا ينفع، وفي هذا إيماء إلى أن المؤمنين هم أحباء الله. قال الزجاج: من ذكر غير اسم الله، وتقرب إلى الأصنام بذبيحة، فهو خوان كفور، وإيراد صيغتي المبالغة للدلالة على أنهم كذلك في الواقع، لا لإخراج من خان دون خيانتهم، أو كفر دون كفرهم. واعلم[3] أن الكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعاً وأن الخيانة والنفاق واحد؛ لأن الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتباراً بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الأمانة ومن الخيانة الكفر، فإنه إهلاك للنفس التي هي أمانة الله عند الإنسان. وتجري الخيانة في الأعضاء كلها. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ وتجري في الصلاة والصوم ونحوهما، وإما بتركها، أو بترك شرط من شرائطها الظاهرة والباطنة، فأكل السحور مع غلبة الظن بطلوع الفجر، أو الإفطار مع الشك بالغروب خيانة للصوم، ومن أكل السحور فنام عن صلاة الصبح، حتى طلعت الشمس، فقد كفر بنعمة الله التي هي السحور، وخانه بالصلاة أيضاً، فترك الفرض لأجل السنة تجارة خاسرة.

ثم إن المؤمن الكامل، منصور على كل حال، فلا يضره كيد الخائنين، فإن الله لا يحب الخائنين، فإذا لم يحبهم لم ينصرهم، ويحب المؤمن فينصره.

---

(١) الشوكاني. (٣) روح البيان.

(٢) المراغي.

ولما هاجر المؤمنون إلى المدينة، أذن الله لهم في القتال، كما قال ﴿أُذِنَ﴾؛ أي: رخص في القتال ﴿لِلَّذِينَ﴾؛ أي: للمؤمنين الذين ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء على صيغة المجهول؛ أي: يقاتلهم المشركون ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ أي: بسبب أنهم ظلموا، وهم أصحاب النبي ﷺ، كان المشركون يؤذونهم، وكانوا يأتونه ﷺ بين مضروب ومشجوج، ويتظلمون إليه، فيقول لهم عليه السلام: «اصبروا، فإني لم أومر بالقتال»، حتى هاجروا، فنزلت، وهي أول آية نزلت في القتال، بعد ما نهي عنه في نيفٍ وسبعين آية. كما رواه الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس.

وهذه الجملة مقررة أيضاً لمضمون قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ فإن إباحة القتال لهم، هي من جملة دفع الله عنهم. والباء في ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ للسببية؛ أي: رُخّص للمؤمنين، وأبيح لهم أن يقاتلوا المشركين، بسبب أنهم ظلموا، بما كان يقع عليهم من المشركين من سب وضرب، وطرد.

وقرأ[1] نافع وعاصم وأبو عمرو بضم همزة ﴿أُذِنَ﴾ مبنياً للمفعول، وفتح باقي السبعة مبنياً للفاعل. وقرأ نافع وابن عامر وحفص ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء مبنياً للمفعول والباقون بكسرها مبنياً للفاعل. والمأذون فيه محذوف؛ أي: في القتال، كما مر، لدلالة يقاتلون عليه. وعلى كلا القراءتين فالإذن من الله تعالى لعباده المؤمنين، بأنهم إذا صلحوا للقتال، أو قاتلهم المشركون قاتلوهم.

ثم وعدهم الله سبحانه بالنصر، والغلبة على المشركين، بعد ما وعدهم بدفع أذاهم وتخليصهم من أيديهم، فقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾؛ أي: نصر المؤمنين الذين يقاتلون في سبيله ﴿لَقَدِيرٌ﴾؛ أي: لقادر وقد فعل، فأعزهم، ورفعهم، وأهلك عدوهم، وأذلهم بأيديهم. وفي هذا الأسلوب مبالغة عظيمة، زيادة في توطين عزائم المؤمنين وتثبيتهم على الجهاد في سبيله.

والقدير[2]: هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة، لا زائداً عليه، ولا ناقصاً عنه. ولذلك لا يصح أن يوصف به غير الله تعالى.

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.

وإنما شرع[١] الجهاد بعد الهجرة إلى المدينة؛ لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر من المؤمنين عدداً، حتى أخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم وهموا بقتله، وشردوا أصحابه، فذهبت طائفة منهم إلى الحبشة، وذهب آخرون إلى المدينة فلما استقروا بالمدينة، وأتاهم رسول الله ﷺ، واجتمعوا إليه، وقاموا بنصره، وصارت المدينة لهم دار إسلام، ومعقلاً يلجؤون إليه، شرع الجهاد ونزلت هذه الآية مرخصة فيه.

ثم وصف سبحانه هؤلاء المؤمنين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾؛ أي: أولئك المظلومون هم الذين أخرجهم المشركون من ديارهم وبلدهم مكة إلى المدينة ظلماً. ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بغير استحقاق خروج؛ أي: أخرجوا بغير موجب استحقوا الخروج به، وعذبوا بعضهم، وسبوا بعضاً آخر، وما كان لهم من إساءة إليهم، ولا ذنب جنوه ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: إلا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له. قال سيبويه: الاستثناء منقطع؛ أي: لكن لقولهم ربنا الله؛ أي: أخرجوا بغير حق يوجب إخراجهم، لكن لقولهم ربنا الله. وقال الفراء والزجاج: هو استثناء متصل، والتقدير: الذين أخرجوا من ديارهم بلا حق، إلا بأن يقولوا: ربنا الله، فيكون مثل قوله سبحانه: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ وقول النابغة:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ

ونحو الآية قوله: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ وقوله: في قصة أصحاب الأخدود ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ ولما كان المسلمون ينشدون حين بناء الخندق:

لاَهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا ٱهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ ٱلأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا
إِنَّ الأُلَىٰ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

كان رسول الله ﷺ يوافقهم ويقول معهم آخر كل قافية قالوا: إذا أرادوا فتنة

---

(١) المراغي.

أبينا، يقول: أبينا ويمد بها صوته.

ثم حرض المؤمنين على القتال، وبيَّن أنه أجرى العادة به في الأمم الماضية، لينتظم أمر الجماعات وتقوم الشرائع، وتصان بيوت العبادة من الهدم فقال:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ قرأ نافع: ﴿ولولا دفاع﴾. وقرأ الباقون ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ﴾ كما مر. ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾؛ أي: بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين في كل عصر وزمان. والمراد ببعضهم، الكافرون. وببعض، المؤمنون. والمراد بالدفع، أذن الله لأهل دينه في مجاهدة الكفار، فكأنه قال: ولولا دفع الله أهل الشرك، بالمؤمنين، بالإذن لهم في جهادهم، لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان، وعطلوا مواضع العبادة، والمراد بهذه المواضع، مواضع عبادات المؤمنين منهم. ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾؛ أي: لخربت باستيلاء المشركين عليها. ﴿صَوَٰمِعُ﴾ معبد الرهبان للنصارى. ﴿وَبِيَعٌ﴾ للنصارىٰ، وذلك في زمان عيسى عليه السلام، والهدم إسقاط البناء. والتهديم للتكثير. ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾؛ أي: كنائس لليهود في زمن شريعة موسى عليه السلام. سميت بالصلوات، لأنها يصلى فيها. ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ للمسلمين في أيام شريعة محمد ﷺ.

والمعنى(١): ولولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء. لاستولى أهل الشرك، وذهبت مواضع العبادة من الأرض، باستيلاء أهل الشرك على أهل الملل. وقيل: المعنى: لولا هذا الدفع، لهدمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد. قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل في تأويل الآية. وقيل: المعنى: ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة. وقيل: لولا دفع الله العذاب بدعاء الأخيار. وقيل: غير ذلك.

والصوامع جمع صومعة، وهي معبد الرهبان المتخذ في الصحراء، وهو بناء مرتفع خارج عن العمران. ثم استعمل في المواضع التي يؤذن عليها في الإسلام.

---

(١) الشوكاني.

والبيع جمع بيعة، وهي معابد النصارى المتخذة في البلد، وهما أعني الصوامع والبيع للنصارى. وقيل[1]: الصوامع للصابئين، والبيع للنصارى. والصلوات كنائس اليهود، ويسمونها بالعبرانية صلوتا.

وقدم[2] ما سوى المساجد عليها في الذكر لكونها أقدم في الوجود بالنسبة إليها، أو ليكون الانتقال فيها من شريف إلى أشرف، وفي «الأسئلة المقحمة» تقديم الشيء بالذكر لا يدل على شرفه، كقوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾.

وقرأ[3] الحرميان وأيوب وقتادة وطلحة وزائدة عن الأعمش، والزعفراني ﴿لهدمت﴾ مخففاً. وباقي السبعة وجماعة مشدداً. لما كانت المواضع كثيرة ناسب مجيء التضعيف لكثرة المواضع، فتكرر الهدم لتكثيرها. وقرأ الجمهور ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ جمع صلاة. وقرأ جعفر بن محمد: ﴿وصُلُوات﴾ بضم الصاد واللام. وحكى عنه ابن خالويه: ﴿صِلْوات﴾ بسكون اللام وكسر الصاد. وحكيت عن الجحدري: ﴿صَلَوات﴾ بضم الصاد وفتح اللام. وحكيت عن الكلبي وأبو العالية بفتح الصاد وسكون اللام ﴿صلوات﴾. والحجاج بن يوسف والجحدري أيضاً: ﴿وصُلُوَتٌ﴾ بضمتين من غير ألف. ومجاهد كذلك، إلا أنه بفتح التاء وألف بعدها. والضحاك والكلبي: ﴿صلُوث﴾ بضمتين من غير ألف وبثاءٍ منقوطة بثلاث. وجاء كذلك عن أبي رجاء والجحدري وأبي العالية ومجاهد كذلك إلا أنه بعد الثاء ألف. وقرأ عكرمة ﴿وصِلْوِيْثَا﴾ بكسر الصاد وإسكان اللام وواو مكسورة بعدها ياء بعدها ثاء منقوطة بثلاث، بعدها ألف. والجحدري أيضاً: ﴿صُلْوَاثُ﴾ بضم الصاد وسكون اللام وفتح الواو بعدها ألف بعدها ثاء مثلثة النقط. وحكى ابن مجاهد، أنه قرىء كذلك، إلا أنه بكسر الصاد. وحكى ابن خالويه وابن عطية عن الحجاج والجحدري ﴿صُلُوب﴾ بالباء الموحدة على وزن

---

(1) الخازن.

(2) روح البيان.

(3) البحر المحيط.

كعوب جمع صليب، كظريف وظروف، وهو جمع شاذ، أعني: جمع فعيل على فعول، فهذه ثلاث عشرة قراءة.

وروى هارون عن أبي عمرو ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ كقراءة الجماعة، إلا أنه لا ينون التاء كأنه جعله اسم موضع كالمواضع التي قبله، وكأنه علم فمنعه من الصرف للعلمية والعجمية. وكملت القراءات بهذه أربع عشرة قراءة ذكره في «البحر المحيط».

وقوله: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾؛ أي: في تلك المساجد ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ سبحانه بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وغيرها عند الصلاة. ﴿كَثِيرًا﴾؛ أي: ذكرا كثيراً ووقتاً كثيراً، صفة مادحة للمساجد خصت بها[1] دلالة على فضلها وفضل أهلها. ويجوز أن يكون صفة للأربع؛ لأن الذكر في الصوامع والبيع والصلوات كان معتبراً قبل انتساخ شرائع أهلها.

والمعنى: أي[2] فليقاتل المؤمنون الكافرين، فلولا القتال، وتسليط المؤمنين على المشركين في كل عصر وزمان، لهدمت في شريعة كل نبي معابد أمته، فتهدم صوامع النصارى وبيعهم وصلوات اليهود ومساجد المسلمين، التي يذكرون فيها اسم الله كثيراً.

وفي هذا ترق، وانتقال من الأقل إلى الأكثر، حتى انتهى إلى المساجد، وهي أكثر عمَّاراً، وأكثر عباداً، وهم ذووا القصد الصحيح.

والخلاصة: أنه لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، وإقامة حدود الأديان.. لاستولى أهل الشرك على مواضع العبادة، وهدموها، وقد يكون المراد لولا هذا الدفع، لهدمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ واللام: فيه موطئة لقسم محذوف؛ أي: وعزتي وجلالي لينصرن الله سبحانه وليعينن من يقاتل في سبيله، لتكون كلمته العليا،

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

وتكون كلمة عدو دينه السفلى، أو كلمة من ينصر أولياءه هي العليا. ولقد أنجز الله وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد قريش، وأكاسرة العجم وقياصرة الروم، وأورثهم أرضهم وديارهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿لَقَوِيٌّ﴾ على كل ما يريده ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يمانعه شيء ولا يدافعه. والقوي[1] القادر على الشيء. والعزيز الجليل الشريف. قاله الزجاج.

وقيل: الممتنع الذي لا يرام ولا يدافع ولا يمانع. وفي[2] «بحر العلوم» غني بقدرته وعزته في إهلاك أعداء دينه عنهم، وإنما كلفهم النصر باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة الأعداء، وبذل الأرواح، والأموال لينتفعوا به، ويصلوا بامتثال الأمر فيها، إلى منافع دينية ودنيوية. فإن قلت[3]: فإذا كان الله قوياً عزيزاً غالباً غلبة لا يجد معها المغلوب نوع مدافعة وانفلات، فما وجه انهزام المسلمين في بعض المغازي وقد وعدهم الله تعالى النصر؟

قلت: إن النصرة والغلبة منصب شريف، فلا يليق بحال الكافر، لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار، وأخرى على المؤمنين؛ لأنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات، لحصل العلم الاضطراري، بأن الإيمان حق، وما سواه باطل، ولو كان كذلك لبطل التكليف، والثواب، والعقاب. فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الإيمان، وأخرى على أهل الكفر، لتكون الشبهات باقية، والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل في صحة الإسلام، فيعظم ثوابه عند الله، ولأن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي. فيكون تشديد المحنة عليه في الدنيا كفارة له في الدنيا، وأما تشديد المحنة على الكافر فإنه يكون غضباً من الله، كالطاعون مثلاً. فإنه رحمة وطهرة للمؤمنين، ورجز ـ أي: عذاب ـ وغضب للكافرين.

روي: أنَّ عامراً مرَّ برجل قد صلبه الحجاج، فقال: يا رب إن حلمك على الظالمين أضر بالمظلومين، فرأى في منامه كأن القيامة قد قامت، وكأنه دخل

---

(1) الشوكاني.
(2) روح البيان.
(3) روح البيان.

الجنة فرأى المصلوب فيها في أعلى عليين فإذا مناد ينادي حلمي على الظالمين أحل المظلومين في أعلى عليين.

واعلم: أن الله تعالى يدفع في كل عصر مدبراً بمقبل، ومبطلاً بمحق، وفرعوناً بموسى، ودجالاً بعيسى، وأبا جهل بمحمد، فلا تستبطىء ولا تتضجر.

والخلاصة: أن الله سبحانه لقوي على نصر من جاهد في سبيله من أهل طاعته، منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب. ونحو الآية قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾﴾ والموصول[1] في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في موضع نصب صفة لـ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓۚ﴾ قاله الزجاج، وقال غيره هو في موضع جر صفة لقوله: ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾. وقيل: المراد بهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان. وقيل: أهل الصلوات الخمس. وقيل: ولاة العدل، وقيل غير ذلك. وفيه إيجاب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على من مكنه الله في الأرض، وأقدره على القيام بذلك.

أي: ولينصرن الله الذين إن مكناهم في الأرض، وأعطيناهم زمام الأحكام. ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لتعظيمي؛ أي: أدوها بحقوقها، وشرائطها. قال الراغب[2]: كل موضع مدح الله بفعل الصلاة، أو حث عليه ذكر بلفظ الإقامة، ولم يقل المصلين، إلا في المنافقين، نحو ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ وإنما[3] خص لفظ الإقامة تنبيهاً على أن المقصود من فعلها، توفية حقوقها وشرائطها، لا الإتيان بهيأتها فقط، ولهذا روى أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل. ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لمساعدة عبادي؛ أي: أدوا وأعطوا زكاة أموالهم في مصارفها. ﴿وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾؛ أي: بكل ما عرف حسنه شرعاً، وعرفاً من التوحيد وأصناف الواجبات، والمندوبات. ﴿وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾؛ أي: عن كل ما استقبحه الشرع

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) روح البيان.

والعقل السليم من الإشراك وأصناف المحرمات والمكروهات. ﴿وَلِلَّهِ﴾ خاصة ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾؛ أي: آخر أمور الخلائق؛ أي: مرجعها، ومصيرها إلى حكمه وتقديره وتدبيره دون غيره، في الثواب عليها أو العقاب في الدار الآخرة. ونحو الآية قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

والمعنى: أي[1] هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم. هم الذين إن مكنا لهم في البلاد، فقهروا المشركين وغلبوهم عليها أطاعوا الله، فأقاموا الصلاة على النحو الذي طلبه، وأعطوا زكاة أموالهم التي حباها لهم، ودعوا الناس إلى توحيده، والعمل بطاعته، وأمروا بما حثت عليه الشريعة، ونهوا عن الشرك واجتراح السيئات.

وخلاصة ذلك: أنهم هم الذين كملوا أنفسهم باستحضار المعبود، والتوجه إليه في الصلاة على قدر الطاقة، وكانوا عوناً لأممهم بإعانة فقرائهم، وذوي الحاجة منهم، وكملوا غيرهم فأفاضوا عليهم من علومهم وآدابهم، ومنعوا المفاسد التي تعوق غيرهم عن الوصول إلى الرقي الخلقي، والأدب السامي.

وعن ابن عباس[2] ـ رضي الله عنهما ـ رفعه إلى النبي ﷺ «إن من أشراط الساعة، إماتة الصلوات واتباع الشهوات، والميل إلى الهوى، ويكون أمراء خونة، ووزراء فسقة» فوثب سلمان، فقال: بأبي وأمي إنَّ هذا لكائن؟ قال: «نعم يا سلمان، عندها يذوب قلب المؤمن، كما يذوب الملح في الماء، ولا يستطيع أن يغير» قال: أو يكون ذلك؟ قال: «نعم يا سلمان، إن أذل الناس يومئذٍ المؤمن، يمشي بين أظهرهم بالمخالفة، إن تكلم أكلوه، وإن سكت مات بغيظه». قال عمر ـ رضي الله عنه ـ للنبي عليه السلام: أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب، وخضعت له الأجساد، ما هو؟ فقال: «ظل الله في الأرض، فإذا أحسن فله الأجر، وعليكم الشكر، وإذا أساء فعليه الإصر، وعليكم الصبر». وفي الحديث: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة».

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

وعن إزد شير: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل، وحسن سياسة. قيل: السياسة أساس الرياسة.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد[1] وصيغة المضارع في الشرط مع تحقيق التكذيب، لما أن المقصود تسليته عليه السلام، عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع؛ أي: وإن تحزن على تكذيب قومك إياك، فاعلم أنك لست بأوحدي في ذلك، ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾؛ أي: قبل تكذيبهم إياك ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحاً. ﴿و﴾ كذبت ﴿عاد﴾ هوداً. ﴿و﴾ كذبت ﴿ثمود﴾ صالحاً. ﴿و﴾ كذبت ﴿قوم إبراهيم﴾ إبراهيم ﴿و﴾ كذبت ﴿قوم لوط﴾ لوطاً. ﴿و﴾ كذب ﴿أصحاب مدين﴾ شعيباً. ومدين كان ابنا لإبراهيم عليه السلام، ثم صار علماً لقرية شعيب. وعدل عن قوم شعيب؛ لأن أصحاب مدين أعرق من أصحاب الأيكة في التكذيب، فلذلك خصهم بالذكر.

وفيه[2] إرشاد له ﷺ إلى الصبر على قومه، والاقتداء بمن قبله من الأنبياء في ذلك. وقد تقدم ذكر هذه الأمم، وما كان منهم ومن أنبيائهم، وكيف كانت عاقبتهم. وإنما غير النظم في قوله: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ فجاء بالفعل مبنياً للمفعول؛ لأن قوم موسى لم يكذبوه، وإنما كذبه غيرهم من القبط. وفي «المختار» القبط بوزن القسط، أهل مصر، وهم أصلها. واحدهم قبطي اهـ.

أي: كذبه[3] القبط، وأصروا إلى وقت الهلاك. وأما بنوا إسرائيل فإنهم وإن قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، ونحوه، فما استمروا على العناد، بل كلما تجددت لهم المعجزة، جددوا الإيمان. هكذا ينبغي أن يفهم هذا المقال. وغير النظم بذكر المفعول، وبناء الفعل له، للإيذان بأن تكذيبهم له كان في غاية الشناعة، لكون آياته في كمال الوضوح. ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: أمهلت للكافرين، وأخرت عنهم العقوبة إلى أجلهم المسمى. والفاء لترتيب الإمهال على

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

التكذيب. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾؛ أي: أخذت كل فريق من فرق المكذبين، بعد انقضاء مدة إملائه، وإمهاله بعذاب الطوفان والريح الصرصر، والصيحة، وجند البعوض، والخسف، والحجارة، وعذاب يوم الظلة، والغرق في بحر القلزم، والاستفهام في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ للتقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه. والمعنى: فليقر المخاطبون بأن إهلاكي لهؤلاء، كان واقعاً موقعه هذا، وحمله على التعجب أوضح. فكأنه قيل: ما أشد ما كان إنكاري عليهم؛ أي: فانظر كيف كان إنكاري عليهم بتغيير ما كانوا فيه من النعم محناً، والحياة هلاكاً، والعمارة خراباً؛ أي: فكان ذلك في غاية الهول، والفظاعة. وحاصل الآية: قد أعطيت هؤلاء الأنبياء ما وعدتهم من النصرة، فاستراحوا، فاصبر أنت إلى هلاك من يعاديك فتستريح.

والنكير اسم من المنكر. قال الزجاج: أي: ثم أخذتهم فأنكرت أبلغ إنكار. قال الجوهري: النكير والإنكار تغيير المنكر. وأثبت ياء نكير، حيث وقع في القرآن، وَرْشٌ في الوصل، وحذفها في الوقف. والباقون يحذفونها وصلاً، ووقفاً اهـ «سمين».

والمعنى: أي[1] فإن يكذبك هؤلاء المشركون بالله على ما آتيتهم به من الحق، وما يعدهم به من العذاب على كفرهم به.. فلست بأوحدي في ذلك، فتلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية، المكذبة لرسلها، وذلك منهاج من قبلهم، فلا يصدنك ذلك فإن العذاب من ورائهم، ونصري إياك وأتباعك عليهم آت لا محالة، كما أتى عذابي على أسلافهم، من الأمم من قبلهم، بعد الإمهال. فقد أمهلت أهل الكفر من هذه الأمم، فلم أعاجلهم بالنقمة، والعذاب، ثم أحللت بهم عقابي بعدئذٍ. فانظر أيها الرسول كيف كان تغييري، ما كان بهم من نعمة، وتنكري لهم عما كنت عليه من الإحسان إليهم، ألم أبدلهم بالكثرة قلة، وبالحياة موتاً وهلاكاً، وبالعمارة خراباً. فكذلك سأفعل بمكذبيك من قريش، وإن أمليت لهم

(١) المراغي.

إلى آجالهم، فإني منجزك وعدي فيهم، كما أنجزت غيرك من رسلي وعدي في أممهم، فأهلكتهم، وأنجيت رسلي من بين أظهرهم. ونحو الآية قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ قال المولى الجامي[1]: في «شرح الكافية» من الكناية كأين، وإنما بني لأن كاف التشبيه دخلت على أيّ، وأيُّ كان في الأصل معرباً، لكنه انمحى عن الجزأين معناهما الإفرادي فصار المجموع كاسم مفرد، بمعنى كم الخبرية، فصار كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة، كما في من، لا تنوين تمكن، ولهذا يكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة له في الخط. انتهى. والمعنى: فكثير من القرى. وهو مبتدأ، وقوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ خبره. وقوله: ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ جملة حالية من مفعول ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾. والمراد ظلم أهلها بالكفر والمعاصي، وهو بيان لعدله، وتقدسه عن الظلم، حيث أخبر أنه لم يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم. وقرأ[2] أبو عمرو وجماعة: ﴿أهلكتها﴾ بتاء المتكلم، على وفق قوله: فأمليت ثم أخذت. وقرأ الجمهور ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ بنون العظمة.

أي: فكثير من أهل القرى أهلكناهم، والحال أن أهلها ظالمون بالإشراك والمعاصي وجملة قوله: ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ معطوفة على ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾. والمراد[3] بضمير القرية حيطانها، والخواء بمعنى السقوط، من خوى النجم إذا سقط؛ أي: ساقطة حيطان تلك القرية. ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾؛ أي: على سقوفها، بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها، ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف. فالعروش السقوف؛ لأن كل مرتفع أظللت فهو عرش، سقفاً كان، أو كرماً، ظلة أو نحوها.

﴿وَبِئْرٍ﴾ معطوف على قرية؛ أي: وكم من بئر عارمة في البوادي؛ أي: فيها الماء ومعها آلات الاستقاء ﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾: أي: متروكة مخلاة، لا يستقى منها

---

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.
(٣) روح البيان.

لهلاك أهلها. وقرأ الجحدري والحسن وجماعة: ﴿مُعْطَلَةٍ﴾ مخففاً. ﴿و﴾ كم من ﴿قصر﴾؛ أي: بناء ﴿مَّشِيدٍ﴾؛ أي: رفيع طويل عال. وقيل مجصص خال عن السكان لهلاك أهلها.

والمعنى[(١)]: وكم من قرية ﴿أهلكناها﴾، وكم بئر عطلناها عن سقاتها، وكم قصر مشيد أخليناه عن ساكنيه، فترك ذلك لدلالة معطلة عليه. وإنما بني ﴿مشيد﴾ هنا من شاده. وفي النساء من شيده، لأنه هناك وقع بعد جمع، فناسب التكثير. وهنا وقع بعد مفرد، فناسب التخفيف؛ ولأنه رأس آية وفاصلة، اهـ «سمين».

وقيل[(٢)]: إن البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن، أما القصر فعلى قُلَّةِ جبل، والبئر في سفحه، ولكل واحد منهما قوم، كانوا في نعمة، فكفروا، فأهلكهم الله تعالى، وبقي البئر والقصر خاليين، وقيل: إن هذه البئر كانت بحضرموت، في بلدة يقال لها: حاضوراء، وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب، أتوا إلى حضرموت ومعهم صالح، فلما حضروه مات صالح، فسمي المكان حضرموت لذلك. ولما مات صالح بنوا حاضوراء، وقعدوا على هذه البئر، وأمروا عليهم رجلاً منهم، فأقاموا دهراً، وتناسلوا حتى كثروا، وعبدوا الأصنام، وكفروا فأرسل الله تعالى إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان، وكان حمالاً فيهم، فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله تعالى، وعطلت بئرهم، وخرب قصرهم. قال الإمام السهيلي: قيل: أن البئر الرس. وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود، وكان لهم ملك عدل حسن السيرة يقال له العَلَسُ، وكانت البئر تسقي المدينة كلها، وباديتها، وجميع ما فيها من الدواب، والغنم، والبقر، وغير ذلك. وقال الثعلبي: وأما القصر، فقصر بناه شداد بن عاد بن إرم، لم يبن في الأرض مثله فيما ذكروا وزعموا، وحاله أيضاً كحال هذه البئر المذكورة في إيحاشه بعد الأنس، وإقفاره بعد العمران.

والمعنى[(٣)]: أي فكثير من القرى أهلكناها، إذ كان أهلها يعبدون غير من

---

(١) الكشاف.
(٢) الخازن.
(٣) المراغي.

ينبغي أن يعبد، ويعصون من لا ينبغي أن يعصى، فخوت من مكانها، وتساقطت على عروشها؛ أي: سقطت حيطانها فوق سقوفها، وكم من بئر عطلناها، بإفناء أهلها، وأهلاك ورديها، فلا واردة لها ولا صادرة منها، وكم من قصر شيد بالصخور والجص قد خلا من سكانه، بما أذقنا أهله بسوء أفعالهم، فبادوا وبقيت القصور المشيدة خالية منهم. قال قتادة: شيدوه وحصنوه فهلكوا وتركه، ثم أكد لهم صدق وعيده، وأحالهم على ما يشاهدون بكرة وعشيا. فقال:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ الهمزة فيه للاستفهام التوبيخي المضمن للإنكار، داخلة على محذوف. والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف؛ أي:[1] أغفل أهل مكة فلم يسافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في اليمن والشام ليروا مصارع المهلكين. ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ﴾ بسبب ما يشاهدونه من مواد الاعتبار. وقرأ مبشر بن عبيد ﴿فيكون﴾ بالياء. والجمهور بالتاء. وهو منصوب على جواب الاستفهام، وهو في التحقيق منفي. ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما يجب أن يعقل من التوحيد. ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ما يجب أن يسمع من أخبار الأمم المهلكة ممن يجاورهم من الناس، فإنهم أعرف منهم بحالهم، وهم وإن كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين، فحثوا على ذلك فالاستفهام للإنكار.

﴿فَإِنَّهَا﴾؛ أي: فإن القصة، فالضمير فيه للقصة. وحسن التأنيث هنا ورجحه كون الضمير وليه فعل بعلامة التأنيث، وهي التاء في ﴿لا تعمى﴾، ويجوز في الكلام التذكير. وقرأ به عبد الله، ﴿فإنه لا تعمى﴾، ذكره في «البحر». ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾؛ أي: أبصار العيون. ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي: ليس الخلل في مشاعرهم، وإنما هو في عقولهم باتباع الهوى، والانهماك في الغفلة؛ أي: لا تدرك عقولهم مواطن الحق، ومواضع الاعتبار. قال الفراء والزجاج: إن قوله: ﴿التي في الصدور﴾، من التوكيد الذي تزيده العرب في الكلام، كقوله: عشرة كاملة، ويقولون بأفواههم، ويطير بجناحيه. وللتنبيه على

(١) روح البيان.

أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر، وأكثر الناس عميان بصيرة القلب، لا يبصرون به أمر دينهم. والمعنى[1]: إن عمى القلب، هو الضار في أمر الدين، لا عمى البصر، لأن البصر الظاهر بُلْغَةٌ ومُتْعَةٌ، وبصر القلوب، هو البصر النافع. ومعنى الآية أي: أفلم يسر[2] هؤلاء المكذبون بآيات الله، الجاحدون لقدرته في البلاد، فينظروا إلى مصارع أضرابهم، من مكذبي رسل الله، الذين خلوا من قبلهم، كعاد، وثمود، وقوم لوط، وشعيب، ويروا أوطانهم، ومساكنهم، ويسمعوا بآذانهم أخبارهم، فيتفكروا، ويعتبروا بها، ويعلموا أمرها، وأمر أهلها، وكيف نابتهم النوائب، وغالتهم غوائل الدهر فيكون في ذلك معتبر لهم لو أرادوا، فينيبوا إلى ربهم، ويعقلوا حججه التي بثها في الآفاق، ثم أظهر اليأس من إيمانهم؛ لأن القلوب قد عميت فلا تبصر الدلائل الكونية، ولا البراهين لعقلية، فقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: إن أبصارهم وإن كانت سالمة لا عمى بها، فقد أصابهم عمى القلوب. والعمدة على الثاني، لا على الأول، فعمى الأبصار ليس بشيء، إذا قيس بعمى القلوب، والبصائر. وفي هذا تهويل أيما تهويل.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾؛ أي: ويطلب منك يا محمد هؤلاء المشركون من أهل مكة المكذبون بالله وكتابه ورسوله، واليوم الآخر ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: بمجيء العذاب الذي تحذرهم منه وتوعدهم إياه عجلة إنكاراً منهم لوقوعه، واستهزاء بحلوله، وتعجيزاً له، واستبعاداً لمجيئه.

أي: يطلبون عجلتك بالعذاب؛ أي: أن تأتيهم به عاجلاً. وكانوا يقولون له كما تقول الأمم السابقة لأنبيائهم ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. ثم بين أنه آت لا محالة، فقال: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿وَعْدَهُۥ﴾؛ أي: لن يترك وفاء ما وعده لك من نصرك عليهم، وإنزال العذاب لهم في الدنيا. وقد أنجز الله وعده يوم بدر، فقتل منهم سبعون، وأسر منهم سبعون.

---

(١) الخازن. (٢) المراغي.

ثم ذكر[1] أن لهم مع عذاب الدنيا في الآخرة عذاباً طويلاً، فقال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من أيام عذابهم في الآخرة لشدة هوله، وأليم عذابه ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ من سني الدنيا في الثقل، والاستطالة وكثرة الآلام، فلو عرفوا حال عذاب الآخرة أنه بهذا الوصف لما استعجلوه. والخطاب فيه للرسول ومن معه من المؤمنين. كأنه قيل: كيف يستعجلون بالعذاب، ويوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيّكم. إما من حيث طول أيام عذابه حقيقة، أو من حيث إن أيام الشدائد مستطالة، كما يقال: ليل الفراق طويل وأيام الوصل قصار. ويقال: سنة الوصل سنة. وسنة الهجر سنة. اهـ «روح البيان».

وقيل معناه[2]: أن يوماً عنده وألف سنة في الإمهال سواء؛ لأنه قادر متى شاء أخذهم، لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره.

ومعنى ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾؛ أي[3]: وكيف ينكرون مجيء ذلك العذاب، وقد وعد الله به، وما وعد به كائن لا محالة، وهو كما فعل بمن قبلهم، يفعل بهم؛ لأن ذلك هو نهجه الثابت، وصراطه المستقيم، وسيحل بهم مثل ما حل بغيرهم.

ومعنى ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ أي: وإن قلتم: إن العهد قد طال، ولم يحل بنا العذاب، فأين هو؟ قلنا: إن الله سبحانه حليم، وألف سنة عندكم كيوم عنده، فهو سينفد وعده بعد أمد طويل عندكم، قريب عنده، كما قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ فإذا تأخر عذاب الآخرة أمداً طويلاً فلا يكون في ذلك إخلاف للوعد، فعشرون ألف سنة عند ربك كعشرين يوماً عندكم.

والخلاصة[4]: أن سنتي لا بد من نفاذها، ولا بد من إهلاك الظالمين ولو بعد حين، أمماً وأفراداً، في الدينا والآخرة، أو عذابهم في الآخرة فحسب مع

---

(١) الواحدي.
(٢) الخازن.
(٣) المراغي.
(٤) المراغي.

الأكدار في الدنيا وهم لا يشعرون.

وقال أبو حيان[١]: واختلفوا في هذا التشبيه، فقيل: في العدد؛ أي: اليوم عند الله ألف سنة من عددكم. وفي الحديث الصحيح: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وذلك خمس مئة عام». فالمعنى: وإن طال الإمهال فإنه في بعض يوم من أيام الله. وقيل: التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة؛ أي: وإن يوماً من أيام عذاب الله، لشدة العذاب فيه وطوله، كألف سنة من عددكم، إذ أيام الترحة مستطالة، وأيام الفرحة مستقصرة. وكان ذلك اليوم كألف سنة من سني العذاب. والمعنى: أنهم لو عرفوا حال الآخرة ما استعجلوه. وقيل: التشبيه بالنسبة إلى علمه تعالى وقدرته، وإنفاذ ما يريد كألف سنة. وقال ابن عيسى: يجمع لهم عذاب ألف سنة في يوم واحد، ولأهل الجنة سرور ألف سنة في يوم واحد واقتصر في التشبيه على الألف؛ لأن الألف منتهى العدد بلا تكرار. انتهى.

وقيل المعنى[٢]: وإن يوماً من الخوف والشدة في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا، فيها خوف وشدة، وكذلك يوم النعيم قياساً. وجملة قوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ محلها النصب على الحال؛ أي: والحال أنه لا يخلف وعده أبداً، وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتماً، أو هي اعتراضية مبينة لما قبلها. وعلى الأول تكون جملة ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ إلخ مستأنفة، وعلى الثاني تكون معطوفة على الجملة التي قبلها، مسوقة لبيان حالهم في الاستعجال.

وقرأ الأخوان ـ حمزة والكسائي ـ: ﴿مما يعدون﴾ بالتحتية. واختار هذه القراءة أبو عبيد لقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ وقرأ الباقون بالفوقية على الخطاب. ﴿وتستعجلون بالعذاب﴾ واختارها أبو حاتم. ويكون فيه التفات. فعلى[٣] العاقل أن يلاحظ أن كل آت قريب، ولا يغتر بالإمهال، فإن بطش الله شديد، وعذابه لا

---

(١) البحر المحيط.

(٢) الشوكاني.

(٣) روح البيان.

يطاق، ويسارع إلى رضى الله تعالى بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات، وترك الاستهزاء بالدين وأهله بأحكام الله، ووعده، ووعيده، فإن الله صادق في قوله، حكيم في فعله، وليس للعبد إلا تعظيمه وتعظيم أمره.

ثم أكد ما ذكره من عدم إخلاف الوعد وإن طال الأمد، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾؛ أي: وكثير من أهل قرية ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾؛ أي: أمهلتها بتأخير العذاب، كما أمهلت لهؤلاء ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾؛ أي: والحال أنها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة لها، كدأب هؤلاء ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ وأهلكتها بالعذاب بعد طول الإمهال. ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: إلى[1] حكمي ومجازاتي مرجع الكل، لا إلى أحد غيري، لا استقلالاً ولا شركة، فأفعل بهم ما أفعل مما يليق بأعمالهم. وفيه إشارة إلى أن الإمهال يكون من الله تعالى، والإهمال لا يكون منه، فإنه يمهل ولا يهمل، ويدع الظالم في ظلمه، ويوسع له الحبل، ويطيل به المهل، فيتوهم أنه يفلت من قبضة التقدير، وذلك ظنه الذي أراد. ويأخذه من حيث لا يرتقب، فيعلوه ندامة ولات حينه. وكيف يستبقي بالحياة ما حق في التقدير عدمه، وإلى الله مرجعه، فالظلم من العبد سبب للأخذ من الله، فلا يلومن إلا نفسه.

وجملة قوله: ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ تذييلية، ذكرت لتقرير ما قبلها. والمعنى؛ أي: وكم[2] من قرية أخرت إهلاكها مع استمرارها على ظلمها، فاغترت بذلك التأخير، ثم أنزلت بها بأسي، وشديد انتقامي، وحسابها بعد مدخر ليوم الحساب، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ولا يخفى ما في هذا من شديد الوعيد، وعظيم التهديد.

فائدة: فإن قلت[3]: لم كرر التكثير بكأين من القرى؟

قلت: لا تكرار فيه؛ لأن الثانية أفادت غير ما أفادت الأولى؛ لأنه ذكر في الأولى القرية التي أهلكها بدون إملاء وإمهال، بل أعقب الإهلاك بعد التذكير.

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط بتصرف.

وذكر في الثانية القرية التي أمهل لها حتى استعجلت بالعذاب، ثم جاء إهلاكها، تنبيهاً على أن قريشاً وإن أمهلهم حتى استعجلوا بالعذاب لا بد من عذابهم، فلا يغتروا بتأخير العذاب عنهم.

فإن قلت: لم عطفت الأولى بالفاء، والثانية بالواو، فما الفرق بينهما؟

قلت: الأولى وقعت بدلاً من قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ فناسبتها الفاء، والثانية وقعت بعد الجملتين المعطوفتين بالواو. أعني قوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ فناسبها العطف بالواو، كما ذكره الزمخشري. ثم أبان لهم عظيم خطأهم في طلب تعجيل العذاب من الرسول بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، لهؤلاء المشركين المستعجيلن للعذاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أنذركم إنذاراً بيناً بما أوحي إلي من أخبار الأمم المهلكة، من غير أن يكون لي دخل في إتيان ما توعدونه من العذاب، حتى تستعجلوني به.

فإن قلت: لِمَ اقتصر[1] هنا على الإنذار فقط، مع أنه بين حال الفريقين فيما بعد؟

قلت: لأن صدر الكلام ومساقه للمشركين وعقابهم، وإنما ذكر المؤمنين وثوابهم فيما بعد زيادة في غيظهم.

والمعنى: قل يا أيها المشركون المستعجلون مجيء العذاب: ليس ذلك إلي، وإنما أرسلني ربي نذيراًلكم، بين يدي عذاب شديد، وليس إلي من حسابكم من شيء، بل أمر ذلك إلى الله، إن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره عنكم، وإن شاء تاب على من يتوب وينيب إليه. ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ ثم فصل هذا الإنذار بذكر الوعد للمتقين، والوعيد للكافرين، فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله وحده وصدقوا رسوله، وقبلوا ما جاء به. ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: الخيرات بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات، ﴿لَهُم﴾ عند ربهم ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾؛ أي: ستر وتجاوز عن ذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾؛ أي: نعيم دائم لا ينقطع أبداً في الجنة.

---

(١) روح البيان بتصرف.

والمعنى: أي[1] فالذين آمنت قلوبهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة لهم، مغفرة لما سلف من سيئاتهم، وثواب جسيم عند ربهم على ما قدموا من حسناته، ولهم رزق كريم في الجنة، يفوق وصف الواصفين، ومقال المادحين. كما قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ وفي الحديث: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟﴾ واجتهدوا ﴿فِىٓ﴾ إبطال ﴿ءَايَـٰتِنَا﴾ ورد دعوتنا وتكذيب رسولنا وثبطوا الناس عن متابعته حالة كونهم ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾؛ أي: ظانين عجزنا عن أخذهم، أو سبقهم عذابنا، ظنا منهم أنهم يعجزوننا، وأنهم لا يبعثون. أو معارضين المؤمنين، فكلما طلب المؤمنون إظهار الحق طلب هؤلاء إبطاله. يقال[2]: عاجزه إذا سابقه؛ لأن كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر، فإذا سبقه قيل: أعجزه وعجزه، قاله الأخفش. وقيل: معنى معاجزين ظانين ومقدرين أن يعجزوا الله سبحانه، ويفوتوه فلا يعذبهم. قاله الزجاج. وقيل: معاندين. قاله الفراء. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بالسعي والمعاجزة ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي: ملازموا النار الموقدة، مقيمون فيها لا يخرجون منها أبداً.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والجحدري وأبو السمال والزعفراني[3]: ﴿مُعجزين﴾ بالتشديد هنا، وفي حرفي سبأ زاد الجحدري في جميع القرآن؛ أي: مثبطين. وقرأ باقي السبعة ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾ بألف. وقر ابن الزبير ﴿مُعْجِزين﴾ بسكون العين وتخفيف الزاي، من أعجزني، إذا سبقك ففاتك. قال صاحب «اللوامح»: لكنه هنا، بمعنى ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾؛ أي: ظانين أنهم يعجزوننا. وذلك لظنهم أنهم لا يبعثون. وقيل في معاجزين: بمعنى معاندين، ومعجزين بالتشديد. بمعنى: مثبطين الناس عن الإسلام، ومعجزين بالتخفيف، بمعنى: ناسبين أصحاب النبي ﷺ إلى العجز. كما تقول: فسقت فلاناً. إذا نسبته إلى الفسق. قاله أبو علي الفارسي.

---

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

(٣) البحر المحيط.

وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلخ. شروع في تسلية ثانية لرسول الله ﷺ، بعد التسلية الأولى، بقوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ إلخ. والمراد بالرسول هنا من جاء بشرع جديد، كموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم. والنبي من جاء لتقرير شرع سابق، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام؛ أي: وما أرسلنا قبلك يا محمد من رسول ﴿وَلَا﴾ نبأنا من ﴿نَبِيٍّ﴾ في حال من الأحوال ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾؛ أي: إلا والحال أنه إذا تمنى وقرأ ذلك الرسول أو النبي ما أوحي إليه من الكتاب. ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في قلوب سامعيه شبهة ﴿فِيٓ﴾ شأن ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾؛ أي: في شأن قراءته، فيلقي في قلوب بعض السامعين إن هذا المقروء سحر. وفي قلوب بعضهم أنه شعر وفي قلوب بعضهم أنه أساطير الأولين، وفي قلوب بعضهم أنه كهنة. ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فيزيل الله سبحانه وتعالى، ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في قلوب السامعين من تلك الشبهات والخرافت بنور الهداية، بأن يقيض للدين من يدافع عنه، ويدفع تلك الشبهات. ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى، ويثبت ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ التي تلاها الرسول، أو النبي في قلوب السامعين وغيرهم، حتى لا يجد أحد سبيلاً إلى ردها وإبطالها؛ أي: ثم يجعل آياته محكمة مثبتة، لا تقبل الرد بحال.

وخلاصة ذلك[1]: أن الله سبحانه وتعالى حين أنزل القرآن، وقرأه الرسول ﷺ، قال المشركون: فيه ما قالوا من تلك الشبهات السابقة، ثم لما استبان الحق، وجاءت غزوة بدر، ونصر الله المسلمين الذين بشرهم، كتابه بالنصر على أعدائهم ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ استتب لهم الأمر ودخل أعداؤهم في دينهم أفواجاً. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ وما مثل هذا إلا مثل النباتات الطفيلية، التي تنبت في الأرض بجانب ما يزرع فيها من حنطة وفول، وعدس، وحمص، وغيرها مما يحتاج إليه الناس، ولا تزال تلك الطفيلية تتغذى من الأرض، وتأخذ غذاء النبات

---

(١) المراغي.

النافع، فلا يهدأ للزارع بالٌ حتى يزيلها، ويوفر غذاءها للنبات الذي هو في أشد الحاجة إليه.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فإنك الآن لترى أهل أوربا يرسلون الجيوش، والمبشرين من القساوسة، التي تفتح المدارس في بلاد الشرق وغيرها، ويقولون: للمسلمين إن دينهم محشو بالخرافات، والأكاذيب، ويشككون فيه من تعلموا في تلك المدارس، ويصدق بعض غوغائهم تلك الأباطيل، حتى لقد قيل: إن هذا الدين لا يعيش في ظل العلم، ولا يقبل الأفكار والآراء، وهو والعلم عدوان لا يجتمعان.

ومما جعل لهم بعض المعذرة فيما يقولون: حال المسلمين من الخمول، وسوء الأحوال، وقبيح المعتقدات والأعمال، مما جعلهم مضغة في أفواه الأمم المتمدنة. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾.

وإن الله لينسخ تلك الوساوس ويزيل هذه الأوهام، فقد تصدى كثير من ذوي المعرفة لدحض تلك المفتريات، فقام العالم الحكيم محمد عبده، وألف كتابه «الإسلام والنصرانية» ودفع كثيراً من مطعان أولئك المبشرين. وقام بعده كثير من أهل الفقه بالدين، فاحتذوا حذوه، وواصلوا الليل بالنهار، في دحض تلك الشبه، وإن الله لناصر دينه ولو كره الكافرون.

هذا وقد دس[1] بعض الزنادقة في تفسير هذه الآية أحاديث مكذوبة، لم ترد في كتاب من كتب السنة الصحيحة، وأصول الدين تكذبها، والعقل السليم يرشد إلى بطلانها. وأنها ليست من الحق في شيء، وهي مما تشكك المسلمين في دينهم وتجعلهم في حيرة من أمر الوحي، وكلام الرسول، فيجب على العلماء طرحها وراءهم ظهرياً. وأن لا يضيعوا الزمن في تأويلها وتخريجها، وأن لا يسرفوا الأوراق والحبر في كتابتها ولا سيما بعد أن نص الثقات من المحدثين على وضعها وكذبها، لمصادمتها لأصول الدين التي لا تقبل شكاً ولا امتراء.

---

(١) المراغي.　　(٢) الشوكاني.

وهي قصة الغرانيق. وقد سئل الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية عن قصة الغرانيق؟ فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتاباً. وقال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل. وقال ما معناه إن رواتها مطعون عليهم، وليس في «الصحاح»، ولا في التصانيف الحديثة شيء مما ذكروه، فوجب اطراحه، ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه. والعجب من نقل هذا، وهم يتلون في كتاب الله تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ الآيات.

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة. وقال الحافظ ابن كثير: وقد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح.

﴿وَاللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿عَلِيمٌ﴾ بما أوحى إليه، وبما ألقى الشيطان ﴿حَكِيمٌ﴾؛ أي: ذو الحكمة البالغة في تمكينه من ذلك الإلقاء، يفعل ما يشاء ليميز به الثابت على الإيمان من المتزلزل فيه؛ أي: والله عليم بكل شيء، ومن ذلك ما يصدر عن الشيطان وأوليائه، فيجازيهم عليه أشد الجزاء. حكيم في أفعاله، ومن ذلك أن يمكن الشيطان من إلقاء الشبهات، ليحاج أولياءه بها، فيتمكن المؤمنون من ردها، ودحض المفتريات التي يتشدقون بها، ويرجع الحق إلى نصابه، فتظهر الحقيقة ناصعة بيضاء، من بين تلك الظلمات، فتمحو الظلام الذي كان عالقاً بنفوس الذين في قلوبهم مرض، وتضيء آفاق العقول السليمة، وتهديهم إلى طريق الرشاد. وإلى الفريقين أشار بقوله:

١ - ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ وهذه الجملة علة للإلقاء؛ أي: ذلك الإلقاء من الشيطان لكي يجعل سبحانه وتعالى ﴿ما يلقي﴾ ﴿الشَّيْطَانُ﴾ في قلوب أوليائه من تلك الشبهات ﴿فِتْنَةً﴾ واختباراً ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك ونفاق؛ لأنه مرض قلبي، مؤد إلى الهلاك الروحاني. كما أن المرض القلبي مؤد إلى الهلاك الجسماني. ﴿و﴾ فتنة لـ ﴿القاسية قلوبهم﴾؛ أي: فتنة للذين قست قلوبهم، وغلظت عن قبول التوحيد، وهم المشركون؛ لأن قلوبهم لا تلين للحق أبداً، ولا ترجع إلى

الصواب بحال.

أي: ذلك الإلقاء ليجعل ما يلقيه الشيطان في قلوب أوليائه فتنة، وضلالة للمنافقين، الذين في قلوبهم مرض، ونفاق. وللكافرين الذين قست قلوبهم فلا تلين لقبول الحق، ولا ترعوي عما هي فيه من الغي والضلال. ثم[1] سجل سبحانه على هاتين الطائفتين، وهما من في قلبه مرض، ومن في قلبه قسوة، بأنهم ظالمون. فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بحرمانها من سعادة الدارين يعني المنافقين والمشركين، ففيه وضع الظاهر موضع المضمر، تسجيلاً عليهم اسم الظلم. ﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾ وخلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق والصواب؛ أي: لفي عداوة شديدة، ومخالفة تامة. ووصف الشقاق بالبعد، مع أن الموصوف به حقيقة من قام به للمبالغة.

أي: وإن[2] هذين الصنفين من الضلال لفي عداوة لأمر الله، وبعد عن الرشاد والسداد بما لا مطمع لهما معه في النجاة، والفوز برضا الله تعالى.

ولما بيَّن سبحانه، أن ذلك الإلقاء كان فتنة في حق أهل النفاق والشرك، بين أنه في حق المؤمنين العالمين بالله العارفين به، سبب لحصول العلم لهم، بأن القرآن حق وصدق فقال:

٢ - ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾؛ أي: ولكي يعلم الذين رزقوا العلم بالله وبآياته، بنسخ ما يلقي الشيطان في قلوب أوليائه من تلك الشبهات وبإحكام آياته ﴿أَنَّهُ﴾؛ أي: أن القرآن المقروء للرسول هو ﴿ٱلْحَقُّ﴾ النازل ﴿مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: من عند ربهم ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: فيصدقوا به. أي:[3] يثبتوا على الإيمان به، أو يزدادوا إيماناً برد ما يلقي الشيطان. وهو عطف على قوله ليعلم. ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ﴾ أي: للقرآن؛ أي: تخشع وتتواضع له ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ أي: قلوب الذين أوتوا العلم وتذعن للإقرار به نفوسهم، وتنقاد له، وتعمل بما فيه من عبادات، وآداب،

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

وأحكام. وهي مثلجة الصدر، هادئة مطمئنة ببرد اليقين والسير على نهج سيد المرسلين.

ثم بين حسن مآلهم، وفوزهم بسعادة العقبى. فقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ في الأمور الدينية خصوصاً في المداحض، والمشكلات التي من جملتها هذا الإلقاء ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ أي: إلى نظر صحيح موصل إلى الحق الصريح.

أي: وإن الله سبحانه لمرشد الذين آمنوا به وصدقوا برسوله، وموفقهم إلى الحق الواضح بنسخ ما ألقى الشيطان في أمنية رسوله حين تلاوة الوحي، وحفظ أصول الدين الصحيحة في نفوسهم، والعمل بها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وخلاصة ذلك: أن الله ليهدي الذين آمنوا إلى تأويل ما تشابه من الدين، وتفصيل ما أجمل منه بما تقتضيه الأصول المحكمة، فلا تلحقهم حيرة، ولا تعتريهم شبهة، ولا تزلزل أقدامهم ترهات المبطلين.

وقرأ الجمهور(١): ﴿لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بالإضافة. وأبو حيوة وابن أبي عبلة بتنوين ﴿لهادٍ﴾. ثم أردفه ببيان مآل الفريق الأول، فقال: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ﴾؛ أي: في شك ﴿مِّنۡهُ﴾؛ أي: مما ألقى الشيطان في قلوبهم من تلك الشبهات والخرافات حين قراءة الرسول القرآن عليهم ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾؛ أي:(٢) حتى يأتيهم الموت فجأة، وهم في بيوتهم آمنون. ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾؛ أي: أو يشتبكوا مع المؤمنين في قتال يهلك فيه أبطالهم، وصناديدهم، كما حدث يوم بدر. وقد جعل هذا اليوم عقيماً؛ لأن المقاتلين يسمون أبناء الحرب، فإذا هم قتلوا وصف هذا اليوم بأنه عقيم.

أو المعنى(٣): ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: القيامة ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة؛ لأنه لا يوم بعده، فكان بهذا الاعتبار عقيماً. والعقيم

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراغي.
(٣) الشوكاني.

في اللغة من لا يكون له ولد، ولما كانت الأيام تتوالى، جعل ذلك كهيئة الولادة، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم، ولا ليلة وصف بالعقيم. وقيل: إن اليوم وصف بالعقيم، لأنه لا رأفة فيه، ولا رحمة. فكأنه عقيم عن الخير. فكأنه قال: حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها.

وخلاصة هذا: أنه لا مطمح في إيمانهم ولا لزوال المرية من قلوبهم، فهم لا يزالون كذلك حتى يهلكوا. وبعد أن بين سبحانه حال الفريقين في الدنيا، أرشد إلى حالهم في الآخرة. فقال: ﴿ٱلْمُلْكُ﴾؛ أي: السلطان القاهر، والاستيلاء التام، والتصرف على الإطلاق. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم إذ تأتيهم الساعة، أو العذاب ﴿لِّلَّهِ﴾ سبحانه وحده لا منازع له فيه، ولا مدافع له عنه. وجملة قوله: ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، فكأنه قيل: فماذا يصنع بهم حينئذٍ، فقيل: يحكم بين فريقي المؤمنين بالقرآن، والمجادلين فيه بالمجازاة اللائقة بكل منهما.

أي: إذا جاء[1] يوم القيامة.. حكم ربهم بينهم بالحق، وجازى كلا منهما بما هو له أهل، وبما أعد نفسه له في الدنيا من عمل صالح، زكى به نفسه، وطهر به روحه، أو عمل سيء دسَّاها به، فرانت على قلبه غشاوة الشكوك والأوهام، واجترام المعاصي والآثام.

ثم فسر هذا الحكم والمحكوم عليهم، وفصله بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالقرآن ولم يجادلوا فيه. ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: الخيرات بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه مستقرون ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ لا يموتون فيها، ولا يخرجون؛ أي: فالذين آمنوا بهذا القرآن وبمن أنزله، وبمن جاء به، وعمل بما فيه من أوامر ونواه، يثيبهم ربهم جنات النعيم، يستمتعون فيها بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، جزاء وفاقاً على ما زكوا به أرواحهم، وأخلصوا له في أعمالهم، وراقبوه في السر والعلن، وخافوا عذابه في ذلك اليوم

(١) المراغي.

الذي تشيب من هوله الولدان. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: أصروا على ذلك، واستمروا. ﴿فَأُولَئِكَ﴾ مبتدأ خبره جملة قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾؛ أي: عذاب ذو إهانة، يذهب بعزهم وكبرهم رأساً، وبالكلية، ويلحقهم من الخزي والصغار ما لا يحيط به الوصف، و[1] إدخال الفاء في خبر الثاني، دون الأول، تنبيه على أن إثابة المؤمنين بطريق التفضل، لا لإيجاب الأعمال الصالحة إياها وأن عقاب الكافرين بسبب أعمالهم السيئة.

والمعنى: أي[2] والذين كفروا بالله وكذبوا رسوله، وجحدوا بآيات كتابه، وقالوا إنما هو إفك افتراه محمد، وأعانه عليه قوم آخرون، أولئك لهم عذاب عند ربهم، يذلهم، ويخزيهم، كفاء استكبارهم عن النظر فيها، وجحودهم بها عناداً، وقد كان لهم فيها - لو تأملوا حق التأمل - ما يكون صاداً لهم عن غيهم، ورادعا لهم عن ضلالهم.

واعلم[3]: أن الفصل والحكومة العادلة كائن لا محالة، وإن كان الكفار في شك من القرآن، وما نطق به من البعث، والمجازاة. روي أن لقمان وعظ ابنه وقال: يا بني إن كنت في شك من الموت فادفع عن نفسك النوم، ولن تستطيع ذلك، وإن كنت في شك من البعث، فإذا نمت فادفع عن نفسك الانتباه، ولن تستطيع ذلك، فإنك إذا فكرت في هذا، علمت أن نفسك بيد غيرك، فإن النوم بمنزلة الموت، واليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت، فإذا عرف العبد مولاه قبل أمره، ونال به عزة لا تنقطع أبداً، وهي عزة الآخرة التي تستصغر عندها عزة الدنيا.

وروي أن عابداً رأى سليمان عليه السلام، في عزة الملك فقال: يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً. فقال سليمان: لتسبيحة واحدة خير مما فيه سليمان تبقى، وملك سليمان يفنى. فإذا كانت التسبيحة الواحدة أفضل من ملك

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

سليمان، فما ظنك بتلاوة القرآن الذي هو أفضل الكتب الإلهية.

ثم أفرد سبحانه المهاجرين بالذكر، تخصيصاً لهم بمزيد الشرف، فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ وفارقوا أوطانهم، وتركوا عشائرهم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وطاعته، وجهاد أعدائه، طلباً لرضاه سبحانه.

وقال بعض المفسرين[1]: هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة. وقال بعضهم: هم الذين هاجروا من الأوطان في سرية، أو عسكر، ولا يبعد حمل ذلك على الأمرين، والكل من سبيل الله. ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ أي: قتلهم أعداء الله في الجهاد. قرأ ابن عامر وأهل الشام ﴿ثم قتّلوا﴾ بالشتديد على التكثير. وقرأ الباقون بالتخفيف. ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ في حال المهاجرة في سفر، أو حضر من غير قتل. واللام في قوله: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ جواب قسم محذوف، والجملة القسمية وجوابها خبر قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾. وفيه دليل على وقوع الجملة القسمية خبراً للمبتدأ؛ أي: وعزتي وجلالي ليثيبنهم الله تعالى ثواباً جزيلاً لا ينقطع أبداً، هو نعيم الجنة، جزاء ما ناضلوا عن دينه، وأخلصوا في الذود عنه.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وأفضل المعطين، وأجود الأكرمين، يعطي من يشاء بغير حساب، ويرزق الخلق كافَّةً، بارهم وفاجرهم، وكل رزق يجري على يد العباد بعضهم لبعض فهو منه سبحانه، لا رزاق سواه، ولا معطي غيره. وجملة ﴿إن﴾ تذييلية مقررة لما قبلها. والرزق العطاء الجاري دنيوياً كان أو أخروياً.

وجملة قوله: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم﴾؛ أي: ليدخلن الله سبحانه وتعالى المهاجرين. واللام فيه للقسم. ﴿مُدْخَلًا﴾ اسم مكان أريد به الجنة. قرأ أهل المدينة: مدخلاً بفتح الميم، والباقون بضمها. وانتصابه على أنه مفعول ثان، أو مصدر ميمي مؤكد للفعل المذكور. جملة مستأنفة، أو بدل من جملة ليرزقنهم الله؛ أي:

---

(١) الشوكاني.

وعزتي وجلالي ليدخلنهم الله سبحانه مسكناً يحبونه لما أنهم يرون فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وذلك هو الذي يرضونه وفوق الرضا. وفي هذا من الامتنان عليهم، والتبشير لهم ما لا يقادر قدره، فإن المدخل الذي يرضونه هو الأوفق لنفوسهم، والأقرب إلى مطلبهم.

والمعنى: أي والله ليدخلن الله المقتولين في سبيله، والموتى مهاجرين في طاعة ربهم، وذوداً عن دينه جنات النعيم، ويكرمون فيها بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لما لا ينالهم فيها مكروه، ولا أذى. كما قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)﴾ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه ﴿لَعَلِيمٌ﴾ بدرجات العالمين، ومراتب استحقاقهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عن تفريط المفرطين منهم، لا يعاجلهم بالعقوبة.

والمعنى: أي وإن الله الذي عمت رحمته، وعظمت نعمته لعليم بمقاصدهم، وأعمالهم، وأعمال أعدائهم، حليم فلم يعاجل هؤلاء المكذبين بالعقوبة جزاء تكذيبهم ومقاومتهم دعوة الدين مع غاية الاقتدار.

روي: «أن إبراهيم عليه السلام، رأى عاصياً في معصيته فدعا عليه، وقال اللهم أهلكه ثم رأى ثانياً وثالثاً ورابعاً فدعا عليه، فقال الله تعالى: يا إبراهيم لو أهلكنا كل عبد عصى ما بقي إلا القليل، ولكن إذا عصى أَمْهَلْناه فإن تاب قبلناه، وإن استغفر أخرنا العذاب عنه، لعلمنا أنه لا يخرج عن ملكنا».

الإعراب

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: ناصب واسمه ﴿يُدَافِعُ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿عَنِ الَّذِينَ﴾ متعلق به ومفعول يدافع محذوف، تقديره: عوادي المشركين وغوائلهم. والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾. وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتأكيد البشرى. ﴿آمَنُوا﴾ فعل وفاعل صلة الموصول ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ ناصب واسمه. ﴿لَا﴾ نافية ﴿يُحِبُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهَ﴾. ﴿كُلَّ

خَوَّانٍ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿كَفُورٍ﴾ صفة ﴿خَوَّانٍ﴾. وجملة ﴿لَا يُحِبُّ﴾: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾. وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾.

﴿أُذِنَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل، والمأذون فيه محذوف لعلمه؛ أي: في القتال، والجملة الفعلية مستأنفة، مسوقة لبيان الإذن في قتال المشركين. ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾: فعل ونائب فاعل صلة الموصول. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ الباء: حرف جر وسبب. ﴿أنهم﴾ ناصب واسمه. ﴿ظُلِمُوا۟﴾ فعل ونائب فاعل، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في تأويل مصدر مجرور بالباء؛ أي: بسبب ظلمهم، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿أُذِنَ﴾ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ الواو: استئنافية، ﴿إن الله﴾ ناصب واسمه. ﴿عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿قدير﴾ ﴿لَقَدِيرٌ﴾ اللام: حرف ابتداء ﴿قدير﴾ خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة للوعد لهم بالنصر، على طريق الرمز والكناية. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول للجمع المذكر في محل الجر نعت، أو بدل من ﴿الذين يقاتلون﴾، أو في محل الرفع خبر لمبتدأ محذوف. ﴿أُخْرِجُوا۟﴾: فعل ونائب فاعل صلة الموصول. ﴿مِن دِيَٰرِهِم﴾ متعلق بأخرجوا. ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه حال من واو ﴿أُخْرِجُوا۟﴾؛ أي: حالة كون إخراجهم ملتبساً بغير حق، ﴿إِلَّآ﴾ أداة استثناء منقطع ﴿أَن يَقُولُوا۟﴾ ناصب وفعل وفاعل ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول لـ ﴿يَقُولُوا۟﴾، وجملة ﴿يَقُولُوا۟﴾ في تأويل مصدر منصوب على الاستثناء، ولكنه على تقدير حرف الجر، كما في المستثنى منه؛ أي: ما أخرجوا بشيء من الأشياء إلا بقولهم ربنا الله. واختار الزمخشري وغيره: أن يكون الاستثناء مفرغاً لوجود النفي بغير، فـ﴿إِلَّآ﴾ أداة حصر. و﴿أَن يَقُولُوا۟﴾ في محل جر على الإبدال من ﴿حَقٍّ﴾؛ أي: بغير موجب سوى التوحيد، الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين، لا موجب الإخراج والتسيير. ﴿وَلَوْلَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿لولا﴾ حرف امتناع لوجود متضمن

معنى الشرط. ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ خبره محذوف وجوباً لقيام جواب ﴿لولا﴾ مقامه، تقديره موجود. وهو مصدر مضاف إلى الفاعل. ﴿ٱلنَّاسَ﴾ مفعول به لـ﴿دَفْعُ﴾؛ لأن المعنى ولولا أن دفع الله الناس. ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ بعضهم بدل بعض من الناس. ﴿بِبَعْضٍ﴾ متعلق بدفع.

﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿لَّهُدِّمَتْ﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لولا﴾. ﴿هدمت صوامع﴾ فعل مغير ونائب فاعل. ﴿وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ﴾ معطوفات على ﴿صَوَٰمِعُ﴾. والجملة الفعلية جواب ﴿لولا﴾، لا محل لها من الإعراب. وجملة ﴿لولا﴾ مستأنفة. ﴿يُذْكَرُ﴾ فعل مضارع مغير الصيغة. ﴿فِيهَا﴾ متعلق به. ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ نائب فاعل لـ ﴿يُذْكَرُ﴾. ﴿كَثِيرًا﴾ صفة لمصدر محذوف؛ أي: ذكرا كثيراً، أو صفة لظرف محذوف؛ أي: وقتا كثيراً. والجملة الفعلية في محل الرفع صفة للمواضع المذكورة. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ﴾ الواو استئنافية. واللام: موطئة للقسم. ﴿ينصرن﴾ فعل مضارع في محل الرفع، لتجرده عن الناصب والجازم. في محل الرفع مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعل ﴿مَن﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية جواب لقسم محذوف. وجملة القسم مستأنفة. ﴿يَنصُرُهُۥٓ﴾: فعل ومفعول به وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَقَوِىٌّ﴾ اللام حرف ابتداء، ﴿قوي﴾ خبر أول لأن. ﴿عَزِيزٌ﴾ خبر ثان لها وجملة إن مستأنفة مسوقة لتعليل النصر.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبلها، أو نعت ثان لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأولى، أو خبر لمبتدأ محذوف، أو بدل من ﴿مَن﴾ الموصولة في قوله: ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾؛ أي:

لينصرن الله، الذي هم إن مكناهم. ذكر هذا الوجه الزجاج. ﴿إِن﴾. حرف شرط. ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بـ ﴿إِن﴾، على كونه فعل شرط لها. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق بـ ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾. ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بـ ﴿إِن﴾ على كونه جواب شرط لها، وجملة ﴿إِن﴾ الشرطية صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب. ﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿أَقَامُوا۟﴾. ﴿وَأَمَرُوا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَقَامُوا۟﴾ أيضاً. ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: متعلق بـ ﴿أمروا﴾. ﴿وَنَهَوْا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَقَامُوا۟﴾. ﴿عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: متعلق بـ ﴿نهوا﴾. ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: الواو استئنافية ﴿لله﴾ خبر مقدم. ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾.

﴿وَإِن﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿يُكَذِّبُوكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول مجزوم بـ ﴿إِن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها، وعلامة جزمه حذف النون. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: رابطة لجواب ﴿إِن﴾ الشرطية وجوباً، لكون الجواب مقروناً بقد. ﴿قد﴾ حرف تحقيق. ﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ ﴿إِن﴾ الشرطية على كونه جواباً لها. ﴿قَبْلَهُمْ﴾ متعلق به. ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: فاعل ومضاف إليه ﴿وَعَادٌ﴾ معطوف على ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾. ﴿وَثَمُودُ﴾ معطوف عليه أيضاً. وجملة ﴿إِن﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ معطوف على ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾. وكذا قوله: ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾. معطوفان عليه. و﴿مَدْيَنَ﴾: ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي كزينب.

﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿كُذِّب موسى﴾: فعل ونائب فاعل. والجملة في محل الجزم معطوفة على جملة قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾. ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾: الفاء: عاطفة. ﴿أمليت﴾: فعل وفاعل في محل الجزم معطوف على

جملة الجواب. ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلق به. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ. ﴿أَخَذْتُهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم معطوف على ﴿أمليت﴾. ﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء، عاطفة. ﴿كيف﴾: اسم استفهام للاستفهام التقريري التعجبي. في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم عليها وجوباً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص في محل الجزم معطوف على ﴿أَخَذْتُهُمْ﴾. ﴿نَكِيرِ﴾: اسمها مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة، اجتزاء عنها بالكسرة الممنوعة بسكون الوقف. ﴿نَكِيرِ﴾: مضاف وياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بالكسرة في محل الجر مضاف إليه.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿فَكَأَيِّن﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية. ﴿كأين﴾ خبرية بمعنى عدد كثير في محل الرفع، مبتدأ مبني على السكون لشبهها بالحرف، شبها معنوياً لتضمنه معنى رب التكثيرية. ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ تمييز لـ﴿كأين﴾ مجرور بـ ﴿مِّن﴾ الزائدة. ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿كأين﴾. والجملة الاسمية مستأنفة، ويجوز نصب ﴿كأين﴾ على الاشتغال بفعل محذوف يفسره ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾، فتكون جملة ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ مفسرة، ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب حال من مفعول ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾. ﴿فَهِىَ﴾ الفاء: عاطفة. ﴿هي خاوية﴾ مبتدأو خبر. والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾. ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَاوِيَةٌ﴾. ﴿وَبِئْرٍ﴾ معطوف على ﴿قَرْيَةٍ﴾. ﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾ صفة لـ ﴿بئر﴾. ﴿وَقَصْرٍ﴾ معطوف أيضاً على ﴿قَرْيَةٍ﴾. ﴿مَّشِيدٍ﴾ صفة ﴿قصر﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾.

﴿أَفَلَمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي المضمن للإنكار داخلة على محذوف. والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير: أغفل أهل مكة فلم يسيروا في الأرض. ﴿لم﴾ حرف نفي وجزم. ﴿يَسِيرُوا۟﴾ فعل وفاعل مجزوم بـ

﴿لم﴾. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق به. والجملة الفعلية معطوفة على الجملة المحذوفة. والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿فَتَكُونَ﴾ الفاء: عاطفة سببية ﴿تكون﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة وجوباً، بعد الفاء السببية الواقعة في جواب الاستفهام، أو النفي. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور مقدم لـ ﴿تكون﴾. ﴿قُلُوبٌ﴾. اسمها. ﴿يَعْقِلُونَ﴾ فعل وفاعل. ﴿بِهَآ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع صفة لـ ﴿قُلُوبٌ﴾، والتقدير: فتكون قلوب عاقلون بها كائنة لهم. وجملة ﴿تكون﴾ صلة إن المضمرة، ﴿إن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر. معطوف على مصدر متصل من الجملة التي قبلها، من غير سابكٍ لإصلاح المعنى. تقديره: هل يكون سيرهم في الأرض، فكون قلوب عاقلة لهم. أو لم يكن سيرهم في الأرض. فكون قلوب عاقلة لهم. ﴿أَوْ ءَاذَانٌ﴾: معطوف على ﴿قُلُوبٌ﴾ ﴿يَسْمَعُونَ﴾ فعل وفاعل صفة لـ﴿ءَاذَانٌ﴾ ﴿بِهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَسْمَعُونَ﴾.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿فَإِنَّهَا﴾: ﴿الفاء﴾: تعليلية ﴿إنَّ﴾ حرف نصب. الهاء: ضمير القصة في محل النصب اسمها ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فعل وفاعل. والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ مفسرة لضمير الشأن. وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿وَلَٰكِن﴾ الواو عاطفة. ﴿لكن﴾ حرف استدراك. ﴿تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ﴾ فعل وفاعل. والجملة الفعلية في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿لَا تَعْمَى﴾ على كونها خبراً ﴿لأن﴾ ﴿ٱلَّتِي﴾ صفة لـ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾. ﴿فِي ٱلصُّدُورِ﴾: جار ومجرور صلة الموصول.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿يستعجلونك﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾: متعلق به. ﴿وَلَن يُخْلِفَ﴾ الواو: حالية ﴿لن﴾ حرف نفي ونصب. ﴿يُخْلِفَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ ﴿لن﴾. ﴿وَعْدَهُۥ﴾ مفعول به. والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿يستعجلونك﴾، والرابط محذوف،

تقديره ويستعجلونك بالعذاب، حالة كونهم، لن يخلف الله وعدهم. ﴿وَإِنَّ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية. ﴿إن يوماً﴾: ناصب واسمه. ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: صفة لـ ﴿يَوْمًا﴾. ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه خبر ﴿إن﴾. ﴿مِّمَّا﴾ جار ومجرور صفة ﴿سَنَةٍ﴾، وجملة: ﴿تَعُدُّونَ﴾ صلة لـ ﴿ما﴾ أو صفة لها. والعائد، أو الرابط محذوف، تقديره: مما تعدونه. وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب معطوفة على الجملة التي قبلها، على كونها حالاً من فاعل ﴿يستعجلون﴾، والتقدير: ويستعجلونك بالعذاب، حالة كونهم، لن يخلف الله وعدهم، وحالة كون يوم مما وعدهم ربهم، كألف سنة مما تعدون، أو جملة ﴿إن﴾ مستأنفة.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وَكَأَيِّن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿كأين﴾: خبرية في محل الرفع مبتدأ. ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: تمييز لها في محل النصب مجرور بـ ﴿مِّن﴾. ﴿أَمْلَيْتُ﴾ فعل وفاعل. والجملة في محل الرفع خبر ﴿كأين﴾. والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿يستعجلونك﴾. ﴿لَهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَمْلَيْتُ﴾. ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ مبتدأ وخبر. والجملة في محل النصب حال من ضمير لها. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ فعل وفعل ومفعول معطوف على ﴿أَمْلَيْتُ﴾. ﴿وَإِلَيَّ﴾ خبر مقدم. ﴿الْمَصِيرُ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة، أو حال من ضمير ﴿أَخَذْتُهَا﴾؛ أي: ثم أخذتها حال، كون مصيرها إلي، لا إلى غيري.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد. والجملة مستأنفة. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي. وإن شئت قلت: ﴿يا﴾: حرف نداء. ﴿أيُّ﴾: منادى نكرة مقصودة. ﴿ها﴾ حرف تنبيه ﴿النَّاسُ﴾: بدل لـ﴿أي﴾. وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر. ﴿أَنَا﴾ مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق بما بعده ﴿نَذِيرٌ﴾ خبر المبتدأ ﴿مُّبِينٌ﴾ صفة له، والجملة الاسمية في محل النصب، مقول ﴿قُلْ﴾ على كونها جواب النداء.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿فَٱلَّذِينَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا قلت لهم: يا أيها الناس، إنما أنا لكم بشير ونذير، وأردت بيان مآلهم.. فأقول لك: الذين آمنوا. ﴿الذين﴾ مبتدأ أول. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ءَامَنُوا۟﴾ ﴿لَهُم﴾: خبر مقدم. ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ مبتدأ ثان مؤخر. ﴿وَرِزْقٌ﴾ معطوف على ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾. ﴿كَرِيمٌ﴾ صفة لـ ﴿رزق﴾، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره. في محل الرفع خبر للأول، وجملة الأول مع خبره في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿الذين﴾: مبتدأ أول. ﴿سَعَوْا۟﴾ فعل وفعل صلة الموصول. ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿سَعَوْا۟﴾. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: حال من فاعل ﴿سَعَوْا۟﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ثان ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ خبره. والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر للأول، وجملة الأول مع خبره في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية: ﴿ما﴾: نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أرسلنا﴾. ﴿مِن﴾: زائدة. ﴿رَّسُولٍ﴾ مفعول به لـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾. ﴿وَلَا نَبِىٍّ﴾ معطوف على الرسول. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء من عام الأوقات ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾: فعل ماض وفاعله ضمير يعود على رسول أو نبي، والجملة الفعلية في محل الجر بإضافة إذا إليها، على كونها فعل شرط لها. ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فعل وفاعل. ﴿فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية جواب إذا لا محل لها من الإعراب. وجملة إذا من فعل شرطها وجوابها في محل النصب على الاستثناء من

أعم الأوقات، والتقدير: وما أرسلنا من قبلك من رسول، ولا نبي في وقت من الأوقات، إلا وقت القاء الشيطان في أمنيته وقت تمنيه وقراءته. ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾ الفاء: عاطفة ﴿ينسخ الله ما﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿أَلْقَى﴾ ﴿يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فعل وفاعل صلة لما أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف، تقديره: ما يلقيه ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ. ﴿يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ينسخ﴾. ﴿وَٱللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿عَلِيمٌ﴾ خبر أول ﴿حَكِيمٌ﴾ خبر ثان، والجملة الاسمية جملة معترضة، لا محل لها من الإعراب لاعتراضها بين الجار ومتعلقه.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿لِّيَجْعَلَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿يجعل﴾: منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿مَا﴾ في محل النصب مفعول أول لـ ﴿جعل﴾. ﴿يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فعل وفاعل صلة لما، أو صفة لها، والعائد، أو الرابط محذوف تقديره: ما يلقيه الشيطان. ﴿فِتْنَةً﴾ مفعول ثان لـ ﴿جعل﴾، وجملة يجعل مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لجعل الله ما يلقي الشيطان فتنة، للذين في قلوبهم مرضٌ. الجار والمجرور متعلق بـ ﴿يُحْكِمُ﴾. وفي «الفتوحات» قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ في متعلق هذه اللام ثلاثة أوجه:

أظهرها: أنها متعلق بـ ﴿يُحْكِمُ﴾.

والثاني: أنها متعلق بـ ﴿ينسخ﴾، وهذا الوجه ظاهر أيضاً.

والثالث: أنها متعلق بـ ﴿أَلْقَى﴾، وليس بظاهر، انتهى. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: جار ومجرور صفة لـ ﴿فِتْنَةً﴾، أو متعلق به. ﴿فِي قُلُوبِهِم﴾ خبر مقدم. ﴿مَّرَضٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الموصول. ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ﴾ معطوف على الذين. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فاعل القاسية. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ الواو حالية، أو استئنافية. ﴿إن الظالمين﴾: ناصب واسمه. ﴿لَفِي﴾ اللام حرف ابتداء. ﴿في شقاق﴾ جار ومجرور خبر ﴿إن﴾. ﴿بَعِيدٍ﴾ صفة ﴿شِقَاقٍ﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب

حال، من الموصول وما عطف عليه، والرابط إعادة صاحب الحال بمعناه، والتقدير: حالة كون الذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم كائنين في شقاق بعيد، أو جملة ﴿إن﴾ مستأنفة.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. و﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل ﴿يعلم الذين﴾ فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، الجار والمجرور معطوف على الجال والمجرور في قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾، وقد تقدم لك بيان متعلقه. ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ فعل ونائب فاعل ومفعول ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ ناصب واسمه وخبره ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ جار ومجرور حال من ﴿ٱلْحَقُّ﴾، وجملة ﴿إن﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعول ﴿يعلم﴾؛ أي: كونه الحق من ربهم. ﴿فَيُؤْمِنُوا۟﴾: الفاء عاطفة. ﴿يؤمنوا﴾، فعل وفاعل مطعوف على ﴿ليعلم﴾ منصوب بأن مضمرة. ﴿بِهِۦ﴾ متعلق بـ ﴿يؤمنوا﴾. ﴿فَتُخْبِتَ﴾ الفاء: عاطفة. ﴿تخبت﴾ فعل مضارع معطوف على ﴿يؤمنوا﴾، منصوب بأن مضمرة. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿تخبت﴾. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فاعل لـ ﴿تخبت﴾. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ الواو: استئنافية. ﴿إن الله﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهَادِ﴾ اللام: حرف ابتداء ﴿هاد﴾: خبر ﴿إن﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة، للتخلص من التقاء الساكنين؛ لأنه اسم منقوص وحذفت خطًّا تبعاً للفظ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿هاد﴾؛ لأنه اسم فاعل، ويجوز فيه الإضافة، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة. ﴿ءَامَنُوٓا۟﴾ فعل وفعل صلة الموصول. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ متعلق بـ ﴿هاد﴾. ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة صراط.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾.

﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿لا﴾: نافية. ﴿يَزَالُ﴾: فعل مضارع ناقص من أخوات كان. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: في محل الرفع اسمها ﴿كَفَرُوا۟﴾ فعل وفاعل صلة

الموصول. ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: جار ومجرور خبر ﴿يَزَالُ﴾. ﴿مِنْهُ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿مِرْيَةٍ﴾، أو متعلق به، وجملة ﴿لا يزال﴾ من اسمها وخبرها معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ ليستكمل شرح حال الكافرين ويستوفيها ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾: فعل ومفعول منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى بمعنى إلى ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية مع أن المضمرة، في تأويل مصدر مجرور بـ ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى، تقديره إلى إتيان الساعة إياهم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يَزَالُ﴾. ﴿بَغْتَةً﴾ حال ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ﴾ فعل ومفعول معطوف على ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾. ﴿عَذَابُ يَوْمٍ﴾ فاعل ومضاف إليه. ﴿عَقِيمٍ﴾ صفة لـ﴿يَوْمٍ﴾.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿ٱلْمُلْكُ﴾: مبتدأ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف مضاف إلى مثله، متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر. ﴿لِّلَّهِ﴾ جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿يَحْكُمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنه قيل: إذا كان الملك لله سبحانه، فماذا يصنع بهم. ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف متعلق بـ ﴿يَحْكُمُ﴾. ﴿فَٱلَّذِينَ﴾ الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت أنه يحكم بينهم، وأردت بيان كيفية الحكم بينهم. فأقول لك: ﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿ءَامَنُوا۟﴾ فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ءَامَنُوا۟﴾. ﴿فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ أول. ﴿كَفَرُوا۟﴾ فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ فعل وفاعل معطوف على كفروا. ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بكذبوا. ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الفاء: رابطة الخبر بالمبتدأ، لما في المبتدأ من رائحة الشرط. ﴿أولئك﴾ مبتدأ ثان. ﴿لَهُمْ﴾ خبر مقدم ﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ ثالث مؤخر. ﴿مُّهِينٌ﴾

صفة لـ ﴿عَذَابٌ﴾، وجملة الثالث خبر للمبتدأ الثاني، وجملة الثاني خبر للأول، وجملة الأول في محل النصب، معطوفة على جملة قوله: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿الذين﴾ مبتدأ. ﴿هَاجَرُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ متعلق به. ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿هَاجَرُوا﴾ ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿قُتِلُوا﴾. ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾ اللام، موطئة للقسم. ﴿يرزقنهم﴾: فعل ومفعول في محل الرفع، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. ﴿اللَّهُ﴾ فاعل. ﴿رِزْقًا﴾ مفعول مطلق. ﴿حَسَنًا﴾ صفة له، والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم مع جوابه، في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ ناصب واسمه ﴿لَهُوَ﴾ اللام، حرف ابتداء. ﴿هو﴾ ضمير فصل. ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتأكيد ما قبلها.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿يدخلنهم﴾: فعل مضارع ومفعول به. في محل الرفع، مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية جوابا القسم، وجملة القسم بدل من قوله: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾، أو مستأنفة. ﴿مُّدْخَلًا﴾ منصوب على المفعولية المطلقة. ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول صفة لمدخلاً. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ ناصب واسمه. ﴿لَعَلِيمٌ﴾: اللام: حرف ابتداء. ﴿عليم﴾: خبر أول لأن. ﴿حَلِيمٌ﴾ خبر ثان لها، وجملة ﴿إن﴾ معطوفة على جملة القسم أو مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿يُدَافِعُ﴾؛ أي: يدفع فالمبالغة ليست على بابها. قال الراغب: الدفع إذا عدى بإلى اقتضى معنى الإنالة، نحو قوله تعالى: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾. وإذا

عدى بعن، اقتضى معنى الحماية: نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ أي: يبالغ في دفع ضرر المشركين عن المؤمنين، ويحميهم أشد الحماية من أذاهم. ﴿خَوَّانٍ﴾ بليغ الخيانة في أمانة الله، أمراً كان، أو نهياً، أو غيرهما من الأمانات. ﴿كَفُورٍ﴾ بليغ الكفران لنعمته، فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم. والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعاً. وصيغة المبالغة فيهما لبيان أنهم كانوا كذلك، لا لتقييد البعض بغاية الخيانة والكفر، فإن نفي الحب كناية عن البغض.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ والمراد بديارهم: مكة المكرمة. وتسمى البلاد الديار؛ لأنه يدار فيها للتصرف. يقال: ديار بكر لبلادهم، وتقول العرب: الذي حوالي مكة، نحن من عرب الدار، يريدون من عرب البلد. قال الراغب: «الدار المنزل اعتباراً بدورانها الذي لها بالحائط». وقيل: دارة وجمعها ديار، ثم تسمى البلدة داراً. اهـ. «روح البيان».

﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ الهدم: إسقاط البناء، والتهديم للتكثير؛ أي: لخربت باستيلاء المشركين عليها. ﴿صَوَٰمِعُ﴾ جمع صومعة وصومع، وهو جبل أو مكان مرتفع يسكنه الراهب، أو المتعبد قصد الإنفراد. ثم أطلقت الكلمة على الدير والصومعة أيضاً العقاب والبرنس وأعلى كل جبل، إذا كان منتدق الرأس. وفي «السمين» الصومعة: البناء المرتفع المحدب الأعلى. ووزنها فوعلة، كدحرجة. وهي متعبد الرهبان. وقيل: متعبد الصابئين.

﴿بيع﴾ جمع بيعة بكسر الباء، المعبد للنصارى واليهود، والجمع بيه بكسر الباء وفتح الياء، وبيعات بكسر الباء وسكون الياء. ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: بفتح الصاد واللام، جمع صلاة. وسميت الكنيسة صلاة، لأنه يصلي فيها. وقيل: هي كلمة معربه، أصلها بالعبرانية: صلوثا بفتح الصاد والثاء المثلثة، كما في «الخفاجي على البيضاوي»، وبه قرىء في الشواذ.

ومعناه في لغتهم: المصلى فلا يكون مجازاً. ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ جمع مسجد، وهو معبد المسلمين.

﴿وَأۡمُرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ قال الراغب المعروف: اسمٌ لكل فعل يعرف بالعقل، والشرع حسنه و﴿ٱلۡمُنكَرِۗ﴾: ما ينكر بهما.

﴿فَأَمۡلَيۡتُ﴾ أمهلتهم إلى أجلهم ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ قال الراغب: الأخذ: وضع الشيء وتحصيله، وذلك تارة بالتناول. نحو ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ وتارة بالقهر ومنه الآية. ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ والنكير: مصدر بمعنى الإنكار، كالنذير بمعنى الإنذار، فالمراد بالإنكار: التغيير بالضد بأن غير حياتهم بإهلاكهم وموتهم، وعمارتهم بالخراب. وليس بمعنى الإنكار اللساني والقلبي، اهـ. شيخنا. وفي «المراغي»، والنكير والإنكار على الشيء: أن تفعل فعلاً به يزجر المنكر عليه على ما فعل. ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾؛ أي: ساقطة. ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾؛ أي: سقوفها.

﴿وَبِئۡرٖ﴾ البئر في الأصل: حفيرٌ يستر رأسها لئلا يقع فيها من مر عليها. وفي «المختار» بأر يبأر بأراً بهمزة بعد الباء إذا حفرها، وبابه قطع، وقد تبدل همزته ياء والبئر فعلٌ بمعنى مفعول، كالذبح بمعنى المذبوح، حفرة في الأرض عظيمة، يستقىٰ منها الماء، والجمع آبار وأبائر، وبئار وأبؤر، وهي مؤنثة. وفي «الأساس» الفاسق من ابتأر، والفويسق من ابتهر، يقال ابترت الجارية إذا قال: فعلت بها وهو صادق، وابتهرتها إذا قال: ذلك وهو كاذبٌ، ومنه التأبير، وهو شق كيزان طلع الإناث، وذر طلع الذكور فيه.

﴿مُّعَطَّلَةٖ﴾؛ أي: متروكة بموت أهلها، معطلة عن منافعها، مع أنها عامرة فيها الماء، ومعها آلات الاستقاء. ﴿وَقَصۡرٖ﴾ يقال: قصرت كذا ضممت بعضه إلى بعض، ومنه سمي القصر. قال في «القاموس»: القصر خلاف الطول وخلاف المد والمنزل، وكل بيت من حجر. ﴿مَّشِيدٍ﴾؛ أي؛ مبني بالشيد وهو الجص. وقيل: مشيد؛ أي: مطول مرفوع البنيان وفي «القاموس» شاد الحائط يشيده إذا طلاه بالشيد، وهو ما طلي به حائط من جصٍّ ونحوه. والمشيد المعمول به، وكمؤيد المطول انتهى.

﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ والكريم من كل نوع: ما يجمع فضائله، ويحوز كمالاته.

اهـ «بيضاوي». ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ وأصل السعي: الإسراع في المشي، ثم استعمل في الإصلاح والإفساد. يقال سعى في أمر فلان، إذا أصلحه أو أفسده بسعيه فيه؛ أي: سعوا واجتهدوا في إبطال آياتنا حيث قالوا: القرآن شعر، أو سحر، أو أساطير الأولين. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾؛ أي: مسابقين المؤمنين ومعارضين لهم، فكلما طلبوا إظهار الحق، طلب هؤلاء إبطاله. وأصله من قولهم عاجزه فأعجزه إذا سابقه فسبقه.

و﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ الجحيم: النار الموقدة، وقيل: اسم دركة من دركاتها ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾؛ أي: قرأ، قال في «القاموس»: تمنَّى الكتاب، قرأه، والحديث اخترعه وافتعله. اهـ.

وقال الراغب: التمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها، والأمنية الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء. وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾.

معناه إلا تلاوةً مجردة عن المعرفة، من حيث إن التلاوة بلا معرفة المعنى: تجري عند صاحبها مجرى أمنية تمناها على التخمين، اهـ. «روح البيان».

وإنما سميت القراءة أُمنيةً؛ لأن القارىء إذا انتهى إلى آية رحمة، تمنى حصولها، وإذا انتهى إلى آية عذاب، تمنى أن لا يبتلى به، اهـ من الرازي. وفي «المختار» والأمنية، واحد الأماني، تقول منه تمنى الكتاب إذا قرأه، اهـ.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يزيل ويبطل، فالمراد بالنسخ هو النسخ اللغوي، لا النسخ الشرعي المستعمل في الأحكام. ﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ من القسوة وهو غلظ القلب، وأصله من حجر قاس، والمقاساة معالجة ذلك. وأل في القاسية موصولة، والصفة صلتها، وقلوبهم فاعل بها، والضمير المضاف إليه هو عائد الموصول. وأنث الصلة لأن مرفوعها مؤنث مجازي، ولو وضع فعل موضعها لجاز تأنيثه. والقاسية عطف على الذين، كما سبق في مبحث الإعراب؛ أي: فتنة للذين في قلوبهم مرض، وفتنة للقاسية قلوبهم، اهـ. «سمين» ـ والمراد بهم الكفار المجاهرون بالكفر.

﴿شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: عداوة شديدة. ﴿فَتُخْبِتَ﴾؛ أي: تذل وتخضع. ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: شكٍ وريبٍ وجدال من القرآن. والمرية بالكسر والضم لغتان مشهورتان، وظاهر كلام أبي البقاء أنهما قراءتان ولا أحفظ الضم هنا، اهـ «سمين». قال الراغب: المرية التردد في الأمر، هي أخص من الشك.

﴿بَغْتَةً﴾ فجأة. ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: القيامة أو الموت. ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾؛ أي: منفرد عن سائر الأيام، لا مثيل له في شدته. والمراد الحرب الضروس. وأصل العقم اليبس المانع من قبول الأثر والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل.

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال الراغب: النعيم، النعمة الكثيرة، اهـ. ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ أي: أفضل المعطين، فأفعل التفضيل على بابه، ومعلوم أن كل الرزق من عنده تعالى، فالتفاوت إنما كان بسبب أنه تعالى مختص، بأن يرزق لما لا يقدر عليه غيره. وقيل: إن غيره إذا رزق فإنما يرزق لانتفاعه، إما لأجل خروجه عن الواجب، أو لأجل أن يستحق به حمداً أو ثناء، أو لأجل الرقة الجنسية، وأما الحق سبحانه وتعالى، فإن كماله صفة ذاتية له، فلا يستفيد من شيء كمالاً زائداً، فالرزق الصادر منه لمحض الإحسان، اهـ. كرخي.

﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ﴾ والقتل: إزاة الروح عن الجسد، لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال له قتل، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال له موتٌ.

﴿مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم من أدخل يدخل مدخلاً؛ أي: إدخالاً فيكون مدخلاً اسماً لمصدر الفعل الذي قبله، فيكون المفعول به محذوفاً؛ أي: ليدخلنهم الجنة إدخالاً يرضونه، وقراءة نافع بفتحها موضع الدخول، فيكون المدخل مصدر، دخل يدخل دخولاً ومدخلاً فيكون مفعولاً للفعل قبله، ليدخلنهم مكاناً يرضونه، اهـ. كرخي.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من البلاغة، وضروباً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: المبالغة في قوله: ﴿خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ لأن فعالاً وفعولاً من أوزان المبالغة.

ومنها: حذف مفعول يدافع اختصاراً لدلالة المقام على تعيينه؛ أي: غوائل المشركين. قال أبو حيان: لم يذكر الله ما يدفعه عنهم ليكون أفخم وأعظم وأعم.

ومنها: حذف مفعول: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ لدلالة السياق عليه؛ أي: أذن لهم في القتال بعد الهجرة.

ومنها: التعبير عن الماضي بلفظ المضارع في قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾؛ أي: بسبب قولهم إشارة إلى استمرار ذلك القول. ودوامه لهم.

ومنها: تأكيد المدح بما يشبه الذم في قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾.

ومنها: الإظهار في موضع الإضمار في قوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ زيادة في التشنيع عليهم. وللنداء عليهم بصفة الكفر، وحق العبارة أن يقال: فأمليت لهم.

ومنها: الاستفهام التقريري التعجبي في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ من إسناد ما للحال إلى المحل؛ لأن الظلم من وصف أهلها، لا من وصف القرية.

ومنها: تأنيث ضمير الشأن في قوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وحسن التأنيث في الضمير، كونه وليه فعل بعلامة تأنيث، ولو ذكر في الكلام فقيل: فإنه لجاز، وهي قراءة مروية عن عبد الله، والتذكير باعتبار الأمر والشأن، والتأنيث باعتبار القصة، اهـ «سمين».

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

ومنها: التكرير في قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾.

ومنها: الاكتفاء في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بدليل التعميم المذكور

فيما بعد، وكان القياس أن يقال: إنما أنا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده.

ومنها: المقابلة اللطيفة بين قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق، في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿ينسخ ثم يحكم﴾.

ومنها: وضع الظاهر موضع المضمر، تسجيلاً عليهم ونداءً باسم الظلم، في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

ومنها: الاستعارة بالكناية في قوله: ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ بأن شبه مالا خير فيه من الزمان بالنساء العقيم، كما شبهت الريح التي لا تحمل السحاب، ولا تلقح الأشجار بهن، تشبيهاً مضمراً في النفس، وإثبات العقم تخيل، فإن الأيام بعضها نتائج لبعض، فكل يوم يلد مثله، اهـ. من «الشهاب». أو لأن يوم الحرب يقتل فيه أولاد النساء فيصرن كأنهن عقم لم يلدن.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (٦١) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ
وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ (٦٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ
ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ
وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥) وَهُوَ ٱلَّذِيٓ
أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ (٦٦) لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ
نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَٰدَلُوكَ
فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ
(٧٠) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ
(٧١) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٧٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا
يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ (٧٤) ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (٧٥)
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٧٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَٰهِدُوا۟ فِي
ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ
سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ
فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ (٧٨) ﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ...﴾ مناسبة هذه الآيات لما قبلها واضحة، وهو أنه تعالى لما ذكر ثواب من هاجر وقتل ومات في سبيل الله أخبر أنه لا يدع نصرتهم في الدنيا على من بغىٰ عليهم وهو قديرٌ على ذلك إذ من قدر على إدخال الليل في النهار وإدخال النهار في الليل بأن يزيد من أحدهما ما ينقصه من الآخر.. يقدر على نصره وهو الثابت الإلهية وحده إذ لا يصلح لها إلا من كان كامل القدرة كامل الحلم وأن ما سواه باطل لا يقدر على شيء.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنّ الله سبحانه وتعالى لمّا ذكر(١) ما دلّ على قدرته الباهرة، من إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، وهما أمران مشاهدان بمجيء الظلمة والنور، ذكر أيضاً ما هو مشاهد من العالم العلوي والعالم السفلي، وهو نزول المطر وإنبات الأرض، وإنزال المطر واخضرار الأرض مرئيّان.

قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنّ الله سبحانه وتعالى لما قدّم(٢) ذكر نعمه، وأنه رؤوف بعباده رحيم بهم، وأنّ الإنسان كفور بطبعه، ومن ثمّ جحد الخالق لهذه النعم، أتبعه بزجر معاصريه ﷺ من أهل الأديان السماوية، عن منازعته بذكر خطأهم فيما تمسكوا به من الشرائع، وبيان أنّ لكل أمة شريعة خاصّة. ثمّ أمره بالثبات على ما هو عليه من الحقّ، وأنه لا يضره عناد الجاحدين، فالله هو الحكم بينهم وبينه يوم القيامة. وفي «الفتوحات»: مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنّ هذه مشتملة على النعم التكليفية، والتي قبلها مشتملة على نعم غير تكليفية، اهـ انتهت.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ الآيات،

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنّه سبحانه وتعالى لمّا ذكر[1] الفصل بين الكفار والمؤمنين يوم القيامة، أعقب تعالى ذلك بأنّه عالم بجميع ما في السماء والأرض، فلا تخفى عليه أعمالكم، وأنّ ذلك في كتاب.

وعبارة المراغي هنا: مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنّ الله سبحانه لمّا ذكر أنّه يحكم بين عباده يوم القيامة، ويجازي كلاًّ من المسيء والمحسن بما هو له أهل.. أعقب هذا ببيان أنّه العليم بما يستحقّه كلّ منهم، فيقع حكمه بينهم بالعدل.

ثمّ أرشد إلى أنّه على وضوح الدلائل وعظيم النعم عليهم عبدوا غيره مما لم يقم الدليل على وجوده، وأنّهم مع جهلهم إذا نبّهوا إلى الحقّ، وعرضت عليهم المعجزة، وتلي عليهم الكتاب الكريم، ظهر في وجوههم الغيظ والغضب، وهمّوا أن يبطشوا بمن يذكّرهم بآيته إنكاراً منهم لما خوطبوا به. ثمّ أبان لهم أنّ ما ينالهم من النار التي يقتحمونها بأفعالهم وأقوالهم، أعظم مما ينالهم من الغمّ والغيظ حين تلاوة هذه الآيات.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنّ الله سبحانه وتعالى لمّا ذكر أنّ الكفار يعبدون ما لا دليل على عبادته، لا من سمع ولا من عقل، ويتركون عبادة من خلقهم.. ذكر ما عليه معبوداتهم من انتفاء القدرة على خلق أقلّ الأشياء، بل على ردّ ما أخذه ذلك الأقلّ منه، وفي ذلك تجهيل عظيم لهم، حيث عبدوا من هذه صفته.

مناسبة[2] هذه الآيات لما قبلها واضحة: وهو أنه تعالى لما ذكر ثواب من هاجر وقتل، أو مات في سبيل الله، أخبر أنه لا يدع نصرتهم في الدنيا، على من بغى عليهم، وهو قادر على ذلك، إذ من[3] قدر على إدخال الليل في النهار، وإدخال النهار في الليل، بأن يزيد في أحدهما ما ينقصه من الآخر يقدر على

(١) البحر المحيط.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.

نصره، وو الثابت الإلهية وحده، إذ لا يصلح لها إلا من كان كامل القدرة، كامل العلم، وأن ما سواه باطلٌ.

وعبارة المراغي هنا: لما ذكر سبحانه فيما سلف أنهم يعبدون من دون الله ما لا حجة لهم عليه من الوحي، ولا دليل عليه من العقل.. أردف هذا بما يدل على إبطاله ويؤكد جهلهم بمقام الألوهية وما ينبغي أن يكون لها من إجلال وتعظيم، ثم أعقب ذلك ببيان أنه سبحانه يصطفي من الملائكة والناس لرسالته من يشاء، وهو العليم بمن يختار ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ ولما ذكر[1] تعالى أنه اصطفى رسلاً من البشر إلى الخلق، أمرهم بإقامة ما جاءت به الرسل من التكاليف، وهو الصلاة. قيل: كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع، ويركعون بلا سجود، فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ...﴾ مناسبتها لما قبلها: أنه سبحانه لما تكلم في الإلٰهيات، ثم في النبوات، أتبعها بالكلام في الشرائع والأحكام.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ...﴾ الآية، سبب[2] نزولها: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل «أنها نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ، فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرم، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد، فإنهم يحرمون القتال في الشهر الحرام، فناشدهم الصحابة وذكروهم بالله أن لا يتعرضوا لقتالهم فإنهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام، فأبى المشركون ذلك، وقاتلوهم وبغوا عليهم، فقاتلهم المسلمون، ونصروا عليهم، فنزلت هذه الآية».

التفسير وأوجه القراءة

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدم، فهو خبر لمبتدأ محذوف؛ أي:

---

(١) البحر المحيط.

(٢) لباب النقول.

الأمر والشأن ذلك الذي قصننا عليكم وبينا لكم، من إنجاز الوعد للمهاجرين خاصة إذا قتلوا أو ماتوا، والجملة[1] لتقرير ما قبله، والتنبيه على أن ما بعده كلامٌ مستأنفٌ.

والمعنى: أي[2] ذلك الرزق الحسن والمدخل الكريم، لمن قتلوا في سبيل الله، أو ماتوا، ولهم أيضاً النصر في الدنيا على أعدائهم. وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ وجازى الظالم ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾؛ أي: بمثل ما ظلمه، ولم يزد في الاقتصاص على ذلك المثل، والمراد بالمثلية أنه اقتصر على المقدار الذي ظلم به، ولم يزد عليه، والعقوبة[3] في الأصل اسم لما يعقب الجرم من الجزاء، وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية؛ أي: مع أنه ليس بجزاء يعقب الجريمة للمشاكلة، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ وكقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ أو على سبيل المجاز المرسل، فإنه ما وقع ابتداءً سببٌ لما وقع جزاء وعقوبة، فسمي السبب باسم المسبب.

﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: اعتدى عليه؛ أي: إن الظالم في الابتداء عاوده بالمظلمة بعد تلك المظلمة الأولى. قيل: المراد بهذا البغي هو ما وقع من المشركين من إزعاج المسلمين من أوطانهم، بعد أن كذبوا نبيهم، وآذوا من آمن به. واللام في قوله: ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ موطئة للقسم؛ أي: وعزتي وجلالي لينصرن الله المبغي عليه؛ أي: المظلوم على الباغي؛ أي: الظالم لا محالة وهو خبر من.

وقيل[4]: إن معنى ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: ثم كان المجازي مبغياً عليه؛ أي: مظلوماً ومعنى (ثم) تفاوت الرتبة؛ لأن الابتداء بالقتال معه نوع ظلم، كما

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.
(٤) الشوكاني.

قيل في أمثال العرب: البادي أظلم.

والمعنى: أي[1] وإن من جازى من المؤمنين بمثل ما عوقب به ظلماً من المشركين، فقاتلهم كما قاتلوه، ثم بغي عليه باضطراه إلى الهجرة، ومفارقة الوطن.. لينصرنه الله الذي لا يغالب، ولينتقمن له من أعدائه، ولينكلن بهم، ويمكننه منهم، ويجعل كلمته العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

والخلاصة: أنه تعالى كما يدخلهم مدخلاً كريماً، يعدهم بالنصر على أعدائهم، إذا هم قاتلوهم، وبغوا عليهم، وأخرجوهم من ديارهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ الذي أحاطت قدرته بكل شيء ﴿لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾؛ أي: لكثير العفو والغفران للمؤمنين، فيما وقع منهم من الذنوب. وقيل: العفو والغفران لما وقع من المؤمنين، من ترجيح الانتقام على العفو؛ أي: ليعفو عن المؤمنين فيغفر لهم ما أمعنوا فيه من الانتقام، وما أعرضوا عنه مما ندب من العفو؛ بمثل قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وأن تعفو أقرب للتقوى﴾ وهم بفعلهم هذا تركوا ما كان أجدر بهم وأحرى بمثلهم.

والخلاصة: كأنه سبحانه قال: عفوت عن هذه الإساءة وغفرتها لهم؛ لأني أذنت بها.

وفي «بحر العلوم»[2]: ﴿لَعَفُوٌّ﴾؛ أي: محاء للذنوب بإزالة آثارها من ديوان الحفظة والقلوب بالكلية كي لا يطالبهم بها يوم القيامة، ولا يخجلوا عند تذكرها، وبأن يثبت مكان كل ذنب عملاً صالحاً، كما قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ ﴿غَفُورٌ﴾؛ أي: مريد لإزالة العقوبة عن مستحقها، من الغفر، وهو الستر؛ أي: ستور عليهم، وقدم العفو؛ لأنه أبلغ لأنه يشعر بالمحو الذي هو أبلغ من الستر، وفيه إشارة إلى أن الأليق بالمنتصر، والأقرب بحاله، أن يعفو

---

(١) المراغي.

(٢) للسمرقندي.

ويغفر عن كل من ظلمه، ويقابله بالإحسان، ولا يذكر ما صدر منه من أنواع الجفاء والأذى، فإنه متى فعل ذلك فإن الله أكرم الأكرمين أولى أن يفعل ذلك على أن الانتصار لا يؤمن فيه تجاوز التسوية والاعتداء خصوصاً في حال الغضب والحرب والتهاب الحمية، فربما كان المنتصر من الظالمين، وهو لا يشعر، انتهى كلام «البحر».

وقال بعضهم[1]: الإنسان الكامل كالبحر، فمن آذاه واغتابه، أو قصد إليه بسوء، فإنه لا يتكدر به بل يعفو عنه، ألا ترى أن البول إذا وقع في البحر، فالبحر يطهره، وكذا من أجنب، إذا دخل البحر، واغتسل، فإنه يطهر، ولا يتغير البحر لا بالبول ولا بدخول الجنب. وقال في «الخلاصة» في كتاب الحدود: رجل قال لآخر: يا خبيث هل يقول له: بل أنت، الأحسن: أن يكف عنه ولا يجيب، ولو رفع الأمر إلى القاضي ليؤدب يجوز، ومع هذا لو أجاب لا بأس به. وفي «مجمع الفتاوى» في كتاب «الجنايات» لو قال: لغيره يا خبيث فجازاه بمثله جاز؛ لأنه انتصار بعد الظلم وذلك مأذون فيه قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ والعفو أفضل. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. وإن كانت تلك الكلمة موجبة للحد لا ينبغي له أن يجيبه بمثلها، تحرزا على إيجاب الحد على نفسه. انتهى. كما قال في «التنوير»: لو قال لآخر: يا زاني، فقال الآخر: أنت الزاني.. حد، بخلاف ما لو قال له مثلاً: يا خبيث، فقال أنت، تكافأا. وفي «التنوير» أيضاً ضرب غيره بغير حق، وضربه المضروب يعزران، ويبدؤوا في إقامة التعزير بالبادىء.

ثم قرر نصره لعباده المؤمنين، وأكده بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر الذي أنصره لمن بغي عليه، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ والباء فيه سببية؛ أي: كائن بسبب أن الله سبحانه وتعالى ﴿يُولِجُ﴾ ويدخل ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾؛ أي: يدخل بعض ساعات الليل في النهار، فيزيد النهار بقدر ما نقص من الليل. ﴿وَيُولِجُ

---

(١) روح البيان.

﴿ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: يدخل بعض ساعات النهار في الليل، فيزيد الليل بقدر ما نقص من النهار.

أي: ذلك بسبب أنه سبحانه قادر، ومن كمال قدرته إيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، وعبر عن الزيادة بالإيلاج، لأن زيادة أحدهما تستلزم نقصان الآخر. والمراد تحصيل أحد العرضين الظلام والضياء في محل الآخر؛ أي: إنه يحصل ظلمة الليل في مكان ضياء النهار، بتغييب الشمس وضياء النهار في مكان ظلمة الليل، بإطلاعها وجعلها طالعة، أو يزيد في أحد الملوين ما ينقص من الآخر من الساعات.

والمعنى[1]: أي ذلك النصر الذي أنصره لمن بغي عليه، لأني أنا القادر على ما أشاء، ألا ترونني أدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، وأدخل ما ينقص من ساعات النهار في ساعات الليل، وبهذه القدرة التي تفعل ذلك أنصر محمداً وصحبه على الذين قد بغوا عليهم، وأخرجوهم من ديارهم، وأموالهم، وآذوهم أشد الأذى على إيمانهم بي وحدي. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿سَمِيعٌۢ﴾ يسمع قول العاقب والمعاقب ﴿بَصِيرٌ﴾ يرى أفعالهما، فلا يهملهما.

والمعنى: أي وبسبب أن الله تعالى سميع للأقوال، وإن اختلفت في النهار الأصوات بفنون اللغات بصير بما يعملون، لا يغيب عنه شيء ولا يعزب عنه شيء، وإن كان مثقال ذرة.

ولمَّا وصف نفسه بما لا يقدر عليه، غيره علل ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: ذلك الاتصاف بكمال القدرة، وكمال العلم بسبب أن الله هو الثابت لذاته، وأنه لا مثيل له، ولا شريك. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: وأن الذين يعبدون من دونه تعالى من الآلهة ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ في ألوهيته المعدوم في حد ذاته، لا يقدر على صنع شيء، بل هو المصنوع الموجد بعد

---

(١) المراغي.

العدم. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على جميع الأشياء، وكل شيء دونه. ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ عن أن يكون له شريك، لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً.

وخلاصة ذلك[1]: أفتتركون أيها الجهال عبادة من بيده النفع والضر، وهو القادر على كل شيء، وكل شيء دونه، وهو فوق كل شيء، وتعبدون من لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً وضراً.

وعبارة الشوكاني هنا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: هو سبحانه ذو الحق فدينه حق، وعبادته حق، ونصره لأوليائه على أعدائه حق، ووعده حق، فهو عز وجل في نفسه وأفعاله وصفاته حق. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾؛ أي: العالي على كل شيء بقدرته المتقدس عن الأشباه، والأنداد، والمنزه عما يقول الظالمون من الصفات ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾؛ أي: ذو الكبرياء، وهو عبارة عن كمال ذاته، وتفرده بالإلهية. انتهت.

وقرأ الجمهور:[2] ﴿وَأَنَّ مَا﴾ بفتح الهمزة. وقرأ الحسن بكسرها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والأخوان حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم ﴿يَدْعُونَ﴾ بياء الغيبة هنا وفي لقمان على الخبر. واختار هذه القراءة أبو عبيدة. وقرأ باقي السبعة ﴿تَدْعُون﴾ بتاء الخطاب للمشركين واختار هذه القراءة أبو حاتم.

والمعنى: وأن الذين تدعونهم آلهة، وهي الأصنام، هو الباطل الذي لا ثبوت له، وكلا هاتين القراءتين الفعل فيهما مبني للفاعل. وقرأ مجاهد واليماني وموسى الأسواري ﴿يُدْعَون﴾ بالياء مبنياً للمفعول، والواو عائدة على ﴿ما﴾. على معناها، و﴿ما﴾ الظاهر أنها أصنامهم. وقيل الشياطين. والأولى العموم في كل مدعو دون الله سبحانه وتعالى.

والاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ للتقرير. والرؤية هنا إما علمية كما قاله الرازي، أو بصرية. والخطاب فيه للنبي ﷺ، أو لكل من تتأتى منه الرؤية ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾؛ أي: مطراً ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾؛

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

أي: ذات خضرة؛ أي: فتصير الأرض نامية بما فيه رزق العباد، وعمارة البلاد. والفاء فيه للعطف على ﴿أنزل﴾. وارتفع الفعل بعد الفاء لكون استفهام التقرير بمنزلة الخبر. كما قاله الخليل وسيبويه. وفي «الشهاب» ولم ينصب[1] هذا المضارع في جواب الاستفهام؛ لأنه استفهام تقريري مؤول بالخبر؛ أي: قد رأيت. والخبر لا جواب له. وأيضاً لا تصح السببية هنا، فإن الرؤية لا يثبت عنها إخضرار الأرض، بل إنما يوجبه إنزال المطر. وأيضاً جواب الاستفهام ينعقد منه شرط وجزاء، وهنا لا يصح ذلك، إذ لا يقال: إن تر إنزال المطر تصبح الأرض، اهـ. ملخصاً منه.

وقرىء ﴿مَخْضَرَّة﴾ على وزن مفعلة ومسبعة. قال الزمخشري: فإن قلت[2]: هلا قيل: فأصبحت، ولم صرف إلى لفظ المضارع؟

قلت: لنكتة فيه، وهي إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، كما تقول: أنعم عليَّ فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكراً له. ولو قلت: فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع، اهـ. قال ابن عطية[3]: ولا يكون هذا الإخضرار في صباح ليلة المطر إلا بمكة وتهامة، والظاهر أن المراد بالإخضرار اخضرار الأرض في نفسها لا باعتبار النبات فيها، كما في قول تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.

وقال أبو عبد الله الرازي في «تفسيره الكبير» قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ﴾ ذكر هنا من آثار قدرته ستة أشياء:

أولها: إنزال المطر الناشىء عنه اخضرار الأرض، وفسر الرؤيا بالعلم دون الإبصار؛ لأن الماء وإن كان مرئياً إلا أن كون الله منزلاً له من السماء غير مرئي. وقال: ﴿فتصبح الأرض﴾ دون أصبحت لإفادته بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان.

الثاني: قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ومن جملته خلق المطر،

---

(1) الشهاب.

(2) الكشاف.

(3) البحر المحيط.

والنبات نفعاً للحيوان، مع أن الله لا يحتاج لذلك، ولا ينتفع به.

الثالث: تسخير ما في الأرض؛ أي: ذلل لكم ما فيها كالحجر والحديد، والنار لما يراد منها، والحيوان للأكل والركوب، والحمل عليه، والنظر إليه.

الرابع: تسخير الفلك بالماء والرياح، فلو لا أن الله سخرها لكانت تغوص أو تقف.

الخامس: إمساك السماء؛ لأن النعم المتقدمة لا تكمل إلا به، والسماء جرم ثقيل، وما كان كذلك، لا بد له من السقوط، لو لا مانع يمنع منه، وهو القدرة. فأمسكها الله بقدرته لئلا تقع فتبطل النعم التي أمتن بها علينا.

سادسها: الإحياء ثم الإماتة ثم الإحياء، نبه بهذا على أن هذه النعم لمن أحياه الله، فنبه بالإحياء الأول على إنعامه في الدنيا بكل ما تقدم، ونبه بالإماتة والإحياء ثانياً على إنعامه علينا في الآخرة. ولما فصل تعالى هذه النعم، قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾؛ أي: لهذه النعم. اهـ. من «الرازي».

والمعنى: أي ألم تبصر، أو ألم تعلم أيها الرائي، أن الله تعالى ينزل من السماء مطراً فيحيي به الأرض، فتنبت ضروباً مختلفة من النبات، بديعة الألوان، والأشكال، ذات خضرة سندسية، تبهر العين بحسن منظرها، وبديع تنسيقها. ثم ذكر ما هو كالدليل على ذلك، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: يصل علمه إلى كل دقيق، وجليل. وقيل: لطيف بأرزاق عباده. وقيل: لطيف باستخراج النبات. ﴿خَبِيرٌ﴾؛ أي: ذو خبرة بتدبير عباده، وما يصلح لهم. وقيل: خبير بما ينطوون عليه من القنوط واليأس عند تأخير المطر، وقيل: خبير بحاجتهم وفاقتهم.

ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿لَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى لا لغيره. ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي:

---

(١) الفخر الرازي.

جميع ما فيهما خلقاً، وملكاً، وتصرفاً، وكلهم محتاجون إلى رزقه، منقادون لأمره، لا امتناع لهم من تصرفه. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ في ذاته عن كل شيء، المستغني عن حمد الحامدين، فلا يحتاج إلى شيء. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾؛ أي: المستحق للحمد في ذاته وصفاته وأفعاله. وقال الغزالي: ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ هو المحمود المثني عليه، والله تعالى هو الحميد لحمده لنفسه أزلا، ولحمد عباده له أبداً. ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال، منسوبان إلى ذكر الذاكرين له، فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال، من حيث هو كمال.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي: ألم تعلم أيها المخاطب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿سَخَّرَ لَكُم﴾ وذلل ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: جعل جميع مافيهما مذللة لكم، معدة لمنافعكم، تتصرفون فيها كيف شئتم، فلا أصلب من الحجر، ولا أشد من الحديد، ولا أهيب من النار، وهي مسخرة منقادة لكم.

أي: إنه تعالى[1] سخر ما في ظاهر الأرض وباطنها، لينتفع بها الإنسان في مصالحه ومرافقه المختلفة، ويصرفه فيما أراد من شؤون معايشه ولا يزال العلم يهديه إلى غريب الأمور، مما لم يكن يخطر لأسلافه على بال، مما لو حدث به السالفون لقالوا: إنه ترهات، وأباطيل، وما صدقه بشر. ولا يزال العلم يولد كل يوم جديداً. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ويهتدي العقل إلى ما هو أشبه بالمعجزات، لولا أن سدت أبواب النبوات.

ونحو الآية قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ عطف على ﴿مَّا﴾، أو على اسم ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾؛ أي: بمشيئته وتيسيره، حال من الفلك؛ أي: وسخر لكم السفن تجري في البحار برفق، وتؤدةٍ حاملةً ما تريدون، من نائي الأصقاع، وبعيد المسافات من سلع، وحيوان، وأناسي، وبذلك يتم تبادل مرافق الحياة بالأخذ والعطاء. وإنما أفردها بالذكر، وإن اندرجت بطريق العموم تحت ما في قوله: ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لظهور

---

(١) المراغي.

الامتنان بها، ولعجيب تسخيرها دون سائر المسخرات اهـ «سمين».

وقرأ الجمهور[١]: ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ بالنصب، وضم اللام ابن مقسم والكسائي عن الحسن، وانتصب عطفاً على ﴿مَا﴾. وجوز أن يكون معطوفاً على الجلالة، بتقدير وأن الفلك، وهو إعراب بعيد عن الفصاحة. وقرأ السلمي والأعرج وطلحة وأبو حيوة والزعفراني بضم الكاف مبتدأ وجملة تجري خبره.

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾؛ أي: وإن الله سبحانه يمسك السماء من ﴿أَن تَقَعَ﴾ وتسقط ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ بأن خلقها متداعية إلى الاستمساك. يقال: أمسك الشيء إذا أخذه والوقوع السقوط. ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ أي: إلا بمشيئته، وإرادته.

قال الراغب: الإذن في الشيء: الإعلام بإجازته، والرخصة فيه، انتهى. وذلك يوم القيامة. وفيه رد لاستمساكها بذاتها، فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسمية، فتكون قابلة للميل الهابط، كقبول غيرها، والمعنى؛ أي: وإن الله يمسك أجرام الكواكب من شمس، وقمر، وكواكب نيرات بنظام الجاذبية، إذ جعل لكل منها مداراً خاصاً بها، لا تعدوه بحالٍ، ولا تزال كذلك ما بقيت الحياة الدنيا، حتى إذا اقتربت الساعة اختل نظامها. وانتثرت في الفضاء، كما ألمع إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ الآية. ولولا هذا النظام الخاص لاصطدمت الكواكب العظيمة بعضها ببعض. وفسد العالم الأرضي ولم يعش على ظهر البسيطة إنسان، ولا حيوان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: كثير الرأفة والرحمة، حيث سخر هذه الأمور لعباده، وهيأ لهم أسباب المعاش، وأمسك السماء أن تقع على الأرض فتهلكهم، تفضلاً منه على عباده، وإنعاماً عليهم، وفتح لهم أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار، وأوضح لهم مناهج الاستقلال بالآيات التكوينية، والتنزيلية. والرؤوف[٢] بمعنى الرحيم، إذ الرأفة أشد الرحمة، أو أرقها. كما في «القاموس». قال في «بحر العلوم». ﴿الرؤوف﴾؛ أي: المريد

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

للتخفيف على عباده. ﴿رَّحِيمٌ﴾؛ أي: مريد للإنعام عليهم.

ثم ذكر سبحانه نعمة أخرى فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أن كنتم نطفاً جماداً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء أعماركم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث للثواب والعقاب.

والمعنى: أي وهو سبحانه، هو الذي أنعم عليكم بهذه النعم، وجعلكم أجساماً حيةً بعد أن كنتم تراباً، ثم يميتكم حين انقضاء آجالكم، ثم يحييكم بالبعث والنشور إلى عالم آخر، تلقون فيه حسابكم وجزاءكم من نعيم أو جحيم.

ثم بين طبيعة الإنسان التي فطر عليها، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾؛ أي: كثير الجحد، لنعم الله عليه مع كونها ظاهرةً غير مستترة، ولا ينافي هذا خروج بعض الأفراد عن هذا الجحد، لأن المراد وصف جميع الجنس، بوصف من يوجد فيه ذلك من أفراده مبالغةً، وهو المشرك كُدَيْل بن ورقاء الخزاعي، وأبو جهل، والعاص بن وائل، وأبي بن خلف، وغيرهم.

والمعنى: أي[1] إن الإنسان لم يوجه همه إلى كل هذه الآلاء التي يتقلب فيها ليلاً ونهاراً بل جحدها، وجحد خالقها على وضوح أمرها، وعبد غيره، وجعل له الأنداد من الأصنام والأوثان. ونحو الآية قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

ثم عاد سبحانه، إلى بيان أمر التكاليف مع الزجر لمعاصري رسول الله ﷺ من أهل الأديان عن منازعته، فقال: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ معينة من الأمم الماضية والباقية. والأمة جماعة أرسل إليهم رسول. ﴿جَعَلْنَا﴾؛ أي: وضعنا وشرعنا ﴿مَنسَكًا﴾؛ أي: شريعة خاصة بهم، بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها، إلى شريعة أخرى، على معنى عيّن كل شريعة لأمة معينة من الأمم، بحيث لا تتخطاها إلى شريعة أخرى، لا استقلالاً ولا اشتراكاً. وجملة قوله: ﴿هُمْ

---

(١) المراغي.

نَاسِكُوهُ﴾ صفة لمنسكاً مؤكدة للقصر، المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل، والضمير لكل أمة باعتبار خصوصها؛ أي: تلك الأمة المعينة هي الناسكة والعاملة به لا غيرها. فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام، منسكهم التوراة هم ناسكوها، والعاملون بها لا غيرهم، والأمة التي من مبعث عيسى إلى مبعث محمد ﷺ، منسكهم الإنجيل هم ناسكوه، والعاملون بها لا غيرهم، والأمة التي من مبعث محمد ﷺ، إلى يوم القيامة منسكهم الفرقان ليس إلا، لأن لكل زمان ما يليق به من الشرائع، التي تناسب من فيه في تلك الحقبة. والمنسك مصدر ميمي مأخوذ من النسك، وهو العبادة. لا اسم[1] مكان، كما يدل عليه قوله: ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾، ولم يقل ناسكون فيه. وقيل المنسك موضع أداء العبادة. وقيل: هو الذبائح. ولا وجه للتخصيص، ولا اعتبار بخصوص السبب. والفاء: في قوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت يا محمد أنا جعلنا لكل أمة منسكاً، وأردت بيان ما هو اللازم لمعاصريك، فأقول لك: لا ينزعنك؛ أي: لا يخاصمنك من يعاصرك من أهل الملل. ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: في أمر دينك، زعماً منهم أن شريعتهم ما عين لآبائهم الأولين من التوراة والإنجيل فإنهما شريعتان لمن مضى من الأمم قبل انتساخها، وهؤلاء أمة مستقلة، منسكهم القرآن المجيد فحسب.

والنهي إما على حقيقته، أو كناية عن نهيه ﷺ عن الالتفات إلى نزاعهم له. قال الزجاج: إنه نهي له ﷺ عن منازعتهم؛ أي: لا تنازعهم أنت، كما تقول: لا يخاصمك فلان؛ أي: لا تخاصمه، وكما تقول: لا يضاربنك فلان؛ أي: لا تضاربه. وذلك أن المفاعلة تقتضي العكس ضمناً.

والمعنى: أي[2] فلا ينبغي لهم أن ينازعوك في أمر هذا الدين، فإن تعيينه تعالى لكل أمة شريعة خاصة، موجب لطاعة هؤلاء لك، وعدم منازعتهم إياك في

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

أمر هذه الشريعة، زعماً منهم أن شريعتهم هي ما عين لآبائهم من التوراة والإنجيل. فذلك خطأ منهم، فإن ذلك إنما كان شريعة لمن مضى قبل نسخه بالقرآن.

والخلاصة: أثبت أيها الرسول على دينك ثباتاً لا يطمعون أن يجذبوك منه، ليزيلوك عنه. والمراد بذلك: تهييج حميته ﷺ، وإلهاب غضبه لله ولدينه ومثل هذا كثير في كتاب الله، وكأنه قد قيل له: تأس بالأنبياء قبلك في مشاركة القوم الظالمين، والإمساك عن مجادلتهم بعد اليأس من إيمانهم.

وقال: ابن جرير الطبري[1] (١٧/ ١٩٩): يقول تعالى: فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله، يا محمد، في ذبحك ومنسكك بقولهم: أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله، فإنك أولى بالحق منهم؛ لأنك محق وهم مبطلون. وذلك أن كفار قريش وخزاعة خاصموا رسول الله ﷺ في أمر الذبيحة، فقالوا: كيف تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة.

وقرىء ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ بالنون الخفيفة. وقرأ أبو مجلز ﴿فلا ينزعنك في الأمر﴾ من النزع، بمعنى فلا يقلعنك من دينك، فيحملوك إلى أديانهم من نزعته من كذا، أو لا يستخفنك ولا يغلبنك على دينك، وقرأ الباقون: ﴿يُنَازِعُنَّكَ﴾ من المنازعة، بمعنى المخاصمة والمجادلة.

فائدة: وإنما[2] قال: فيما سبق ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ بواو العطف، وقال: هنا ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾؛ لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر المناسك، فعطفت على أخواتها، وأمّا هذه فواقعة مع أباعد عن معناها، فلم تجد معطفاً. قاله الزمخشري.

﴿وَٱدْعُ﴾ هؤلاء المنازعين، أو ادع الناس كافة، ولا تخص أمة دون أمة بالدعوة، فإن كل الناس أمتك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: إلى توحيد ربك، وعبادته

---

(١) الطبري.

(٢) البحر المحيط.

حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه؛ أي: على طريق موصل إلى الحق، وشريعة توصل إلى السعادة الأبدية. ونحو الآية قوله: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ﴾.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾؛ أي: وإن جادلك هؤلاء المشركون في نسكك، وخاصموك مراءً وتعنتا بعد أن ظهر الحق، ولزمتهم الحجة، كما يفعله السفهاء ﴿فَقُلِ﴾ لهم على سبيل التهديد، والوعيد، والإنذار. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: عليم بأعمالكم، وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم بها. وعليم بأعمالنا فمجاز لنا بها. ونحو الآية قوله: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ﴾.

وبعد أن أمر رسوله ﷺ بالإعراض عنهم، وكان ذلك شديد الوقع على النفس، سلاه بأن الله سيجازيهم لا محالة يوم القيامة، على ما يقولون ويفعلون. فقال ﴿ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: يفصل ويقضي بين المؤمنين منكم والكافرين ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالثواب والعقاب، كما فصل بينكم في الدنيا بالحجج والآيات. ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيتبين المحق من المبطل.

وقصارى ما سلف[(١)]: ادع إلى شريعتك، ولا تخص بالدعاء أمة دون أمة، فكلهم أمتك، وإنك لعلى طريق واضحة الدلالة، تصل بمن اتبعها إلى سبيل السعادة، فإن عدلوا عن النظر في الأدلة إلى المراء، والتمسك بالعادات، وبما وجدوا عليه الآباء والأجداد.. فدعهم في غيهم يعمهون. فقد أنذرت وما عليك إلا البلاغ، وقل لهم، مهدداً منذراً: الله يحكم بيننا وبينكم يوم القيامة، ويتبين المحق من المبطل ويجازي كلا بما يستحق.

---

(١) المراغي.

وفي هذه الآية[1]: تعليم لهذه الأمة، بما ينبغي لهم أن يجيبوا به من أراد الجدال بالباطل. وقيل: إنها منسوخة بآية السيف. وجملة قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ مستأنفة، مقررة لمضمون ما قبلها، والاستفهام فيه للتقرير؛ أي: قد علمت يا محمد وتيقنت ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن جملة ذلك ما أنتم فيه مختلفون.

والمعنى: أي قد علمت يا محمد، أن علم الله محيط بما في السموات وما في الأرض، لا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة، على علم منه، بما عملوه في الدنيا، فمجازي المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته. ثم أكد علمه بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الذي في السماء والأرض من معلوماته ﴿فِي كِتَابٍ﴾؛ أي: مكتوب عنده في أم الكتاب، واللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، قبل أن يخلقه، فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به. وحفظنا له. ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾؛ أي: إن الحكم منه سبحانه بين عباده فيما يختلفون فيه. ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ سبحانه ﴿يَسِيرٌ﴾؛ أي: سهل غير عسير، أو إن إحاطة علمه بما في السماء والأرض وإثباته في اللوح المحفوظ يسير عليه، إذ لا يخفى عليه شيء، ولا يتعسر عليه مقدور. ثم حكى سبحانه بعض أباطيل المشركين، وأحوالهم الدالة على سخافة عقولهم، فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾؛ أي: ويعبد هؤلاء المشركون بالله ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾؛ أي: أصناماً لم ينزل الله بجواز عبادتها ﴿سُلْطَانًا﴾؛ أي: حجة وبرهاناً من السماء في كتاب من كتبه، التي أنزلها على رسله ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾؛ أي: ويعبدون ما ليس لهم علم، من ضرورة العقل، بجواز عبادته، أو بأنه إله. وهي الأصنام المذكورة، وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم بغير حجة ولا برهان.

والخلاصة[2]: ويعبدون من دون الله ما لم يقم عليه دليل من الوحي، ولا

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

دليل من العقل على صحة عبادته، فهم إنما يعبدون الأصنام بمجرد الجهل، ومحض التقليد. ونحو الآية قوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾؛ أي: وليس للمشركين، الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم، ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾؛ أي: ناصر يدفع عنهم العذاب، الذي يعتريهم بسبب ظلمهم. وفي «التأويلات النجمية»[1] يشير سبحانه، إلى أن من كان من جملة خواصه أفرده، ببرهان وأيده ببيان، وأعزه بسلطان، وما لأهل الخذلان سلطان، فيما عبدوه من أصناف الأوثان، ولا برهان على ما طلبوه، وما لهم نصرة من الله، بل خذلان.

وجملة قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ معطوفة على يعبدون؛ أي: وإذا قرئت على هؤلاء المشركين ﴿ءَايَـٰتُنَا﴾ من القرآن حالة كونها ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾؛ أي: واضحات الدلالة على العقائد الحقية، والأحكام الإلهية. وجملة قوله: ﴿تَعْرِفُ﴾ جواب ﴿إذا﴾. أي: تعرف أيها المخاطب ﴿فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إظهار في مقام الاضمار ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾؛ أي[2]: الأمر المنكر، وهو غضبهم وعبوسهم عند سماعها، أو المراد بالمنكر الإنكار، كالمكرم بمعنى الإكرام؛ أي: تعرف في وجوههم إنكارها، وترى فيها علامته من العبوس والكراهة. وقيل: هو التجبر والتكبر. وقرأ عيسى بن عمر ﴿يعرف﴾ مبنياً للمفعول ورفع المنكر.

واعلم: أنَّ[3] الوجوه كالمرآة، فكل صورة من الإقرار والإنكار تظهر فيها، فهي أثر أحوال الباطن، وكل إناء يترشح بما فيه، كتلون وجوه قوم صالح، فما ظهر عليهم في ظاهرهم، إلا حكم ما استقر في باطنهم.

والمعنى: أي[4] وإذا تتلى على هؤلاء المشركين العابدين من دون الله، ما لم ينزل به سلطاناً. آيات القرآن ذوات الحجج والبينات، بدت وظهرت على وجوههم

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.
(٤) المراغي.

أمارات الإنكار، بالتهجُّم والعبوس والبسور، ونحو ذلك، مما يدل على الغيظ، والحقيدة الكامنة في نفوسهم، مما يسمعون منها. ثم بين مقدار ذلك الغيظ، ومبلغ أمره، فقال: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ هذه الجملة[1] حال إما من الموصول، وإن كان مضافاً إليه، لأنَّ المضاف جزؤه، وإما من الوجوه؛ لأنها يعبر بها عن أصحابها، كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ﴾ ويسطون ضمن معنى يبطشون، فتعدى تعديته، وإلا فهو متعد بعلى، يقال سطا عليه؛ أي: وإذا تتلى عليه آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا أمارات الإنكار، حالة كونهم يقاربون أن يسطوا ويبطشوا. ﴿بِ﴾ المؤمنين ﴿الذين يتلون﴾ ويقرؤون ﴿عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ ويوقعوا عليهم السرر، من فرط غيظهم وشدة غضبهم؛ أي: هم من شدة خنقهم على من يتلوا عليهم آياتنا من المؤمنين يكادون يثبون عليهم ويبطشون بهم، ويبسطون أيديهم وألسنتهم بالسوء. وقصارى ذلك أنهم قد بلغوا من الجهالة حدًّا لا ينفع فيه العلاج، ولا تقنع فيه البينات والحجج. والسطوة شدة البطش، يقال سطا به يسطو إذا بطش به بضرب أو شتم أو أخذ باليد. وأصل السطو القهر، كما سيأتي في مبحث الصرف.

وهكذا[2]: ترى أهل البدع المضلة والخرافات المحدثة، إذا سمع الواحد منهم ما يتلوه العالم السني عليهم، من آيات الكتاب وأحاديث الرسول الصحيحة، مخالفاً لما اعتقدوه من الباطل والضلالة.. رأيت في وجهه من المنكر ما لو تمكن من أن يسطو بذلك العالم، لفعل به ما لا يفعله بالمشركين. وقد رأينا وسمعنا من أهل البدع، ما لا يحيط به الوصف. والله ناصر الحق، ومظهر الدين، وداحض الباطل، ودامغ البدع، وحافظ المتكلمين بما أخذه عليهم المبينين للناس، ما نزل إليهم. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثم ذكر لهم أن هذا الغيظ الكمين في نفوسهم ليس بشيء، إذا قيس بما سيلاقونه من العذاب يوم القيامة، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن

---

(١) الفتوحات الإلهية.
(٢) الشوكاني.

﴿ذَٰلِكُمُۚ﴾ والهمزة فيه للاستفهام التقريعي داخلة على محذوف. والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير: قل لهم أيها الرسول أتسمعون ما أقول: فأخبركم بأشر وأقبح، وأشد ضرراً عليكم من ذلكم الذي في قلوبكم من الغيظ على التالين للآيات، وأكره عليكم من سماع القرآن، حتى قاربتم أن تسطوا بهم وتمدوا إليهم أيديكم وألسنتكم بالسوء. ثم أجاب عن هذا الاستفهام، فقال ﴿ٱلنَّارُ﴾؛ أي: ذلك الأشر، هو النار، على أنه جواب لسؤال مقدر، كأنه قيل: ما هو؟ فأجاب بقوله: ذلك الشر، هو النار التي أعدها الله تعالى لكم و﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواۖ﴾؛ أي: خوف بها الذين كفروا ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: وقبح الموضع الذي تصيرون وترجعون إليه وهو النار.

والمعنى: أي[1] النار وعذابها أشق وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا، ومما تنالون منهم، إن نلتم بإرادتكم واختياركم. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: وبئس النار موئلاً ومقاماً لهؤلاء المشركين بالله. ونحو الآية قوله: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿النار﴾ رفعاً على إضمار مبتدأ كأن قائلاً يقول قال: وما هو؟ قال: النار؛ أي: نار جهنم. وجملة وعدها، إما حال من النار، وإما خبر بعد خبر وإما مستأنفة. وأجاز الزمخشري أن تكون ﴿النار﴾ مبتدأ، وجملة ﴿وعدها﴾ خبراً عنها. وقرأ ابن أبي عبلة وإبراهيم بن يوسف عن الأعشى وزيد بن علي: ﴿النارَ﴾ بالنصب على الاختصاص. قال: الزمخشري: ومن أجاز في الرفع أن تكون النار مبتدأ، فقياسه أن يجيز النصب على الاشتغال. وقرأ ابن أبي إسحاق وإبراهيم بن نوح عن قتيبة ﴿النارِ﴾ بالجر على البدل من ﴿شر﴾، فتكون جملة ﴿وعدها﴾ مستأنفة.

والظاهر أن الضمير في ﴿وعدها﴾ هو المفعول الأول، على أنه تعالى وعد النار بالكفار أن يطعمها إياهم، ألا ترى إلى قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ويجوز أن

---

(1) المراغي. (2) البحر المحيط.

يكون الضمير هو المفعول الثاني، والذين كفروا هو الأول. كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ كلام متصل بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾؛ أي: يا أهل مكة ضرب مثل؛ أي:[1] بين لكم حالة مستغربة أو قصة بديعة حقيقية، بأن تسمى مثلاً، وتسير في الأمصار والأعصار ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾؛ أي: لذلك المثل استماع تدبر، وتدبروه حق تدبر، فإن الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع. قال النحاس: المعنى ضرب الله عز وجل لما يعبدونه من دونه مثلاً، قال وهذا من أحسن ما قيل فيه؛ أي: بين الله لكم شبهاً ولمعبودكم. وأصل[2] المثل جملة من الكلام متلقاة بالرضا والقبول مسيرة في الناس، مستغربة عندهم. وجعلوا مضربها مثلاً لموردها، كـ(الصيف ضيعتَ اللبن)، ثم قد يستعيرونها للقصة، أو الحالة، أو الصفة المستغربة، لكونها مماثلة لها في الغرابة، كهذه القصة المذكورة في هذه الآية.

فإن قلت[3]: الذي جاء به، ليس بمثل، فكيف سماه مثلاً؟

قلت: لما كان المثل في الأكثر نكتة عجيبة غريبة، جاز أن يسمى كل كلام، كان كذلك مثلاً. وقال في «الكشاف»: قد سميت الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلاً، تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيرة، لكونها مسيرةً عندهم مستحسنةً مستغربة.

والمعنى: جعل لي شبيها وشبه بي الأوثان؛ أي: جعل المشركون الأصنام أشباهي وشركائي يعبدونها ثم بين حالها وصفتها فقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾؛ أي: إن الأصنام التي تعبدونها ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: متجاوزين عبادة الله، وهو بيان للمثل وتفسير له.

﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾؛ أي: لن يقدروا على خلق ذبابٍ واحدٍ أبداً مع صغره

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) الخازن.

وحقارته فإنَّ[1] (لَنْ) بما فيها من تأكيد النفي، دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾؛ أي: لخلقه، والجواب محذوف، تقديره: لن يخلقوه. والمعنى: أن هذه الأصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة، على ضعفها وصغرها، فكيف يليق بالعاقل جعلها معبوداً له. وجملة قوله: ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ مع الجواب المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة؛ أي؛ لا يقدرون على خلقه مجتمعين له، متعاونين عليه، فكيف إذا كانوا منفردين.

وقرأ الجمهور: ﴿تدعون﴾ بالتاء. وقرأ الحسن ويعقوب وهارون والخفاف ومحبوب عن أبي عمر ﴿يدعون﴾ بالياء، وكلاهما مبني للفاعل، وقرأ اليماني وموسى الأسواري بالياء من أسفل مبنياً للمفعول.

﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾؛ أي: وإن يأخذ الذباب منهم شيئاً ويخطفه ﴿لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾؛ أي؛ لا يستردوه من الذباب مع غاية ضعفه لعجزهم. قيل: كانوا يطيبون الأصنام بالطيب والعسل، ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله.

أي: وإذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف، وعن استنقاذ ما أخذه منهم فهم عن غيره مما هو أكبر منه جرماً، وأشد منه قوة أعجز وأضعف. ثم عجب سبحانه من ضعف الأصنام والذباب. فقال: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ قال ابن عباس: الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم، والمطلوب هو الصنم. وقيل: الطالب الصنم، من حيث إنه يطلب خلق الذباب، أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه، والمطلوب الذباب وقيل: الطالب عابد الصنم، والمطلوب الصنم. وقال الضحاك؛ أي: ضعف العابد والمعبود، ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب، وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال. قال ابن جرير الطبري: والصواب عندنا من التأويلات المذكورة، تأويل ابن عباس؛ لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فلأن يكون ذلك خبراً

---

(١) روح البيان. (٢) الخازن.

عما هو متصلٌ به أشبه من أن يكون عما هو عنه منقطع انتهى.

ثم بين الله سبحانه، أن المشركين الذين عبدوا من دون الله آلهةً، عاجزةً، إلى هذه الغاية في العجز، ما عرفوا الله حق معرفته فقال: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ما قدر المشركون الله، وما عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾؛ أي: حق عظمته، وما عرفوه حق معرفته وما وصفوه حق صفته، حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب، ولا ينتصر منه، وسموا باسمه ما هو أبعد الأشياء منه مناسبةً. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿لَقَوِىٌّ﴾ على خلق كل شيء. ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب لا يغالبه أحد، بخلاف آلهة المشركين. فإنها جماد لا تعقل ولا تنفع ولا تضر، ولا تقدر على شيء.

وحاصل معنى الآيتين[1]: يا أيها الناس، يعني: المؤمنين جعل المشركون لي أشباهاً وأنداداً، وهي الآلهة التي يعبدونها معي، فأنصتوا وتفهموا حال ما جعلوهم لي، في عبادتهم إياهم أشباهاً وأمثالاً، وحال هؤلاء الأشباه، أنه لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأوثان على أن يخلقوا ذبابة واحدة، على صغر حجمها، وحقارة شأنها. . ما قدروا، وما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

روي عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ، قال: قال الله عز وجل: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي!؟ فَلْيَخْلُقُوا ذُرةً، فليخلقوا شعيرة!!».

وإن يسلب الذباب الآلهة والأصنام شيئاً، مما عليها من طيب وما أشبهه، لا تستنقذ ذلك منه على ضعفه.

والخلاصة: أنهم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أعجب من ذلك أنهم عاجزون عن مقاومته، والانتصار منه لو سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه.

وفي ذلك إشارة إلى أنهم قد بلغوا غاية الجهالة، وأشركوا بالله القادر على كل شي آلهتهم من الأصنام والأوثان، التي لا تقدر على خلق أحقر المخلوقات وأصغرها وهو الذباب، ولو اجتمعت له. ولا تستطيع أن تنتصر منه لو سلبها

---

(١) المراغي.

شيئاً. عجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من المطلوب، وهو الذباب ما سلبها إياه من الطيب وما أشبهه.

وقصارى هذا: أنه سبحانه، وصف هذه الآلهة بما وصف للدلالة على مهانتها وضعفها، تقريعاً منه لعبدتها من مشركي قريش؛ وكأنه قيل لهم كيف تجعلون لي مثلاً في العبادة، وتشركون معي فيها، ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ منه الذباب شيئاً، لم يقدر أن ينتصر منه، وأنا الخالق لما في السموات والأرض، المالك لجميع ذلك، المحيي لما أردت، والمميت له، إن فاعل ذلك بالغ غاية الجهل وعظيم السفه. ثم زاد هذا الإنكار توكيداً، فقال: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾؛ أي: ما عظموه حق التعظيم، الذي هو إفراده بالعبادة، إذ عبدوا معه غيره، من هذه الأصنام، التي لا تقاوم الذباب لضعفها، ولا تنتصر منه إن سلبها شيئاً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾؛ أي: إنه تعالى قوي لا يتعذر عليه شيء، وبقدرته خلق كل شيء. عزيز لا يغالب لعظمته وسلطانه، ولا يقدر شيء أن يسلبه من ملكه شيئاً وليس كآلهتكم التي تدعونها من دون الله تعالى.

ونحو الآية قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ وبعد أن ذكر ما يتعلق بالإلهيات، ذكر ما يتعلق بالنبوات فقال: ﴿ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَصْطَفِى﴾ ويختار ﴿مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي، كجبريل وميكائيل، وإسرافيل. فإن قلت: إن قوله من الملائكة، يقتضي أن تكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم فيناقض قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ قلت: يدفع هذا التناقض، بأن المراد بما هنا من كان رسولاً من الملائكة إلى بني آدم، وهم أكابر الملائكة كجبريل، وعزرائيل والحفظة. وبأن المراد من قوله: ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾؛ أي: بعضهم رسلاً إلى البعض. اهـ «جمل».

﴿و﴾ يصطفي ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ رسلاً يدعون عباده إلى ما لا يرضيه، ويبلغونهم

ما نزله عليهم من وحيه، إرشاداً لهم وتشريعاً للأحكام التي فيها سعادتهم في دنياهم وآخرتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿سَمِيعٌۢ﴾ لأقوال عباده ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم، فيعلم من يستحق أن يختار منهم لهذه الرسالة.

﴿يَعْلَمُ﴾ سبحانه ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: ما كان بين أيدي ملائكته ورسله من قبل أن يخلقهم. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: ويعلم ما هو كان بعد فنائهم. وعبارة العمادي: ما بين أيديهم ما مضى، وما خلفهم ما لم يأت.

وخلاصة ذلك: يعلم مستقبل أحوالهم وماضيها، وقيل: يعلم ما عملوه وما سيعملونه من أمور الدنيا. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى أحد غيره، لا اشتراكاً ولا استقلالاً ﴿تُرْجَعُ﴾ وترد من[1] الرجع القهقرى ﴿ٱلْأُمُورُ﴾ كلها في الآخرة؛ لأنه مالكها بالذات، ولا أمر ولا نهي لأحد سواه. وهو يجازي كلا بما عمل إن خيراً، وإن شراً. لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره، وهم يسألون. وفي هذا إشارة إلى التفرد بالإلهية، والحكم، وإلى الزجر عن المعصية.

ولمَّا تضمن ما ذكره من أنّ الأمور ترجع إليه الزجر لعباده عن معاصيه، والحض لهم على طاعاته صرح بالمقصود، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسوله وصدقوها ﴿ٱرْكَعُوا۟﴾؛ أي: اخضعوا لله ﴿وَٱسْجُدُوا۟﴾؛ أي: خروا له سجداً. وقيل: ارجعوا[2] من تكبر قيام الإنسانية إلى تواضع الحيوانية، وذلة النباتية. قال: ابن عباس: إن الناس كانوا في أول الإسلام يركعون ولا يسجدون، حتى نزلت هذه الآية. قال أبو الليث: كانوا يسجدون بغير ركوع، فأمرهم الله بأن يركعوا ويسجدوا. وقال بعضهم: كانوا يركعون بلا سجود، ويسجدون بلا ركوع.

والمعنى: صلوا الصلاة التي شرعها الله لكم. عبر عن الصلاة بهما؛ لأنهما أعظم أركانها. وخص الصلاة بالذكر؛ لأنها أشرف عبادات البدن. وقال الإمام

---

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

الأعظم أبو حنيفة والإمام مالك: دل مقارنة السجود بالركوع في الآية على أن المراد سجود الصلاة، ثم عمَّم فقال: ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾؛ أي: واعبدوه بسائر ما تعبدكم به خالصاً لوجهه.

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ الذي أمركم بفعله، من صلة الأرحام ومكارم الأخلاق. وقيل: فعل[1] الخير ينقسم إلى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لأمر الله تعالى، وإلى الإحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله، ويدخل فيه البر والمعروف، والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: لكي تسعدوا وتفوزوا من ربكم بما تأملون من الثواب والرضوان والجنة؛ أي: افعلوا هذه كلها وأنتم راجون بها الإفلاح، غير متيقنين له واثقين بأعمالكم.

فصل في حكم سجود التلاوة هنا

لم يختلف العلماء في السجدة الأولى من هذه السورة، واختلفوا في السجدة الثانية. فروي عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء وأبي موسى أنهم قالوا: في الحج سجدتان. وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق.

يدل عليه ما روي عن عقبة بن عامر قال: قلت يا رسول الله، أفي الحج سجدتان؟ قال: «نعم. ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما». أخرجه الترمذي وأبو داود. وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ سورة الحج، فسجد فيها سجدتين، وقال: إن هذه السورة فضلت بسجدتين. أخرجه مالك في الموطأ.

وذهب قوم إلى أن في الحج سجدة واحدة، وهي الأولى وليست هذه بسجدة. وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك، بدليل أنه قرن السجود بالركوع، فدل ذلك على أنها سجدة

---

(١) الخازن.

صلاةٍ لا سجدة تلاوةٍ.

واختلف العلماء في عدة سجود التلاوة، فذهب الشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم، إلى أنها أربع عشرة سجدة، لكن قال الشافعي: في الحج سجدتان، وأسقط سجدة ﴿ص﴾ وقال أبو حنيفة في الحج سجدة واحدة، وأثبت سجدة ﴿ص﴾. وبه قال: أحمد في إحدى الروايتين عنه، فعنده أن السجدات خمس عشرة سجدة.

وذهب قوم إلى أن المفصل ليس فيه سجود. ويروى ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك. فعلى هذا يكون سجود القرآن إحدى عشرة سجدة. يدل عليه ما روي عن أبي الدراء أن النبي ﷺ قال: «في القرآن أحد عشرة سجدة». أخرجه أبو داود، وقال: إسناده واهٍ. ودليل من قال: في القرآن خمس عشرة سجدة؟ ما روي عن عمرو بن العاص قال: أقرأني رسول الله ﷺ في القرآن خمس عشرة سجدة. منها: ثلاثة في المفصل، وفي سورة الحج سجدتان. أخرجه أبو داود. وصح من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في إقرأ، وإذا السماء انشقت. أخرجه مسلم.

وسجود التلاوة سنة للقارىء والمستمع. وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة هو واجب. ولا يصح سجود التلاوة إلا بتكبيرة الإحرام والسلام خلافاً لأصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي. ولا يجزىء الركوع عن سجود التلاوة. وقال: أبو حنيفة يجزىء. ولا يسجد المستمع إذالم يسجد التالي. نص عليه أحمد. وتكره قراءة السجدة في صلاة الإخفات خلافاً للشافعي. ذكره ابن الجوزي.

﴿وَجَٰهِدُواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: في[1] سبيله وطاعته، ونصر دينه على أعداء دينه الظاهرة والباطنة، من أهل الضلال والبدع والهوى والنفس.

---

(١) المراح.

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾؛ أي: جهاداً حقاً خالصاً لوجهه. لا تخشون فيه لومة لائم. قيل: المراد به الجهاد الأكبر، وهو الغزو للكفار، ومدافعتهم إذا غزوا بلاد المسلمين. وقيل: المراد بالجهاد هنا امتثال ما أمرهم الله به، في الآية المتقدمة، أو امتثال جميع ما أمر به، ونهى عنه. على العموم.

ومعنى: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ المبالغة[1] في الأمر بهذا الجهاد؛ لأنه أضاف الحق إلى الجهاد. والأصل إضافة الجهاد إلى الحق؛ أي: جهاداً خالصاً لله، فعكس ذلك لقصد المبالغة. وأضاف الجهاد إلى الضمير اتساعاً أو لاختصاصه به سبحانه، من حيث كونه مفعولاً له، ومن أجله. وقيل: المراد بحق جهاده، هو أن لا يخافوا في الله لومة لائم. وقيل: المراد به استفراغ ما في وسعهم في إحياء دين الله.

وقال مقاتل والكلبي: إن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ كما أن قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ منسوخ بذلك. ورد ذلك بأن التكليف مشروط بالقدرة، فلا حاجة إلى المصير إلى النسخ.

ثم عظم سبحانه شأن المكلفين بقوله: ﴿هُوَ﴾ سبحانه لا غيره ﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾؛ أي[2]: اختاركم من سائر الأمم، وخصكم بأكرم رسول وأكمل شرع. وقيل: اختاركم للاشتغال بطاعته من بين سائر البريات. وقيل: اختاركم لدينه، ونصرته لا غيره. وفيه[3] تنبيه على ما يقتضي الجهاد، ويدعو إليه. قال ابن عطاء: الاجتبائية أورثت المجاهدة، لا المجاهدة أورثت الاجتبائية، انتهى.

وفيه تشريف لهم عظيم، ثم لما كان في التكليف مشقة على النفس في بعض الحالات قال: ﴿وَمَا جَعَلَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أيتها الأمة المحمدية ﴿فِي ٱلدِّينِ﴾ الذي تعبّدكم به ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾؛ أي: من ضيق وشدة وصعوبة

---

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

لا مخرج لكم منه، بل وسع عليكم، وجعل لكم من كل ذنب مخلصاً، فرخص لكم في المضايق، فالصلاة وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أربعاً، وفي السفر تقصر إلى ركعتين ويصليها المريض جالساً، فإن لم يستطع فعلى جنبه، وأباح الفطر حين السفر وحين الإرضاع والحمل والشغل في شاق الأعمال، ولم يوجب علينا الجمعة في المساجد حين السفر، أو الخوف من عدو أو سبع أو مطر، إلى نحو أولئك كما فتح لكم باب التوبة، وشرع لكم الكفارات في حقوقه، ودفع الدية بدل القصاص إذا رضي الولي.

وعبارة الشوكاني هنا: وقد اختلف العلماء في هذا الحرج، الذي رفعه الله، فقيل: هو ما أحله الله من النساء، مثنى وثلاث ورباع وملك اليمين. وقيل: المراد قصر الصلاة والإفطار للمسافر، والصلاة بالإيماء، على من لا يقدر على غيره، وإسقاط الجهاد عن الأعرج والأعمى والمريض، واغتفار الخطأ في تقديم الصيام وتأخيره لاختلاف الأهلة. وكذا في الفطر والأضحى. وقيل: المعنى أنه سبحانه وتعالى ما جعل عليهم حرجاً بتكليف ما يشق عليهم، ولكن كلفهم بما يقدرون عليه، ورفع عنهم التكاليف التي فيها حرج، فلم يتعبدهم بها، كما تعبد بها بني إسرائيل. وقيل: المراد بذلك أنه جعل لهم من الذنب مخرجاً. بفتح باب التوبة وقبول الاستغفار، والتكفير فيما شرع فيه الكفارة، والأرش أو القصاص في الجنايات، ورد المال أو مثله أو قيمته في الغصب ونحوه.

والظاهر: أن الآية أعم من هذا كله، فقد حط الله سبحانه، ما فيه مشقة، من التكاليف على عباده، إما بإسقاطها من الأصل وعدم التكليف بها كما كلف بها غيرهم، أو بالتخفيف وتجويز العدول إلى بدل، لا مشقة فيه، أو مشروعية التخلص من الذنب بالوجه الذي شرعه، وما أنفع هذه الآية، وأجل موقعها وأعظم فائدتها. ومثلها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾.

فإن قلت[1]: كيف لا حرج فيه، مع أنَّ في قطع اليد بسرقة ربع دينار، ورجم محصن بزنا مرةٍ، ووجوب صوم شهرين متتابعين، بإفساد صوم يوم من رمضان بوطء ونحو ذلك حرجاً؟

فالجواب: المراد بالدين التوحيد، ولا حرج فيه، بل فيه تخفيف، فإنه يكفر ما قبله من الشرك وإن امتد، ولا يتوقف الإتيان به على زمان أو مكان معين، أو أن كل ما يقع فيه الإنسان من المعاصي، يجد له في الشرع مخرجاً بتوبةٍ، أو كفارةٍ، أو رخصةٍ.

أو المراد نفي الحرج الذي كان في زمن بني إسرائيل، من الإصر والتشديد، والتضييق بتكليف ما لا يطيقون، فلا يرد نحو المخاطرة بالنفس والمال في الحج والغزو اهـ. كرخي.

وفي «القرطبي»: قال العلماء[2]: رفع الحرج إنما هو لمن استقام على منهاج الشرع، وأما السراق وأصحاب الحدود فعليهم الحرج، وهم جاعلوه على أنفسهم، بمفارقتهم الدين، وليس في الشرع أعظم حرجاً، من إلزام ثبات رجلٍ لاثنين في سبل الله، لكنه مع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج، اهـ.

وانتصاب ملة في قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ على المصدرية بفعل دل عليه ما قبله، تقديره: وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وهذا أظهر ما ذكروه هنا من الأوجه، كما قاله الزمخشري. أو منصوب بـ ﴿اتبعوا﴾ مضمراً قاله الحوفي، وتبعه أبو البقاء. أو منصوب على الاختصاص؛ أي: أعني بالدين ملة أبيكم. أو منصوب بـ(جعل) مقدراً. قاله ابن عطية؛ أي: جعل لكم ملة أبيكم دينا، أو منصوب بنزع الخافض، تقديره: ملتكم كملة أبيكم إبراهيم في السهولة.

فإن قلت: لم يكن إبراهيم أباً للأمة كلها، فكيف سماه الله سبحانه، أبا، في قوله: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾؟

---

(١) الفتوحات. (٢) القرطبي.

قلت: إن كان الخطاب للعرب، فهو أبو العرب قاطبةً فلا إشكال، وإن كان الخطاب لكل المسلمين، فهو أبو المسلمين لكونه أباً لنبيهم ﷺ. والمراد: أن احترامه وحفظ حقه واجب عليهم، كما يجب احترام الأب.

والضمير في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ عائد إلى الله، بدليل قراءة أبي ﴿الله سماكم﴾ والمعنى: هو سبحانه وتعالى سماكم المسلمين، في الكتب القديمة ﴿مِن قَبْلُ﴾ نزول القرآن. وقيل: عائد على إبراهيم، يعني أن إبراهيم سماكم المسلمين في زمنه، من قبل هذا الوقت، كما حكاه تعالى في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ فاستجاب الله دعاءه فينا.

﴿و﴾ سماكم الله سبحانه مسلمين ﴿في هذا﴾ القرآن بقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. وقيل: الله سماكم المسلمين في الأزل، من قبل أن خلقكم، وبعد أن خلقكم، أو سماكم إبراهيم مسلمين في هذا القرآن. وتسميته إياهم[1] مسلمين في القرآن وإن لم تكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾. وقيل: التقدير في قوله: ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ أي: وفي هذا القرآن بيان تسميته إياكم مسلمين.

ثم علل سبحانه ذلك بقوله: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ متعلق بـ ﴿سَمَّىٰكُمُ﴾، واللام فيه، لام العاقبة؛ أي: ليكون الرسول محمد ﷺ يوم القيامة ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ بأنه قد بلغكم رسالة ربكم، فيدل هذا على قبول شهادته لنفسه اعتماداً على عصمته، أو بطاعة من أطاعه منكم، وعصيان من عصاه ﴿وَتَكُونُوا۟﴾ أنتم أيتها الأمة المحمدية ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: على الأمم الماضية، بأن رسلهم قد بلغتهم.

والمنعى: أي[2] إنما جعلكم هكذا أمة وسطاً عدولاً مشهوداً بعدالتكم بين الأمم، ليكون محمد ﷺ شهيداً عليهم يوم القيامة، بأنه قد بلغكم ما أرسل به إليكم، وتكونوا شهداء على الناس، بأن رسلهم قد بلغوهم ما أرسلوا به إليهم.

وإنما قبلت شهادتهم على الناس لسائر الأنبياء لأنهم لم يفرقوا بين أحد

---

(١) البيضاوي. (٢) المراغي.

منهم، وعلموا أخبارهم من كتابهم على لسان نبيِّهم ولاعتراف سائر الأمم يومئذٍ بفضلهم على سواهم، وقد تقدم ذكر هذا في سورة الأنعام عند قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، الآية.

ولما ندبهم لأداء الشهادة على الأمم جميعاً، طلب منهم دوام عبادته، والاعتصام بحبله المتين، فقال: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: فداوموا أيها المؤمنون، على إقامة الصلوات الخمس، وأدائها بحقوقها وشروطها في أوقاتها. ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: وداوموا على إيتائها وأدائها لمستحقيها، وتقربوا إليه بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل العظيم، والشرف الجسيم، وإنما خص الصلاة والزكاة بالذكر، من بين أنواع الطاعات، لفضلها على غيرهما، فإن الأولى تدل على تعظيم أمر الله تعالى. والثانية على الشفقة على الخلق، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: واحتفظوا بالله مما تحذرون وتخافون منه، واعتمدوا عليه، والتجؤوا إليه، وثقوا به في مجامع أموركم ديناً ودنيا، وانتصروا به على أعدائكم، ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه تعالى. ﴿هُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾؛ أي: ناصركم وحافظكم ومتولي أحوالكم. وقيل: المراد بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: تمسكوا بدين الله تعالى.

والمعنى: أي فقابلوا هذه النعم العظيمة، بالقيام بشكرها، فأدوا حق الله عليكم، بطاعته فيما أوجب، وترك ما حرم، ومن أهم ذلك إقامة الصلاة، التي هي صلة بينكم وبين ربكم، وإيتاء الزكاة التي هي طهرة أبدانكم، وصلة ما بينكم وبين إخوانكم، واستعينوا بالله في جميع أموركم، وهو ناصركم على من يعاديكم.

ثم علل الاعتصام به بقوله: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ مولاكم، لا مماثل له في الولاية لأموركم ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ ناصركم، لا مماثل له في النصرة لكم؛ أي: إن من تولاه كفاه، كل ما أهمه، وإذا نصر أحداً، أعلاه على كل من خاصمه، إذ لا ناصر في الحقيقة سواه، ولا ولي غيره، فله الحمد، وهو رب العالمين.

الإعراب

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: الأمر ذلك الذي قصصنا عليك، من إنجاز الوعد للمهاجرن الذين قتلوا أو ماتوا. وفي الخطيب ذلك؛ أي: الأمر المقرر من صفات الله تعالى، الذي قصصنا عليك. اهـ. والجملة مستأنفة. ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾: الواو استئنافية. ﴿مَن﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الجواب، أو الشرط، أو هما، أو موصولة مبتدأ. ﴿عَاقَبَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ ﴿مَن﴾ على كونها شرطية، أو صلة لـ ﴿من﴾ الموصولة على كونها موصولة. وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿بِمِثْلِ مَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿عَاقَبَ﴾، والباء سببية هنا لا باء الآلة. ﴿عُوقِبَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿بِهِۦ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عُوقِبَ﴾، وجملة ﴿عُوقِبَ﴾ صلة لـ ﴿مَا﴾ الموصولة ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف وترتيب. ﴿بُغِىَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، معطوف على ﴿عاقب﴾ على كونها فعل شرط لـ ﴿من﴾ إن كانت شرطية، أو على كونها صلة لها؛ إن كانت موصولة. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور نائب فاعل لـ ﴿بُغِىَ﴾. ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ اللام: موطئة للقسم، ﴿ينصرن﴾ فعل مضارع في محل الرفع، لتجرده عن الناصب والجازم، مبنيٌّ على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. والهاء: مفعول به ولفظ الجلالة فاعل. والجملة الفعلية جواب لقسم محذوف، تقديره: وعزتي وجلالي لينصرنه الله. وجملة القسم في محل الجزم جواب ﴿مَن﴾ الشرطية، أو في محل الرفع خبر ﴿مَن﴾ الموصولة، وجملة ﴿من﴾ الشرطية، أو الموصولة مستأنفة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾: ناصب واسمه وخبره. واللام: حرف ابتداء. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر ثان لـ﴿إِنَّ﴾، جملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾: الباء حرف جر ﴿أن الله﴾: ناصب واسمه ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾، وجملة ﴿يُولِجُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر مجرور بالباء. تقديره: ذلك بسبب إيلاج الله الليل ﴿فِي ٱلنَّهَارِ﴾: الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، تقديره: ذلك كائن بسبب قدرة الله، على إيلاج الليل في النهار، والجملة الاسمية مستأنفة، مسوقة لتقرير قدرته تعالى على النصر. ﴿فِي ٱلنَّهَارِ﴾: متعلق بـ ﴿يُولِجُ﴾. و﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ فعل وفاعل مستتر، ومفعول به معطوف على ﴿يُولِجُ﴾. ﴿فِي ٱلَّيۡلِ﴾ متعلق بـ ﴿يُولِجُ﴾. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ ناصب واسمه وخبره. ﴿بَصِيرٞ﴾ خبر ثان لها. وجملة ﴿أن﴾ معطوفة على جملة ﴿أن﴾ الأولى.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾: جار ومجرور خبره والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير دليل آخر، إلى جانب الدليل الأول، وهو القدرة على جميع الممكنات، وهو كونه تعالى حقاً ثابتاً، وما عداه معدوم وزائل. ﴿أن﴾: حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: خبرها، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر مجرور بالباء ﴿وَأَنَّ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿أن﴾: حرف نصب. ﴿مَا﴾: موصولة أو موصوفة في محل النصب، اسم ﴿أن﴾ ﴿يَدۡعُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ ﴿مَا﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف، تقديره: يدعونه ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ جار ومجرور، ومضاف إليه، حال من فاعل: ﴿يَدۡعُونَ﴾؛ أي: حالة كونهم متجاوزين الله. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلۡبَٰطِلُ﴾: خبر ﴿أن﴾. وجملة ﴿أن﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾: خبر أول لـ﴿أن﴾. ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾. خبر ثان لها، وجملة ﴿أن﴾ معطوفة على جملة ﴿أن﴾ الأولى.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ

لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿أَلَمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري. ﴿لم تر﴾: جازم ومجزوم، وفاعله ضمير مستتر، يعود على محمد، أو على أيٍّ مخاطب، والجملة مستأنفة. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿أَنزَلَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلق به. ﴿مَآءً﴾ مفعول به. وجملة ﴿أَنزَلَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾ وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر، ساد مسد مفعولي ﴿تَرَ﴾؛ لأنها علمية، أو سادة مسد مفعولها، إن كانت بصرية. ﴿فَتُصْبِحُ﴾: الفاء: عاطفة، لا سببية؛ لأن الاستفهام تقرير مؤول بالخبر؛ أي: قد رأيت، والخبر لا جواب له، وأيضاً لا تصح السببية هنا، فإن الرؤية لا يتسبب عنها اخضرار الأرض، بل إنما يوجبه إنزال الماء، بعد أن تصبح جهة تصبح فعل مضارع ناقص معطوف على ﴿أَنزَلَ﴾. ﴿ٱلْأَرْضُ﴾: اسمها. ﴿مُخْضَرَّةً﴾ خبرها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: ناصب واسمه وخبره. ﴿خَبِيرٌ﴾ خبر ثانٍ. وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿لَّهُۥ﴾: خبر مقدم. ﴿مَا﴾: موصولة أو موصوفة في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور صلة لـ ﴿مَا﴾ أو صفة لها. ﴿وَمَا﴾: معطوف على ﴿مَا﴾ الأولى. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: صلة لـ ﴿ما﴾ أو صفة لها. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهُوَ﴾ اللام: حرف ابتداء. ﴿هو﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾: خبر أول لـ ﴿أنَّ﴾. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: خبر ثان لها وجملة ﴿أن﴾ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر مجزوم بـ ﴿لم﴾، والجملة مستأنفة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿سَخَّرَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر. ﴿لَكُم﴾: متعلق بـ ﴿سَخَّرَ﴾ وجملة ﴿سَخَّرَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿تَرَ﴾. لأنها

علمية. ﴿مَّا﴾: موصولة أو موصوفة في محل النصب، مفعول ﴿سَخَّرَ﴾. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: صلة لـ ﴿مَّا﴾ أو صفة لها. ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾: معطوف على ﴿ما في الأرض﴾. ﴿تَجْرِى﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الفلك. ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية حال من الفلك. ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ جار ومجرور، ومضاف إليه، حال من فاعل ﴿تَجْرِى﴾ أو متعلق به.

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾: فعل ومفعول به وفاعل مستتر يعود على ﴿الله﴾ معطوف على ﴿سخر﴾ ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَقَعَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾، وفاعله ضمير يعود على السماء. ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور، بإضافة المصدر المقدر المعلّل، للجملة الفعلية، تقديره: كراهية وقوعها على الأرض، أو في تأويل مصدر مجرور بمن المقدرة، تقديره: ويمسك السماء من وقوعها على الأرض. واختار أبو البقاء، وغيره، أن تكون بدل اشتمال من السماء؛ أي: ويمسك وقوعها على الأرض بمعنى يمنعه. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ من أعم الأحوال، وهو لا يقع في الكلام الموجب، إلا أن قوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: في قوة النفي؛ أي: لا يتركها، تقع في حالةٍ من الأحوال، إلا في حالة كونها ملتبسة بإذن الله ومشيئته. فالباء للملابسة. اهـ. زاده. ﴿بِإِذْنِهِۦٓ﴾: جار ومجرور. ومضاف إليه. متعلق بمحذوف حال من فاعل تقع؛ أي: لا تقع على الأرض إلا حالة كونها ملتبسة بإذنه تعالى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿بِٱلنَّاسِ﴾: متعلق بـ ﴿رؤوف﴾. ﴿لَرَءُوفٌ﴾: خبر أول لـ ﴿إِنَّ﴾. واللام حرف ابتداء. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿أَحْيَاكُمْ﴾: فعل ومفعول به، وفاعل مستتر عائد على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾:

فعل ومفعول وفاعل مستتر معطوف على أحياكم. وكذا قوله: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: معطوف عليه. ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ ناصب واسمه. ﴿لَكَفُورٌ﴾: خبره، واللام حرف ابتداء، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مفيدة لتعليل عدم الاعتبار، والتبصر بعد هذه العبر والدلائل.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧)﴾.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، مفعول ثان مقدم لـ ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل ﴿مَنسَكًا﴾: مفعول أول لـ ﴿جَعَلْنَا﴾ والجملة الفعلية مستأنفة، استئنافاً نحوياً، لا محل لها من الإعراب. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿نَاسِكُوهُ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل النصب صفة لمنسكاً. ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت يا محمد، أنا جعلنا لكل أمة منسكاً وأردت بان ما هو اللازم لمعاصريك.. فأقول: لك لا ينازعنك من يعاصرك من أهل الملل. ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿ينازعن﴾. فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامته جزمه حذف النون، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين، في محل الرفع فاعل، والكاف مفعول به، والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة، ولم تؤثر هنا في بناء المضارع، لأنها لم تباشره. ﴿فِي الْأَمْرِ﴾: متعلق بـ ﴿يُنَازِعُنَّكَ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب، مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَادْعُ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على محمد. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿يُنَازِعُنَّكَ﴾. ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾: خبره، واللام حرف ابتداء. ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾. صفة ﴿هُدًى﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب، مقول لجواب إذا المقدرة، مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾.

﴿وَإِن﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿جَٰدَلُوكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بـ ﴿إن﴾ على كونها فعل شرط لها. ﴿فَقُلِ﴾: الفاء: رابطة الجواب، ﴿قل﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جوابا لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب، معطوفة على جملة ﴿يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾: مبتدأ وخبر. والجملة في محل النصب مقول لـ ﴿قل﴾. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعۡلَمُ﴾. ﴿تَعۡمَلُونَ﴾: فعل وفاعل صلة لـ ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف، تقديره: بما تعملونه. ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ. وجملة ﴿يَحۡكُمُ﴾ خبره. ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾: متعلق بـ ﴿يَحۡكُمُ﴾. ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: متعلق بـ ﴿يَحۡكُمُ﴾ أيضاً. والجملة الاسمية في محل النصب مقول لـ ﴿قل﴾. ﴿فِيمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَحۡكُمُ﴾ أيضاً. ﴿كُنتُمۡ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ ﴿تَخۡتَلِفُونَ﴾. وجملة ﴿تَخۡتَلِفُونَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد ضمير فيه.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿أَلَمۡ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري. ﴿لم تعلم﴾: جازم ومجزوم وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿تَعۡلَمۡ﴾. ﴿يَعۡلَمُ﴾ مضارع والجملة خبر ﴿أن﴾ ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول. ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور صلة لـ ﴿مَا﴾ أو صفة لها. ﴿وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾: معطوف على السماء ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿فِي كِتَٰبٍۚ﴾: جار ومجرور خبره، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: ناصب واسمه ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ ﴿يَسِيرٞ﴾. ﴿يَسِيرٞ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة، مسوقة لتعليل ما قبلها أيضاً.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ

مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، حال من فاعل يعبدون؛ أي: حالة كونهم متجاوزين الله. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به. والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿لَمْ يُنَزِّلْ﴾: جازم وفعل مضارع، مجزوم وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور حال من ﴿سُلْطَٰنًا﴾؛ لأنه في الأصل صفة نكرة. قدمت عليها. ﴿سُلْطَٰنًا﴾: مفعول به، وجملة ينزل صلة الموصول. ﴿وَمَا﴾: معطوف على ما الأولى. ﴿لَيْسَ﴾: فعل ناقص. ﴿لَهُم﴾: خبر ﴿لَيْسَ﴾ مقدم. ﴿بِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿عِلْمٌ﴾ ﴿عِلْمٌ﴾ اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، وجملة ﴿لَيْسَ﴾ صلة لـ ﴿ما﴾ الموصولة. ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الواو: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: خبر مقدم. ﴿مِن﴾ زائدة. ﴿نَّصِيرٍ﴾: مبتدأ مؤخر؛ أي: وما نصير كائن للظالمين. والجملة الاسمية معطوفة على جملة يعبدون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿تُتْلَىٰ﴾ فعل مضارع مغير الصيغة. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلق به. ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: نائب فاعل ومضاف إليه. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: حال من الآيات، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إذا﴾ على كونها فعل شرط لها. ﴿تَعْرِفُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، يعود على أي مخاطب أو على محمد ﴿فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور، ومضاف إليه متعلق بـ ﴿تَعْرِفُ﴾. وجملة ﴿تَعْرِفُ﴾ جواب إذا لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾. ﴿كَفَرُوا۟﴾ فعل وفاعل صلة الموصولة ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾: مفعول به لـ ﴿تَعْرِفُ﴾. ﴿يَكَادُونَ﴾: فعل مضارع ناقص واسمها. ﴿يَسْطُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِٱلَّذِينَ﴾: متعلق به، وجملة ﴿يَسْطُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿يَكَادُونَ﴾. وجملة ﴿يَكَادُونَ﴾ في محل النصب حال من الموصول قبله. وإن كان مضاف إليه؛ لأن المضاف جزؤه، ويجوز أن يكون

حالاً من وجوه؛ لأن المراد بها أصحابها. ﴿يَتْلُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به. ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: مفعول به. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر. يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم﴾: إلى آخر الآية مقول محكي لـ ﴿قُلْ﴾. وإن شئت قلت: الهمزة للاستفهام التقريعي، داخلة على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: قل لهم أيها الرسول، أتسمعون ما أقول لكم، فأنبئكم بشر من ذلكم، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿أنبئكم﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر. ومفعول به. ﴿بِشَرٍّ﴾: متعلق به ﴿مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: متعلق ﴿بِشَرٍّ﴾. وجملة ﴿أنبئكم﴾ في محل النصب، معطوفة على تلك الجملة، المحذوفة على كونها مقولاً لـ ﴿قُلْ﴾. ﴿ٱلنَّارُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو؛ أي: ذلك الشر النار، أو النار مبتدأ وجملة وعدها خبره، والجملة الاسمية على كلا التقديرين، لا محل لها من الإعراب؛ لأنها مفسرة لشر. ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ﴾: فعل ومفعول أول وفاعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول ثان لـ ﴿وعد﴾. ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، وجملة وعدها، حال من النار على التقدير الأول، أو مستأنفة أو خبر بعد خبر. ويجوز أن يكون الضمير في ﴿وَعَدَهَا﴾ هو المفعول الثاني، والذين كفروا، هو المفعول الأول، ولعل هذا هو الأرجح؛ لأن الموصول بمنزلة الآخذ، والنار بمنزلة المأخوذ في باب أعطى. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: فعل وفاعل والمخصوص بالذم محذوف؛ أي: هي، والجملة جملة إنشائية، لا محل لها من الإعراب؛ لأنها سيقت لإنشاء الذم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾.

﴿يا﴾: حرف نداء. ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة و﴿الهاء﴾: حرف تنبيه زائد. ﴿ٱلنَّاسُ﴾، صفة لـ﴿أي﴾، وجملة النداء مستأنفة. ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة جواب النداء، لا محل لها من الإعراب. ﴿فَٱسْتَمِعُواْ﴾: الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم، من ضرب المثل، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم: استمعوا ما أقول لكم. ﴿استمعوا﴾: فعل وفاعل ومفعوله محذوف، تقديره: ما

أقول لكم، والجملة الفعلية في محل النصب، مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة ﴿له﴾ متعلقان به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف، تقديره: تدعونهم. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، حال من فاعل ﴿تَدْعُونَ﴾؛ أي: حالة كونكم مجاوزين الله. ﴿لَن يَخْلُقُوا۟﴾: ناصب وفعل وفاعل، منصوب بحذف النون ﴿ذُبَابًا﴾: مفعول به. والجملة الفعلية في محل الرفع، خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾ مفسرة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها مسوقة لتفسير المثل. ﴿وَلَوِ﴾: الواو: عاطفة. ﴿لو﴾ حرف شرط. ﴿ٱجْتَمَعُوا۟﴾ فعل وفاعل ﴿لَهُۥ﴾ متعلق بـ﴿ٱجْتَمَعُوا۟﴾. والجملة الفعلية فعل شرط لـ﴿لو﴾، وجوابها محذوف، معلوم مما قبلها، تقديره: ولو اجتمعوا له لن يخلقوا ذباباً. وجملة ﴿لو﴾ الشرطية في محل النصب على الحال، معطوفة على جملة محذوفة، وقعت حالاً من فاعل ﴿يَخْلُقُوا۟﴾، والتقدير: إن الذين تدعون من دون الله، لن يخلقوا ذباباً، لو انفردوا في خلقه لن يخلقوه، ولو اجتمعوا له لن يخلقوه. والمعنى: إن الذين تدعون من دون الله، لن يخلقوا ذباباً، حالة كونهم منفردين في خلقه، وحالة كونهم مجتمعين على خلقه. ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ﴾: الواو: عاطفة. ﴿إن﴾ حرف شرط. ﴿يَسْلُبْهُمُ﴾ فعل ومفعول أول مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها، ﴿ٱلذُّبَابُ﴾: فاعل. ﴿شَيْـًٔا﴾ مفعول ثان له. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَسْتَنقِذُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول مجزوم بـ ﴿إن﴾ الشرطية على كونه جواباً لها. ﴿مِنْهُ﴾: جار ومجرور متعلق به. وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل الرفع، معطوفة على جملة قوله: ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾: على كونها خبراً لـ ﴿إن﴾. ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: فعل وفاعل. ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: معطوف على ﴿ٱلطَّالِبُ﴾. والجملة الفعلية: إما حال من فاعل يستنقذون؛ أي: حالة كونهما ضعيفين، أو

مستأنفة مسوقة للتعجب من حالهم. ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ ﴿مَا﴾: نافية. ﴿قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. والجملة مستأنفة. ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: منصوب على المفعولية المطلقة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَقَوِيٌّ﴾ اللام حرف ابتداء ﴿قوي﴾: خبر أول لـ ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَزِيزٌ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ ﴿يَصْطَفِى﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: حال من رسلاً؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ولك أن تعلقه بيصطفى. ﴿رُسُلًا﴾: مفعول به. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾: معطوف على ﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، وحذف من الثاني، لدلالة الأول عليه؛ أي: ويصطفي من الناس رسلاً، وجملة يصطفي في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، مسوقة لتقرير اصطفائه تعالى الرسل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾: ناصب واسمه وخبره الأول. ﴿بَصِيرٌ﴾: خبره الثاني، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ثالث لـ﴿أن﴾، أو مستأنفة. ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يَعْلَمُ﴾. ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة لـ﴿مَا﴾. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْۗ﴾: معطوف على ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾: الواو: عاطفة، أو استئنافية. ﴿إلى الله﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُرْجَعُ﴾. ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَعْلَمُ﴾، أو مستأنفة. ﴿يا﴾ حرف نداء، ﴿أيُّ﴾: منادى نكرة مقصودة. و﴿الهاء﴾ حرف تنبيه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: صفة لـ﴿أي﴾. وجملة النداء مستأنفة. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل. صلة الموصول.

﴿ٱرۡكَعُواْ﴾ فعل وفاعل جواب النداء لا محل لها من الإعراب ﴿وَٱسۡجُدُواْ﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿ٱرۡكَعُواْ﴾ ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿ٱرۡكَعُواْ﴾ أيضاً ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف عليه أيضاً، على كونه جواب النداء، لا محل له من الإعراب ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾: ناصب واسمه. وجملة ﴿تُفۡلِحُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة، مسوقة لتعليل ما قبلها. أو حال من الواو في ﴿ٱرۡكَعُواْ﴾ وما عطف عليه، أي: افعلوا هذه الأمور، حالة كونكم راجين الفلاح.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا﴾.

﴿وَجَٰهِدُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ءَامَنُواْ﴾ أيضاً. ﴿فِي ٱللَّهِ﴾: متعلق به ولا بد من حذف مفعول ﴿جاهدوا﴾؛ أي: جاهدوا أعداءكم في ذات الله ومن أجله ففي للسببية. و﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾: مفعول مطلق. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ. والجملة الاسمية في محل النصب حال من الجلالة. ﴿وَمَا جَعَلَ﴾: الواو: عاطفة ﴿ما﴾: نافية. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة في محل الرفع معطوفة على ﴿ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾. ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ ﴿جَعَلَ﴾. ﴿فِي ٱلدِّينِ﴾: حال ﴿مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليها ﴿مِنۡ﴾: زائدة. ﴿حَرَجٖۚ﴾: مفعول أول لـ ﴿جَعَلَ﴾. ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ﴾: منصوب على المفعولية المطلقة، بفعل محذوف معلوم من مضمون ما تقدمها، ولكنه على حذف مضاف، تقديره: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، فانتصب انتصابه. والجملة المحذوفة مستأنفة. قال الزمخشري: وهذا أحسن الأوجه في هذا المقام. ويجوز نصبها على الاختصاص؛ أي: أخص بالدين ملة أبيكم، أو بتقدير فعل مضمر، تقديره: اتبعوا ملة أبيكم. وهناك أوجه أخرى، لا تخرج عن هذه الأوجه. ﴿أَبِيكُمۡ﴾ مضاف إليه. ﴿إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾: بدل من ﴿أَبِيكُمۡ﴾. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿سَمَّىٰكُمُ﴾: فعل

ومفعول أول، وفاعل مستتر يعود على إبراهيم أو على الله. ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: مفعول ثان. والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب، حال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، ويحتمل كون هو ضميراً يعود على الله، وكذا فاعل ﴿سَمَّىٰكُمُ﴾ فتكون الجملة الاسمية حينئذٍ حالاً من فاعل، وسع المحذوف، أو من فاعل جعل. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿سَمَّىٰكُمُ﴾؛ أي: من قبل هذا الكتاب ﴿وَفِى هَٰذَا﴾: معطوف على ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: وفي هذا الكتاب.

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

﴿لِيَكُونَ﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿يكون﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي. ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ اسمها. ﴿شَهِيدًا﴾: خبرها. ﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿شَهِيدًا﴾. وجملة ﴿يكون﴾ صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: لكون الرسول شهيداً. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: الجار والمجرور متعلق بـ ﴿سَمَّىٰكُمُ﴾. وفي «الفتوحات» واللام فيه للعاقبة، لأن التعليل، غير ظاهر هنا كما قيل. والظاهر أنه لا مانع منه، فإن تسمية الله، أو إبراهيم لهم به حكم بإسلامهم وعدالتهم، وهو سبب لقبول شهادة الرسول، الداخل فيهم دخولاً أولياً، وقبول شهادتهم على الأمم اهـ. «شهاب» ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ﴾ فعل ناقص واسمه وخبره معطوف على ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: متعلق بـ ﴿شُهَدَآءَ﴾. ﴿فَأَقِيمُوا۟﴾: الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أن الله سماكم المسلمين، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم أقيموا الصلاة. ﴿أقيموا﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به. والجملة في محل النصب مقول لجواب إذ المقدرة. وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿أقيموا﴾. ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أقيموا﴾ أيضاً. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلق بـ ﴿اعتصموا﴾. ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: الفاء استئنافية. ﴿نعم﴾: فعل ماض لإنشاء المدح. ﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾: فاعل.

والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: هو، أي: المولي. والجملة مستأنفة. ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿نعم المولى﴾. والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره هو.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ والعقاب: مأخوذ من التعاقب، وهو مجيء الشيء بعد غيره، وحينئذٍ فتسمية ما عوقب به عقاباً، من باب المشاكلة كما سبق ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْـهِ﴾ يقال: بغى عليه بغياً إذا علا وظلم.

قال الراغب: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه، أو لم يتجاوزه، فتارة يعتبر في القدرة التي هي الكمية، وتارة يعتبر في الوصف، الذي هو الكيفية، يقال: بغيت الشيء إذا طلبت أكثر ما يجب. ﴿مُخْضَرَّةً﴾ قال الراغب: الخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد، وهو إلى السواد أقرب، ولهذا يسمى الأسود أخضر، والأخضر أسود. وقيل: سواد العراق للموضع الذي تكثر فيه الخضرة. ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾: يطلق على الواحد والجمع بهذه الصيغة، فالواحدة يقال، لها: فلك، فتكون حركته حينئذٍ كحركة قفل، والجمع يقال له: فلك فتكون حركته حينئذٍ كحركة بدن. اهـ شيخنا.

﴿مَنسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها؛ أي: شريعة ومنهاجاً؛ لأنه مأخوذ من النسيكة، وهي العبادة، وقد تقدم الكلام على هذه المادة مستوفى. ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ يقال: نزع الشيء إذا جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده، والمنازعة المخاصمة.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾؛ أي: خاصموك بعد ظهور الحق، وأصله من جدلت الحبل؛ أي: حكمت فتله، فكأن المجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه. ﴿ٱلْمُنكَرَۖ﴾ بوزن اسم المفعول مصدر ميمي، بمعنى الإنكار وهو على حذف مضاف؛ أي: أثر الإنكار من العبوس ﴿يَسْطُونَ﴾؛ أي: يبطشون. يقال: سطا عليه إذا بطش به، والسطو: الوثب والبطش، ولذلك عدى بالباء، وإلا فهو يتعدى بعلى، يقال: سطا عليه، وأصله القهر والغلبة. وقيل: هو إظهار ما يهول

للإخافة، ولفلان سطوة؛ أي: تسلط وقهر، اهـ «سمين». وفي «الأساس» وسطا بقرنه وعلى قرنه: وثب عليه وبطش به، والفحل يسطو على طروقته. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المصير: المرجع، وهو النار.

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ المثل في الأصل، بمعنى: المثل، ثم خص بما شبه مضربه بمورده من الكلام السائر، فصار حقيقة عرفية فيه، ثم استعير لكل حال غريبة، أو قصة من الكلام فصيحة غريبة، لمشابهتها له في ذلك، اهـ «شهاب» ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ والذباب: من الذب وهو المنع؛ لأنه يذب؛ أي: يمنع ويدفع. قال في «المفردات»: الذباب يقع على الحيوان المعروف من الحشرات الطائرة، وعلى النحل، والزنابير. وفي قوله: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ﴾ فهو المعروف. وفي حياة الحيوان في الحديث (الذباب في النار إلا النحل) وهو يتولَّد من العفونة، لم يخلق لها أجفان لصغر أحداقها، ومن شأن الأجفان أن تصقل مرأة الحدقة من الغبار، فجعل الله لها يدين تصقل بهما مرآة حدقتها، فلهذا ترى الذباب أبداً يمسح بيديه عينيه، وإذا بخر البيت بورق القرع. ذهب منه الذباب، اهـ. دُمَيري. وهو اسم جنس واحده ذبابة، يقع على المذكر والمؤنث، ويجمع على ذباب بالكسر كغربان وذباب بالضم كقضبان وعلى أذبة كأغربة، وهو أجهل الحيوانات؛ لأنه يرمي نفسه في المهلكات، ومدة عيشه أربعون يوماً، وأصل خلقته من العفونات، ثم يتوالد بعضه من بعض، يقع روثه على الشيء الأبيض فيرى أسود، وعلى الأسود فيرى أبيض، والذباب مأخوذ من ذب إذا طرد وآب إذا رجع، لأنك تدبه فيرجع عليك، اهـ. شيخنا.

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ﴾؛ أي: يختطف منهم بسرعة. ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ الاستنقاذ استفعال بمعنى الإفعال، يقال: أنقذه منه بكذا؛ أي: أنجاه منه وخلصه. اهـ «سمين».

﴿يَصْطَفِى﴾ قال في «المفردات»: أصل الصفاء خلوص الشيء من الشوب، والاصطفاء تناول صفو الشيء، كما أن الاختيار تناول خيره، والاجتباء تناول جبايته، واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافياً عن الشوب

الموجود في غيره، وقد يكون باختياره وبحكمه، وإن لم يتعرّ من ذلك الشوب، الذي تعرى منه الأول، اهـ. «روح البيان».

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ الجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو، وهو ثلاثة أضرب، مجاهدة العدو الظاهر كالكفار، مجاهدة الشيطان، مجاهدة النفس والهوى وهذه أعظمها.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ قال الراغب: الملة كالدين، وهو اسم لما شرع الله لعباده على لسان الأنبياء، ليتوصلوا به إلى جوار الله تعالى، والفرق بينها وبين الدين، أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي، الذي تسند إليه، نحو اتبعوا ملة إبراهيم، واتبعت ملة آبائي. ولا يكاد يوجد مضافاً إلى الله تعالى، ولا إلى آحاد أمة النبي، ولا يستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها، ولا يقال: ملة الله، ولا ملتي وملة زيد، كما يقال: دين الله وأصل الملة من مللت الكتاب، ويقال الملة اعتباراً بالنبي الذي شرعها، والدين يقال: اعتباراً بمن يقيمه إذا كان معناه الطاعة، هذا كله في مفردات الراغب. قال ابن عطاء ملة إبراهيم هو السخاء، والبذل وحسن الأخلاق والخروج عن النفس، والأهل والمال والولد.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ والفلاح: الظفر، وإدراك البغية وذلك ضربان: دنيويٌّ وأخرويٌّ، فالدنيويُّ: الظفر بالسعادات التي يطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء، والغنى، والعز. والعلم، والأخروي أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، ولذلك قيل: لا عيش إلا عيش الآخرة.

و﴿ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾؛ أي: اختاركم. ﴿حَرَجٖ﴾؛ أي: ضيق بتكليفكم ما يشق عليكم. ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: استعينوا به وتوكلوا عليه. ﴿مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ ناصركم.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: المشاكلة والإزدواج في قوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ﴾ الخ. حيث سمى

الفعل الصادر منهم ابتداء بالعقاب، مع أن العقاب إنما هو الجزاء على الجناية للازدواج. أو هو من باب المجاز المرسل، حيث سمى ما وقع ابتداء عقاباً، لكونه سبباً لما وقع جزاء وعقوبة، فسمى السبب باسم المسبب. وعبارة «الفتوحات» هنا فتلخص أن قوله: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ بمعنى جازى حقيقة لغوية. وأن قوله: ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ مجازٌ من قبيل المشاكلة أو من قبيل تسمية السبب باسم المسبب مجازاً مرسلاً، اهـ. مع زيادة.

ومنها: إيراد صيغة المضارع بدل الماضي حيث قال: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بدل أصبحت لإفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان.

ومنها: الامتنان بتعداد النعم في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى . . .﴾ إلخ. وكذلك الاستفهام التقريري في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

ومنها: صيغة المبالغة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾.

ومنها: وصف ﴿مَنسَكًا﴾ بقوله: ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ تأكيداً للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل، في قوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾.

ومنها: النهي الذي يراد منه نفي الشيء في قوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾؛ أي: لا ينبغي لهم منازعتك، فقد ظهر الحق وبان.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ حيث شبه الخصومة الواقعة بينه وبينهم بجدل الحبل، وفتله؛ لأن أصل الجدل فتل الحبل، فكأن المجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه.

ومنها: الاستفهام التقريري في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: قد علمت.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ تسجيلاً

عليهم باسم الظلم.

ومنها: إيقاع الظاهر موقع المضمر في قوله: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ للشهادة عليهم بوصف الكفر، اهـ «سمين». وفيه الاستعارة اللطيفة؛ أي: تستدل من وجوههم على المكروه، وإرادة الفعل القبيح، مثل قولهم عرفت في وجه فلان الشر.

ومنها: الاستعارة التصريحية الأصلية، حيث أستعير المثل لصفة غريبة، وقصة عجيبة، تشبيهاً لها ببعض الأمثال، لكونها مستحسنة مستغربة عندهم. كما في «الخازن».

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ حيث أطلق الجزء وأراد الكل؛ أي: صلوا؛ لأن الركوع والسجود من أركان الصلاة.

ومنها: ذكر العام بعد الخاص، لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص، في قوله: ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ بدأ بخاص، ثم بعام، ثم بأعم.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: رسلاً حيث حذف من الثاني لدلالة الأول عليه.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

خلاصة ما تضمَّنت هذه السورة من الحكم والأحكام

جملتها سبعة عشرة

١ ـ وصف حال يوم القيامة، وما فيه من شدائد وأهوالٍ تشيب منها الولدان.

٢ ـ جدال عبدة الأصنام والأوثان، بلا حجة وبرهان.

٣ ـ إثبات البعث وإقامة الأدلة عليه.

٤ ـ وصف المنافقين المذبذبين في دينهم، وعدم ثباتهم على حال واحدة.

٥ ـ ما أعد الله لعباده المؤمنين، من الثواب المقيم، في جنات النعيم.

٦ ـ بيان أن الله ناصر نبيه، ومظهر دينه على سائر الأديان.

٧ ـ بيان أن الله يحكم يوم القيامة بين عباده، من أرباب الديانات المختلفة، ويجازي كلا بما يستحق.

٨ ـ إقامة الأدلة على وجود خالق السموات والأرض، وبيان أن العالم كله خاضع لقدرته.

٩ ـ أمر المؤمنين بقتال المشركين، الذين أخرجوهم من ديارهم، وبيان أن هذا القتال لا بد منه لنصرة الحق في كل زمان ومكان، وأن الله ينصر من يدافع عنه.

١٠ ـ تسلية الرسول على ما يناله من أذى قومه، وأنهم ليسوا بدعاً في الأمم، فكثير ممن قبلهم كذبوا رسلهم، ثم كانت العاقبة للمتقين، وأهلك الله القوم الظالمين، والعبر ماثلةٌ في حلهم وترحالهم.

١١ ـ بيان أن المفسدين يلقون الشبهات على الحق، ليزلزلوا عقائد المؤمنين، لكنها لا تلبث أن تزول، وينكشف نور الحق ويزيل ظلام الباطل.

١٢ ـ الثواب على الهجرة لله ورسوله، سواء قتل المهاجر أو مات.

١٣ ـ وصف حال الكافرين، إذا تلي عليهم القرآن بما يظهر على وجوههم من أمارات الغضب.

١٤ ـ بيان أن الله يرسل رسلاً من الملائكة، ورسلاً من البشر، وأن الله عليم بمن يصلح لهذه الرسالة.

١٥ ـ أمر المؤمنين بدوام الصلاة والزكاة، وفعل الخيرات والجهاد حق الجهاد في سبيل الحق.

١٦ ـ بيان أن الدين يسرٌ لا عسرٌ، وأنه كمِلَّة إبراهيم سمح لا شدة فيه.

١٧ ـ بيان أن الرسول شهيد على أمته يوم القيامة، وأن هذه الأمة تشهد على الأمم السالفة، بأن رسلهم قد بلغوهم شرائع الله وما قصروا في ذلك.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعل الأمر مشتبهاً علينا، فإذاً نضيع. آمين آمين. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين(١).

* * *

---

(١) قد انتهى المجلد الثامن عشر من تفسير «حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن» قبيل الغروب من يوم الجمعة المبارك، الحادي والعشرين من شهر شوال من شهور سنة ألف وأربع مئة واثنتي عشرة سنة (٢١/ ١٠/ ١٤١٢) من الهجرة المصطفوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

اللهم يا ربنا كما يسرت لي ما مضى من هذا التفسير، وبشرتني بالفراغ من هذا المجلد، فأكرمني بالفراغ من كل الكتاب وإكماله، واجعل البركة لي في عمري مع صرف العوائق والمعائق عني إلى تمامه، وتقبَّل اجتهادي فيه، وسائر أعمالنا، إنك أنت السميع القريب المجيب.

وكان الفراغ منه بمكة المكرمة في المسفلة حارة الرشد، جوار الحرم الشريف. في تاريخ ٢١/ ١٠/ ١٤١٢ هـ وكان الفراغ من تصحيح هذا المجلد بيد مؤلفه في تاريخ ٢٢/ ٦/ ١٤١٧ هـ.

شعرٌ

يَـا رَبِّ يَـا رَبِّ يَـا مَـنْ لاَ شَـرِيْـكَ لَـهُ   يَا سَامِعَ ٱلأَصْوَاتِ يَا مَنْ جَلَّ عَنْ صَمَمِ
يَـا رَبِّ يَـا رَبِّ يَـا ذَا ٱلْـجُـوْدِ يَـا أَمَـلِـيْ   يَا ذَا ٱلْجَلاَلِ وَيَا ذَا ٱللُّطْفِ فِيْ ٱلأُمَمِ

آخرُ

أَلْـحَـمْـدُ لِـلّٰـهِ عَـلَـىٰ مَـا أَوْلَـىٰ   وَنِـعِـمْ مَـا أَوْلَـىٰ فَـنِـعْـمِ ٱلْـمَـوْلَـىٰ

الفهرس